

الْفَقْرُ

مَوْسُوعَةُ اسْتِدْلَالِيَّةٌ فِي الْفَقْرِ اِسْلَامِيَّ

مِفْقَرُ الْفَقْرِ

المجلد الخامس

مُخَاطَبَةُ اللَّهِ فِي الْمَسْجِدِ

القسم الرابع

آيَةُ اللَّهِ الْعِظَمَى

اَلْاَمْرُ بِالشَّيْءِ الْحَسَنِ الشَّيْءِ الرَّئِيسِ

أَعْلَى الدَّرَجَاتِ

مِفْقَرُ النَّهْجِ

لِلْمَجْلَدِ الْخَامِسِ

خُطْبَتُهُمَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي الْمَسْجِدِ

الْقِسْمُ الرَّابِعُ

الْفَقْرُ

مَوْسُوْعَةُ اسْتِزْلَالِ الْفَقْرِ فِي الْاِسْلَامِ

مِفْقَرُ الْاِسْلَامِ

المجلد الخامس

خُطْبَتُهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَسْجِدِ

القسم الرابع

آيَةُ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ

اَلْاِمَامِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ الشَّيْخِ الرَّزِيِّ

أَعْلَى الدَّرَجَاتِ

باهتمام
الحسينية الكربلائية - اصفهان

اسم الكتاب: من فقه الزهراء عليها السلام (ج ٥)

المؤلف: آية الله العظمى الامام السيد محمد الحسيني الشيرازي رحمته الله

الناشر: رشيد

الطبعة: الاولى

سنة الطبع: ١٣٨٦ هـ ش / ١٤٢٨ هـ ق

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

ليتوغرافي: آل البيت عليهم السلام

المطبعة: شريعت

ردمك الدورة: ٧-٢٦-٩٩٣٧-٩٦٤-٩٧٨

ردمك الجزء الخامس: ٠-٢٥-٩٩٣٧-٩٦٤-٩٧٨



طبع هذا الكتاب لثواب روح المرحوم المغفور له

خادم الزهراء عليها السلام

الحاج الحاج جبار المكسرجي (ره)

في ايام ولادت فاطمة الزهراء عليها السلام

جمادى الثاني / ١٤٢٨

بأهتمام

الحسينية الكربلائية - اصفهان

ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض

بداية سقوط الأمم

مسألة: من رذائل الأخلاق الخلود إلى الخفض والدعة والراحة وسعة العيش ، فإنه نقطة البداية في سقوط الأمم ، ويكون على حسب اختلاف الموارد إما: محرماً أو مكروهاً ؛ لأن الإسلام يحب الجد والنشاط والجهد كما نجد ذلك في سيرة رسول الله ﷺ وخليفته الإمام علي عليه السلام وسائر الأئمة المعصومين عليهم السلام.

من جهد الرسول ﷺ والعترة الطاهرة عليهم السلام

عن الزهري ، قال : دخلت مع علي بن الحسين عليه السلام على عبد الملك بن مروان . قال : - فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين عليه السلام . فقال : يا أبا محمد ، لقد بين عليك الاجتهاد ، ولقد سبق لك من الله الحسنى ، وأنت بضعة من رسول الله ﷺ قريب النسب ، وكيد السبب ، وإنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك ، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك إلا من مضى من سلفك . وأقبل يثني عليه ويطربه .

قال : فقال علي بن الحسين عليه السلام : « كل ما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه ، فأين شكره على ما أنعم يا أمير ، كان رسول الله ﷺ يقف في الصلاة حتى تورم قدماءه ، ويظماً في الصيام حتى يعصب فوه . فقل له : يا رسول الله ، ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! . فيقول ﷺ : أفلا أكون عبداً شكوراً ، الحمد لله على ما أولى وأبلى ، وله الحمد في الآخرة والأولى ،

والله لو تقطعت أعضائي وسالت مقلتي على صدري لن أقوم لله جل جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون، ولا يبلغ حد نعمة منها علي جميع حمد الحامدين، لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار ولا سر ولا علانية، ولولا أن لأهلي علي حقاً ولسائر الناس من خاصهم وعامهم علي حقوقاً لا يسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها إليهم، لرميت بطرفي إلى السماء، وبقلبي إلى الله، ثم لم أرددهما حتى يقضي الله على نفسي، وهو خير الحاكمين»، وبكى عليه السلام وبكى عبد الملك^(١).

وفي الحديث: كان النبي ﷺ يبكي حتى يُغشى عليه، فقل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(٢).
وروي: أن الأشعث بن قيس دخل عليه - على أمير المؤمنين عليه السلام - بصفين وهو قائم يصلي ظهيرة. فقال: قلت: يا أمير المؤمنين، أدعوب بالليل ودعوب بالنهار؟! قال: فانسل عليه السلام من صلاته وهو يقول هذه الأبيات:

اصبر على تعب الإدلاج والسهرة	وبالرواح على الحاجات والبكر
لا تضجرن ولا يعجزك مطلبها	فالنجاح يتلف بين العجز والضجر
إنني وجدت وفي الأيام تجرية	للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يطالبه	فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر ^(٣)

(١) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ١٢٥-١٢٦ ب ١٨ ح ١٦٥.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٤٧ ب ١٥ ح ١٢٨٩٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٤ ص ٤١١ ب ٣٦.

قولها عليها السلام: «ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض»:

الإخلاد: الميل والسكون، والخفض: السعة في العيش. وأصل الخفض عبارة عن: الموضع الواطئ الذي لا يرى عن بُعد فيكون الإنسان الذي فيه في مأمن من الأخطار، فهو من علاقة الحال والمحَلِّ. ثم إن الذي يخلد إلى الخفض كثيراً ما يؤدي به ذلك إلى المحرمات طلباً للخفض، وكسلاً عن الإتيان بالواجب، وعلى كل حال فالخفض مرجوح بين محرم ومكروه كلٌّ في مورده.

وسنلاحظ إشارة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام لاحقاً إلى الآثار السلبية والخطيرة التي نجمت عن إخلاد القوم إلى الراحة على حساب تضييع الواجبات، وإبعادهم من هو الأحق بالقيادة والخلافة.

كما أنها عليها السلام تشير في هذا المقطع إلى أن موقفهم من الخلافة وغضبها وغضب فدك لم يكن نابعاً من قناعة، أو عدم معرفة بالحقيقة، أو عدم علمهم بمن هو أحق بالخلافة، بل كان نابعاً من ضعف النفس وحب الشهوات، والرغبة في الراحة والدعة، إذ قالت عليها السلام: «قد أخلدتم إلى الخفض».

ومن معاني الخفض: ما يقابل الرفع، فبتركهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد أخلدوا إلى الضعة وعدم الرفع.

ولا يخفى ما في استعمال مادة الخلود هنا من دلالات.

وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إني أنا مالك الشفاء، والإحياء والإماتة، والغناء والإفكار، والإسقام والصحة، والرفع والخفض، والإهانة والإعزاز، دونكم ودون سائر الخلق»^(١).

(١) بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٥٧ ب ٥٠ ح ٢٧.

وفي (مصباح الشريعة): عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إعراب القلوب على أربعة أنواع: رفع وفتح وخفض ووقف. فرفع القلب في ذكر الله، وفتح القلب في الرضا عن الله، وخفض القلب في الاشتغال بغير الله، ووقف القلب في الغفلة عن الله - إلى أن قال عليه السلام - وعلامة الخفض ثلاثة أشياء: العجب والرياء والحرص» الحديث^(١).

أما قول أمير المؤمنين عليه السلام: «من توكل على الله ذلت له الصعاب، وتسهلت عليه الأسباب، وتبوأ الخفض والكرامة»^(٢) فهو إشارة إلى الخفض والراحة الحقيقية كما لا يخفى.

الجد والنشاط

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «عليك بإدمان العمل في النشاط والكسل»^(٣). وفي الدعاء: «اللهم ارزقني فيه الجد والاجتهاد والقوة والنشاط»^(٤). ولما سوى رسول الله صلى الله عليه وآله الصفوف بأحد قام فخطب الناس فقال: «أيها الناس أوصيكم بما أوصاني به الله في كتابه، من العمل بطاعته والتناهي عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه، ثم وطن نفسه على الصبر واليقين والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد كربه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم له على رشده، إن الله مع من أطاعه وإن الشيطان مع من عصاه،

(١) مصباح الشريعة: ص ١٢١ ب ٥٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ق ٢ ب ٢ ف ٦ آثار التوكل ح ٣٨٨٨.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٢ ق ١ ب ٦ ف ٤ أهمية العمل ح ٢٧٩٩.

(٤) الكافي: ج ٤ ص ٧٦ باب ما يقال في مستقبل شهر رمضان ح ٧.

فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم
بالذي أمركم به، فإني حريص على رشدكم، إن الاختلاف والتنازع والتشبط من
أمر العجز والضعف، وهو مما لا يحببه الله، ولا يعطي عليه النصر والظفر»^(١).
وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد أخطأ العاقل اللاهي الرشد، وأصابه ذو
الاجتهاد والجد»^(٢).

وقال عليه السلام: «ثلاث فيهن النجاة: لزوم الحق، وتجنب الباطل، وركوب
الجد»^(٣).

وقال عليه السلام: «المؤمن يعاف الله ويألف الجد»^(٤).

وقال عليه السلام: «طاعة الله سبحانه لا يحوزها إلا من بذل الجد واستفرغ
الجهد»^(٥).

وقال عليه السلام: «فالحذر الحذر أيها المستمع، والجد الجد أيها العاقل،
ولا ينبؤك مثل خبير»^(٦).

وقال عليه السلام: «نكد العلم الكذب، ونكد الجد اللعب»^(٧).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٢٥-١٢٦ ب ١٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٠ ق ١ ب ١ ف ٨ وسائل أخرى ح ٦٧٧، والغرر: ص ٦٦ ف ١٢ الموانع
المتفرقة ح ٨٧٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٩ ق ١ ب ١ ف ١٤ في العمل بالحق ح ٩٧٣.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٢٢٠ ب ٧٩ ح ١٥١٨٠.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٨٤ ق ١ ب ٢ ف ١ الترغيب في الطاعة ح ٣٤٨٠.

(٦) نهج البلاغة، الخطب: ١٥٣ ومن خطبة له عليه السلام.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٢٠ ق ١ ب ٣ ف ٤ ذم الكذب ح ٤٣٨٢، والغرر: ص ٤٦١ ق ٦ ب ٥
ف ٤ بعض آثار اللهو واللعب ح ١٠٥٥٣.

وقال عليه السلام: «لا تترك الاجتهاد في إصلاح نفسك، فإنه لا يعينك عليها إلا الجِدُّ»^(١).

وقال عليه السلام: «إن كنتم للنجاة طالبين، فارفضوا الغفلة واللهو، والزموا الاجتهاد والجِدُّ»^(٢).

وقال عليه السلام: «عليك بالجِدِّ والاجتهاد في إصلاح المعاد»^(٣).

وقال عليه السلام: «عليك بالجِدِّ وإن لم يساعد الجِدُّ»^(٤).

وقال عليه السلام: «من قصر عاب»^(٥).

وقال عليه السلام: «من لم يجهد نفسه في صغره لم ينبُل في كبره»^(٦).

وقال عليه السلام: «ما أدرك المجد من فاته الجِدُّ»^(٧).

وقال عليه السلام: «الكامل من غلب جده هزله»^(٨).

وقال عليه السلام: «قد سعد من جدٍّ»^(٩).

وقال عليه السلام: «من ركب جده قهر ضده»^(١٠).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٣٧ ق ٣ ب ٢ ف ١ إصلاح النفس ح ٤٧٧٤.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٦٦ ق ٣ ب ٢ ف ٤ ذم الغفلة ح ٥٧٤٩.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٣ ق ٦ ب ٤ ف ٢ مدح السعي والجِدِّ والتحريض إليهما ح ١٠١١٥.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٣ ق ٦ ب ٤ ف ٢ مدح السعي والجِدِّ والتحريض إليهما ح ١٠١١٧.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٣ ق ٦ ب ٤ ف ٢ مدح السعي والجِدِّ والتحريض إليهما ح ١٠١١٨.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٣ ق ٦ ب ٤ ف ٢ مدح السعي والجِدِّ والتحريض إليهما ح ١٠١١٩.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٣ ق ٦ ب ٤ ف ٢ مدح السعي والجِدِّ والتحريض إليهما ح ١٠١٢٠.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٣ ق ٦ ب ٤ ف ٢ مدح السعي والجِدِّ والتحريض إليهما ح ١٠١٢١.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٣ ق ٦ ب ٤ ف ٢ فوائد السعي والجِدِّ ح ١٠١٢٦.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٤ ق ٦ ب ٤ ف ٢ فوائد السعي والجِدِّ ح ١٠١٢٩.

وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض

وقال عليه السلام: «من أعمل اجتهاده بلغ مراده»^(١).
وقال عليه السلام: «من بذل جهد طاقته بلغ كنه إرادته»^(٢).

وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض

الكفاءات

مسألة: من الواجب إعطاء كل ذي حق حقه، ومن مصاديقه: وضع الرجل المناسب في المكان المناسب وتفويض الأدوار لذوي الكفاءات. وبذلك تستقيم أمور الدين والدنيا معاً.

وفي الأحاديث أن من علائم زوال الحكومات: تقديم الأراذل وتأخير الأفاضل، قال علي عليه السلام: «يستدل على إدار الدول بأربع: تضييع الأصول، والتمسك بالغرور، وتقديم الأراذل، وتأخير الأفاضل»^(٣).

وقال عليه السلام: «تولي الأراذل والأحداث الدول دليل انحلالها وإدارها»^(٤).

وورد في تفسير ﴿المتقين﴾: «الذين يتقون الموبقات ويتقون تسليط السفه على أنفسهم»^(٥).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٤ ق ٦ ب ٤ ف ٢ فوائد السعي والجد ح ١٠١٣١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٤ ق ٦ ب ٤ ف ٢ فوائد السعي والجد ح ١٠١٣٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٢ ق ٤ ب ٢ ف ٥ ح ٧٨٣٥.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٥ ق ٤ ب ٢ ف ٦ ح ٧٩٢٥.

(٥) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٢ ح ٣٢ فضل سورة البقرة.

وقال علي عليه السلام: «إذا ملك الأراذل هلك الأفاضل»^(١)

وقال عليه السلام: «رأس الرذائل اصطناع الأراذل»^(٢).

وقال عليه السلام: «الأعمال تستقيم بالعمال»^(٣)

وقال عليه السلام: «آفة الأعمال عجز العمال»^(٤)

وقال عليه السلام: «شر الولاة من يخافه البريء»^(٥).

وقال عليه السلام: «شر الوزراء من كان للأشرار وزيراً»^(٦)

وقال عليه السلام: «وزراء السوء أعوان الظلمة وإخوان الأئمة»^(٧).

مضافاً إلى ما ورد في ذم من تولى الأمر وفي القوم من هو أعلم منه.

قال رسول الله ﷺ: «ألا ومن أمّ قوماً إمامة عمياء وفي الأمة من هو

أعلم منه فقد كفر»^(٨).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من خرج يدعو الناس وفيهم من هو أفضل منه

فهو ضال مبتدع»^(٩).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٨ ق ٤ ب ٢ ف ٨ آثار الحكومة الجائرة ح ٨٠٣٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٨٧ ق ٥ ب ٤ ف ٢ إضاعة الإحسان ح ٨٨٦٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٥ ق ٤ ب ٢ ف ٦ ح ٧٩٢٠.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٥ ق ٤ ب ٢ ف ٦ ح ٧٩٢٤.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٥ ق ٤ ب ٢ ف ٦ ح ٧٩٢٦.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٥ ق ٤ ب ٢ ف ٦ ح ٧٩٢٧.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٥ ق ٤ ب ٢ ف ٦ ح ٧٩٣٠.

(٨) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٨٧ ب ١ ح ٣١.

(٩) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٩ ب ٨ ح ١٢٣٥٤.

سررزايا المسلمين:

ولقد كان السبب الأول في كافة المحن والمشاكل والرزايا التي تعرض لها المسلمون - من حكام جائرين مستبدين ومن هتك الحرمات ومصادرة الحقوق وضعف الإيمان و... على مر التاريخ هو عدم إعطاء المناصب والمسؤوليات لذوي الكفاءات، بدءاً من رئيس الحكومة حتى أصغر مدير، وكان أفدح تلك الخطايا على الإطلاق سلب السلطة من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كان هو الأكفأ في كل الجهات بشهادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بمتواتر الروايات، مضافاً إلى كونه عليه السلام هو الخلفية المعين من قبل الله عز وجل.

وقد ورد في الزيارة: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَبْدِكَ وَأَخِي رَسُولِكَ، الَّذِي انْتَجَبْتَهُ لِعِلْمِكَ، وَجَعَلْتَهُ هَادِيًا لِمَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِكَ، وَالِدَلِيلَ عَلَى مَنْ بَعَثْتَهُ بِرِسَالَاتِكَ، وَدَيَّانَ الدِّينِ بِعَدْلِكَ، وَفَصْلَ قَضَائِكَ بَيْنَ خَلْقِكَ، وَالْمُهَيِّمِينَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»^(١).

وفي (الوسائل) في باب كيفية الوضوء وجملة من أحكامه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن العبد إذا توضأ فغسل وجهه تناثرت ذنوب وجهه.. وإن قال في أول وضوئه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طهرت أعضاؤه كلها من الذنوب، وإن قال في آخر وضوئه أو غسله من الجنابة: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا

(١) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٨٧ ب ٣٥.

وَلِيُّكَ وَخَلِيفَتُكَ بَعْدَ نَبِيِّكَ، وَأَنَّ أَوْلِيَاءَهُ خُلَفَاؤُكَ وَأَوْصِيَاؤُهُ، تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ
كَمَا تَتَحَاتُّ أَوْرَاقُ الشَّجَرِ، وَخَلَقَ اللَّهُ بَعْدَ كُلِّ قَطْرَةٍ مِنْ قَطَرَاتِ وَضُوئِهِ أَوْ
غَسَلَهُ مَلَكًا يُسَبِّحُ اللَّهَ وَيُقَدِّسُهُ وَيَهْلِلُهُ وَيَكْبِرُهُ وَيُصَلِّيُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ،
وِثْوَابَ ذَلِكَ لِهَذَا الْمُتَوَضِّئِ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ بِوَضُوئِهِ وَغَسَلِهِ فَيُخْتَمُ عَلَيْهِ بِخَاتَمٍ مِنْ
خَوَاتِيمِ الْعِزَّةِ» الْحَدِيثُ ^(١).

وَفِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«فَاتَانِي جِبْرِئِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ لَكَ: إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَصِيكَ،
وَخَلِيفَتَكَ عَلَى أَهْلِكَ وَأَمَّتِكَ، وَالذَّائِدُ عَنْ حَوْضِكَ، وَهُوَ صَاحِبُ لَوَائِكَ
يَقْدُمُكَ إِلَى الْجَنَّةِ» ^(٢).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - فِي حَدِيثِ الْمَعْرَاجِ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا ابْنَ
عَبَّاسٍ، إِنَّ أَوَّلَ مَا كَلَّمَنِي ^(٣) بِهِ أَنْ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ انْظُرْ تَحْتَكَ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْحُجَبِ
قَدْ انْخَرَقَتْ، وَإِلَى أَبْوَابِ السَّمَاءِ قَدْ فَتَحَتْ، وَنَظَرْتُ إِلَى عَلِيٍّ عليه السلام وَهُوَ رَافِعُ
رَأْسِهِ إِلَيَّ، فَكَلَّمَنِي وَكَلَّمَتُهُ وَكَلَّمَنِي رَبِّي عَزَّوَجَلَّ».

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِمِ كَلَّمَكِ رَبُّكَ؟

قَالَ: «قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي جَعَلْتُ عَلِيًّا وَصِيكَ وَوَزِيرَكَ، وَخَلِيفَتَكَ
مِنْ بَعْدِكَ، فَأَعْلَمَهُ فَهَا هُوَ يَسْمَعُ كَلَامَكَ، فَأَعْلَمْتُهُ وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ،
فَقَالَ لِي: قَدْ قَبِلْتَ وَأَطَعْتَ. فَأَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ تَسْلَمَ عَلَيْهِ، فَفَعَلَتْ فَرَدَّ عَلَيْهِمُ
السَّلَامَ، وَرَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ يَتَبَاشَرُونَ بِهِ، وَمَا مَرَرْتُ بِمَلَائِكَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ إِلَّا

(١) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٣٩٨ ب ١٥ ح ١٠٤٠.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٨ ص ١٨١ ب ٨ ح ٢٢٤٤٥.

(٣) أي ربي عز وجل.

هثنوني، وقالوا: يا محمد، والذي بعثك بالحق لقد دخل السرور على جميع الملائكة باستخلاف الله عزوجل لك ابن عمك. ورأيت حملة العرش قد نكسوا رؤوسهم إلى الأرض، فقلت: يا جبرئيل، لم نكس حملة العرش رؤوسهم؟ فقال: يا محمد، ما من ملك من الملائكة إلا وقد نظر إلى وجه علي بن أبي طالب عليه السلام استبشاراً به ما خلا حملة العرش فإنهم استأذنوا الله عزوجل في هذه الساعة، فأذن لهم أن ينظروا إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فنظروا إليه. فلما هبطت جعلت أخبره بذلك وهو يخبرني به، فعلمت أنني لم أظأ موطئاً إلا وقد كشف لعلي عليه السلام عنه حتى نظر إليه».

قال ابن عباس: فقلت: يا رسول الله، أوصني.

فقال: «عليك بمودة علي بن أبي طالب، والذي بعثني بالحق نبياً لا يقبل الله من عبد حسنة حتى يسأله عن حب علي بن أبي طالب عليه السلام وهو تعالى أعلم، فإن جاء بولايته قبل عمله على ما كان منه، وإن لم يأت بولايته لم يسأله عن شيء ثم أمر به إلى النار. يا ابن عباس، والذي بعثني بالحق نبياً إن النار لأشد غضباً على مبغض علي منها على من زعم أن لله ولداً. يا ابن عباس، لو أن الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين اجتمعوا على بغض علي ولن يفعلوا لعذبهم الله بالنار».

قلت: يا رسول الله، وهل يبغضه أحد؟ قال: «يا ابن عباس، نعم يبغضه قوم يذكرون أنهم من أمتي لم يجعل الله لهم في الإسلام نصيباً. يا ابن عباس، إن من علامة بغضهم تفضيلهم من هو دونه عليه، والذي بعثني بالحق نبياً ما بعث الله نبياً أكرم عليه مني، ولا وصياً أكرم عليه من وصيي علي».

قال ابن عباس: فلم أزل له كما أمرني رسول الله ﷺ ووصاني بمودته، وإنه لأكبر عملي عندي - قال ابن عباس - فلما مضى من الزمان ما مضى، وحضرت رسول الله ﷺ الوفاة حضرته، فقلت له: فذاك أبي وأمي يا رسول الله، قد دنا أجلك فما تأمرني؟

فقال: «يا ابن عباس، خالف من خالف علياً، ولا تكونن لهم ظهيراً ولا ولياً».

قلت: يا رسول الله، فلم لا تأمر الناس بترك مخالفته^(١)؟ - قال - فبكي عليه السلام حتى أغمي عليه، ثم قال: «يا ابن عباس، قد سبق فيهم علم ربي والذي بعثني بالحق نبياً لا يخرج أحد ممن خالفه من الدنيا وأنكر حقه حتى يغير الله ما به من نعمة. يا ابن عباس، إذا أردت أن تلقى الله وهو عنك راض فاسلك طريقة علي بن أبي طالب، ومل معه حيث مال، وارض به إماماً، وعاد من عاداه، ووال من والاه. يا ابن عباس، احذر أن يدخلك شك فيه، فإن الشك في علي كفر بالله تعالى»^(٢).

إقصاء الكفئات ظلم محرم

مسألة: يحرم إبعاد من هو الأحق بالبسط والقبض مطلقاً، فإن الحق يجب أن يتبع سواء كان الحق شخصاً أم جهة أم فكراً أم منهجاً، والإمام علي (عليه الصلاة والسلام) كان هو الحق الذي يجب إتباعه بنص القرآن والرسول ﷺ، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

(١) أي زيادة على ما أمرهم به.

(٢) الأماشي للطوسي: ج ٤ ص ١٠٤-١٠٦ المجلس الرابع ح ١٦١.

الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ»^(١).

وقال عليه السلام: «علي مع الحق والحق مع علي، يدور حيثما دار»^(٢).

وقال عليه السلام: «علي مع الحق والحق مع علي، يميل مع الحق كيف ما مال»^(٣).

وقال عليه السلام: «الحق مع علي وعلي مع الحق، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض»^(٤).

وقال عليه السلام: «علي مع الحق والحق معه وعلى لسانه»^(٥).

وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله: «الحق لن يزال مع علي وعلي مع الحق لن يختلفا ولن يفترقا»^(٦).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله يبغض من عباده المائلين عن الحق، والحق مع علي، وعلي مع الحق، فمن استبدل بعلي غيره هلك وفاته الدنيا والآخرة»^(٧).

وقال عليه السلام: «علي مع الحق وغيره مع الباطل»^(٨).

(١) سورة المائدة: ٥٥.

(٢) إعلام الوری: ص ١٥٩ الركن الثاني ب ٢.

(٣) الاحتجاج: ج ١ ص ٧٥ ذكر طرف ما جرى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٤) الخصال: ج ٢ ص ٥٥٩ احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام بمثل هذه الخصال على الناس يوم الشورى ح ٣١.

(٥) المناقب: ج ٣ ص ٦٢ فصل في أنه مع الحق والحق معه.

(٦) كشف الغمة: ج ١ ص ١٤٧ في بيان أنه مع الحق والحق معه.

(٧) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٣٦ ب ٥٧ ح ١١.

(٨) تفسير فرات الكوفي: ص ٥٤٠ ومن سورة عبس ح ٦٩٠.

ثم إن إبعاد من هو الأحق بالبسط والقبض عليه السلام ظلم من ثلاث جهات، بل أكثر:

١: ظلم للمغضوب حقه.

٢: ظلم للناس والجماهير التي حرمت خيراته.

٣: ظلم للمنهج والفكر والرسالة.

مضافاً إلى أنه ظلم لرسول الله ﷺ الذي عينه بالنص، وظلم في حق المولى عز وجل الذي عينه وصياً.

إبعاد الإمام عن الخلافة من أكبر الكبائر

مسألة: من أكبر الكبائر إبعاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن منصب خلافة رسول الله ﷺ وقد قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «من أطاع علياً رشد، ومن عصى علياً فسد»^(٢). وعن أم سلمة قالت: (كان علي عليه السلام على الحق، من اتبعه اتبع الحق، ومن تركه ترك الحق، عهداً معهوداً قبل يومه هذا)^(٣). وعن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي مع الحق والحق مع علي، وهو الإمام والخليفة من بعدي، فمن تمسك به فاز ونجا، ومن تخلف عنه ضل وغوى»^(٤).

(١) سورة النساء: ٦٥.

(٢) الاحتجاج: ج ١ ص ٨٨ ذكر طرف ما جرى بعد وفاة رسول الله ﷺ.

(٣) كشف الغمة: ج ١ ص ١٤٣ في بيان أنه مع الحق والحق معه.

(٤) كفاية الأثر: ص ٢٠-٢١ باب ما جاء عن عبد الله بن العباس.

وقال عليه السلام: «من فارق علياً فقد فارقني، ومن فارقني فقد فارق الله عز وجل»^(١). وقال عليه السلام: «من آذى علياً فقد آذاني، أيها الناس من آذى علياً بعث يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً»^(٢).

ومن أكبر الكبائر أيضاً: إبعاد سائر المعصومين عليهم السلام عن الخلافة والإمامة. والمعين عليه معين على الكبيرة، والراضي بل الساكت عنه آثم، والحكم في زمن الغيبة سارٍ أيضاً، فإن المنصب لهم ولا يجوز التصرف فيه إلا بإذن منهم، بالإذن الخاص^(٣) أو العام بأن تجتمع في الحاكم الشرعي كل الشرائط حسب المقرر في (الفقه) على ما هو مذكور في كتاب الاجتهاد والتقليد^(٤).

قولها عليها السلام: «أحق» يراد به الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وصيغة التفضيل وصف بلا تفضيل، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾^(٥)، أو التفضيل على سبيل الفرض حسب نظر القوم أو ما أشبهه.

بيان الحقائق

مسألة: يجب بيان ذلك^(٦) للناس، كسائر ما يرتبط بشؤون العقيدة، في الجملة، بل هذا من أهمها كما لا يخفى، ولذا بينت الزهراء (عليها الصلاة والسلام)

(١) الأماشي للصدوق: ص ٨٩ المجلس ٢٠ ح ١.

(٢) نهج الحق: ص ٢٢٢ حديث الإيذاء ح ٢٠.

(٣) كما في عصر الغيبة الصغرى.

(٤) راجع موسوعة (الفقه) للإمام المؤلف عليه السلام: ج ١ كتاب الاجتهاد والتقليد.

(٥) سورة الفرقان: ١٥.

(٦) أي حرمة غصب الخلافة، أو المراد: بيان كون علي عليه السلام هو الخليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله دون غيره.

هذا الموضوع للناس ، بل تصدت (صلوات الله عليها) لبيان ذلك بكل قوة حتى قضت شهيدة ، مكسورة الضلع ، مضروبة الخد ، مسقطة جنيها (صلوات الله عليهما) ولعنة الله على من ظلمها وظلم بعلمها وبنيتها.

فإنه داخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى أصول الدين ، ومن المعلوم أن الدعوة إليها^(١) من الواجبات ، ويشملها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد الجاهل وتنبيه الغافل أيضاً ، وتختلف مراتب الوجوب في هذه الأمور حسب اختلاف المصاديق.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٢) : ورد عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ أنه قال : «عن ولاية علي بن أبي طالب»^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾^(٤) الذي أمرهم به رسول الله ﷺ في علي عليه السلام^(٥).

قولها عليها السلام : «وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض» ، أي : بالحكم ، وهذا إشارة إلى الخلافة الظاهرية (السلطة) واغتصابها من الإمام علي (عليه الصلاة والسلام).

(١) أي إلى أصول الدين.

(٢) سورة الصافات : ٢٤.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة : ص ٤٨٢ سورة الصافات وما فيها من الآيات في الأئمة الهداة.

(٤) سورة آل عمران : ٧١.

(٥) المناقب : ج ٣ ص ٦١ فصل في أنه مع الحق والحق معه.

وخلوتم بالدعة^(١)، ونجوت من الضيق إلى السعة

السعة الشيطانية

مسألة: الخلوة بالدعة والنجاة من الضيق إلى السعة الشيطانية مرجوحة. والمرجوحية هنا بالمعنى الأعم الشامل للمحرم والمكروه كل في مورده، فإن مما يرجح جانب فجور النفس على جانب تقواها^(٢) الانسياق نحو ملذات الجسد، ومنها الخلوة بالدعة والعيش في السعة.

ولا يخفى أن (الدعة) الوارد في كلامها (صلوات الله عليها) من ودع - والتعبير عرفي إذ ليس ليدع ويذر ماض^(٣) - كأنه يودع المشاكل نفسياً وبدنياً^(٤).

و(الضيق): في قبال (السعة) في مختلف شؤون الحياة.

ومن الواضح أن الحياة الجهادية تتنافى مع كل ذلك، بينما حياة الرفاه والترف والبذخ تناسب كل هذه الأمور، وكثير من القوم أصبحوا بعد رسول الله ﷺ كذلك، فقد «استبدلوا الذنابي بالقوادم، والحرون بالقاحم، والعجز بالكاهل» - كما قالت الصديقة فاطمة (عليها الصلاة والسلام) في خطبة أخرى لها^(٥) - ولو انتهجوا ما قرره الرسول ﷺ لأسلم من في الأرض جميعاً في زمان أقل من نصف قرن.

(١) وفي بعض النسخ: «وركنتم إلى الدعة».

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ سورة الشمس: ٨.

(٣) قال النحاة: «وأما تواتر ماضي يدع ويذر».

(٤) إن قرأ يودع بالتشديد فالمعنى أنه يترك المشاكل خلف ظهره كمن يودع شخصاً، وإن قرأ دونه - أي من باب الأفعال - فالمعنى كأنه جعلها وديعة عند آخرين بحيث لا تمسه ولا تؤثر عليه.

(٥) الأمالي للطوسي: ص ٣٧٥ المجلس ١٣ ح ٨٠٤.

- قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾^(١).
- وقال أبو عبد الله عليه السلام: «الجهاد أفضل الأشياء بعد الفرائض»^(٢).
- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «جاهدوا أهواءكم تملكوا أنفسكم»^(٣).
- وقال صلى الله عليه وآله: «جاهدوا أنفسكم على شهواتكم تحل قلوبكم الحكمة»^(٤).
- وقال علي عليه السلام: «في مجاهدة النفس كمال الصلاح»^(٥).
- وقال عليه السلام: «ما من جهاد أفضل من جهاد النفس»^(٦).
- وقال عليه السلام: «املكوا أنفسكم بدوام جهادها»^(٧).
- وقال عليه السلام: «أقوى الناس من غلب هواه»^(٨).
- وقال عليه السلام: «جهاد النفس مهر الجنة»^(٩).
- وقال عليه السلام: «قاوم الشهوة بالقمع لها تظفر»^(١٠).

والفرق بين (قد أخلدم إلى الخفض) وبين (خلوتم بالدعة) هو أن الثاني مرحلة متطورة عن الأول، والأول مقدمة للثاني، فإن الإخلاد للشيء هو الميل

(١) سورة الحج: ٧٨.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٣-٤ باب فضل الجهاد ح ٥.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٢٢.

(٤) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٢٢.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٣ ق ٣ ب ٢ ف ١ جهاد النفس فضيلته وآثاره ح ٤٩٣٥.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٣ ق ٣ ب ٢ ف ١ جهاد النفس فضيلته وآثاره ح ٤٩٤٦.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤١ ق ٣ ب ٢ ف ١ جهاد النفس فضيلته وآثاره ح ٤٨٩٨.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٢ ق ٣ ب ٢ ف ١ جهاد النفس فضيلته وآثاره ح ٤٩٠٢.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٢ ق ٣ ب ٢ ف ١ جهاد النفس فضيلته وآثاره ح ٤٩١٦.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٣ ق ٣ ب ٢ ف ١ جهاد النفس فضيلته وآثاره ح ٤٩٣٧.

والركون إليه، والمرء يميل للشيء أولاً ثم يخلو به ويتمحض فيه، وربما يقال بأن الدعة متقدمة رتبة على الخفض، بلحاظ كونها بمعنى السكينة، فالخفض إشارة للبعد المادي والجسدي، والدعة للبعد النفسي والروحي وهي مقدمة كما لا يخفى.

قولها **عَلَيْهَا السَّلَامُ**: «وخلوتم بالدعة»، الدعة: الراحة والسكون، أي إنكم ذهبتم إلى الراحة والسكون وتركتم الجهاد وصعوبته لهوى أنفسكم. والخلو بالشيء الانفراد به.

قولها **عَلَيْهَا السَّلَامُ**: «ونجوتم من الضيق إلى السعة»، بمعنى: إن الجهاد وصعوبته كان ضيقاً عليكم، لكنكم الآن ملتم إلى السعة فتوسعتم، ومن يحب السعة لا يستعد للجهاد.

هل السعة في ترك الجهاد؟

وغير خفي أن تعبيرها **عَلَيْهَا السَّلَامُ** بنجاتهم من الضيق إلى السعة إنما هو بلحاظ فهمهم وتصورهم القاصر، وبلحاظ المدى القريب فقط، وإلا فإن الإعراض عن مناهج الله وعن الجهاد في سبيله - وأن أورد راحة عاجلة إلا أنه - أشد وطئاً وأسوأ حالاً من حيث وخيم العواقب على الإنسان وذريته في الدنيا قبل الآخرة، وقد فصلنا ذلك في بعض كتبنا^(١).

قال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

(١) راجع موسوعة (الفقه) للإمام الشيرازي **رحمته الله**: ج ٤٧ - ٤٨ كتاب الجهاد وغيره.

(٢) سورة الأعراف: ١٢٨، سورة القصص: ٨٣.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من لم يجاهد نفسه لم ينل الفوز»^(١).

وقال عليه السلام في بعض خطبه: «فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهِهِ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ، فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعًا، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوَى. وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ فَلَا يَزَالُ زَارِيًا عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيدًا لَهَا، فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ، قَوِّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ، وَطَوَّوْهَا طَيِّئَ الْمَنَازِلِ»^(٢).

من عوامل الانحطاط

وقد ذكرت الصديقة الطاهرة فاطمة (صلوات الله عليها) في كلامها هذا مجموعة

من العوامل التي تسير بالأمة نحو الانحطاط، وهي:

١: الميل والركون إلى الراحة وسعة العيش.

٢: إبعاد الكفاءات والتخلي عن القيادة المثالية لصالح قيادة مصلحة.

٣: التفرغ للسكينة والدعة.

٤: الابتعاد من الضيق الناجم عن الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر لصالح السعة الناجمة عن مماشاة الجائرين ومداهنة الغاصبين. إلى غير ذلك.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٣ ق ٣ ب ٢ ف ١ جهاد النفس فضيلته وآثاره ح ٤٩٤٤.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ١٧٦ ومن خطبة له عليه السلام وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن البدعة.

فمجتهم ما وعيتم^(١)

الإيمان مستقر ومستودع

مسألة: الإيمان على قسمين: مستقر ومستودع، كما في الآية الكريمة والروايات الشريفة.

قال تعالى: ﴿فَمُسْتَقَرٍّ وَمُسْتَوْدَعٍ﴾^(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «المستقر الثابت، والمستودع المعار»^(٣).

وعن البزنطي قال: وعدنا أبو الحسن الرضا عليه السلام ليلة إلى مسجد دار معاوية، فجاء فسلم عليه فقال: «إن الناس قد جهدوا على إطفاء نور الله حين قبض الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ وأبى الله إلا أن يتم نوره، وقد جهد علي بن أبي حمزة على إطفاء نور الله حين مضى أبو الحسن عليه السلام فأبى الله إلا أن يتم نوره، وقد هداكم الله لأمر جهله الناس فاحمدوا الله على ما من عليكم به، إن جعفرًا عليه السلام كان يقول: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٍ﴾»^(٤)، فالمستقر ما ثبت من الإيمان والمستودع المعار، وقد هداكم الله لأمر جهله الناس فاحمدوا الله على ما من عليكم به»^(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله جبل النبيين على نبوتهم فلا يرتدون أبداً، وجبل الأوصياء على وصاياهم فلا يرتدون أبداً، وجبل بعض المؤمنين

(١) في بعض النسخ: «فمجتهم الذي أوعيتهم».

(٢) سورة الأنعام: ٩٨.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٧٣ من سورة الأنعام ح ٧٥.

(٤) سورة الأنعام: ٩٨.

(٥) بحار الأنوار: ج ٤٩ ص ٢٦٢-٢٦٣ ب ١٨ ح ٥.

على الإيمان فلا يرتدون أبداً، ومنهم من أعير الإيمان عارية فإذا هو دعا وألح في الدعاء مات على الإيمان»^(١).

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾^(٢)؟ قال: «ما يقول أهل بلدك الذي أنت فيه؟» قال: قلت: يقولون: مستقر في الرحم ومستودع في الصلب. فقال: «كذبوا، المستقر ما استقر الإيمان في قلبه فلا ينزع منه أبداً، والمستودع الذي يستودع الإيمان زماناً ثم يسلبه، وقد كان الزبير منهم»^(٣).

وعن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾^(٤)، قال: «ما كان من الإيمان المستقر فمستقر إلى يوم القيامة أو أبداً، وما كان مستودعاً سلبه الله قبل الممات»^(٥).

وفي (نهج البلاغة) من خطبة له عليه السلام: «فَمِنْ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقَرّاً فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيّاً بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ»^(٦).

وعن محمد بن سليمان الديلمي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك إن شيعتك تقول: إن الإيمان مستقر ومستودع، فعلمني شيئاً إذا قلته استكملت الإيمان؟ قال: «قل في دبر كل صلاة فريضة: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً،

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤١٩ باب المعارين ح ٥.

(٢) سورة الأنعام: ٩٨.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٧١ من سورة الأنعام ح ٦٩.

(٤) سورة الأنعام: ٩٨.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٦ ص ٢٢٣ ب ٣٤ ح ١١.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٩ ومن كلام له عليه السلام في الإيمان ووجوب الهجرة.

وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِالْقُرْآنِ كِتَابًا، وَبِالْكَعْبَةِ قِبْلَةً، وَبِعَلِيٍّ وَلِيًّا
وَأَمَامًا، وَبِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَالْأَئِمَّةِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) اللَّهُمَّ إِنِّي رَضِيتُ بِهِمْ
أَئِمَّةً، فَارْضِنِي لَهُمْ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١).

وتقرأ في دعاء صلاة عيد الغدير: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالْحَقِّ الَّذِي جَعَلْتَهُ
عِنْدَهُمْ وَبِالَّذِي فَضَّلْتَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ جَمِيعًا، أَنْ تُبَارِكَ لَنَا فِي يَوْمِنَا هَذَا الَّذِي
أَكْرَمْتَنَا فِيهِ، وَأَنْ تُتِمَّ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ، وَتَجْعَلَهُ عِنْدَنَا مُسْتَقَرًّا وَلَا تَسْلُبْنَاهُ أَبَدًا،
وَلَا تَجْعَلَهُ مُسْتَوْدَعًا فَإِنَّكَ قُلْتَ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾»^(٢) فَاجْعَلْهُ مُسْتَقَرًّا
وَلَا تَجْعَلْهُ مُسْتَوْدَعًا»^(٣).

ثم إن الذي يظهر من كلام الصديقة عليها السلام أن إيمان هؤلاء القوم كان
مستودعاً حيث قالت عليها السلام: «قد أخلدتم، وأبعدتم، فمَجِجْتُمْ... الخ».
ومن هنا ورد: «ارتد الناس بعد رسول الله ﷺ»^(٤).
وقال تعالى: ﴿إِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(٥).

المستقر والمستودع لا ينافي الاختيار

مسألة: كلامها عليها السلام صريح في اختيارية مجهم ما وعوا، فهم قد مجوا
ما وعوا ودسعوا ما تسوغوا، فالتقسيم الوارد في الروايات للإيمان إلى المستقر

(١) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ٤٦٣ ب ٢٠ ح ٨٤٥١.

(٢) سورة الأنعام: ٩٨.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ٣ ص ١٤٧ ب ٧ ح ١.

(٤) الاختصاص: ص ٦ المقدمة.

(٥) سورة آل عمران: ١٤٤.

والمستودع لا ينفي الاختيار، فالمستودع يترك ما وعاه وآمن به بسوء اختياره، وما كتب في اللوح أن فلاناً إيمانه مستودع فالعلم كاشف وليس بعلّة كما هو واضح.

مسألة: ومن ذلك يعلم إمكان تكليفهم بعدم المج واللفظ، وكلامها عليها السلام واضح الدلالة على حرمة مجهم ما وعوه، فإنهم أولاً: كانوا قد وعوا الإيمان والفضيلة والإخلاص والتقوى وما أشبه ذلك ثم مجوها، كمن يجمع في فمه الماء ثم يمج الماء من فمه ويلفظه إلى الخارج.

قولها عليها السلام: «فمجتم» أي: رميتم ما وعيتم من لزوم التمسك بولاية أمير المؤمنين عليه السلام وسائر الأحكام، فكأن النصوص والأحكام التي وعوها من ضرورة التمسك بالإمامة ونصرة المظلوم والدفاع عن الحق وما أشبه قد مجوها فلم يعملوا بها، كمن يقذف بالشيء من فمه.

قال رسول الله ﷺ: «علي مني وأنا من علي، قاتل الله من قاتل علياً، لعن الله من خالف علياً، علي إمام الخليقة بعدي، من تقدم علياً فقد تقدم علي، ومن فارقه فقد فارقني، ومن أثر عليه فقد أثر علي، أنا سلم لمن سالمه وحرب لمن حاربه، وولي لمن والاه وعدو لمن عاداه»^(١).

من يخسر المستقبل؟

مسألة: تعبير الصديقة عليها السلام بالمج يتضمن إشارة دقيقة جداً إلى حقيقة نفسية اجتماعية تاريخية، وهي أن المجتمعات لو تخلت في منعطف مصيري عن الحق وعن الدفاع عن المظلوم، فإنهم سيفتقدون (الوعي) و(السيادة) إلى إشعار

(١) الأُمالي لصدوق: ص ٦٥٩ المجلس ٩٤ ح ١٢.

آخر، بل يكاد يكون من الصعب جداً استرجاع ما خسروا حتى حين.
ويظهر ذلك جلياً من ملاحظة الأدب التصويري المستخدم في كلامها
عليها السلام وتشبيه المعقول بالمحسوس في هذه الجملة، فإن من يلفظ الماء الذي اجتمع
في فمه يصعب عليه جداً أن يسترجعه إلى فمه من جديد! بل لا تكاد ترى أحداً
يقدر على ذلك.

وهكذا فإن وضع الرجل في أول المنحدر سيقود إلى أسفل الوادي بشكل
طبيعي، وقد كشفت حركة التاريخ عن دقة تعبيرها عليها السلام وما تضمنه من كشف
للمستقبل، فإنهم لم يعودوا إلى وعيهم أبداً، وتلاحقت على الأمة الحكومات
الجائرة لمئات السنين وإلى يومنا هذا!.

قال رسول الله ﷺ: «من فارق علياً بعدي لم يرني ولم أراه يوم القيامة،
ومن خالف علياً حرم الله عليه الجنة وجعل مأواه النار، ومن خذل علياً خذله
الله يوم العرض عليه»^(١).

الوعي المتجذر والسطحي

مسألة: الوعي في الأفراد وفي الأمم قد يكون متجذراً وقد يكون سطحيًا،
ويتجلى ذلك في المنعطفات وفي سرعة التراجع عن مقتضيات الوعي والثقافة
وعدمها، والذي صرحت به الصديقة الزهراء عليها السلام هاهنا يبين لنا بوضوح أن
(ويعيهم) كان وعياً سطحيًا غير متجذر، ولذلك مجّوا ما وعوا عند هذا المنعطف
المصيري.

(١) كمال الدين: ج ١ ص ٢٦٠ ب ٢٤ ح ٦.

عن المفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الحسرة والندامة والويل كله لمن لم ينتفع بما أبصره، ولم يدر ما الأمر الذي هو عليه مقيم، أنفع له أم ضر». قلت: فبِمَ يعرف الناجي من هؤلاء جعلت فداك؟ قال: «من كان فعله لقوله موافقاً فأثبت له الشهادة بالنجاة، ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فإنما ذلك مستودع»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن العبد يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً، وقوم يعارون الإيمان ثم يسلبونه ويسمون المعارين - ثم قال: - فلان منهم»^(٢).

قولها عليها السلام: «وعيتم» أي حفظتم، من وعي الشيء إذا حفظه، ومنه (الوعاء) للظرف، لأنه يحفظ ما فيه.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤١٩ - ٤٢٠ باب في علامة المعار ح ١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٦ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ب ٣٤ ح ١٧.

ودسعتهم الذي تسوغتم^(١)

الانقلاب الشمولي على الأعقاب

مسألة: الذي يرشد إليه كلام الصديقة عليها السلام يدل عليه التاريخ أيضاً، فإن انقلابهم على الأعقاب ومجهم ما وعوا، ودسعتهم الذي تسوغوا لم يقتصر على أمر الحكومة فحسب، بل شمل شتى مناحي الحياة، إذ قولها عليها السلام: «ودسعتم الذي تسوغتم» و«مجتم ما وعيتم» يشير بعمومه أو بإطلاقه إلى أنهم سوغوا أولاً أسلوب الرسول ﷺ في مختلف أبعاد الحياة الفردية والاجتماعية، الشخصية والعائلية، الحكومية والإدارية، القلبية واللسانية والعملية، ثم رأوا ذلك صعباً عليهم ولا يناسب أهواءهم وشهواتهم، ولذا دسعوه ومجوهه. وكان أمر (الحكومة) هو نقطة البدء والانطلاق، فتغيير القيادة الشرعية إلى قيادة شيطانية كان يضمن لهم الاستمرار في الانقلاب على أعقابهم ونبد تعاليم السماء.

لأن الناس - عادة - على دين ملوكهم، كما ورد في الحديث الشريف. قولها عليها السلام: «ودسعتم الذي تسوغتم»، الدسع: هو التقيؤ، والتسوغ: هو الشرب بسهولة، فإنهم استوعبوا الإسلام بسهولة ببركة الرسول ﷺ لكنهم بعد ذلك ردّوا ما تسوغوه بسهولة، وليس المراد السهولة مطلقاً بل السهولة النسبية بالقياس إلى حجم التغيير الهائل الذي طرأ على كل مناحي حياتهم، حيث إن تركيز الإسلام كان يحتاج إلى أضعاف أضعاف ذلك الجهد، لكنهم ببركة

(١) في بعض النسخ: «ولفظتم الذي تسوغتم».

ف ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(١)

الرسول عليه السلام وإتباعه استوعبوا الإسلام في مدة قليلة فنعموا ببركاته ، وبعد ذلك لما استولى عليهم الشيطان دسعوا ما استوعبوه.

قال أبو جعفر عليه السلام : «الناس صاروا بعد رسول الله عليه السلام بمنزلة من اتبع هارون عليه السلام ومن اتبع العجل»^(٢).

ف ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(٣).

الكفر العقائدي والعملي

مسألة: ما قام به القوم من عدم نصرتهم للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) وظلمهم لها و.. كان بمنزلة كفرهم ، وهذا ما يفهم من كلامها عليها السلام حيث قالت : «فإن تكفروا».

ويستحب بيان ذلك وقد يجب ، فإن كلاً من الاستحباب والوجوب في مورده.

والكفر - هنا - هو الكفر العملي ؛ لأن الكفر على قسمين : كفر عقائدي وكفر عملي . فمن أهم أقسام الكفر العملي : الكفر بالمعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) وعدم قبول ولايتهم ، وقد أشار القرآن الحكيم إلى هذين القسمين من الكفر. أما الأول فواضح ، وأما الثاني فقد قال سبحانه : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ

(١) سورة إبراهيم : ٨ .

(٢) الكافي : ج ٨ ص ٢٩٦ حديث نوح عليه السلام يوم القيامة ح ٤٥٦ .

(٣) سورة إبراهيم : ٨ .

وَلَيْنُ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ»^(١)، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، إلى غيرهما من الآيات التي هي بهذا الصدد.

ويمكن إرادة الكفر العقائدي باعتبار أنه على أقسام ودرجات من كفر بالله أو بصفاته أو برسله أو بأوصيائهم عليهم السلام وهنا يراد به القسم الأخير.

وفي (الفقيه): كان جابر بن عبد الله الأنصاري يدور في سكك الأنصار بالمدينة وهو يقول: (علي عليه السلام خير البشر فمن أبى فقد كفر، يا معاشر الأنصار أدّبوا أولادكم على حبّ علي عليه السلام فمن أبى فانظروا في شأن أمه)^(٣).

وعن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «من جالس لنا عائباً، أو مدح لنا قالياً، أو وصل لنا قاطعاً، أو قطع لنا واصلاً، أو والى لنا عدواً، أو عادى لنا ولياً، فقد كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم»^(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من زعم أنه يحب النبي صلى الله عليه وآله ولا يحب الوصي فقد كذب، ومن زعم أنه يعرف النبي صلى الله عليه وآله ولا يعرف الوصي فقد كفر»^(٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من فضل أحداً من أصحابي على علي عليه السلام فقد كفر»^(٦).

(١) سورة إبراهيم: ٧.

(٢) سورة آل عمران: ٩٧.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٤٩٣ باب تأديب الولد وامتحانه ح ٤٧٤٤.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٢٦٤ ب ٣٨ ح ٢١٥٢٣.

(٥) بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٤٢ ب ٤١ ح ٢٠٧.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ١٨ ص ١٨٣ ب ٨ ح ٢٢٤٥٢.

وعن حذيفة، عن النبي ﷺ، أنه قال: «علي بن أبي طالب خير البشر ومن أبي فقد كفر»^(١).

وعن الحسين بن خالد، قال: سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٢)؟ فقال: «الأمانة الولاية، من ادعاها بغير حق فقد كفر»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «يا علي، إن الله تعالى أمرني أن أتخذك أخاً ووصياً، فأنت أخي ووصيي وخليفتي على أهلي في حياتي وبعد موتي، من اتبعك فقد تبعني، ومن تخلف عنك فقد تخلف عني، ومن كفر بك فقد كفر بي، ومن ظلمك فقد ظلمني»^(٤).

وسئل جابر بن عبد الله الأنصاري عن علي عليه السلام، فقال: ذاك والله أمير المؤمنين، ومحنة المنافقين، وبوار سيفه على القاسطين والناكثين والمارقين، سمعت من رسول الله ﷺ يقول وإلا فصُمتا: «علي بعدي خير البشر من أبي فقد كفر»^(٥). وقال رسول الله ﷺ: «علي خير البشر فمن أبي فقد كفر، ومن رضي فقد شكر»^(٦).

(١) الأُمالي للصدوق: ص ٧٦ المجلس ١٨ ح ٥.

(٢) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٣٠٦ ب ٢٨ ح ٦٦.

(٤) الأُمالي للطوسي: ص ٢٠٠ المجلس ٧ ح ٣٤١.

(٥) بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٣٠٨ ب ٥٤ ح ٤١.

(٦) المناقب: ج ٣ ص ٦٧ فصل في أنه خير الخلق بعد النبي ﷺ.

وقال النبي ﷺ: «من حسد علياً فقد حسدني، ومن حسدني فقد كفر»^(١).

وعن أبي الحسن عليه السلام، قال: «من شك في أربعة فقد كفر بجميع ما أنزل الله عز وجل، أحدها: معرفة الإمام في كل زمان وأوان بشخصه ونعته»^(٢).

وجه الربط^(٣)

وفي استشهاد الصديقة الطاهرة عليها السلام بالآية الكريمة^(٤) إشارة لطيفة إلى تمحض أهل البيت عليهم السلام في الله، وأن كل ما فعلوه - ومنه المطالبة بالخلافة - كان لله وفي الله ومن الله وإلى الله، وليس لمصلحة شخصية أبداً، فمهمتهم هي إبلاغ رسالة الله عز وجل، وحيث إن الله غني عن العالمين ومحمود الفعل والترك فإن إعراض الناس عن أهل البيت عليهم السلام - الذي هو إعراض عن الله - لا يضر شيئاً^(٥) لأن الله هو الغني وهو المحمود.

عن سعيد، عن ابن عباس: أنه مر بمجلس من مجالس قريش وهم يسبون علي بن أبي طالب عليه السلام. فقال لقائده: ما يقول هؤلاء؟ قال: يسبون علياً!.

(١) الأماشي للطوسي: ص ٦٢٢-٦٢٣ المجلس ٢٩ ح ١٢٨٦.

(٢) كمال الدين: ج ٢ ص ٤١٣ ب ٣٩ ح ١٤.

(٣) أي وجه ربط الآية خاصة بلحاظ آخرها: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ بكلامها حتى الآن.

(٤) سورة إبراهيم: ٨.

(٥) أي لا يضر الله عز وجل ولا يضر أهل البيت عليهم السلام، أما الله فلأنه الغني الحميد، وأما عدم إضراره بأهل البيت عليهم السلام فلأنهم محضون في الله وكل ما صنعوه لله - لا للذات - فإعراض الناس عن أوامرهم ورسالتهم إعراض عن الله، ولا يهمهم الإعراض عنهم إذ هم لا يرون أنفسهم شيئاً في قبال الله، فإذا كان كل الهدف الله وكان الله غنياً حميداً فأبي ضرر في الإعراض.

قال: قربني إليهم. فلما أن وقف عليهم، قال: أيكم الساب لله؟.

قالوا: سبحان الله ومن يسب الله فقد أشرك بالله.

قال: فأيكم الساب رسول الله ﷺ؟. قالوا: ومن يسب رسول الله فقد

كفر. قال: فأيكم الساب علي بن أبي طالب؟. قالوا: قد كان ذلك. قال: فأشهد

بالله وأشهد لله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سب علياً فقد سبني،

ومن سبني فقد سب الله عز وجل»، ثم مضى^(١).

لا يضر الكفر بالرب؟

مسألة: يستحب بيان أن أهل الأرض لو كفروا جميعاً لا يضر الله شيئاً

وأن الله لغني حميد، وهكذا بالنسبة إلى إتباع الناس لأهل البيت عليهم السلام

وتركهم، فإنهم لا يضرهم إلا أنفسهم.

وقد يكون بيان ذلك واجباً، كل حسب مورده، كما ذكرنا مثل ذلك في

جملة من البنود السابقة.

وعدم ضرر الله من الوضوح بمكان؛ لأنه سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى

الكون بأجمعه، فكيف يحتاج إلى بعض من يعصيه من أهل الأرض، وما قدرهم

في هذا الكون الواسع الرحب؟. فإن كونه تعالى واجب الوجود معناه الغني

المطلق، كما قرر في علم الكلام، وأن الله سبحانه يستحق الحمد في كل فعل

وترك وخلق وإفناء إلى غير ذلك؛ لأنه لا يفعل ما يفعل إلا عن مصلحة، ومن

المعلوم أن من يفعل الأشياء عن مصلحة - إيجاباً أو سلباً - محمود على كلا الحالين.

(١) بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٣١١ ب ٨٨ ح ١.

وربما يكون الوجه في الإتيان بـ (حميد) هو بيان أن كفرهم ومن في الأرض جميعاً لا يضر من هو غني بالذات و(محمود) الصفات، فإنه لا قيمة لأهل الأرض بل والعالم كله والممكنات كلها في قبال واجب الوجود، فأية قيمة لكفرهم أو إيمانهم ولحمدهم وثنائهم عليه، وعدمه؟.

قولها عليه السلام: «فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد»، اقتباس من سورة إبراهيم (عليه الصلاة والسلام)^(١) فإن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى شيء من خلقه ولا إلى أحد من عباده، وإنما العباد هم الذين يحتاجون إليه، ومن يخالف أوامر الله فهو الخاسر الذي يخسر نفسه، والله محمود على كل حال، سواء كفر به الناس أم آمنوا به، وسواء أطاعوه أم خالفوه.

(١) انظر سورة إبراهيم: ٨.

ألا وقد قلتُ ما قلتُ هذا على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم

الخذلان الطارئ والمتجذر

مسألة: يستنبط من كلام الصديقة عليها السلام هذا قاعدة مهمة، وهي أن الخذلان على قسمين:

١: الخذلان الطارئ.

٢: الخذلان المتجذر في الأعماق والمختمر مع النفس.

وفي الصورة الثانية يكون التحرك أصعب؛ لأن النفس هي التي تبعث على الخذلان، وحينئذ لا يسهل النهوض والانبعاث كما هو واضح. واللازم على القادة وكل من يريد استنهاض الأمة، استكشاف حقيقة الأمر، ومعرفة الخذلان من أي قسم هو، لئلا يبنوا استراتيجيتهم النهضوية دون معرفة بحقيقة قاعدتهم الجماهيرية.

وبما أن الصديقة الزهراء عليها السلام والإمام أمير المؤمنين عليه السلام كانا يعلمان بنوعية خذلان الجماهير لهم، لذلك بنيا استراتيجيتهما على أساس: لا حرب ولا قتال ولا انتفاضة، بل حركة تعبوية إعلامية ثقافية وإتمام الحجة، إضافة إلى الحركة الإيمانية التربوية وشبهها.

قولها عليها السلام: «ألا وقد قلت ما قلت هذا»، أي الكلام الذي قلت لكم من استعراض صفاتكم السابقة ومقارنتها بصفاتكم اللاحقة، ومن عتابكم واستنهاضكم...

قولها عليها السلام: «على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم»، الخذلة: تركهم نصرتها عليها السلام ونصرة بعليها علي (عليه الصلاة والسلام).

و«خامرتكم» بمعنى: خالطتكم وغشت عليكم، من الخمر الذي يغشي العقول، فكان الخذلان صار لباساً لهم وغطى على إيمانهم ووعدهم وضمائرهم وعهودهم ومواثيقهم وبيعتهم في يوم الغدير.

خذلان أهل البيت عليهم السلام

مسألة: من أشد المحرمات خذلان أهل البيت عليهم السلام وعدم نصرتهم.

قال رسول الله ﷺ: «علي أمير البرة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله إلى يوم القيامة»^(١).

وقال ﷺ: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»^(٢).

وقال ﷺ: «من خذل علياً خذله الله يوم العرض عليه، ومن نصر علياً نصره الله يوم يلقاه ولقنه حجته عند المساءلة»^(٣).

وعن عمرو بن ثابت، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن النبي ﷺ لما قبض ارتد الناس على أعقابهم كفاراً إلا ثلاثة: سلمان والمقداد وأبو ذر الغفاري، إنه لما قبض رسول الله ﷺ جاء أربعون رجلاً إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا: لا والله لا نعطي أحداً طاعة بعدك أبداً. قال: ولم؟ قالوا: إنا سمعنا من رسول الله ﷺ فيك يوم غدير. قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم.

(١) الأماشي للطوسي: ص ٤٨٢-٤٨٣ المجلس ١٧ ح ١٠٥٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٨٧ ب ٣٦ ح ١٠.

(٣) كمال الدين: ج ١ ص ٢٦٠ ب ٢٤ ح ٦.

قال: فأتوني غداً مخلقين.

قال: فما أتاه إلا هؤلاء الثلاثة.

قال: وجاءه عمار بن ياسر بعد الظهر، فضرب عليه السلام يده على صدره ثم قال له: ما آن لك أن تستيقظ من نومة الغفلة، ارجعوا فلا حاجة لي فيكم، أنتم لم تطيعوني في حلق الرأس، فكيف تطيعوني في قتال جبال الحديد، ارجعوا فلا حاجة لي فيكم»^(١).

ثم إنه ورد النهي الشديد عن خذلان مطلق المؤمنين فكيف بأمرهم (صلوات الله عليه).

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة»^(٢).

وقال مسلم بن عقيل عليه السلام عند ما أمر ابن زياد (لعنه الله) بضرب عنقه: «اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا وخذلونا»^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٢٥٩ ب ٤ ح ٤٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٦٧-٢٦٨ ب ١٤٦ ح ١٦٢٤٧.

(٣) الإرشاد: ج ٢ ص ٦٣ فصل فمن مختصر الأخبار التي جاءت بسبب دعوته عليه السلام.

والغدرة التي استشعرتها قلوبكم

الغدر محرم

مسألة: يحرم الغدر مطلقاً، فإن الغدر محرم بكل أنواعه، وإنما كان ما فعله القوم غدراً؛ لأنهم بايعوا رسول الله ﷺ على الدفاع عن علي عليه السلام وعن ذريته وأهل بيته عليه السلام في الأمور كافة، فعدم رعايتهم للعهود والمواثيق والبيعة كان من الغدر المحرم، بل هو من أشد أنواع المحرمات؛ لأنه غدر بأهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) والذي يرتبط بأصول الدين وأسس العقائد.

وهناك فرق بين الغدر في الفروع والغدر في الأصول كما لا يخفى.

قولها عليه السلام: «والغدرة التي استشعرتها قلوبكم»، من الشعار كأنهم لبسوا الغدر، فإن (الشعار) عبارة عن: الثوب الذي يلبس على شعر البدن ويلتصق بالجسم، في مقابل (الدثار) الذي هو الثوب الذي يلبس فوق ذلك، فكان الغدر صار شعاراً لهم.

قال رسول الله ﷺ: «يجيء كل غادر يوم القيامة بإمام مائل شذقه حتى يدخل النار، ويجيء كل ناكث بيعة إمام أجزم حتى يدخل النار»^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا، ولا يأمرُوا بالغدر، ولا يقاتلوا مع الذين غدروا»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم وهو يخطب على المنبر بالكوفة: «يا أيها الناس، لولا كراهية الغدر كنتُ من أدهى الناس، ألا إن لكل غُدرة فُجرة،

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٧ باب المكر والغدر والخديعة ح ٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٦٩ ب ٢١ ح ٢٠٠٠٣.

ولكل فجرة كُفرة، ألا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار»^(١).

وعن علي عليه السلام: أن رسول الله ﷺ قال له فيما عهد إليه:

«وإياك والغدر بعهد الله والإخفار لذمته، فإن الله جعل عهده وذمته أماناً

أمضاه بين العباد برحمته»^(٢).

وقال علي عليه السلام: «آفة الوفاء الغدر»^(٣).

وقال عليه السلام: «من علامات اللؤم: الغدر بالمواثيق»^(٤).

وقال عليه السلام: «الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله»^(٥).

وقال عليه السلام: «الغدر أقبح الخيانتين»^(٦).

وقال عليه السلام: «الغدر بكل أحد قبيح، وهو بذى القدرة والسلطان

أقبح»^(٧).

وقال عليه السلام: «الغدر يعظم الوزر ويزري بالقدر»^(٨).

وقال عليه السلام: «إياك والغدر، فإنه أقبح الخيانة، وإن الغدور لمهان عند

الله»^(٩).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٨ باب المكر والغدر والخديعة ح ٦.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٤٧ ب ١٩ ح ١٢٣٩٦.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٣ ق ٣ ب ٢ ف ٢ ذم نقض العهد ح ٥٣٠٤.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٣ ق ٣ ب ٢ ف ٢ ذم نقض العهد ح ٥٣١٠.

(٥) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٥٩.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩١ ق ٣ ب ٣ ف ١ الغدر ح ٦٥٠٢.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩١ ق ٣ ب ٣ ف ١ الغدر ح ٦٥٠٣.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٢ ق ٣ ب ٣ ف ١ الغدر ح ٦٥٠٤.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٢ ق ٣ ب ٣ ف ١ الغدر ح ٦٥٠٥.

- وقال ﷺ: «جانبوا الغدر، فإنه بجانب القرآن»^(١).
- وقال ﷺ: «كن عاملاً بالخير، ناهياً عن الشر، منكراً شيمة الغدر»^(٢).
- وقال ﷺ: «إياكم وصرعات البغي، وفضحات الغدر، وإثارة كامن الشر المذمم»^(٣).
- وقال ﷺ: «غش الصديق والغدر بالمواثيق من خيانة العهد»^(٤).
- وقال ﷺ: «لا تدوم مع الغدر صحبة خليل»^(٥).
- وقال ﷺ: «أسرع الأشياء عقوبة رجل عاهدته على أمر وكان من نيتك الوفاء به ومن نيته الغدر بك»^(٦).

المحطة الأولى للغدر

مسألة: المحطة الأولى للغدر هي القلب، لذا قالت ﷺ: «والغدره التي استشعرتها قلوبكم»، وهو حرام مطلقاً^(٧) إذا وافقته الجوارح وتجلّى عليها، وفي ما يرتبط بأصول الدين خاصة حتى لو لم يظهر. فمن الواجب على الدعاة والقادة رصد القلوب قبل رصد الأفعال وعدم الاغترار بالمظاهر، ومنها

- (١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٢ ق ٣ ب ٣ ف ١ الغدر ح ٦٥٠٧.
- (٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٣٢ ق ٤ ب ١ ف ٢ ح ٧٦٤٠.
- (٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٥ ق ٤ ب ٢ ف ٧ البغي ح ٧٩٣٨.
- (٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤١٩ ق ٦ ب ٢ ف ٣ جملة من علائم شر الأخوان ح ٩٥٩٩.
- (٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٢٠ ق ٦ ب ٢ ف ٣ جملة من علائم شر الأخوان ح ٩٦١٦.
- (٦) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ٤٨ ب ١٩ ح ١٢٣٩٩.
- (٧) أي في أصول الدين وفروعه.

المظاهرات والشعارات والأبواق الإعلامية والخطب الحماسية، فإنها بكلا طرفيها الايجابي والسلبي لا تعد مؤشراً حقيقياً على اتجاه القلوب.

وقلنا (بكلا طرفيها) إذ تأييد الجماهير الظاهري للطاغوت لا يدل على حبهم له، ولا على وقوفهم معه ساعة الصفر، وكذا العكس، فإن تأييدهم الظاهري للإمام العادل لا يدل على ثباتهم عليه وتوطين أنفسهم عليه.

قال رسول الله ﷺ: «لا خير في القول إلا مع الفعل، ولا في النظر إلا مع المخبر، ولا في المال إلا مع الجود، ولا في الصدق إلا مع الوفاء»^(١).

وقال علي عليه السلام: «لا خير في النظر إلا مع حسن المخبر»^(٢).

وفي الحديث القدسي: «يا عيسى، قل لهم... وأقبلوا علي بقلوبكم فإني لست أريد صوركم»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. يا أبا ذر، إن التقوى هاهنا، أشار بيده إلى صدره»^(٤).

لا يقال: كيف مدحتهم الصديقة الطاهرة عليها السلام أولاً وذمتهم ثانياً؟
لأنه يقال:

الأول: كان بياناً لما كانوا عليه قبل استشهاد الرسول ﷺ.

والثاني: كان وصفاً لما صاروا إليه بعد موته ﷺ فلا منافاة بين

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٦٩-٣٧٠ باب النوادر ح ٥٧٦٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٧ ق ٦ ب ٦ ف ٦ ح ١٠٩٥٦.

(٣) الكافي: ج ٨ ص ١٣٨ حديث عيسى ابن مريم عليه السلام ح ١٠٣.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٦٤ ب ٢٠ ح ١٢٩٥١.

المقامين^(١)، وكذلك نرى القرآن الكريم مرة يمدح ومرة يذم، وذلك باعتبار أمرين وحيتين، فتارة يمدح الإنسان بقوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٢)، و﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٣)، وتارة يذمه بقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا! إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا! وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾^(٤)، وفي آية أخرى: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٥) إلى غيرها.

هذا وقد قال تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾^(٦).

المؤرخ والتقييم العادل

مسألة: يلزم على المؤرخ - إقتداء بما صنعه الصديقة الزهراء عليها السلام هاهنا - أن يكون منصفاً وينقل بأمانة الإيجابيات والسلبيات التي اتصفت بها الأمم أو الأفراد وعلى حسب جدولتها الزمنية دون تحكيم حب أو بغض، وسواء كانت السلبيات هي السابقة أم هي اللاحقة.

ومن غير الصحيح ما يصنعه بعض الكتّاب والخطباء والمؤرخين، من أنهم إذا أحبوا قائداً أو أمة صوروه (أو صوروها) للناس وكأنه ملاك سماوي وقطعة

(١) وهذا واضح من كلامها السابق: «حتى دارت بنا رحي الإسلام. فأني حرمت بعد البيان. ونكصتم بعد الإقدام. ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض...».

(٢) سورة المؤمنون: ١٤.

(٣) سورة التين: ٤.

(٤) سورة المعارج: ٢١-١٩.

(٥) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٦) سورة آل عمران: ١٤٤.

من المثالية، حتى يتحول إلى صنم يلغي العقول والأفكار ويستبد بالأمور، أو إذا أبغضوا قائداً صوروه شيطاناً مريداً فعموا وأعموا الناس عن إيجابياته ونقاط قوته الحالية أو السابقة.

وهذا ما أمر به الله تعالى حيث قال: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(١).

وإذا كان الإنسان منصفاً ومتوازناً في تقييمه كان أحرى بأن يثق به الناس، وبأن يتعامل مع الحدث بكل حكمة، وبأن يضع مخططه على ضوء تقييم متكامل للشخص أو الحدث والحادثة. وقد لاحظنا في خطاب الصديقة فاطمة عليها السلام أنها - رغم عتابها الشديد على المسلمين الذين بايعوا الظلم ولم يتمسكوا بولاية أهل البيت عليهم السلام - ذكرت وأعلنت عن سلسلة من إيجابياتهم ومواقفهم وصفاتهم المثالية السابقة لتحثهم على نصرة الحق.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله عز وجل يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب: رجل لم تدعه قدرة في حال غضبه إلى أن يحيف على من تحت يده، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعيرة، ورجل قال بالحق فيما له وعليه»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ألا أخبركم بأشد ما فرض الله على خلقه؟». قلت: بلى. قال: «إنصاف الناس من نفسك» الحديث^(٣).

(١) سورة المائدة: ٨.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٤٥ باب الإنصاف والعدل ج ٥.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٣٣٦ ب ٤١ ح ١٣١٩٨.

- وعنه عليه السلام قال: «من أنصف الناس من نفسه رضي به حكماً لغيره»^(١).
- وعنه عليه السلام: «اتقوا الله واعدلوا فإنكم تعيون على قوم لا يعدلون»^(٢).
- وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الإنصاف زين الإمرة»^(٣).
- وقال عليه السلام: «عليك بترك التبذير والإسراف، والتخلق بالعدل والإنصاف»^(٤).
- وقال عليه السلام: «الإنصاف عنوان النبل»^(٥).
- وقال عليه السلام: «الإنصاف شيمة الأشراف»^(٦).
- وقال عليه السلام: «الإنصاف أفضل الفضائل»^(٧).
- وقال عليه السلام: «الإنصاف أفضل الشيم»^(٨).
- وقال عليه السلام: «الإنصاف يألّف القلوب»^(٩).
- وقال عليه السلام: «الإنصاف يرفع الخلاف ويوجب الائتلاف»^(١٠).
- وقال عليه السلام: «على الإنصاف ترسخ المودة»^(١١).

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٣ باب آداب القضاء ح ٣٢٣٧.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٩٣ ب ٣٧ ح ٢٠٥٤٩.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٢ ق ٤ ب ٢ ف ٤ ح ٧٨١٦.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٥٩ ق ٥ ب ٢ ف ٢ ح ٨١٣٨.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٩٤ ق ٥ ب ٤ ف ٤ الإنصاف ومدحه ح ٩٠٩٤.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٩٤ ق ٥ ب ٤ ف ٤ الإنصاف ومدحه ح ٩٠٩٥.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٩٤ ق ٥ ب ٤ ف ٤ الإنصاف ومدحه ح ٩٠٩٦.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٩٤ ق ٥ ب ٤ ف ٤ الإنصاف ومدحه ح ٩٠٩٧.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٩٤ ق ٥ ب ٤ ف ٤ آثار الإنصاف ح ٩١١٥.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٩٤ ق ٥ ب ٤ ف ٤ آثار الإنصاف ح ٩١١٦.

(١١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٩٤ ق ٥ ب ٤ ف ٤ آثار الإنصاف ح ٩١١٩.

ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القناة، وبثّة الصدر، وتقدمة الحجة.

التنفيس عن النفس

مسألة: يستفاد من كلامها وفعلها عليها السلام رجحان نفث المظلوم غيظه، واستجابته لفيضة النفس، وعدم الحيلولة دون تجلي بثّة الصدر على الجوارح والأعضاء ومنها اللسان وغيره، وفقاً للموازن الشرعية. وإطلاق الاستحباب يشمل حتى ما لم يكن لنفث الغيظ تأثيراً في استحصال الحق، وكذلك نظائره^(١). وربما يستفاد ذلك أيضاً من بث أمير المؤمنين عليه السلام أسرارته إلى البئر وأشباه ذلك، فإنه عليه السلام كان يكلم البئر والبئر يكلمه^(٢) والرجحان أعم من الاستحباب. لا يقال: الفعل لا جهة له.

إذ يقال:

أولاً: الفعل له جهة في الجملة، فإنه يكشف عدم الحرمة وعدم المرجوحية^(٣)، بل قد يكشف الأكثر بالقرائن المكتنفة كما في المقام، فتأمل. وثانياً: ليس المقام فعلاً دون قول، بل لقد شفعت الصديقة الطاهرة عليها السلام فعلها بالقول حيث صرحت بـ (ولكنها فيضة النفس...) ومن غير الصحيح التعليل^(٤) بالمرجوح أو بغير الراجع.

(١) إذ الظاهر أن تلك العناوين مأخوذة بالاستقلال لا بنحو جزء العلة.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٤٤٩ - ٤٥٢ ب ٧ ح ٢٦.

(٣) إلا مع اكتنافه بقرينة التقية وشبهها، وحيث إنها في المقام مفقودة دل الفعل على الرجحان.

(٤) حيث عللت ما قالت بـ (ولكنها فيضة النفس...).

ويمكن القول بأن ما صنعه عليه السلام من فيضة النفس و.. كان محل رضاها دون شك، وبضميمة أن «الله يرضى لرضى فاطمة»^(١) يثبت المطلوب^(٢)، فتأمل. قولها عليها السلام: «ولكنها فيضة النفس»، الفيض: سيلان الماء، والمراد ما أفاضته النفس، أي: إني قلتُ ما قلتُ إظهاراً لما في نفسي من وجوب الإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقويم المعوج، ويحتمل أن يكون المعنى: فيضة النفس بما فيها من آلام وأشجان وأحزان وهموم وغموم، وأصالة التأسيس يرجح الأول وإن كان الثاني لا يلزم منه التكرار بوجه كما لا يخفى. ومنه يستفاد رجحان بيان مظلوميتها وظلامتها وهمومها وغمومها عليها السلام فإن فيه كشفاً للحقيقة.

قولها عليها السلام: «ونفثة الغيظ»، النفث: عبارة عما يقذفه الإنسان من فمه مما يدل على قرحة في رثته أو حلقه أو ما أشبه ذلك، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس، ونفثة المصدور: أي تأوه من له وجع في صدره، فالغيظ الذي كان في صدر الصديقة فاطمة (عليها الصلاة والسلام) نفثته - أو بعضه - بهذه الكلمات المشجية.

قولها عليها السلام: «وخور القنا»^(٣)، الخور هو الضعف، والقنا: الرمح،

(١) الأمالي للمفيد: ص ٩٤-٩٥ المجلس ١١ ح ٤، وفيه: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها».

(٢) وذلك بضميمة أدلة التأسّي وشبهها، وعلى هذا فلو أحرز المؤمن الآن أو في أي زمن آخر بأن حديثه عن ظلامة الزهراء عليها السلام وغضب الخلافة غير مجد وغير مؤثر مع ذلك يرجح الحديث ونفث الغيظ وبثه الصدر.

(٣) القنا هو الرمح، وجمعه قناة، كالحصى والحصاة.

أي: ضعف النفس بحيث لا تتمكن أن تتحمل هذه المصائب العظيمة. وقد شبهت (عليها الصلاة والسلام) ما ذكرته في كلامها بالقنا التي ليس لها تلك الصلابة حتى تتحمل.

لا يقال: لقد كانت عليها السلام قمة الصبر والتحمل والصمود فكيف تعبر بـ (خور القنا)؟.

إذ يقال: أولاً: المصيبة النازلة كانت أعظم من كل مصيبة في الكون، وهي التعدي على الإمام المعصوم عليه السلام وخليفة رسول الله ﷺ ومحور عالم الإمكان، مضافاً إلى أن هذه المصيبة سببت انحراف الكثير من الناس عن الطريق الصحيح والصراط المستقيم إلى يوم الوقت المعلوم.

فـ (خور القنا) بالقياس إلى عظم المصيبة لا بما هي هي. وثانياً: إن لذلك العديد من النظائر كقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(١).

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿طه ! مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾^(٣).

وقوله عز وجل: ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون﴾^(٤).

وقوله سبحانه: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾^(٥).

(١) سورة المزمل: ٥.

(٢) سورة الإسراء: ٧٤.

(٣) سورة طه: ١-٢.

(٤) سورة الشعراء: ١٤، سورة القصص: ٣٣.

(٥) سورة الشعراء: ٢١.

وقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(١) إلى غير ذلك.

وثالثاً: هذا تعبير عن عظم المصيبة.

قولها عليها السلام: «وبثة الصدر»، البث: هو النشر والإظهار، أي: ما يبثه

الصدر من الحزن والألم^(٢).

قولها عليها السلام: «وتقدمة الحجة» أي: أن هذا إتمام للحجة وإن كان لا ينفع

معكم ذلك، لكنه حجة بيني وبينكم إلى الله سبحانه وتعالى، فإن الإنسان يجب

عليه. في الجملة. أن يلقي الحجة ويتمها لئلا يكون لأحد على الله حجة يوم

القيامة، ولكي لا تقول الأمة: إنا كنا عن هذا غافلين.

الفرق بين الجمل والتأسي بها عليها السلام

وغير خفي على المتأمل أن تلك الجمل ليست مترادفة أو كالمترادفة، بل كل

منها يفيد مطلباً ومعنى، فإن بثة الصدر هي وليدة الحزن، ونفثة الغيظ وليدة

الغضب^(٣)، وخور القنا هو الضعف، وفيضة النفس ما فاض منها وقد يكون

علماً أو حزناً أو غيظاً أو غير ذلك، فهذه أعم^(٤) والبقية بيان، أو هي مبينة،

فقد أشارت عليها السلام إلى عدد من حالاتها وصفاتها النفسية تجاه القضية وكان منها

الحزن ومنها الغضب.

(١) سورة النساء: ٢٨.

(٢) البث: أشد الحزن، وبث الخبر: أشاعه ونشره.

(٣) الغيظ: الغضب أو أشد الغضب أو هو سور الغضب وأوله.

(٤) أي: فيضة النفس لو أريد بها مطلق فيضان النفس بما يحتمل فيها كانت أعم من الجمل اللاحقة وكانت الجمل اللاحقة بياناً لها، ولو أريد بها فيضانها بالعلم والأمر بالمعروف وكانت مبينة.

ودليل التأسي بها (صلوات الله عليها) يدل على استحباب أن يكون الإنسان كذلك فيحزن ويبث حزنه تجاه غضب الخلافة وما جرى عليها وعلى بعلمها وبنيتها (صلوات الله عليهم أجمعين).

قال الإمام الصادق عليه السلام: «نفس المهموم لنا المغتَم لظلمنا تسبيح، وهمّه لأمرنا عبادة»^(١).

وقال عليه السلام: «نفس المهموم لظلمنا تسبيح وهمّه لنا عبادة»^(٢).

وعن بعض أصحابنا قال: (كان المعلى بن خنيس رضي الله عنه إذا كان يوم العيد خرج إلى الصحراء شعثاً مغبراً في زي ملهوف، فإذا صعد الخطيب المنبر مد يده نحو السماء ثم قال:

اللهم هذا مقام خلفائك وأصفياك، وموضع أمثالك الذين خصصتهم بها، ابتزوها وأنت المقدر لما تشاء، لا يغلب قضاؤك، ولا يجاوز المحتوم من تدبيرك، كيف شئت وأنى شئت، علمك في إرادتك كعلمك في خلقك، حتى عاد صفوتك وخلفائك مغلوبين مقهورين مستترين، يرون حكمك مبدلاً وكتابك منبوذاً، وفرائضك محرفة عن جهات شرائعك، وسنن نبيك (صلواتك عليه) متروكة، اللهم العن أعداءهم من الأولين والآخرين، والغادين والرائحين، والماضين والغابرين، اللهم والعن جبابرة زماننا وأشياءهم، وأتباعهم وأحزابهم وأعوانهم، إنك على كل شيء قدير)^(٣).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٢٦ باب الكتمان ح ١٦.

(٢) الأُمالي للطوسي: ص ١١٥ المجلس ٤ ح ١٧٨.

(٣) رجال الكشي: ص ٣٨١-٣٨٢ في المعلى بن خنيس ح ٧١٥.

وقال ابن طاووس رحمه الله: روي عن آل الرسول عليهم السلام أنهم قالوا: «من بكى وأبكى فينا مائة فله الجنة، ومن بكى وأبكى خمسين فله الجنة، ومن بكى وأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن بكى وأبكى عشرين فله الجنة، ومن بكى وأبكى عشرة فله الجنة، ومن بكى وأبكى واحداً فله الجنة، ومن تباكى فله الجنة»^(١).
وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من ذكرنا عنده ففاضت عيناه حرم الله وجهه على النار»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض فاخترنا، واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا أولئك منا وإلينا»^(٣).
وعن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «من دمعت عينه فينا دمعة لدم سفك لنا، أو حق لنا نقصناه، أو عرض انتهك لنا، أو لأحد من شيعتنا، بوأه الله تعالى بها في الجنة حقاً»^(٤).

وقال الرضا عليه السلام: «من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيا فيه أمرنا لم يميت قلبه يوم تموت القلوب»^(٥).

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٨٨ ب ٣٤ ضمن ح ٢٧.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٥٠٩ ب ٦٦ ح ١٩٧٠٨.

(٣) الخصال: ج ٢ ص ٦٣٥ علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربعمئة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه ح ١٠.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٣١٧-٣١٨ ب ٤٩ ح ١٢٠٨٢.

(٥) الأمالي للصدوق: ص ٧٣ المجلس ١٧ ح ٤.

إتمام الحجة وبيان الحق

مسألة: يجب - في الجملة - إتمام الحجة وبيان الحق حتى مع العلم بعدم التأثير، وإنما كان مقدمة الحجة لئلا يكون فيهم من لا يزال يجهل الواقع، بالإضافة إلى أن التكرار أو التذكير كثيراً ما يؤثر في بعض الناس ولو في المستقبل، وهذا القدر كاف في الوجوب على ما ذكر في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١)، أما إذا لم يكن كل ذلك فهو من باب الاستحباب، فالأمر بين واجب ومستحب، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(٢).

ومن مصاديق إتمام الحجة تلك الاحتجاجات التي احتج بها أمير المؤمنين علي عليه السلام عندما غصبوا خلافته وهي مذكورة في كتاب (الاحتجاج)^(٣)،

(١) راجع موسوعة الفقه للإمام الشيرازي رحمته الله: ج ٤٨ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) سورة الأعراف: ١٦٤.

(٣) كتاب الاحتجاج لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي رحمته الله من علماء القرن السادس الهجري. والكتاب عبارة عن بحوث واستدلالات المعصومين عليهم السلام والعلماء الكبار مع المخالفين في الموضوعات المختلفة. يذكر العلامة الطبرسي رحمته الله في مقدمة كتابه هذا أن سبب تأليفه لهذا الكتاب هو أن جماعة من الشيعة تركوا الاستدلال والبحث مع المخالفين مدعين أن النبي والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) لم يكونوا يجادلون ولم يجيزوا للشيعة ذلك. فصمم على تأليف كتاب يحوي البحوث والاحتجاجات مع المخالفين في أصول الدين وفروعه. إن كتاب (الاحتجاج) يعتبر من الكتب المعتمدة والموثوقة وقد اعتمد عليه العلماء الأعلام كالعلامة المجلسي رحمته الله والمحدث الحر العاملي رحمته الله وأضرابهما. بدأ العلامة رحمته الله كتابه بذكر الآيات والأخبار التي ترغب في البحث والاستدلال مع المخالفين وتبين الأجر والثواب الذي يحصل عليه الذابون عن دين الله، ثم ذكر احتجاجات النبي والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) على الترتيب. ويذكر أحياناً استدلالات وبحوث أهل البيت عليهم السلام

وكذلك ما احتج به أصحابه (رضوان الله عليهم) وهي كثيرة^(١) منها:

ما رواه زيد بن وهب قال: كان الذين أنكروا على أبي بكر جلوسه في الخلافة وتقدمه على علي بن أبي طالب عليه السلام اثني عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار. وكان من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن الأسود، وأبي بن كعب، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن مسعود، وبريدة الأسلمي. وكان من الأنصار: خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو الهيثم بن التيهان، وغيرهم.

فلما صعد المنبر تشاوروا بينهم في أمره، فقال بعضهم: هلا نأتيه فننزله عن منبر رسول الله ﷺ. وقال آخرون: إن فعلتم ذلك أعنتم على أنفسكم، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٢)، ولكن امضوا بنا إلى علي بن أبي طالب عليه السلام نستشيره ونستطلع أمره.

فأتوا علياً عليه السلام، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ضيعت نفسك وتركت حقاً أنت أولى به، وقد أردنا أن نأتي الرجل فننزله عن منبر رسول الله ﷺ فإن الحق حقك وأنت أولى بالأمر منه، فكرهنا أن ننزله من دون مشاورتك.

► عليه السلام والأصحاب. كما ذكر ﷺ في نهاية الكتاب أيضاً توقيعات إمام العصر (عجل الله تعالى فرجه

الشريف) في الجواب على الأسئلة والإشكالات التي يتساءل الشيعة حولها. لقد كان كتاب (الاحتجاج) مورداً لاهتمام العلماء وعامة الناس. وقد ترجم إلى اللغة الفارسية وشرح مراراً، كما طبع مراراً أيضاً.

(١) للتفصيل انظر كتاب الاحتجاج: ج ١ ص ١١٠ احتجاج سلمان الفارسي (رضي الله عنه) في خطبة

خطبها، ص ١١٢ احتجاج لأبي بن كعب على القوم، ص ١٣٠ احتجاج سلمان الفارسي على عمر،

ص ١٦٥ احتجاج أم سلمة (رضي الله عنها) زوجة رسول الله ﷺ على عائشة، و...

(٢) سورة البقرة: ١٩٥.

فقال لهم علي عليه السلام: «لو فعلتم ذلك ما كنتم إلا حرباً لهم، ولا كنتم إلا كالكل في العين أو كالملاح في الزاد، وقد اتفقت عليه الأمة التاركة لقول نبيها ﷺ والكاذبة على ربها، ولقد شاورت في ذلك أهل بيتي فأبوا إلا السكوت لما تعلمون من وعر صدور القوم وبغضهم لله عزوجل ولأهل بيت نبيه ﷺ وإنهم يطالبون بثارات الجاهلية، والله لو فعلتم ذلك لشهروا سيوفهم مستعدين للحرب والقتال كما فعلوا ذلك حتى قهروني وغلبوني على نفسي ولبيوني وقالوا لي: بايع وإلا قتلناك، فلم أجد حيلة إلا أن أدفع القوم عن نفسي، وذاك أني ذكرت قول رسول الله ﷺ: "سيا علي، إن القوم نقضوا أمرك واستبدوا بها دونك وعصوني فيك فعليك بالصبر حتى ينزل الأمر، ألا وإنهم سيغدرون بك لا محالة فلا تجعل لهم سبيلاً إلى إذلالك وسفك دمك، فإن الأمة ستغدر بك بعدي كذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام عن ربي تبارك وتعالى"، ولكن اتوا الرجل فأخبروه بما سمعتم من نبيكم، ولا تجعلوه في الشبهة من أمره ليكون ذلك أعظم للحجة عليه، وأزيد وأبلغ في عقوبته إذا أتى ربه وقد عصى نبيه وخالف أمره».

قال: فانطلقوا حتى حفوا بمنبر رسول الله ﷺ يوم الجمعة، فقالوا للمهاجرين: إن الله عزوجل بدأ بكم في القرآن فقال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾^(١) فبكم بدأ.

وكان أول من بدأ وقام خالد بن سعيد بن العاص بإدلاله ببني أمية، فقال: يا أبا بكر، اتق الله فقد علمت ما تقدم لعلي عليه السلام من رسول الله ﷺ، ألا تعلم أن رسول الله ﷺ قال لنا ونحن محتوشوه في يوم بني قريظة، وقد أقبل

على رجال منا ذوي قدر، فقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار، أوصيكم بوصية فاحفظوها وإني مؤد إليكم أمراً فأقبلوه، ألا إن علياً أميركم من بعدي وخليفتي فيكم، أوصاني بذلك ربي، وإنكم إن لم تحفظوا وصيتي فيه وتؤووه وتنصروه اختلفتم في أحكامكم، واضطرب عليكم أمر دينكم، وولي عليكم الأمر شراركم، ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون أمري القائلون بأمر أمتي، اللهم فمن حفظ فيهم وصيتي فاحشره في زمرتي، واجعل له من مرافقتي نصيباً يدرك به فوز الآخرة، اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فاحرمه الجنة التي عرضها السماوات والأرض».

فقال له عمر بن الخطاب: اسكت يا خالد، فلست من أهل المشورة ولا ممن يرضى بقوله.

فقال خالد: بل اسكت أنت يا ابن الخطاب، فوالله إنك لتعلم أنك تنطق بغير لسانك، وتعتصم بغير أركانك، والله إن قريشاً لتعلم أنني أعلاها حسباً، وأقواها أدباً، وأجملها ذكراً، وأقلها غنى من الله ورسوله، وإنك ألأمها حسباً، وأقلها عدداً، وأخملها ذكراً، وأقلها من الله عز وجل ومن رسوله، وإنك لجبان عند الحرب، بخيل في الجذب، لئيم العنصر، ما لك في قريش مفخر.

قال: فأسكته خالد فجلس، ثم قام أبو ذر (رحمة الله عليه) فقال: بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أما بعد، يا معشر المهاجرين والأنصار لقد علمتم وعلم خياركم أن رسول الله ﷺ قال: «الأمر لعلي عليه السلام بعدي، ثم للحسن والحسين عليهما السلام، ثم في أهل بيتي من ولد الحسين»، فأطرحتم قول نبيكم، وتناسيتم ما أوعز إليكم، واتبعتم الدنيا وتركتم نعيم الآخرة الباقية التي لا تهدم بنيانها،

ولا يزول نعيمها، ولا يحزن أهلها، ولا يموت سكانها، وكذلك الأمم التي كفرت بعد أنبيائها بدلت وغيّرت، فحاذيتموها حذو القذة بالقذة، والنعل بالنعل، فعمّا قليل تذوقون وبال أمركم، وما الله بظلام للعبيد.

ثم قال: ثم قام سلمان الفارسي (رحمه الله) فقال: يا أبا بكر، إلى من تستند أمرك إذا نزل بك القضاء، وإلى من تفزع إذا سئلت عما لا تعلم وفي القوم من هو أعلم منك، وأكثر في الخير أعلاماً ومناقب منك، وأقرب من رسول الله ﷺ قرابة وقدمة في حياته، قد أوعز إليكم فتركتم قوله، وتناسيتم وصيته، فعمّا قليل يصفوا لكم الأمر حين تزوروا القبور، وقد أثقلت ظهرك من الأوزار، لو حملت إلى قبرك لقدمت على ما قدمت، فلو راجعت إلى الحق وأنصفت أهله لكان ذلك نجاة لك يوم تحتاج إلى عملك، وتفرد في حفرتك بذنوبك عما أنت له فاعل، وقد سمعت كما سمعنا، ورأيت كما رأينا، فلم يروّعك ذلك عما أنت له فاعل، فالله الله في نفسك فقد أعذر من أنذر.

ثم قام المقداد بن الأسود (رحمة الله عليه) فقال: يا أبا بكر، اربع على نفسك، وقس شبرك بفترك، والزم بيتك، وابك على خطيئتك، فإن ذلك أسلم لك في حياتك ومماتك، ورد هذا الأمر إلى حيث جعله الله عز وجل ورسوله، ولا تركز إلى الدنيا، ولا يغرنك من قد ترى من أوغادها، فعمّا قليل تضمحل عنك دنياك، ثم تصير إلى ربك فيجزيك بعملك، وقد علمت أن هذا الأمر لعلي عليه السلام وهو صاحبه بعد رسول الله ﷺ، وقد نصحتك إن قبلت نصحي.

ثم قام بريدة الأسلمي فقال: يا أبا بكر، نسيت أم تناسيت أم خادعتك نفسك، أما تذكر إذ أمرنا رسول الله ﷺ فسلمنا على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين

ونبينا ﷺ بين أظهرنا، فاتق الله ربك وأدرك نفسك قبل أن لا تدركها، وأنقذها من هلكتها، ودع هذا الأمر ووكله إلى من هو أحق به منك، ولا تماد في غيك، وارجع وأنت تستطيع الرجوع، فقد نصحتك نصحي، وبذلت لك ما عندي، فإن قبلت وفقت ورشدت.

ثم قام عبد الله بن مسعود فقال: يا معشر قريش، قد علمتم وعلم خياركم أن أهل بيت نبيكم ﷺ أقرب إلى رسول الله ﷺ منكم، وإن كنتم إنما تدعون هذا الأمر بقراءة رسول الله ﷺ وتقولون إن السابقة لنا، فأهل نبيكم أقرب إلى رسول الله منكم وأقدم سابقة منكم، وعلي بن أبي طالب عليه السلام صاحب هذا الأمر بعد نبيكم، فأعطوه ما جعله الله له، ولا ترتدوا على أعقابكم فتقلبوا خاسرين.

ثم قام عمار بن ياسر فقال: يا أبا بكر، لا تجعل لنفسك حقاً جعله الله عزوجل لغيرك، ولا تكن أول من عصى رسول الله ﷺ وخالفه في أهل بيته، واردد الحق إلى أهله تخف ظهرك، وتقل وزرك، وتلقى رسول الله ﷺ وهو عنك راض، ثم يصير إلى الرحمن فيحاسبك بعملك، ويسألك عما فعلت.

ثم قام خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فقال: يا أبا بكر، أأنت تعلم أن رسول الله ﷺ قبل شهادتي وحدي، ولم يرد معي غيري؟ قال: نعم. قال: فاشهد بالله أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل، وهم الأئمة الذين يقتدى بهم».

ثم قام أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا أبا بكر، أنا أشهد على النبي ﷺ أنه أقام علياً فقالت الأنصار: ما أقامه إلا للخلافة، وقال بعضهم: ما أقامه إلا

ليعلم الناس أنه ولي من كان رسول الله ﷺ مولاه، فقال ﷺ: «إن أهل بيتي نجوم أهل الأرض فقدموهم ولا تقدموهم».

ثم قام سهل بن حنيف فقال: أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ قال على المنبر: «إمامكم من بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو أنصح الناس لأمتي».

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال: اتقوا الله في أهل بيت نبيكم وردوا هذا الأمر إليهم، فقد سمعتم كما سمعنا في مقام بعد مقام من نبي الله ﷺ أنهم أولى به منكم.

ثم جلس ثم قام زيد بن وهب فتكلم، وقام جماعة من بعده فتكلموا بنحو هذا، فأخبر الثقة من أصحاب رسول الله ﷺ أن أبا بكر جلس في بيته ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الثالث أتاه عمر بن الخطاب وطلحة والزبير وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح مع كل واحد منهم عشرة رجال من عشائهم شاهرين السيوف، فأخرجوه من منزله وعلا المنبر وقال قائل منهم:

والله لئن عاد منكم أحد فتكلم بمثل الذي تكلم به لنملأن أسيافا منه.
فجلسوا في منازلهم ولم يتكلم أحد بعد ذلك^(١).

(١) الخصال: ج ٢ ص ٤٦١ - ٤٦٥ الذين أنكروا على أبي بكر جلوسه في الخلافة وتقدمه على علي بن أبي طالب عليه السلام ح ٤.

فدونكموها، فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخُف

الخلافة المغصوبة

مسألة: ينبغي بيان حال الخلافة التي اغتصبها القوم حيث أخذوها فكانت لهم دبرة الظهر نقبة الخُف، فخسروا الدنيا والآخرة بذلك، وخسروا العالم والأجيال القادمة أيضاً.

قولها عليه السلام: «فدونكموها»، أي: خذوا هذه الخلافة المغصوبة، أو فدك، أو كليهما.

«فاحتقبوها»، أي: احملوها على ظهوركم، أو احملوا حقائبكم على ظهرها، من: حقب واحتقب إذا شد الرجل على البعير وهيأه للركوب. قولها عليه السلام: «دبرة الظهر»، أي: أن ظهر هذه السلطة وفدك دبر، والدبر عبارة عن: قرحة الدابة تحدث من الرجل ونحوه، كناية عن أن هذه السلطة وفدك لا تسلمان لكم، فإن في غضبهما المشاكل الكثيرة، كما رأوها هم بأنفسهم وبعد ذلك رأها الحكام من بعدهم.

قولها عليه السلام: «نقبة الخف»، أي: إن خفاف هذه الدابة - وهي الخلافة المغصوبة وفدك - نقبة رقيقة لا تتحمل المسير بكم سيراً صحيحاً مستمراً موصلاً للمقصد.

نتائج غضب الخلافة

مسألة: يستفاد من كلام الصديقة عليها السلام أن الحكومة الجائرة والسلطة الغاضبة تتصف بالمواصفات التالية، وينبغي بيان ذلك:

فهي أولاً وثانياً: لا تحظى بالاستقرار ولا تتمتع بالراحة، ومن الواضح أن هاتين الخصلتين لا يتمتع بها راكب الدابة دبيرة الظهر، فإن الدابة المجروحة الظهر يؤلمها الجرح أكثر فأكثر بركوب المرء عليها، فلا يتهياً لراكبها ما يصبو إليه من ركوب مريح ومن استقرار وطمأنينة.

وهذا التنبؤ منها عليها السلام - كغيره - أصاب كبد الحقيقة بالنسبة لغاصبي الحكومة من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فإنهم لم يحظوا بالاستقرار والراحة والازدهار أبداً كما يظهر ذلك لمن راجع كتب التاريخ والسير.

وهي ثالثاً: لا تتمتع بالاستمرار، كما الدابة النقبة الخف، ولا توصل للمقصود، ولذلك ورد «الملك يدوم مع الكفر، ولا يدوم مع الظلم».

وهي رابعاً: تستتبع الخزي والعار على مر الأزمنة وتعاقب الأجيال.

وهي خامساً: تستتبع غضب الملك الجبار.

وهي سادساً: تستعقب الشنار في عالم الآخرة.

وهي سابعاً: تستلزم عذاب النار الموقدة.

باقية العار

إبقاء عار أفعالهم عليهم

مسألة: يجب فضح الظالمين والمساهمة في إبقاء عار أفعالهم عليهم ، لكي لا يتخذوا أسوةً ، ومن مصاديق ذلك الإخبار عنه ، كما أن من مصاديقه الإنذار بذلك ، كما صنعت الصديقة الكبرى عليها السلام في خطبتها.

والوجوب إنما هو إذا كان سبباً لانقلاع الظالم عن ظلمه - لتخوفه من المترصين به لفضحه - أو كان سبباً لردع الآخرين عن الظلم ، أو عن التآسي به ، فإنه يكون واجباً من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإرشاد الجاهل وتنبيه الغافل ، أو إذا كان ذلك مصداقاً لإتمام الحجة الواجبة ، أو مصداقاً للانتصار الواجب للمظلوم.

ومن مصاديقه : ما ورد من لعن الظالمين في الأدعية حيث الفضح لهم والعار عليهم.

كما في زيارة عاشوراء^(١) ، ودعاء صنمي قريش^(٢) ، ودعاء علقمة^(٣) وغيرها.

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾^(٤).

(١) راجع كامل الزيارات : ص ١٧٤-١٧٩ ب ٧١ ح ٨.

(٢) راجع مصباح الكفعمي : ص ٢٥٢-٢٥٣ ب ٤٤.

(٣) راجع مصباح المتعبد : ص ٧٧٧-٧٨١ شرح زيارة أبي عبد الله عليه السلام في يوم عاشوراء من قرب أو بعد.

(٤) سورة الأحزاب : ٥٧.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾^(٥).

وفي (مستدرک الوسائل): أن رجلاً قال للصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله، إني عاجز ببدني عن نصرتكم، ولست أملك إلا البراءة من أعدائكم واللعن، فكيف حالي؟ فقال الصادق عليه السلام: «حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: من ضعف عن نصرتنا أهل البيت فلعن في صلاته أعداءنا بلغ الله صوته جميع الأملاك من الثرى إلى العرش، فكلما لعن هذا

(١) سورة البقرة: ١٥٩.

(٢) سورة الرعد: ٢٥.

(٣) سورة غافر: ٥٢.

(٤) سورة هود: ١٨.

(٥) سورة التوبة: ٦٨.

الرجل أعداءنا لعناً ساعدوه فلعنوا من يلعنه ثم ثنوه، فقالوا: اللهم صلّ على عبدك هذا الذي قد بذل ما في وسعه ولو قدر على أكثر منه لفعل، فإذا النداء من قبل الله تعالى: قد أجبت دعاءكم وسمعت نداءكم، وصليت على روحه في الأرواح، وجعلته عندي من المصطفين الأخيار»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «أربعة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمتعزز بالجبروت ليدل من أعز الله ويعز من أذل الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فرأيت على بابها مكتوباً بالذهب: لا إله إلا الله، محمد حبيب الله، علي بن أبي طالب ولي الله، فاطمة آية الله، الحسن والحسين صفوتا الله، على مبغضيهم لعنة الله»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «خير هذه الأمة من بعدي: علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين، فمن قال غير هذا فعليه لعنة الله»^(٤).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «مدمن الخمر كعابد الوثن، والناصب لآل محمد شر منه». قلت: جعلت فداك، ومن أشر من عابد الوثن؟. فقال: «إن شارب الخمر تدركه الشفاعة يوم القيامة، وإن الناصب لو شفع فيه أهل السماوات والأرض لم يشفعوا»^(٥).

(١) مستدرك الوسائل: ج ٤ ص ٤١٠-٤١١ ب ١٠ ح ٥٠٣٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٢٢٥ ب ١٠ ح ١٨.

(٣) كنز الفوائد: ج ١ ص ١٤٩ شرح قوله: ولعن آخر أمتكم أولها.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٢٢٨ ب ١٠ ح ٣١، والبحار: ج ٣٧ ص ٩٨ ب ٥٠ ح ٦٥.

(٥) ثواب الأعمال: ص ٢٠٧ عقاب الناصب والجاحد لأمر المؤمنين عليه السلام.

وعن الريان بن شبيب، عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: «يا ابن شبيب، إن سرك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي وآله فالعن قتلة الحسين عليه السلام»^(١).
وعن داود الرقي، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذا استسقى الماء، فلما شربه رأيته قد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه، ثم قال لي: «يا داود، لعن الله قاتل الحسين عليه السلام وما من عبد شرب الماء فذكر الحسين وأهل بيته ولعن قاتله إلا كتب الله عز وجل له مائة ألف حسنة، وحطّ عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكأنما أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله عز وجل يوم القيامة ثلج الفؤاد»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اتخذوا الحمام الراعية في بيوتكم؛ فإنها تلعن قتلة الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ولعن الله قاتله»^(٣).

بقاء العار على الظالم

مسألة: يستحب، وقد يجب بيان الكلي، وهو أن العار سيبقى على الظالمين.

كما أن عار اغتصاب الحق من أهل البيت عليهم السلام بقي إلى اليوم وسيبقى إلى يوم القيامة على من اغتصب الخلافة وأعان على ذلك ورضي به. والظاهر أن هذا الكلام إخبار في مقام الإنشاء^(٤).

(١) الأُمالي للصدوق: ص ١٣٠ المجلس ٢٧ ح ٥.

(٢) الكافي: ج ٦ ص ٣٩١ باب النوادر ح ٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٠٥ ب ٣٦ ح ١٩.

(٤) وهو التهديد والإنذار.

موسومة بغضب الجبار، وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة.

لا يقال: إن (العار) لم يلحقهم، فإن كثيراً من الناس لا ترى ذلك، بل الأكثرية على مر التاريخ اتبعوهم.
إذ يقال: يراد العار عند ذوي البصائر^(١)، أو العار ثبوتاً، أو العار شأناً^(٢)، أو غير ذلك^(٣)، وذلك كما ورد في العديد من الآيات والروايات مثل: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾^(٤).

موسومة بغضب الجبار، وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة.

كيف يعقب غضب الله غضبها ﷺ

مسألتان: يلزم الاعتقاد بأن موقف القوم من الصديقة الزهراء (سلام الله عليها) وما ارتكبه من غضب الخلافة وفدك، كان سبباً لغضب الله عزوجل وأدى بهم إلى النار، ويحرم إنكار ذلك والرد عليه؛ لأنه رد عليها ﷺ حيث صرحت: (موسومة بغضب الجبار...) و (موصولة بنار الله...).
مضافاً إلى مسألة رضاها ﷺ ورضا الله سبحانه، وذلك لأن الله يرضى

(١) من المؤمنين أو الأعم منهم ومن الجن والملائكة أو حتى سائر العوالم.

(٢) أي وإن لم يكن له فعلية عن الأكثرية الجاهلة لكنه بحيث لو عرفوا الحق رأوه عاراً.

(٣) أو يقال العار حتى عند كثير ممن اتبعهم، فإن الإتيان لا يستلزم عدم كونه عاراً عندهم والكثير منهم يقبحون ظلمهم ذاك رغم أنهم من أشياعهم.

(٤) سورة البقرة: ١١٤، سورة المائدة: ٤١.

لرضا فاطمة (سلام الله عليها) ويغضب لغضبها، كما نص على ذلك رسول الله ﷺ وورد عن الفريقين^(١)، أي إن الله يرضى متى ما رضيت فاطمة عليها السلام

(١) كما جاء ذلك في كتب الشيعة والسنة عن رسول الله ﷺ وإليك بعض النصوص:

١: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني، ومن غاظها فقد غاظني، ومن سرها فقد سرني». بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٦٢ ب ١ ضمن ح ٢١.

٢: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة مني وهي روعي التي بين جنبي، يسوؤني ما ساءها، ويسرني ما سرها». بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٦٣ ب ١ ضمن ح ٢١.

٣: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك». بحار الأنوار: ج ٣٠ ص ٣٥٣ ب ٢٠ ضمن ح ١٦٤.

٤: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله». بحار الأنوار: ج ٣٠ ص ٣٥٣ ب ٢٠ ضمن ح ١٦٤.

٥: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني، يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها، وهي سيدة نساء العالمين». إرشاد القلوب: ج ٢ ص ٢٣٢ في فضائل ومناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وغزواته عليه السلام.

٦: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل». شرح نهج البلاغة: ج ١٦ ص ٢٧٣ الفصل الثالث في أن فذك هل صح كونها نحلة رسول الله ﷺ لفاطمة عليها السلام أم لا.

٧: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»، وفي رواية: «من أغضبها فقد أغضبني»، وفي رواية: «يريني ما رابها». الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة: ص ١٤٨.

٨: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني، وما آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله أكبه الله في النار». غوالي اللآلئ: ج ٤ ص ٩٣ الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامله ح ١٣١.

٩: قال رسول الله ﷺ: «يا فاطمة، إن الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك». غوالي اللآلئ: ج ٤ ص ٩٣ الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامله ح ١٣٢.

- ١٠: عن عمرو، عن محمد بن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني». المصنف لابن أبي شيبة الكوفي: ج ٧ ص ٥٢٦.
- ١١: عن المسور بن مخرمة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني». الأحاد والمثاني للضحاك: ج ٥ ص ٣٦١ ح ٢٩٥٤.
- ١٢: عن عبد الله بن عبيد الله القرشي: أن المسور بن مخرمة (رضي الله تعالى عنه) أخبره أنه سمع النبي ﷺ المنبر وهو يقول: «إنما ابنتي بضعة مني يربيني ما أربها، ويؤذيني ما آذاها». الأحاد والمثاني للضحاك: ج ٥ ص ٣٦١ ح ٢٩٥٥.
- ١٣: عن أم بكر بن المسور، عن ابنها: أن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة شجنة مني يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها». الأحاد والمثاني للضحاك: ج ٥ ص ٣٦٢ ح ٢٩٥٦.
- ١٤: حدثنا عبد الله بن سالم المفلوج - وكان من خيار الناس - حدثنا حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن عمر بن علي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن علي بن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب، عن النبي ﷺ أنه قال لفاطمة عليها السلام: «إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك». الأحاد والمثاني للضحاك: ج ٥ ص ٣٦٣ ح ٢٩٥٩.
- ١٥: عن بن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أما فاطمة بضعة مني يربيني ما أربها ويؤذيني ما آذاها». السنن الكبرى للنسائي: ج ٥ ص ٩٧ ح ٨٣٧٠.
- ١٦: عن عمرو بن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة: أن النبي ﷺ قال: «إن فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني». السنن الكبرى للنسائي: ج ٥ ص ٩٧ ح ٨٣٧١.
- ١٧: عن بن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة، قال: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني». المعجم الكبير للطبراني: ج ٢٢ ص ٤٠٤.
- ١٨: عن ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويغضبني ما أغضبها». أمالي الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: ص ٤٧.
- ١٩: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني». الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي: ج ٢ ص ٢٠٨ ح ٥٨٣٣.
- ٢٠: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها، وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري». الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي: ج ٢ ص ٢٠٨ ح ٥٨٣٤. ◀

ويرضى على من رضيت عنه، ويرضى بما رضيت به، ويرضى كيف رضيت (سلام الله عليها) و.. وذلك لمكان الإطلاق وحذف المتعلق.

ثم إن حديث: «يرضى لرضا» واضح الدلالة على أن رضا الله يعقب رضاها عليها السلام ويترتب عليه، أي أن رضا الصديقة فاطمة (سلام الله عليها) قبل رضا الله، وغضبها قبل غضبه.

لا يقال: كيف يكون رضاه تعالى تابِعاً، مع أن المفروض أن يكون رضا الإنسان تابِعاً لرضا الله، لا أن يكون رضاه عز وجل تابِعاً لرضا الإنسان؟.

► ٢١: قال رسول الله ﷺ: «إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها». كنز العمال

للمتقي الهندي: ج ١٢ ص ١٠٧ ح ٣٤٢١٥.

٢٢: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني». كنز العمال للمتقي الهندي:

ج ١٢ ص ١٠٨ ح ٣٤٢٢٢.

٢٣: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها، وإن الانساب

تنقطع به يوم القيامة غير نسبي وسبيي وصهري». كنز العمال للمتقي الهندي: ج ١٢ ص ١٠٨ ح

٣٤٢٢٣.

٢٤: قال رسول الله ﷺ: «إنما فاطمة شجنة مني يبسطني ما يبسطها ويقبضني ما يقبضها». كنز

العمال للمتقي الهندي: ج ١٢ ص ١١١ ح ٣٤٢٤٠.

٢٥: قال رسول الله ﷺ: «إنما فاطمة بضعة مني، ومن آذاها فقد آذاني». كنز العمال للمتقي

الهندي: ج ١٢ ص ١١١ ح ٣٤٢٤١.

٢٦: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها». إرواء الغليل لمحمد ناصر الألباني: ج ٨

ص ٢٩٣ ح ٢٦٧٦.

٢٧: قال الامام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا أم بكر

بنت المسور بن مخرمة، عن عبد الله بن أبي رافع عن المسور - هو ابن مخرمة (رضي الله عنه) - قال: قال

رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة مني يغيظني ما يغيظها وينشطني ما ينشطها، وإن الانساب تنقطع يوم

القيامة إلا نسبي وسبيي وصهري». تفسير ابن كثير: ج ٣ ص ٢٦٧.

إذ يقال: هناك أمران على ما سيأتي، رضا تابع ورضا متبوع، وما ورد في حديث رسول الله ﷺ بالنسبة إلى الصديقة الطاهرة عفا الله عنها لا ينفي الأمر الآخر، وهذا تكريم من الله لها عفا الله عنها، والرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى^(١)، وحديثه واضح الدلالة على ترتيب الله رضاه على رضاها، ولا يصح الاعتراض على الخالق فيما قدر وشاء^(٢)، علماً بأن الصديقة الطاهرة عفا الله عنها لا تنطق ولا تتصرف ولا ترضى ولا تغضب إلا عن تأديب الله عز وجل كما ورد في الحديث: «إن الله أدب نبيه ﷺ فلما انتهى به إلى ما أراد قال له: ﴿إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾»^(٣) ففوض إليه دينه^(٤)، مضافاً إلى أنهم عفا الله عنهم أوعية مشيئة الله عز وجل كما ثبت في محله^(٥).

ومن الواضح أن هناك فرقاً بين أن رضا الله من رضا فاطمة عفا الله عنها وبين قول الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام): «رضى الله رضانا أهل البيت»^(٦)، حيث إنه يبين الأمر الآخر، وكلا الأمرين صحيح باعتبارين، فيما أن الحسين عليه السلام كان في يوم الصبر على البلاء رضي بما قدره الله له جعل رضاه تابِعاً لرضا الله سبحانه.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ سورة النجم: ٣-٤.
(٢) يظهر للمتأمل أن المصنف رحمه الله أجاب بعدة أجوبة على الإشكال منها: إنه لا اجتهد في قبال النص، إذ قولك: يلزم أن يكون رضا الإنسان تابعاً اجتهد في قبال نص حديث الرسول ﷺ: «إن الله يرضى لرضا فاطمة».

(٣) سورة القلم: ٤.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٢٦٧ باب التفويض إلى رسول الله ﷺ وإلى الأئمة عفا الله عنهم في أمر الدين ح ٦.

(٥) راجع معاني الأخبار: ص ٣٥ باب معنى الصراط ح ٥.

(٦) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٦٧ ب ٣٧.

أما الحديث الأول فهو يشير إلى عظمة الزهراء عليها السلام ومنزلتها الرفيعة والقريبة عند الله سبحانه، بحيث إنه جعل رضاه تابعاً لرضاها عليها السلام.
 فإن الحيشية تغير المقدم والمؤخر حتى في شيء واحد، كما هو واضح.
 وقد رووا جميعاً أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يا فاطمة، إن الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك» وجاء سندل إلى الصادق عليه السلام وسأله عن ذلك؟ فقال: يا سندل أستم رويتم فيما تروون أن الله تعالى يغضب لغضب عبده المؤمن ويرضى لرضاه؟ قال: بلى. قال: «فما تنكر أن تكون فاطمة مؤمنة يغضب لغضبها ويرضى لرضاها». فقال سندل: الله أعلم حيث يجعل رسالته^(١).
 وكان الله يرضى حين ترضى ويغضب إن غدت في المغضبينا

غضب سابق وغضب لاحق

مسألة: ربما يقال بأن قولها عليها السلام: «موسومة بغضب الجبار» يتضمن الإشارة إلى مرحلتين سابقة ولاحقة للغضب الرباني - والذي سيأتي معناه - وكل ما أوجب أيّاً منهما محرم قطعاً، فهنا يمكن تصور الغضب السابق والغضب اللاحق لله عز وجل، بمعنى ترتب الآثار لا الحالة النفسية كما سيأتي.
 فهل المقام مقام غضبها عليها السلام الذي استتبع غضب الله، أم العكس، أم كلا الأمرين باعتبارين؟

فإن غضبهم للخلافة ولفدك وإيذاء الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام محرمة، بل من أشد المحرمات التي فيها غضب الجبار، وهي عليها السلام قد غضبت في هذه

(١) المناقب: ج ٣ ص ٣٢٥ فصل في منزلتها عند الله.

المواطن كلها لله^(١)، وبما أن ذلك كله استوجب غضبها ﷺ فغضب الباري جل وعلا لغضبها أيضاً^(٢)، فللباري غضبان في المقام:

١: غضب سابق، وهو على تلك المعاصي الكبيرة من غضب الخلافة وإيذائها وظلمها ﷺ.

٢: غضب لاحق على إغضاها ﷺ لغضبها ﷺ.

فحينئذ يكون العقاب أشد مما لو تجردت تلك الكبائر عن إغضاها ﷺ فرضاً.

حرمة ما يغضب الرب

مسألة: يحرم إتيان ما يوجب غضب الله تعالى، ويكفي كلامها ﷺ هذا في إثبات حرمة جميع ما قاموا به من التصرفات المرتبطة بغضب الخلافة وفدك وإيذائها ﷺ، ويدل على أنهم قد ارتكبوا أكبر الموبقات.

فإن غضب الله سبحانه وتعالى لا يكون إلا عند مخالفة أوامره ونواهيه، وقد ذكر علماء الكلام: إن المراد بغضب الله آثاره؛ لأن الله سبحانه وتعالى ليس محلاً للحوادث، فالغضب يظهر في العذاب الإلهي، وقد أشار إلى ذلك القرآن الحكيم حيث قال: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾^(٣) حيث إن المقصود من الانتقام: العذاب، وليس مجموع الحالة النفسية الخاصة وترتيب الأثر، والانتقام هو الأثر للغضب، ولا يكون إلا مع النهي والتحريم.

(١) فغضبها ﷺ غضب لاحق بهذا الاعتبار أو بهذه الجهة.

(٢) فغضبها ﷺ سابق لهذه الجهة.

(٣) سورة الزخرف: ٥٥.

وفي الرواية: «فلما أن قتل الحسين (صلوات الله عليه) اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله ﷺ، قال: «إذا غضب الله تبارك وتعالى على أمة ولم ينزل بها العذاب: غلت أسعارها، وقصرت أعمارها، ولم تربح تجارها، ولم تزك ثمارها، ولم تغزر أنهارها، وحبس عنها أمطارها، وسلط عليها شرارها»^(٣).

حرمة ما يوجب النار الموقدة

مسألة: يحرم كل ما يقتضي - وإن لم يكن يستلزم^(٤) - النار الموقدة التي تطلع على الأفئدة.

فإن الحرمة بفعل المنهي عنه هي التي تؤدي بالإنسان إلى النار، وإلا فلا حرمة في ما سوى ذلك.

وما قام به القوم أوجب لهم النار الموقدة التي تطلع على الأفئدة وذلك بصريح كلام الصديقة الطاهرة عليها السلام.

(١) الكافي: ج ١ ص ٣٦٨ باب كراهية التوقيت ح ١.

(٢) سورة النساء: ٩٣.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٦ ص ١٨٩ - ١٩٠ ب ٧ ح ٦٧٣٨.

(٤) ربما يكون إشارة إلى أن المعاصي مقتضيات للنار وليست عللاً تامة بلحاظ الروافع والموانع كالتوبة والشفاعة وغيرها.

إن قلت: لماذا خصت النار بالأفئدة مع أنها تحرق الجسم كله؟
 قلنا: لأن الأفئدة هي مركز الحرمة، إذ العقائد الباطلة إنما تنشأ من القلب
 قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾^(١)، وقال عز وجل في مقابل ذلك: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٢)، كما أن القلب هو مركز الإرادة للأفعال المحرمة.
 إضافة إلى أن الإطلاع على الأفئدة قد يكون إشارة إلى شدة النار التي
 تتجاوز الظاهرة لتصل إلى الباطن وتحرق الفؤاد.
 وقد ذكروا في علم الكلام: إن كل عضو يعاقب في الآخرة حسب معصية
 ذلك العضو، وكذلك يثاب حسب طاعته.
 وفي الحديث: إن أيدي الناكثين في النار.
 قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن في جهنم رحي تطحن خمساً، أفلا تسألون ما
 طحنها؟». ف قيل له: فما طحنها يا أمير المؤمنين؟
 قال عليه السلام: «العلماء الفجرة، والقراء الفسقة، والجبابرة الظلمة، والوزراء
 الخونة، والعرفاء الكذبة، وإن في النار لمدينة يقال لها: الحصينة، أفلا تسألوني
 ما فيها؟». ف قيل: وما فيها يا أمير المؤمنين؟. فقال: «فيها أيدي الناكثين»^(٣).
 إلى غيرها ذلك من الروايات التي تفيد ذلك، مثل: روايات عقاب العين،
 وعقاب الأذن، وعقاب اللسان، وسائر الجوارح، بل والجوانح أيضاً.
 وهكذا في ثوابها.

(١) سورة البقرة: ٢٨٣.

(٢) سورة الشعراء: ٨٩.

(٣) الخصال: ج ١ ص ٢٩٦ في جهنم رحي تطحن خمسة ح ٦٥.

قال رسول الله ﷺ: «من ملأ عينيه حراماً يحشوهما الله تعالى يوم القيامة مسامير من النار»^(١).

وقال عليه السلام: «لكل عضو من ابن آدم حظ من الزنى: فالعين زناه النظر، واللسان زناه الكلام، والأذنان زناهما السمع، واليدان زناهما البطش، والرجلان زناهما المشي، والفرج يصدق ذلك كلهم ويكذبه»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون يُصب في أذنيه الآنك يوم القيامة»^(٣).
والآنك: الرصاص المذاب.

وعن النبي ﷺ قال: «من استمع إلى اللهو يُذاب في أذنه الآنك»^(٤).
وقال رسول الله ﷺ: «من كتب فضيلة من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام لم تنزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى كتابة في فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر. ثم قال رسول الله ﷺ: -النظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه»^(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاثة أعين: عين

(١) جامع الأخبار: ص ٩٣ ف ٥١.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٦٩ ب ٨١ ح ١٦٦٨١.

(٣) الخصال: ج ١ ص ١٠٩ ثلاثة يعذبون يوم القيامة ح ٧٧.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٢٢١-٢٢٢ ب ٨٠ ح ١٥١٨٥.

(٥) الأمالي للصدوق: ص ١٣٨ المجلس ٢٨ ح ٩.

بكت من خشية الله ، وعين غضت عن محارم الله ، وعين باتت ساهرة في سبيل الله»^(١).

وقال رسول الله ﷺ : «من شهد شهادة زور على رجل مسلم أو ذمي أو من كان من الناس ، علق بلسانه يوم القيامة وهو مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار»^(٢). وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : «من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسان من نار»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ : «يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعا لسانه في قفاه وآخر من قدماه يتلهبان ناراً حتى يلها جسه ثم يقال : هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين ولسانين يعرف بذلك يوم القيامة»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ : «يؤتى بالزاني يوم القيامة حتى يكون فوق أهل النار فتقطر قطرة من فرجه فيتأذى بها أهل جهنم من ننتها ، فيقول أهل جهنم للخران : ما هذه الرائحة المنتنة التي قد آذتنا؟ فيقال لهم : هذه رائحة زان ، ويؤتى بامرأة زانية فتقطر قطرة من فرجها فيتأذى بها أهل النار من ننتها»^(٥).

وفي قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(٦) ، قال أبو جعفر الباقر عليه السلام : «وذلك أن آكل

(١) من لا يحضره الفقيه : ج ١ ص ٣١٨ باب وصف الصلاة من فاتحتها إلى خاتمتها ح ٩٤٢.

(٢) وسائل الشيعة : ج ٢٧ ص ٣٢٥ ب ٩ ح ٣٣٨٥١.

(٣) عقاب الأعمال : ص ٢٦٨-٢٦٩ عقاب من كان ذا وجهين وذا لسانين.

(٤) وسائل الشيعة : ج ١٢ ص ٢٥٨-٢٥٩ ب ١٤٣ ح ١٦٢٤٥.

(٥) بحار الأنوار : ج ٨ ص ٣١٧ ب ٢٤ ح ٩٨.

(٦) سورة النساء : ١٠.

مال اليتيم يجيء يوم القيامة والنار تلهب في بطنه حتى يخرج لهب النار من فيه حتى يعرفه كل أهل الجمع أنه آكل مال اليتيم»^(١).
وقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنْ اللَّهِ﴾^(٢).

ذكر أوصاف النار

مسألة: يستحب بيان أوصاف النار، ويتأكد بذكر ما يتجانس مع المقام، كما قالت الصديقة الطاهرة عليها السلام: «الموقدة التي تطلع على الأفئدة».
وقد يجب، فإن المتعلق إذا كان واجباً وجب، وإن كان مستحباً استحب، وقد أكثر القرآن الحكيم من ذكر أوصاف النار مثل قوله سبحانه: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٣) إلى غير ذلك.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «خطب أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمعة فقال: .. فتزودوا رحمكم الله اليوم ليوم الممات، واحذروا أليم هول البيات، فإن عقاب الله عظيم وعذابه أليم، نار تلهب، ونفس تُعذب، وشراب من صديد، ومقامع من حديد، أعاذنا الله وإياكم من النار»^(٤).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣١-٣٢ ح ١.

(٢) سورة المائدة: ٣٨.

(٣) سورة الحج: ٢١.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٦ ص ٢٨-٢٩ ب ١٩ ح ٦٣٥٨.

وروى أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ - في قوله: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾^(١) -: «لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض»^(٢).

وعن الخدري، عنه ﷺ: «لو ضرب بمقمة من مقامع الحديد الجبل لفتت فعاد غباراً»^(٣).

وفي حديث قال رسول الله ﷺ لجبرئيل عليه السلام: «ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط؟. قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار»^(٤).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «اعلموا أنه ليس لهذا الجلد الرقيق صبرٌ على النار فأرحموا نفوسكم، فإنكم قد جربتموها في مصائب الدنيا، أفرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه، والعثرة تدميه، والرمضاء تحرقه، فكيف إذا كان بين طابقي من نار، ضجيع حجرٍ وقرين شيطان، أعلمتم أن مالكا إذا غضب على النار حطم بعضها بعضاً لغضبه، وإذا زجرها توثبت بين أبوابها جزعاً من زجرته، أيها اليفن الكبير الذي قد لهزه القتير، كيف أنت إذا التحمت أطواق النار بعظام الأعناق، ونشبت الجوامع حتى أكلت لحوم السواعد»^(٥).

(١) سورة الحج: ١٩-٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٢٥٢ ب ٢٤.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ٦٦ باب العتاب.

(٤) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ٦٦ باب العتاب، والتنبيه: ج ١ ص ٣٠١ في صفة المساءلة.

(٥) نهج البلاغة، الخطب: ١٨٣ ومن خطبة له عليه السلام في قدرة الله وفي فضل القرآن وفي الوصية بتقوى الله تعالى.

وعن إسحاق بن عمار الصيرفي، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام - في حديث طويل - يقول فيه: «يا إسحاق، إن في النار لوادياً يقال له: سقر، لم يتنفس منذ خلقه الله، لو أذن الله عز وجل له في التنفس بقدر مخيط لأحرق ما على وجه الأرض، وإن أهل النار ليتعوذون من حر ذلك الوادي ومنتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهله، وإن في ذلك الوادي جبلاً يتعوذ جميع أهل ذلك الوادي من حر ذلك الجبل ومنتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهله، وإن في ذلك الجبل لشعباً يتعوذ جميع أهل ذلك الجبل من حر ذلك الشعب ومنتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهله، وإن في ذلك الشعب لقلباً يتعوذ أهل ذلك الشعب من حر ذلك القلب ومنتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهله، وإن في ذلك القلب حية يتعوذ جميع أهل ذلك القلب من خبث تلك الحية ومنتنها وقذرها وما أعد الله في أنيابها من السم لأهلها، وإن في جوف تلك الحية لسبعة صناديق فيها خمسة من الأمم السالفة واثنان من هذه الأمة». قال: قلت: جعلت فداك، ومن الخمسة ومن الاثنان؟ قال: «وأما الخمسة: فقابيل الذي قتل هابيل، وغمروود الذي حاج إبراهيم في ربه فقال: أنا أحيي وأميت، وفرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى، ويهود الذي هوّد اليهود، وبولس الذي نصرّ النصارى، ومن هذه الأمة أعرابيان»^(١).

قال العلامة المجلسي: (وإنما سماهما بذلك لأنهما لم يؤمنا قط)^(٢).

(١) الخصال: ج ٢ ص ٣٩٨ الصناديق السبعة في النار ح ١٠٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣١١ ب ٢٤.

شنار جهنم

مسألة: يستفاد من كلامها عليها السلام أن من عذاب جهنم (الشنار)، وهو من أنواع العقاب النفسي كما لا يخفى.

فإن الشنار يعني: العيب والعار، بل أقبح أنواع العيب.
أي: إن عيب غضب الخلافة وفدك وعاره يبقى إلى الأبد، لا في الدنيا فحسب، بل حتى في الآخرة، في المحشر وفي نار جهنم أيضاً حيث الخلود.
قولها عليها السلام: «موسومة بغضب الجبار»، الوسم: العلامة التي يعرف بها الشيء، كعلامة تجعل على ظهر الحيوان أو مكاناً من بدنه، فكأن هذه السلطة والخلافة المغتصبة وكذلك غضب فدك وسمتا بغضب الله سبحانه وتعالى.
والجبار: هو القاهر المسلط، وهذا هو المقصود لا من يجبر الكسر لعدم مناسبتة للكلام وللغضب.

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١).
ومن أذكار السجود: «يَا رَبُّ الْأَرْبَابِ، وَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ، وَيَا سَيِّدَ السَّادَاتِ، وَيَا جَبَّارَ الْجَبَابِرَةِ، وَيَا إِلَهَ الْإِلَهَةِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ...»^(٢).
وفي الأدعية: «يَا اللَّهُ يَا قَاهِرُ، يَا اللَّهُ يَا جَبَّارُ»^(٣).

(١) سورة الحشر: ٢٣.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٣٢٣ باب السجود والتسبيح والدعاء فيه ح ٧.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ١٦٣ باب الدعاء في كل ليلة من العشر الأواخر من شهر رمضان ح ٢٠٣٢.

و: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ملك الملوك، وسيد السادات، وجبار السماوات والأرض، الواحد القهار، الكبير المتعال»^(١).

قولها عليها السلام: «موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة»، بيان للنار التي يوقدها الله سبحانه وتعالى، وأنها كيف تكون في الإيلام والإحراق. أعاذنا الله من النار بشفاعة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام وأبيها وبعلمها وبنيتها (صلوات الله عليهم أجمعين).

ثم إن كلامها عليها السلام هذا من الأدلة الواضحة على أن ما فعلوه من أكبر الكبائر حيث الوعيد عليه بالنار الموقدة...

(١) مستدرک الوسائل: ج ٦ ص ٣٠ ب ١٩ ح ٦٣٥٩.

فبعين الله ما تفعلون.

علم الله بالجزئيات

مسألة: ظاهر كلامها عليه السلام هذا، وظاهر الكثير من الأدلة النقلية وصريح العقل هو: إن علم الله سبحانه وتعالى هو علم تفصيلي بالكليات والجزئيات، لا أن العلم يتعلق بالجزئيات على الوجه الكلي فقط، كما ذهب إلى ذلك جمع من الفلاسفة، وتفصيل البحث في محله^(١).

قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢).
وقال عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(٦).

(١) راجع موسوعة (الفقه): كتاب العقائد (المقدمة).

(٢) سورة الأنعام: ١٣.

(٣) سورة الأنبياء: ٤.

(٤) سورة الزمر: ٤٦.

(٥) سورة فاطر: ٣٨.

(٦) سورة التوبة: ٧٨.

وعن عبد الله بن مسكان، عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾^(١)؟ قال: «السر ما كتمته في نفسك، وأخفى ما خطر ببالك ثم أنسيته»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله علم لا جهل فيه، حياة لا موت فيه، نور لا ظلمة فيه»^(٣).

وعن العبد الصالح موسى بن جعفر عليه السلام قال: «علم الله لا يوصف الله منه بأين، ولا يوصف العلم من الله بكيف، ولا يفرد العلم من الله، ولا يبان الله منه، وليس بين الله وبين علمه حد»^(٤).

وعن أيوب بن نوح: أنه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الله عز وجل أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكونها، أو لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها فعلم ما خلق عند ما كَوَّنَ عند ما كَوَّنَ؟. فوقع عليه السلام بخطه: «لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء»^(٥). وعن حفص قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٦)؟ قال: «علمه»^(٧).

(١) سورة طه: ٧.

(٢) معاني الأخبار: ص ١٤٣ باب معنى السر وأخفى ح ١.

(٣) التوحيد: ص ١٣٧ ب ١٠ ح ١١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٨٦ ب ٢ ح ٢٢.

(٥) الكافي: ج ١ ص ١٠٧ باب صفات الذات ح ٤.

(٦) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٧) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٨٩ ب ٢ ح ٢٧.

وفي (نهج البلاغة) من خطبة له عليه السلام: «يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفُلُوتِ، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخُلُوتِ، وَاخْتِلَافَ النِّينَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ، وَتَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَّاحِ الْعَاصِفَاتِ»^(١).

التذكير والردع

مسألة: يستحب تذكير الناس خاصة الظالمين منهم بأن ما يفعلونه فهو بعين الله، فإن ذلك - بالإضافة إلى كونه حقيقة تكوينية - يوجب الردع الأكثر، كما في عكسه بالنسبة إلى الأفعال الحسنة فإنه يوجب البعث والحث الأكثر، فالله سبحانه وتعالى يسمع كل صوت ويرى كل مرئي لا بالآلات كما هو واضح، ويعلم ما في الصدور كذلك، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، سواء كان ظالماً لنفسه أم ظالماً للناس.

وعلمه لا تشوبه أدنى شائبة، فإنه علم حضوري كما قرر في محله.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لما قبضت فاطمة الزهراء عليها السلام ودفنها سرّاً وعفا على موضع قبرها، فحول وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله: «فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً، وتُهضم حقاً، ويُمْنع إرثها»^(٣).

قولها عليها السلام: «فبعين الله ما تفعلون»، أي: إن الله سبحانه وتعالى يرى سوء أفعالكم وسوف يعاقبكم عليها بأشد العقاب وكفى به رقيباً وحسيباً.

(١) نهج البلاغة، الخطب: ١٩٨ ومن خطبة له عليه السلام يبنه على إحاطة علم الله بالجزئيات.

(٢) سورة العلق: ١٤.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٥٩ باب مولد الزهراء فاطمة عليها السلام ح ٣.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(١)

ولعل السبب في قولها عليها السلام: «ما تفعلون» لا (ما تقولون) مع أن أقوالهم أيضاً كانت سيئة، كاذبة وخادعة ومضللة، هو أن وقع أفعالهم كان أكثر من وقع أقوالهم، وكانت أفعالهم أساس الانحراف، وأقوالهم عاملاً مساعداً لا العكس، ويمكن القول بأعمية الفعل من القول إلا إذا قيل بأنه خلاف الظاهر.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢).

للقوم أشد العذاب

مسألة: يستكشف من تطبيقها عليها السلام الآية على القوم أمران:

أولهما: إنهم ظلمة جائرون.

وثانيهما: إن لهم في الآخرة أشد العذاب، وسيعلمون أي منقلب

ينقلبون.

ولا يخفى التناسب بين ذكرها عليها السلام هذه الآية وبين آية: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ

قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾^(٣).

ومن هنا ورد في زيارة علي أمير المؤمنين عليه السلام: «السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ

اللَّهِ، أَنْتَ أَوَّلُ مَظْلُومٍ وَأَوَّلُ مَنْ غَضِبَ حَقُّهُ، صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ حَتَّى أَتَاكَ

الْيَقِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ لَقِيتَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ وَأَنْتَ شَهِيدٌ، عَذَّبَ اللَّهُ قَاتِلَكَ بِأَنْوَاعِ

(١) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٢) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٤.

الْعَذَابِ، وَجَدَّدَ عَلَيْهِ الْعَذَابَ، جِئْتُكَ عَارِفًا بِحَقِّكَ، مُسْتَبْصِرًا بِشَأْنِكَ، مُعَادِيًا
لِأَعْدَائِكَ وَمَنْ ظَلَمَكَ، أَلْقَى عَلَى ذَلِكَ رَبِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(١).

وفي زيارة أخرى له عليه السلام تقول: «وَأَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ،
وَشَاهِدُهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَأَمِينُهُ عَلَى عِلْمِهِ، وَخَازِنُ سِرِّهِ، وَمَوْضِعُ حِكْمَتِهِ، وَأَخُو
رَسُولِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ دَعْوَتَكُمْ حَقٌّ، وَكُلُّ دَاعٍ مَنْصُوبٍ دُونَكُمْ بِاطِلٍ مَدْحُوضٍ،
أَنْتَ أَوَّلُ مَظْلُومٍ، وَأَوَّلُ مَغْصُوبٍ حَقُّهُ، فَصَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ
ظَلَمَكَ وَتَقَدَّمَ عَلَيْكَ وَسَدَّ عَنْكَ لَعْنًا كَثِيرًا، يَلْعَنُهُمْ بِهِ كُلُّ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَكُلُّ نَبِيٍّ
مُرْسَلٍ، وَكُلُّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ مُتَّحِنٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى رُوحِكَ وَبَدَنِكَ»^(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «يا علي، أنت المظلوم بعدي، من ظلمك
فقد ظلمني، ومن أنصفك فقد أنصفني، ومن جحدك فقد جحدني، ومن
والاك فقد والاني، ومن عاداك فقد عاداني، ومن أطاعك فقد أطاعني، ومن
عصاك فقد عصاني»^(٣). وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي، إن الله تعالى أمرني
أن أتخذك أخاً ووصياً، فأنت أخي ووصيي وخليفتي على أهلي في حياتي وبعد
موتي، من اتبعك فقد تبعني، ومن تخلف عنك فقد تخلف عني، ومن كفر بك
فقد كفر بي، ومن ظلمك فقد ظلمني»^(٤).

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٥٨٧ زيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام ح ٣١٩٦.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٢٩ زيارة أخرى ح ٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٦١ ب ١ ضمن ح ٢١.

(٤) الأمالي للطوسي: ص ٢٠٠ المجلس ٧ ح ٣٤١.

القوم قد ظلموها

مسألة: يستحب بيان أن القوم قد ظلموا الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام حيث قالت عليها السلام: «وسيعلم الذي ظلموا...».

وقد يجب ذلك، وكل من المستحب والواجب في مورده.

وإنما قال سبحانه: ﴿سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(١) بصيغة الاستقبال؛ لأن علمهم بمنقلبهم يكون استقبالياً في الغالب^(٢) والسين لسرعة ذلك، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٣) بخلاف (سوف) الدالة على المستقبل البعيد على ما ذكره الأدباء وأهل اللغة.

ثم إن السرعة على أحد وجهين: إما بلحاظ قياس العمر كله إلى مجمل الماضي والمستقبل فلا يعدو العمر (الساعة) بالقياس، أو بلحاظ أنواع الحساب والعقاب الأعم من الدنيوي والأخروي، والأول منه حال في بعض صورته كما سيأتي^(٤).

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: دخلت فاطمة عليها السلام على رسول الله ﷺ وهو في سكرات الموت فانكبت عليه تبكي، ففتح ﷺ عينه وأفاق ثم قال ﷺ: «يا بنية، أنت المظلومة بعدي، وأنت المستضعفة بعدي، فمن آذاك فقد

(١) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٢) أو يقال: إن ما سيعلمونه هو (المنقلب) وهذا ما يجهله كلهم الآن، بالإضافة إلى أن (العلم) درجات، وعلم اليقين ليس موجوداً حتى للواحد منهم فالكلية صادقة.

(٣) سورة آل عمران: ١٩٩، سورة المائدة: ٤، سورة إبراهيم: ٥١، سورة غافر: ١٧.

(٤) حيث سيذكر الإمام المؤلف رحمته الله مجموعة من المحاكم والتي منها محكمة النفس.

آذاني ، ومن غاظك فقد غاظني ، ومن سرك فقد سرنني ، ومن برك فقد برني ،
ومن جفاك فقد جفاني ، ومن وصلك فقد وصلني ، ومن قطعك فقد قطعني ،
ومن أنصفك فقد أنصفني ، ومن ظلمك فقد ظلمني ؛ لأنك مني وأنا منك ،
وأنت بضعة مني وروحي التي بين جنبي» - ثم قال عليه السلام : - «إلى الله أشكو ظالميك
من أمتي»^(١).

تهديد الظالم

مسألة: ينبغي تهديد الظالم بوخيم العقوبة التي تنتظره كما صنعت
الصديقة الطاهرة عليها السلام.

وقد يجب على ما ذكرناه في البنود السابقة ، وكذلك في عكسه وهو الفاعل
للحسن حيث حثه بحسن العقوبة.

وفي الحديث : «إن لله سبحانه وتعالى ملكاً ينادي كل يوم قائلاً : يا فاعل
الخير أكثر ، ويا فاعل الشر أقصر»^(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام : «أقصر نفسك عما يضرها من قبل أن تفارقك ،
واسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك ؛ فإن نفسك رهينة بعملك»^(٣).
وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد»^(٤).

(١) كشف الغمة: ج ١ ص ٤٩٧-٤٩٨ فاطمة عليها السلام.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٤٢ باب الإنفاق ح ١ ، وفيه: عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : «إن الشمس لتطلع ومعها
أربعة أملاك ، ملك ينادي : يا صاحب الخير أتم وأبشر ، وملك ينادي : يا صاحب الشر انزع وأقصر ، ...».

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٩٧ ب ٣٩ ح ٢٠٥٦٠.

(٤) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٢١.

وقال عليه السلام: «يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم»^(١).

وعن النبي ﷺ قال: «سيعلم الظالمون حظ من نقصوا، إن الظالم ينتظر اللعن والعقاب، والمظلوم ينتظر النصر والثواب»^(٢).

وقال عليه السلام: «لا تنال شفاعتي ذا سلطان جائر غشوم»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ابتعدوا عن الظلم، فإنه أعظم الجرائم وأكبر المآثم»^(٤).

وقال عليه السلام: «ظلم المرء في الدنيا عنوان شقائه في الآخرة»^(٥).

وقال عليه السلام: «هيهات أن ينجو الظالم من أليم عذاب الله وعظيم سطواته»^(٦).

وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والظلم، فإنه يخرّب قلوبكم»^(٧).

ثم إن تهديد الظالم على أنواع، ومنها تهديده على رؤوس الأشهاد، فإنه يوجب فضحه أيضاً، كما قامت بذلك الصديقة الطاهرة عليها السلام.

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٤١.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٩٩ ب ٧٧ ح ١٣٦٢٧.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٩٩ ب ٧٧ ضمن ح ١٣٦٢٧.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٥ ق ٦ ب ٥ ف ١ ذم الظلم ح ١٠٣٨٢.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ١٠٠ ب ٧٧ ضمن ح ١٣٦٢٩.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٧ ق ٦ ب ٥ ف ١ الظلم يوجب النار ح ١٠٤٤٢.

(٧) صحيفة الرضا عليه السلام: ص ٤٨ متن الصحيفة ح ٣٢.

المحاكم التسعة

مسألة: يستفاد من مجموع الروايات أن المحاكم تسعة.

فقولها **عَلَيْهَا السَّلَامُ**: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(١)، وهي

آخر آية في سورة الشعراء بمعنى: إن الذين ظلموا ينقلبون من هذه الدنيا إلى الخسران والعذاب، أو المراد الأعم من الآخرة؛ لأن الإنسان يجازى في الدنيا كما يجازى في الآخرة، فالظالم ينقلب في الدنيا إلى سوء المنقلب، بينما المحسن ينقلب إلى حسن المنقلب، كما قال سبحانه: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسَنْتُمْ وَأَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾^(٢).

وقد تحقق أن المحاكم التي يجازى فيها الإنسان هي:

- ١: محكمة النفس.
- ٢: محكمة البدن.
- ٣: محكمة الطبيعة.
- ٤: محكمة المجتمع.
- ٥: محكمة القضاء.
- ٦: محكمة التاريخ.
- ٧: محكمة القبر.
- ٨: محكمة المحشر.
- ٩: محكمة النار أو الجنة.

حيث يجزى المسيء في النهاية بنار جهنم.

(١) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٢) سورة الإسراء: ٧.

وبعكس ذلك إذا كان محسناً، قال سبحانه: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ وأنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يَرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى^(١)، ذلك أن جزاء الدنيا جزاء غير أوفى، وجزاء الآخرة هو الجزاء الأوفى فقط، سواء بالنسبة إلى المحسنين أو بالنسبة إلى المسيئين.

ويمكن لمس هذه المحاكم التسعة بالنسبة إلى مغتصبي الخلافة بوضوح في بعضها، وبالتأمل في بعضها الآخر^(٢).

في (تفسير العياشي): عن الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: من جحد إماماً من الله، أو ادعى إماماً من غير الله، أو زعم أن لفلان وفلان في الإسلام نصيباً»^(٣). وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من ادعى الإمامة وليس بإمام فقد افتري على الله وعلى رسوله وعلينا»^(٤).

وقال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(٥)، قال: «من زعم أنه إمام وليس بإمام»^(٦).

(١) سورة النجم: ٣٩-٤١.

(٢) قال الأول: (أقيلوني ولست بخيركم)، حيث يكشف هذا التصريح وأشباهه عن جانب من محكمة النفس، وقال الثاني: (النار ولا العار) إلى غير ذلك.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٨ من سورة آل عمران ح ٦٥.

(٤) ثواب الأعمال: ص ٢١٤ عقاب من ادعى الإمامة وليس بإمام.

(٥) سورة الزمر: ٦٠.

(٦) الغيبة للنعمان: ص ١١١ ب ٥ ح ١.

وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا
إنا منتظرون.

الإنذار عام

مسألة: إنذار الصديقة الطاهرة عليها السلام لمن غصب الخلافة ورضي به
لا يختص بمن كان في المدينة آنذاك، بل يشمل الأجيال اللاحقة أيضاً في مختلف
البقاع، وذلك لعموم الضمير^(١) أو للملاك.

ثم إنه ليس الإنذار خاصاً بالظالم، بل كذلك كل عاص رضي به، بل
الإنذار لمطلق المعصية، فإن العاصي يعرض نفسه للعاقبة السيئة، وإن كان ظلم
الغير من أشد المحرمات التي عاقبتها أسوء من ظلم الإنسان نفسه إذا ترك صلاة أو
صوماً أو شرب خمرأ أو ما أشبه ذلك.

أما ظلم الصديقة الطاهرة عليها السلام وإيذاؤها فأكبر الكبائر التي يترتب عليه
العذاب الشديد، وقد قالت عليها السلام: «بين يدي عذاب شديد».

بين العمل والانتظار

مسألة: قد يكون العمل واجباً والانتظار مستحباً، وقد يكونان واجبين،
وقد يقال: الانتظار إن قابله اليأس من روح الله وجب وإلا استحب في الجملة،
فتأمل. هذا في هذا الجانب^(٢)..

(١) المراد من الضمير هو (لكم) وإنذارها هو الاستفادة من مجموع الجملة وإن كان (لكم) متعلقاً به (نذير)
صفة للرسول ﷺ.

(٢) أي: (إنا عاملون - إنا منتظرون).

وعكسه في عكسه^(١).

وقد ورد في الحديث: «أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله تعالى»^(٢)، وهو عام يشمل كل فرج مستقبلي، سواء كان ظهور الإمام المهدي (صلوات الله عليه) - وهو أظهر المصاديق - أم غير ذلك مما ينتظره المؤمن من الفرج والخيرات، ورحمة الله ورضوانه، وما أشبه ذلك. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحب الأعمال إلى الله عز وجل انتظار الفرج»^(٣).

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج، أما سمعت قول العبد الصالح: ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾»^(٤)^(٥). وقال علي بن الحسين عليه السلام: «انتظار الفرج من أعظم الفرج»^(٦).

وعن أبي خالد الكابلي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «تمت الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله والأئمة بعده. يا أبا خالد، إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل أهل كل زمان؛ لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلوات الله عليه وآله بالسيف، أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً»^(٧).

(١) أي: (اعملوا - انتظروا).

(٢) صحيفة الرضا عليه السلام: ص ٥٤ متن الصحيفة ح ٦٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ١٢٣ ب ٢٢ ح ٧.

(٤) سورة هود: ٩٣.

(٥) بحار الأنوار: ج ١٢ ص ٣٧٩ ب ١١.

(٦) كمال الدين: ج ١ ص ٣٢٠ ب ٣١ ح ٢.

(٧) الاحتجاج: ج ٢ ص ٣١٨ احتجاجة عليه السلام في أشياء شتى من علوم الدين.

الجهات الذاتية والعرضية

مسألة: يتأكد الوجوب والاستحباب للإنذار والتبشير في من جمع (الذاتية) و(الامتداد) معاً، فإن اجتماع الجهات الذاتية والعرضية في النذير والبشير يكون سبباً لقوة التأثير، ولذلك كان الانتساب^(١) هاهنا في كلامها عليها السلام أبلغ في التأثير، وأشد في الإنذار، وأقوى في الحجة، وأدحض لتكذيب المكذبين، فكما أنذر أبي عليه السلام أنذرتكم أنا، فإن العذاب في المستقبل شديد، واللازم على الإنسان أن يتجنب تلك العقوبات التي لا طاقة له بها.

وربما يشير هذا الانتساب إلى وجه آخر، أي كما أنهم كذبوا أباهما عليهما السلام فإنهم سيكذبونها عليها السلام، وكما عارضوه عليه السلام سيعارضونها عليها السلام، وكما آذوه عليه السلام سيؤذونها عليها السلام.

الاستمرارية

مسألة: يجب الاستمرار على الطريقة التي أمر الله بها، حيث يستفاد من قولها عليها السلام: «إنا عاملون» أنها (صلوات الله عليها) والإمام علي عليه السلام لم ينقطعوا عن العمل، بل استمروا في عملهما للدفاع عن الإسلام والكتاب والسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومقارعة الظالم قدر المستطاع.

والوجوب هنا في موارده، كما أن الاستحباب في موارده أيضاً.

قولها عليها السلام: «فاعملوا إنا عاملون» تهديد لهم أي: إنكم تعملون كما

(١) أي ثبوتاً وإثباتاً.

يروق لكم فتعاقبون عليها، وإنا نعمل حسب الشريعة، فنرى ماذا يصيبكم ويصيبنا؟.

قولها عليها السلام: «وانتظروا إنا منتظرون»:

هذا أيضاً تهديد، بمعنى أنه عليكم أن تنتظروا غيب أعمالكم، كما ننتظر نتائج أعمالنا الصالحة. وهو اقتباس من القرآن الحكيم في سورة هود حيث قال سبحانه: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ۖ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾^(١)، وفيه إشارة واضحة إلى عدم إيمانهم، كما سيأتي. ومن غير البعيد أنها عليها السلام أرادت من (إنا منتظرون) كل مصاديق الانتظار^(٢).

إنهم غير مؤمنين

مسألة: يستفاد من استشهاد الصديقة الطاهرة عليها السلام بهذه الآية أنها كانت تراهم غير مؤمنين، وهم كذلك دون ريب، إضافة إلى ما سيأتي من كاشفة العمل عن الشاكلة. فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر»^(٣).

وقد سبق أن الكفر هنا كفر عملي.

(١) سورة هود: ١٢١-١٢٢.

(٢) أي: انتظار الفرج الجزئي والكلي، والآني والمستقبلي، والدنيوي والأخروي، فيشمل مثل: ظهور الإمام عليه السلام، وقبله الانقياد للإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد عثمان.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٣٤٢ باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل ح ٢.

وقال أبو جعفر عليه السلام: «من ادعى مقامنا - يعني: الإمامة - فهو كافر، أو قال: مشرك»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «من نازع علياً الخلافة بعدي فهو كافر»^(٢).

وقال عليه السلام: «من ناصب علياً للخلافة بعدي فهو كافر»^(٣).

وفي الروايات عبر عنهما بالأعرابيان، قال العلامة المجلسي رحمته الله: (وإنما سماهما بذلك لأنهما لم يؤمنا قط)^(٤). وعن الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قلت له: أسألك عن فلان وفلان؟ قال: «فعليهما لعنة الله بلعناته كلها، ماتا والله وهما كافران مشركان بالله العظيم»^(٥).

وفي (تفسير القمي): في قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٦)، قال: يحملون آثامهم، يعني: الذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام وآثام كل من اقتدى بهم، وهو قول الصادق عليه السلام: «والله ما أهرقت محجمة من دم، ولا قرع عصا بعصا، ولا غصب فرج حرام، ولا أخذ مال من غير حله، إلا ووزر ذلك في أعناقهما من غير أن ينقص من أوزار العاملين شيء»^(٧).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ١١٤ ب ٣ ح ١٦.

(٢) غوالي اللآلئ: ج ٤ ص ١٨٥ الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامله ح ٩٦.

(٣) الصراط المستقيم: ج ٢ ص ٢٨ تنمة ب ٩.

(٤) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣١١ ب ٢٤.

(٥) بصائر الدرجات: ص ٢٦٩-٢٧٠ ب ٣ ح ٢.

(٦) سورة النحل: ٢٥.

(٧) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٨٣ سورة النحل.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾^(١)، فإنها كناية عن الذين غصبوا آل محمد حقهم ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾^(٢)، يعني: في أمير المؤمنين عليه السلام، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾^(٣)، وهما رجلان، والسادة والكبراء هما أول من بدأ بظلمهم وغصبهم، وقوله: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ أي: طريق الجنة، والسبيل أمير المؤمنين عليه السلام ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾^(٤)»^(٥).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلُّ أَعْمَالُهُمْ﴾^(٦)، نزلت في الذين ارتدوا بعد رسول الله ﷺ وغصبوا أهل بيته حقهم، وصدوا عن أمير المؤمنين عليه السلام، وعن ولاية الأئمة عليهم السلام ﴿أَضَلُّ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: أبطل ما كان تقدم منهم مع رسول الله ﷺ من الجهاد والنصرة»^(٧).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾^(٨) عن الإيمان، بتركهم ولاية أمير المؤمنين عليه السلام»^(٩).

(١) سورة الأحزاب: ٦٦.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٦.

(٣) سورة الأحزاب: ٦٧.

(٤) سورة الأحزاب: ٦٨.

(٥) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٩٧ نزول آية الحجاب.

(٦) سورة محمد: ١.

(٧) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٠٠ سورة محمد.

(٨) سورة محمد: ٢٥.

(٩) بحار الأنوار: ج ٣٠ ص ١٦٢ ب ٢٠ ح ٢٢.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «في قوله تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(١) يعني أمير المؤمنين عليه السلام ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾^(٢) الأول والثاني والثالث»^(٣). قال العلامة المجلسي رحمته الله: (تفسير الإيمان بأمير المؤمنين عليه السلام لكون ولايته عليه السلام من أصوله وكماله فيه، وكونه مروجاً ومؤسسه ومبينه غير بعيد، وكذا التعبير عن الثلاثة بالثلاث لكونهم أصلها ومنشأها ومنبتها وكمالها فيهم، وكونهم سبباً لصدورها عن الناس إلى يوم القيامة)^(٤).

العمل والشاكلة

مسألة: العمل يكشف عن شاكلة الإنسان^(٥) عادة، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾^(٦)، ومن ملاكات الجزاء عقاباً وثواباً هو الشاكلة والنية، وفرعهما العمل. وإنما ينوي كل ما ناسب طينته ويقتضيه جبلته ثم يعمل وفق شاكلته. والشاكلة: الطريقة، وشاكلة الإنسان: شكله وناحيته وطريقته. وورد في تفسير الشاكلة: النية، وذلك إيدان بأن النية تابعة لحالة الإنسان وطريقته.

(١) سورة الحجرات: ٧.

(٢) سورة الحجرات: ٧.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٢٦ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية ح ٧١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣٠ ص ١٧٢ ب ٢٠.

(٥) الشاكلة: هي الطبيعة والنفسية والحالة المتجذرة، وبعبارة أخرى التركيبة النفسية والفكرية للإنسان.

(٦) سورة الإسراء: ٨٤.

قال في (مجمع البيان): (أي كل واحد من المؤمن والكافر يعمل على طبيعته وخليقته التي تخلق بها)^(١).

وعن أبي هاشم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الخلود في الجنة والنار؟ فقال: «إنما خلد أهل النار في النار؛ لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة؛ لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء. ثم تلا قوله: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^(٢) قال: على نيته»^(٣).

وفي التفسير: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^(٤) قال: على نيته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾^(٥)، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة أوقف المؤمن بين يديه فيكون هو الذي يتولى حسابه، فيعرض عليه عمله فينظر في صحيفته، فأول ما يرى سيئاته فيتغير لذلك لونه وترتعش فرائضه وتفرع نفسه، ثم يرى حسناته فتقر عينه وتسرع نفسه وتفرح روحه، ثم ينظر إلى ما أعطاه الله من الثواب فيشتد فرحه ثم يقول الله للملائكة: هلموا الصحف التي فيها الأعمال التي لم يعملوها، قال: فيقرؤونها ثم يقولون: وعزتك إنك لتعلم أنا لم نعمل منها شيئاً. فيقول: صدقتم نويتموها فكتبناها لكم ثم يثابون عليها»^(٦).

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٦ ص ٢٨٦ - ٢٨٧ سورة الإسراء.

(٢) سورة الإسراء: ٨٤.

(٣) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٣١٦ ومن سورة بني إسرائيل ح ١٥٨.

(٤) سورة الإسراء: ٨٤.

(٥) سورة الإسراء: ٨٤.

(٦) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٦ كيفية خلقه العرش.

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(١)، قال: «ليس يعني أكثر عملاً، ولكن أصوبكم عملاً، وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة والحسنة. ثم قال: - الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمذك عليه أحد إلا الله عز وجل، والنية أفضل من العمل ألا وإن النية هي العمل. ثم تلا قوله عز وجل: - ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^(٢)، يعني: على نيته»^(٣).

وقال الإمام الجواد عليه السلام: «فساد الأخلاق بمعاشرة السفهاء، وصلاح الأخلاق بمنافسة العقلاء، والخلق أشكال ف ﴿كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^(٤)، والناس إخوان فمن كانت إخوته في غير ذات الله فإنها تحوز عداوة، وذلك قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٥)»^(٦).

(١) سورة هود: ٧، سورة الملك: ٢.

(٢) سورة الإسراء: ٨٤.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٦ باب الإخلاص ح ٤.

(٤) سورة الإسراء: ٨٤.

(٥) سورة الزخرف: ٦٧.

(٦) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٤٩ وأما مناقبه.

فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان

اسم الخصم وخصوصياته

- مسألة:** من الراجح ذكر اسم الخصم أو كنيته أو خصوصياته أو كلها حتى لا يلتبس الأمر فيما بعد، ويستثنى من ذلك موارد التقية وما أشبهه.
- قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(١).
- وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾^(٢).
- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾^(٣).
- وقال سبحانه: ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾^(٤).
- وقال تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾^(٥).
- وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾^(٦).

(١) سورة البقرة: ٢٥٠.

(٢) سورة يونس: ٧٥.

(٣) سورة هود: ٩٦-٩٧.

(٤) سورة طه: ٤٣.

(٥) سورة طه: ٧٩.

(٦) سورة القصص: ٨.

وقال تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾^(١).

ومن المعلوم أن هذه الكلمة وهي: (فأجابها أبو بكر.. الخ) ليست من تعبير الصديقة الطاهرة (عليها الصلاة والسلام)، بل من الراوي، فيستند في ذلك إلى كون راوي الخطبة هو أحد المعصومين عليهم السلام - على بعض الأسناد - وكذلك السيدة زينب عليها السلام وذلك كاف في الحجية واستنباط الحكم الشرعي منها^(٢)، إضافة إلى الاعتضاد بالقرائن العامة.

(١) سورة العنكبوت: ٣٩.

(٢) راجع كتاب (السيدة زينب عليها السلام عالمة غير معلمة) للإمام الشيرازي الراحل رحمته الله حيث ذكر فيه سماحته: أن قول السيدة زينب عليها السلام حجة يمكن التمسك به في استنباط الحكم الشرعي.

وقال: يا بنت رسول الله، لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً، رؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليماً، وعقاباً عظيماً.

إن عزوانه وجدناه أباك دون النساء، وأخا إلفك^(١) دون الأخلاء^(٢)، أثره^(٣) على كل حميم^(٤)، وساعده في كل أمر جسيم^(٥).

اعترافات من الخصم

مقتضى السياق عود الضمير إلى ما عاد ضمير الفقرة السابقة إليه، أي: إن الرسول ﷺ أثره - أي علياً عليه السلام -، والرسول ﷺ ساعده في كل أمر جسيم، وهذه شهادة كبرى من معارضي الإمام عليه السلام.

وربما يقال: بعود الضمير إلى الإمام عليه السلام، أي: إن الإمام عليه السلام ساعد الرسول ﷺ في كل أمر جسيم.

وهذه الفقرات هي اعترافات من خصم الصديقة الطاهرة عليها السلام بفضلها وفضل بعلمها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) إلفك يراد به زوجك، فإن الإلف بكسر الهمز بمعنى الأليف المألوف، والزوج إلف الزوجة وكذا

العكس، وفي بعض النسخ: (ابن عمك) بدل إلفك.

(٢) الأخلاء: جمع خليل، وفي بعض النسخ (الرجال) بدل الأخلاء.

(٣) أثره: أي اختاره.

(٤) الحميم: أي القريب.

(٥) الجسيم: أي العظيم.

قال الشاعر:

ومليحة شهدت لها ضرراتها والحسن ما شهدت به الضراء
ومناقب شهد العدو بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء

وقال آخر:

شهد الأنام بفضله حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء
تلألأت أنواره لذوي النهى وتزحزحت عن غيها الظلماء

وقال ثالث:

يروى مناقبهم لنا أعداؤهم لا فضل إلا ما رواه حسود
وإذا رواها مبغضوهم لم يكن للعالمين على الولاة محيد

لا يحبكم إلا سعيد^(١)، ولا يفضكم إلا شقي بعيد^(٢)، فأنتم عترة رسول الله الطيبون، والخيرة المنتجبون، على الخير أدلتنا، وإلى الجنة مسالكنا.

مكانة العترة الطاهرة عليهم السلام عند المسلمين

يستظهر من هذه العبارات: (لا يحبكم إلا سعيد ..) أن هذه الأمور كانت من المسلّمات عند عامة المسلمين، وإلا لما أطلقه دون أن يشفعه بدليل، بل لما ذكره أصلاً، فالكل يعلم بأن السعيد هو الذي يحب العترة الطاهرة عليهم السلام، وأن من أبغضهم فهو شقي بعيد، وأنهم عليهم السلام العترة الطيبة والخيرة المنتجة، وهم أدلة الناس على الخير وقادتهم إلى الجنة.

فالذين غصبوا الخلافة وفدك كانوا على علم تام بمكانة علي وفاطمة (صلوات الله عليهما) ومع ذلك فعلوا ما فعلوا من الظلم والعدوان.

العلم والمعرفة

مسألة: (المعرفة والعلم) مما يتنجز به التكليف، ودرجات المعرفة والعلم مما يزيد في الجزاء والعقاب، فكلما ازدادت معرفة الإنسان بمكانة أهل البيت عليهم السلام كلما كان ظلمه لهم أقبح، وكلما كان الجزاء أشد، فكيف بمن يعرف أنهم (الخيرة المنتجبون)! وأنهم (على الخير أدلتنا)! وأنهم قادة الناس إلى الجنة! فيخالفهم ويغصب الخلافة منهم؟!.

(١) وفي بعض النسخ: إلا العظيم السعادة.

(٢) وفي بعض النسخ: إلا الردي الولادة.

وهكذا الأمر بالنسبة إلى الثواب والجنة، فإن من الملائكات فيهما: العلم والمعرفة.

قال تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالبَّاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾^(١).

وفي (تفسير القمي)، قال: قوله: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ وهم الأئمة عليهم السلام ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أصحاب الأنبياء الذين تحزبوا ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ يعنيك يقتلوه ﴿وَجَادَلُوا بِالبَّاطِلِ﴾ أي: خاصموا ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾^(٢) أي: يبطلوه ويدفعوه^(٣).

(١) سورة غافر: ٥.

(٢) سورة غافر: ٤ - ٥.

(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ سورة المؤمن.

وأنت يا خيرة النساء وابنة خيرة الأنبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك.

والله ما عدوت^(١) رأي رسول الله ﷺ ولا عملت إلا بإذنه، والرائد^(٢) لا يكذب أهله، وإني أشهد الله وكفى به شهيداً، أني سمعت رسول الله ﷺ يقول^(٣): (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً، وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة^(٤))، وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر^(٥) بعدنا أن يحكم فيه بحكمه).

وقد جعلنا ما حاولته في الكراع^(٦) والسلاح يقاتل بها المسلمون ويجهدون الكفار ويجادلون المردة الفجار، وذلك بإجماع من المسلمين، لم أنفرد به وحدي ولم أستبد بما كان الرأي فيه عندي، وهذه حالي ومالي هي لك وبين يديك،

(١) أي: ما تجاوزت.

(٢) الرائد: الذي يتقدم القوم ليبصر لهم الكلاً والماء.

(٣) يستفاد من قوله هذا أنه هو الوحيد الذي سمع رسول الله ﷺ هذا الحديث المخلوق في آخره، وإلا فالمقام يقتضي أن يستشهد بكل من سمع هذا الحديث.

(٤) ربما يقال بصحة صدر الحديث فقط دون عجزه، فعندئذ تكون الحيلة والمكر أكبر، فيكون قد زاد ابن أبي قحافة على الحديث من نفسه: (وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه)، ليلتبس الأمر على الناس وإيقاعهم في الجهل وتبرير ما قام به من غضب فذك، ليرى الناس صدر الحديث صحيحاً فيتصورون صحة عجزه أيضاً.

(٥) ولا يخفى أن ولي الأمر بعد الرسول ﷺ هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث عينه رسول الله ﷺ بأمر من الله خليفة وولياً في يوم الغدير فقال ﷺ: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» أما غيره فقد استولى على الخلافة غصباً وبقوة السيف، واجتماع جمع من الفسقة والفجرة الذين انقلبوا على أديبارهم.

(٦) الكراع: أي الخيل وربما مطلق الدواب.

لا تزوي عنك ولا تدخر دونك^(١). وإنك أنت سيدة أمة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لا يدفع مالك من فضلك، ولا يوضع من فرعك وأصلك^(٢)، حكمك نافذ فيما ملكت يداي، فهل ترين أن أخالف في ذلك أباك ﷺ؟.

من أنواع المغالطة

مسألة: المغالطة محرمة فيما إذا استلزمت إضاعة الحق وتبرير الظلم والتمويه على الناس.

ومن أنواع المغالطة: ذكر كلي أجنبي لا يرتبط بالمقام وتطبيقه على مصداق كلي آخر، ومنه الانتقال من مقدم إلى تال لا تلازم بينهما.

وهذا ما صنعه ابن أبي قحافة.. حيث إن كون الرسول ﷺ بالمؤمنين عطوفاً كريماً... الخ، لا يستلزم مصادرة حقه هو، فكيف يستلزم مصادرة حق ابنته الصديقة؟، وكونه ﷺ عطوفاً كريماً كلي له مصاديقه وليس من مصاديقه إلغاء حكم الله في الإرث أو النحلة كما هو واضح^(٣).

ثم إن كونه ﷺ عطوفاً كريماً على فرض انطباقه على المقام لا ربط له

(١) هذه العبارات كلها عبارات حيل ومكر أراد بها إيقاع الناس في الشبهة، كأنه يقول: إني إنما أخذت فذك للنص الشرعي - المزعوم - أما أمواله الخاصة فهي تحت تصرفك! وذلك لأن المسلمين كانوا يعلمون بعظمة الصديقة الطاهرة ﷺ ومكانتها ﷺ، فلم يكن بإمكان أحد أن يكذبها صراحة، فعمدوا إلى أن يتخذوا أسلوباً شرعياً وكأنهم يعملون حسب الشريعة ويدافعون عن مصلحة المسلمين، ثم ماذا تعمل الصديقة الطاهرة ﷺ بأمواله الخاصة وهي من طوت عن الدنيا كشحاً وسدلت دونها ثوباً، فسخت نفسها الطاهرة عنها بعدما شحت عليها نفوسهم.

(٢) أي: لا ينتقص ولا يحط من مكانتك، فلا يمكن إنكار فضل أصولك من الأجداد، وفروعك من الذرية الطاهرة.

(٣) إذ هل من الكرم تضييع حقوق الناس؟. وهل من الكرم نقض أحكام الله؟.

بأن يبذل غيره مما ملكه^(١) وإن حاول تبرير ذلك في كلامه اللاحق.

كما لا ربط لهذا الكلام بغصب الخلافة ومخالفة النص الوارد عن رسول

الله ﷺ في تعيين أمير المؤمنين علي عليه السلام وصياً وخليفة من بعده.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا

فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾^(٤).

وفي (تفسير القمي): ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في ولاية علي عليه السلام

﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾^(٥)، قال النبي ﷺ: «يا علي، أنت قسيم

النار تقول: هذا لي وهذا لك». قالت قريش: فمتى يكون ما تعدنا يا محمد من

أمر علي والنار؟ فأنزل الله ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ يعني: الموت والقيامة

﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ يعني: فلاناً وفلاناً وفلاناً ومعاوية وعمرو بن العاص وأصحاب

الضغائن من قريش ﴿مَنْ أضعفُ ناصراً وأقلُّ عدداً﴾^(٦)^(٧).

(١) (غيره) أي أبو بكر (مما ملكه) أي مما ملكه الرسول ﷺ.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٣) سورة النساء: ١٤.

(٤) سورة الجن: ٢٣.

(٥) سورة الجن: ٢٣.

(٦) سورة الجن: ٢٤.

(٧) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٨٩-٣٩٠ سورة الجن.

من أنواع المكر

مسألة: يجب فضح أساليب الطغاة والظالمين، ومنها أنواع مكرهم وحيلهم وخداعهم، ومن أنواع المكر والتدليس: المجارة والمسايرة وما يسمى اليوم بسياسة ركوب الموج.

فقد وجد ابن أبي قحافة أن أفضل طريقة للسيطرة على الوضع هو أن يجاري سيدة النساء عليها السلام في أسس كلامها ليستثمره في تكريس نتيجة معاكسة للحق والحقيقة، وليأخذ زمام الأمر بيده، فبدأ بالثناء على الرسول ﷺ وثنى بمدح الإمام علي عليه السلام وثلاث بذكر مزايا الصديقة الزهراء عليها السلام والعتر الطاهرة عليها السلام. والحيلة في ذلك أن يجده الناس شخصاً منصفاً معتدلاً حكيماً، فلا يكشف كيده في كذبه بتلك الرواية المجعولة وفي قضية فدك وغصب الخلافة!.

قال تعالى: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾^(٢).

وبعبارة أخرى إن وصفه الرسول ﷺ بـ (عطوفاً كريماً..) و(على الكافرين عذاباً أليماً..) كان تمهيداً لما أراد تثبيته بعده من: (وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح..).

قال رسول الله ﷺ: «من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع، فإني سمعت جبرئيل عليه السلام يقول: إن المكر والخديعة في النار»^(٣).

(١) سورة نوح: ٢٢.

(٢) سورة إبراهيم: ٤٦.

(٣) الأماشي للصدوق: ص ٢٧٠ المجلس ٤٦ ح ٥.

وعن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «ليس منا من غش مسلماً أو ضره أو ماكره»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يجيء كل غادر يوم القيامة بإمام مائل شذقه حتى يدخل النار، ويجيء كل ناكث بيعة إمام أجذم حتى يدخل النار»^(٢).

وعن الأصبغ بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم وهو يخطب على المنبر بالكوفة: «يا أيها الناس، لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ألا إن لكل غدرة فجرة، ولكل فجرة كفرة، ألا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار»^(٣).

السرو وراء إقرار أهل الباطل

مسألة: الإقرار بالحق في القضايا الاعتقادية والشرعية واجب في الجملة وربما كان مستحباً، كل في مورد. ومنه ما ورد من التشهد بالشهادات الثلاث وسائر المعتقدات الحقّة، وهو كثير في الأدعية والزيارات والصلوات وغيرها.

ثم إن للإقرار بالحق من أهل الباطل ومن يعمل في الخندق المعارض للحق، ومن يقود الجبهة المقابلة للحق، أسباباً عديدة، نشير إلى بعضها:

منها: الضغط النفسي، فإن من يعادي الحق - وهو يعرفه - يعاني من آلام نفسية شديدة قد تجد بعض المتنفّس لها عبر الإقرار بالحق، وقد يكون من ذلك

(١) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ب ٨٦ ح ٢٢٥٣٠.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٧ باب المكر والغدر والخديعة ح ٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٨ باب المكر والغدر والخديعة ح ٦.

ما قاله عمر: (كل الناس أفقه من عمر حتى المخدرات في الحجال)^(١)..

و: (لولا علي لهلك عمر)^(٢)..

و: (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن)^(٣).

وهكذا بالنسبة إلى إقرار معاوية بفضل أمير المؤمنين علي (عليه أفضل الصلاة والسلام)^(٤).

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ١٨٢ طرف من أخبار عمر، مجمع الزوائد للهيتمي: ج ٤ ص ٢٨٤ باب فيمن نوى ألا يؤدي صداق امرأته، كنز العمال: ج ١٦ ص ٥٣٧ ح ٤٥٧٩٦ وما بعده.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي: ج ٣ ص ١٤٧ ب ٦٥، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام لابن الدمشقي: ج ١ ص ١٩٥ ب ٣٠، ص ٢٩٦ ب ٤٧.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري: ص ١٠٠ ح ٢٩، ينابيع المودة للقندوزي: ج ١ ص ٢٢٧ ب ١٤ ح ٥٨.

(٤) روي عن عبد الواحد بن علي بن العباس البزاز، رفعه إلى إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس قال: سأل رجل معاوية عن مسألة، فقال: سل عنها علي بن أبي طالب فإنه أعلم. قال: يا أمير، قولك فيها أحب إلي من قول علي. قال: بشئ ما قلت به ولؤم ما جئت به، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله ﷺ يغره العلم غراً، لقد قال له رسول الله ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، ولقد كان عمر بن الخطاب يسأله فيأخذ عنه، ولقد شهدت عمر إذا أشكل عليه شيء قال: ها هنا علي. قم لا أقام الله رجلك، ومحا اسمه من الديوان. بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٢٦٦ ب ٥٣ ح ٤٠.

وعن الأصبع بن نباتة، قال: دخل ضرار بن ضمرة النهشلي على معاوية بن أبي سفيان، قال له: صف لي علياً عليه السلام؟ قال: أوتعفيني. فقال: لا بل صفه لي. فقال له ضرار: رحم الله علياً كان والله فينا كأحدنا... قال: فبكى معاوية وقال: حسبك يا ضرار، كذلك كان والله علي رحم الله أبا الحسن. الأمالي للصدوق: ص ٦٢٤ المجلس ٩١ ح ٢.

وكذلك إقرار عمرو بن العاص^(١).

(١) قال السيد حامد النقوي في كتاب (خلاصة عبقات الأنوار): ج ٤ ص ٢٠٢-٢٠٣:

الخامس: القصيدة المنسوبة إلى ابن العاص. قال عمرو بن العاص في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

هو النبا العظيم وفلك نوح وياب الله وانقطع الخطاب

في قصيدة نسبها إليه جماعة من علماء أهل السنة، منهم: أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني اليميني في كتاب (الإكليل)، وجمال الدين المحدث الشيرازي في (تحفة الأحياء في مناقب آل العباء). قال أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني اليميني: روي أن معاوية بن أبي سفيان قال يوماً لجلسائه: من قال في علي ما فيه فله البدر؟ فقال: كل منهم كلاماً غير موافق من شتم أمير المؤمنين إلا عمرو بن العاص فإنه قال أبياتاً اعتقدها وخالفها بفعاله:

بآل محمد عرف الصواب	وفي أبياتهم نزل الكتاب
وهم حجج الإله على البرايا	بهم ويجدهم لا يستتراب
ولاسيما أبي حسن علي	له في المجد مرتبة تهاب
إذا طلبت صوارمهم نفوساً	فليس بها سوى نعم جواب
طعام حسامه مهج الأعادي	وفيض دم الرقاب لها شراب
وضريرته كبيعته بخم	معاقدها من الناس الرقاب
إذا لم تبر من أعداء علي	فمالك في محبته ثواب
هو البكاء في المحراب ليلاً	هو الضحك إن آن الضراب
هو النبا العظيم وفلك نوح	وياب الله وانقطع الجواب

فأعطاه معاوية البدر وحرّم الآخرين.

✽ وقال عمرو: يا معاوية، إنك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلاً له من محمد عليه السلام قرابة قريبة ورحم ماسة، وقدم في الإسلام ليس لأحد مثله، قد سار إليك بأصحاب محمد المحدثين وفرسانهم وأشرافهم، ومهما نسيت فلا تنس أنك على باطل وعلياً على الحق، فبادر الأمر قبل اضطرابه عليك. بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٦٢ ب ١٢.

وغيرهم^(١).

(١) قال ابن حمزة الطوسي في كتابه (الثاقب في المناقب): ص ٢٢٩-٢٣٢ ح ٢٠٠:

عن محمد بن عمر الواقدي، قال: كان هارون الرشيد يقعد للعلماء في يوم عرفة، فقعد ذات يوم وحضره الشافعي، وكان هاشمياً يقعد إلى جنبه، وحضر محمد بن الحسن وأبو يوسف فقعدا بين يديه، وغص المجلس بأهله، فيهم سبعون رجلاً من أهل العلم، كل منهم يصلح أن يكون إمام صقع من الأصقاع. قال الواقدي: فدخلت في آخر الناس.

فقال الرشيد: لم تأخرت؟

فقلت: ما كان لإضاعة حق، ولكنني شغلت بشغل عاقني عما أحببت. قال: فقربني حتى أقعدني بين يديه، وقد خاض الناس في كل فن من العلم.

فقال الرشيد للشافعي: يا ابن عمي، كم تروي في فضائل علي بن أبي طالب؟

فقال: أربعمائة حديث وأكثر.

فقال له: قل ولا تحف.

قال: يبلغ خمسمائة أو يزيد.

ثم قال لمحمد بن الحسن: كم تروي يا كوفي من فضائله؟

قال: نحو ألف حديث أو أكثر.

فأقبل على أبي يوسف، فقال: كم تروي أنت يا كوفي من فضائله، أخبرني ولا تحش؟

قال: يا أمير، لولا الخوف لكنت روايتنا في فضائله أكثر من أن تحصي.

قال: مم تحاف؟

قال: منك ومن عمالك وأصحابك.

قال: أنت آمن، فتكلم وأخبرني كم فضيلة تروي فيه؟

قال: خمسة عشر ألف خبر مسند، وخمسة عشر ألف حديث مرسل.

قال الواقدي: فأقبل عليّ وقال: ما تعرف في ذلك أنت؟

فقلت: مثل مقالة أبي يوسف.

قال الرشيد: لكنني أعرف له فضيلة رأيته بعيني وسمعتها بأذني، أجل من كل فضيلة تروونها أنتم،

وإني لتائب إلى الله تعالى مما كان مني من أمر الطالبية ونسلهم.

فقلنا جميعاً: وفق الله الأمير وأصلحه، إن رأيت أن نخبرنا بما عندك.

► قال: نعم، وليت عاملي يوسف بن الحجاج بدمشق، وأمرته بالعدل في الرعية، والإنصاف في القضية، فاستعمل ما أمرته، فرفع إليه أن الخطيب الذي يخطب بدمشق يشتم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كل يوم وينتقصه. قال: فأحضره وسأله عن ذلك فأقر له بذلك.

فقال له: وما حملك على ما أنت عليه؟.

قال: لأنه قتل آبائي وسبى الذراري، فلذلك له الحق في قلبي ولست أفارق ما أنا عليه. فقيده وغله وحبسه وكتب إليّ بخبره، فأمرته بحمله إليّ على حالته من القيود، فلما مثل بين يدي زيرته وصحت به، وقلت: أنت الشاتم لعلي بن أبي طالب؟.

فقال: نعم.

قلت: ويلك قتل من قتل وسبى من سبى بأمر الله تعالى، وأمر النبي ﷺ.

فقال: ما أفارق ما أنا عليه، ولا تطيب نفسي إلا به.

فدعوت بالسياط والعقابين فأقمته بحضرتي ها هنا وظهره إلي، فأمرت الجلاد فجلده مائة سوط، فأكثر الصباح والغياث فبال في مكانه، فأمرت به فنحي عن العقابين، وأدخل ذلك البيت. وأوماً بيده إلى بيت في الإيوان. وأمرت أن يغلق الباب عليه وإقفاله، ففعل ذلك ومضى النهار وأقبل الليل ولم أبرح من موضعي هذا حتى صليت العتمة. ثم بقيت ساهراً أفكر في قتله وفي عذابه، وبأي شيء أعذبه، مرة أقول: أضرب على علاوته، ومرة أقول: أقطع أمعاءه، ومرة أفكر في تفريقه، أو قتله بالسوط، فلم أتم الفكر في أمره حتى غلبتني عيني فنمت في آخر الليل، فإذا أنا بباب السماء وقد انفتح، وإذا النبي ﷺ قد هبط وعليه خمس حلل، ثم هبط علي عليه السلام وعليه ثلاث حلل، ثم هبط الحسن عليه السلام وعليه حلتان، ثم هبط الحسين عليه السلام وعليه حلتان، ثم هبط جبرئيل عليه السلام وعليه حلة واحدة، فإذا هو من أحسن الخلق في نهاية الوصف، ومعه كأس فيه ماء كأصفى ما يكون من الماء وأحسنه.

فقال النبي ﷺ: «أعطني الكأس» فأعطاه، فنادى بأعلى صوته: «يا شيعة محمد وآله»، فأجابوه من حاشيتي وغلماني وأهل الدار أربعون نفساً أعرفهم كلهم، وكان في داري أكثر من خمسة آلاف إنسان، فسقاهم من الماء وصرفهم. ثم قال: «أين الدمشقي؟». فكان الباب قد انفتح فأخرج إليه، فلما رآه علي عليه السلام أخذ بتلابيبه وقال عليه السلام: «يا رسول الله، هذا يظلمني ويشتمني من غير سبب أوجب ذلك».

فقال عليه السلام: «خله يا أبا الحسن».

ثم قبض النبي ﷺ على زنده بيده، وقال: «أنت الشاتم لعلي ابن أبي طالب؟».

فقال: نعم.

فقال: «اللهم امسخه واحقه وانتقم منه».

ولذلك أيضاً - ولغيره - كانت تصريحات ابن أبي قحافة هاهنا حيث قال :
(لا يحبكم إلا كل سعيد ، ولا يبغضكم إلا كل شقي بعيد...) .
ومنها : الضغط الجماهيري والرأي العام الضاغط .

► قال : فتحول - وأنا أراه - كلباً ، ورد إلى البيت كما كان ، وصعد النبي ﷺ وجبرئيل وعلي ﷺ
ومن كان معهم ، فانتبهت فزعاً مرعوباً مذعوراً ، فدعوت الغلام وأمرت بإخراجه إليّ ، فأخرج وهو
كلب .

فقلت له : كيف رأيت عقوبة ربك ؟ .

فأوماً برأسه كالمعتذر وأمرت برده فيها هو ذا في البيت ، ثم نادى وأمر بإخراجه ، فأخرج وقد أخذ الغلام
بإذنه ، فإذا أذناه كأذان الناس وهو في صورة الكلب ، فوقف بين أيدينا يلوك بلسانه ، ويحرك شفثيه
كالمعتذر .

فقال الشافعي للرشيد : هذا مسخ ، ولست آمن أن تعجله العقوبة .

فأمر به فرد إلى بيته كما كان بأسرع من أن سمعنا وجبة وصيحة ، فإذا صاعقة قد سقطت على سطح
البيت فأحرقت وأحرقت الكلب فصار رماداً ، وعجل الله بروحه إلى نار جهنم .

قال الواقدي : فقلت للرشيد : يا أمير المؤمنين ، هذه معجزة وعظة وعظمت بها ، فاتق الله في ذرية هذا
الرجل . فقال الرشيد : أنا تائب إلى الله تعالى مما كان مني وأحسن توبتي .

✽ قال الشيخ عباس القمي في كتابه (الأنوار البهية) : ص ٧١ :

حكى عن الشافعي إنه قيل له : ما تقول في علي ﷺ ؟ .

قال : ما أقول في حق من أخفت أوليائه فضائله خوفاً ، وأخفت أعدائه فضائله حسداً ، وشاع من بين
ذين ما ملأ الخافقين .

✽ قال الشيخ عباس القمي في كتابه (الأنوار البهية) : ص ٧٢ :

قال سبط بن الجوزي في (التذكرة) : سمعت جدي ينشد في مجالس وعظه ببغداد سنة ٥٩٦ هـ بيتين
ذكرهما في كتاب (تبصرة المتبدي) وهما :

أهوى علياً وإيماني محبته كم شرك دمه من سيفه وكفا

إن كنت ومحك لم تسمع فضائله فاسمع مناقبه من هل أتى وكفى

ومنها: ما سبق من المكر والتدليس.

ومنها: سبق الحق على لسانه من دون إرادته، وذلك لأن قلبه يعلم بالحق وإن جحده وخالفه عناداً، فربما سبق اللسان الإرادة وطابق اللسان ما علمه في قلبه، وذلك كاعترافات بعض المشركين بعظمة القرآن وصدق النبي ﷺ وما أشبهه.

ومنها: غير ذلك.

أدلة الخصم

مسألة: ربما ينبغي للمظلوم أن يسمح للظالم بإدلاء ما يزعم أنه حجته، وذلك إذا كان كلامه فضحاً له وإظهاراً لإتمام حجة المظلوم على الظالم. ويمكن أن يستدل على هذه الكبرى ببعض الإطلاقات وما أشبهه.

أما الاستناد فيه إلى فسحها عليها السلام المجال لابن أبي قحافة حتى يتكلم بما يشاء، فربما يورد عليه بأنه لا يتم ذلك إلا على تقدير كونه فعلاً^(١) والقول بصحة التمسك بما يعم القول والفعل، فتأمل^(٢).

وربما يقال: بأنه غير دال، لأن الفعل لا دلالة ولا جهة له، إذ قد يكون السبب عدم القدرة على المنع^(٣)، أو لدفع التهمة^(٤)، أو لإتمام الحجة، أو لغير ذلك، فلا يستدل بما هو أعم من المدعى.

(١) إذ قد يقال إنه ترك.

(٢) ربما يكون وجهه أن الفعل أعم من الترك في ذلك التقسيم الثلاثي.

(٣) أي منع أبي بكر من الكلام.

(٤) أي كي لا تتوجه التهمة من الجاهل لها بأن المنع كان للخوف من إدلائه بحجته.

ومن مصاديق هذه المسألة^(١): ما ورد في كتاب الاحتجاج^(٢) للعلامة الطبرسي رحمته الله حيث كان أهل الباطل يذكرون آراءهم وما يزعمونه من أدلتها، ثم كان المعصوم عليه السلام يتصدى للجواب.

استماع الباطل

مسألة: يجوز في الجملة - كما في مورد القضاء والتصدي للباطل - سماع واستماع الباطل، حيث استمعت الصديقة الطاهرة (سلام الله عليها) إلى كلام ابن أبي قحافة.

وإنما قلنا في الجملة، لأنه قد لا يجوز استماع الباطل أو سماعه، فيما إذا تضمن ترويحاً للباطل أو التأثير به أو ما أشبهه، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ﴾^(٤).

وفي (الفقه): أن حضور مجلس الحرام حرام إلا في موارد الاستثناء. نعم قد يكون هنالك جهة مرجحة أو مجوزة على تفصيل مذكور في محله.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ثم خص كل جارحة من جوارحك بفرض

(١) أي فسح المجال لأهل الباطل في بيان رأيهم وأدلتهم.

(٢) سبق التعريف بالكتاب.

(٣) سورة الأنعام: ٦٨.

(٤) سورة النساء: ١٤٠.

ونص عليها، ففرض على السمع أن لا تُصغي به إلى المعاصي»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ثلاثة مجالس يمقتها الله ويرسل نقمته على أهلها فلا تقاعدوهم ولا تجالسوهم: مجلساً فيه من يصف لسانه كذباً في فتياه، ومجلساً ذكر أعدائنا فيه جديد وذكرنا فيه رث، ومجلساً فيه من يصد عنا وأنت تعلم»^(٢). وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: «ما اجتمع ثلاثة من الجاحدين إلا حضرهم عشرة أضعافهم من الشياطين، فإن تكلموا تكلم الشياطين بنحو كلامهم، وإذا ضحكوا ضحكوا معهم، وإذا نالوا من أولياء الله نالوا معهم، فمن ابتلي من المؤمنين بهم فإذا خاضوا في ذلك فليقم ولا يكن شرك شيطان ولا جليسه؛ فإن غضب الله لا يقوم له شيء ولعنته لا يردّها شيء - ثم قال عليه السلام - فإن لم يستطع فلينكر بقلبه وليقم ولو حلب شاة أو فواق ناقة»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا ابتليت بأهل النصب ومجالستهم فكن كأنك على الرضف حتى تقوم، فإن الله يمقتهم ويلعنهم، فإذا رأيتهم يخوضون في ذكر إمام من الأئمة فقم فإن سخط الله ينزل هناك عليهم»^(٤).

وعن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: «من جالس لنا عائباً، أو مدح لنا قالياً، أو واصل لنا قاطعاً، أو قطع لنا واصلاً، أو والى لنا عدواً، أو عادى لنا ولياً، فقد كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم»^(٥).

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦٢٦ باب الفروض على الجوارح ح ٣٢١٥.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٧٨ باب مجالسة أهل المعاصي ح ١٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٢٦٣ ب ٣٨ ح ٢١٥٢٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢١٩ ب ١٤ ح ٥٠.

(٥) الأمالي للصدوق: ص ٥٦ المجلس ١٣ ح ٧.

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس في مجلس يُسبّ فيه إمام أو يُغتاب فيه مسلم، إن الله عزوجل يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾»^(١)»^(٢).

عدم قطع الكلام

مسألة: قد يكون من الراجح عدم قطع الكلام حتى إذا كان المتكلم على باطل، بل يؤخر الجواب إلى ما بعد إتمام كلامه فيرد عليه.

فإن من الآداب الرفيعة أن لا يقطع الإنسان كلام غيره، إلا إذا كانت هناك جهة ترجح القطع، حيث توجب عدم الاستماع، وقطع الكلام، وحينئذ يكون استثناءً، وإلا فالأصل هو ما ذكرناه.

عن الحلبي رفعه قال: قال رسول الله ﷺ: «نجاة المؤمن حفظ لسانه»^(٣). وعن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «كان أبو ذر رحمه الله يقول: يا مبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك»^(٤).

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أوصني؟ فقال: «احفظ

(١) سورة الأنعام: ٦٨.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٣١٥ ب ٣٦ ح ١٤١٨٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٩٠ ب ١١٩ ح ١٦٠٥١.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١١٤ باب الصمت وحفظ اللسان ح ١٠.

لسانك». قال: يا رسول الله، أوصني؟ قال: «احفظ لسانك». قال: يا رسول الله، أوصني؟ قال: «احفظ لسانك، ويحك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم»^(١).

وعن عثمان بن عيسى قال: حضرت أبا الحسن (صلوات الله عليه) وقال له رجل: أوصني؟ فقال: «احفظ لسانك تعز، ولا تمكن الناس من قيادك فتذل رقبتك»^(٢).

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: «لا يزال الرجل المؤمن يكتب محسناً ما دام ساكناً، فإذا تكلم كتب محسناً أو مسيئاً»^(٣).

ثم إن هذه الكلمات والاعترافات تكشف - مضافاً إلى القرائن الأخرى - عن مسلمية مضامينها عند عامة المسلمين، مثل: (آثره على كل حميم، ساعده في كل أمر جسيم، على الخير أدلتنا، إلى الجنة مسالكنا)، حيث القرائن المقامية ويضاف عليها سائر الأدلة، فهي تدل على مطابقة مضمونها للواقع واعتراف الخصم بها ثم العناد في تركها ومخالفتها.

إشكالات على الاستدلال بقوله: إنا معاشر الأنبياء

ثم إنه يرد على استدلال ابن أبي قحافة بما نسبته إلى الرسول ﷺ من قوله: (نحن معاشر الأنبياء...) أمور:

منها: إن قرائن الجعل تحف به، فإنهم كانوا في مقام غضب فذك وكان

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٩١ ب ١١٩ ح ١٦٠٥٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٢٩٦ ب ٧٨ ح ٦٨.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ١٦ ب ١٠٠ ح ١٠٠٧٥.

خصمهم الصديقة الزهراء عليها السلام فاختلقوا حديثاً للتمويه على الناس ، مضافاً إلى أن ذيلها واضح الجعل لجهات منها البون الأدبي الشاسع بينه وبين ما قبله .

ومنها: إن ابن أبي قحافة كان هو المدعي وهو الشاهد وهو القاضي ، فهو الذي ادعى سماع الحديث وهو الشاهد على السماع ، وهو القاضي وفق الحديث في موضوع غصب فذك .

ومنها: إن (لا نورث) على فرض الصدور ، هو بمعنى أنه ليس من شأننا أن نورث ، لا فعلية عدم التوريث ، كما لو قال التاجر: (إننا معاشر التجار لاندرس الفقه) فإن معناه ليس من شأننا تدريس الفقه ولا يعني عدم تدريس أحدهم للفقه أبداً .

ومنها: ما ذكرته الصديقة الطاهرة عليها السلام من معارضة هذا الحديث بهذا المعنى لصريح الكتاب العزيز .

ومنها: عدم استقامة معنى الحديث ، إذ الكتاب والحكمة والنبوة والعلم ليس مما يورث ، إذ لا يمكن انتقال العلم والنبوة بالإرث بل لم يدع أحد ذلك .

ومنها: إنه على فرض صحة الحديث وذيله ، فإن (ولي الأمر) ، (وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا) هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بدليل الآيات وصريح الروايات .

ومنها: غير ذلك^(١) .

(١) مثل: إن ما ذكره في الحديث هو الذهب والفضة والدار والعقار ، والذي طالبت به الزهراء عليها السلام لم يكن أياً منها ، بل كان مزرعة وبساتين ، والعقار بمعنى العرصة غير المبنية في مقابل الدار ، فتأمل .
ومنها: إن فذك لم تكن إرثاً بل كانت نخلة .

هل هذا إقرار؟

هل كلامه هذا: (حكمك نافذ فيما ملكت يداي) يعد اعترافاً من أبي بكر بولايتها عليها السلام التشريعية عليه أو على ممتلكاته، أو ليس إلا تفويضاً - بزعمه - منطلقاً من مكره وخداعه؟. وكذلك قوله قبل ذلك: (وهذه حالي ومالي هي لك وبين يديك) - إذ ظاهر اللام الملكية وظاهر القرائن الحالية التفويض المكري - احتمالان.

وقفه

قوله: (وقد جعلنا ما حاولته) يرد عليه أنه «لا يُطاع الله من حيث يعصى» كما ورد في الحديث الشريف^(١)، و﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ كما في الآية الكريمة^(٢)، فكيف يجعل ما قام بغصبه في الكراع والسلاح.

ثم إن تعبيره بـ (حاولته) يشعر بالتعريض بها عليها السلام بأنها تطلبه لأمر شخصي، وأهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) هم الذين آثروا على أنفسهم غيرهم ولو كان على ما بهم من خصاصة، قال تعالى: ﴿يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٣).

► ومنها: إن مجرد معارضتها عليها السلام لأبي بكر ورفضها الحديث دليل على بطلانه، إذ أنها عليها السلام من العترة الطاهرة وقد أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً، دون ابن أبي قحافة وأضرابه، ومن الواضح أن الكذب ودعوى ما ليس للإنسان رجس، والصديقة الطاهرة عليها السلام بعيدة كل البعد عنه إلى غير ذلك.

(١) راجع جواهر الكلام: ج ٢٢ ص ٤٦ حرمة التكسب بالغناء.

(٢) سورة المائدة: ٢٧.

(٣) سورة الإنسان: ٨.

وقال عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

مضافاً إلى عصمتهم عليهم السلام وطهارتهم من كل رجس حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢).

قال أمير المؤمنين في حديث المناشدة: «نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله ﷺ يوم بدر بيده ورفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطه ويقول: ألا إن هذا ابن عمي ووزير فوازره وناصره وصدقوه فإنه وليكم، غيري؟». قالوا: لا. قال: «نشدتكم بالله هل فيكم أحد أنزلت فيه هذه الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣) غيري؟». قالوا: لا^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٥)، قال: «بيننا علي عليه السلام عند فاطمة عليها السلام إذ قالت له: يا علي، اذهب إلى أبي فابغنا منه شيئاً. فقال: نعم.

فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه ديناراً، وقال له: يا علي، اذهب فابتع به لأهلك طعاماً. فخرج من عنده فلقية المقداد بن الأسود (رحمه الله) وقاما ما شاء الله أن يقوما، وذكر له حاجته فأعطاه الدينار وانطلق إلى المسجد فوضع رأسه فنام.

(١) سورة الحشر: ٩.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٣) سورة الحشر: ٩.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣١ ص ٣٤٢-٣٤٣ ب ٢٦ بيان.

(٥) سورة الحشر: ٩.

فانتظره رسول الله ﷺ فلم يأتِ ثم انتظره فلم يأتِ ، فخرج يدور في المسجد فإذا هو بعلي عليه السلام نائم في المسجد ، فحركه رسول الله ﷺ فقعد فقال له : يا علي ، ما صنعت ؟. فقال : يا رسول الله ، خرجت من عندك فلقيني المقداد بن الأسود فذكر لي ما شاء الله أن يذكر فأعطيته الدينار.

فقال رسول الله ﷺ : أما إن جبرائيل قد أنبأني بذلك وقد أنزل الله فيك كتاباً : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(١) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : « كان رسول الله ﷺ جالسا ذات يوم وأصحابه جلوس حوله ، فجاء علي عليه السلام وعليه سمل ثوب منخرق عن بعض جسده ، فجلس قريباً من رسول الله ﷺ فنظر إليه ساعة ، ثم قرأ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٢) ، ثم قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام : أما إنك رأس الذين نزلت فيهم هذه الآية وسيدهم وإمامهم ، ثم قال رسول الله ﷺ : أين حلتك التي كسوتكها يا علي ؟. فقال : يا رسول الله ، إن بعض أصحابك أتاني يشكو عراه وعري أهل بيته ، فرحمته فأثرته بها على نفسي ، وعرفت أن الله سيكسوني خيراً منها. فقال رسول الله ﷺ : صدقت أما إن جبرئيل قد أتاني يحدثني أن الله اتخذ لك مكانها في الجنة حلة خضراء من إستبرق ، وصنفتها من ياقوت وزبرجد ، فنعم الجواز جواز ربك بسخاوة نفسك ، وصبرك على سملتك هذه المنخرقة ،

(١) سورة الحشر : ٩ .

(٢) تأويل الآيات الظاهرة : ص ٦٥٤ سورة الحشر وما فيها من الآيات في الأئمة الهداة .

(٣) سورة الحشر : ٩ .

فأبشريا علي. فانصرف علي عليه السلام فرحاً مستبشراً بما أخبره به رسول الله ﷺ (١). وفي البحار: (إنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله ﷺ إلى أزواجه، فقلن: ما عندنا إلا الماء. فقال ﷺ: «من لهذا الرجل الليلة؟». فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا يا رسول الله». فأتى فاطمة عليها السلام وسألها: «ما عندك يا بنت رسول الله؟». فقالت: «ما عندنا إلا قوت الصبية لكنا نؤثر ضيفنا به». فقال علي عليه السلام: «يا بنت محمد ﷺ نومي الصبية وأطفئي المصباح». وجعلا يمشغان بألسنتهما، فلما فرغ من الأكل أتت فاطمة بسراج فوجد الجفنة مملوءة من فضل الله، فلما أصبح صلى مع النبي ﷺ، فلما سلم النبي ﷺ من صلاته نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام وبكى بكاء شديداً، وقال: «يا أمير المؤمنين، لقد عجب الرب من فعلكم البارحة اقرأ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي جماعة ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢) (٣).

مناقشة الإجماع المزعوم

قول ابن أبي قحافة: (وذلك بإجماع...) محاولة مأكرة منه لتأليب المسلمين ضد ما قالته الصديقة الطاهرة عليها السلام، ولإيقاع المواجهة بينها عليها السلام وبين المسلمين. ويرد على ادعائه الإجماع النقاش صغرى وكبرى. أما صغرى فإن الإجماع لم يتحقق أبداً لوجوه:

(١) بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٦٠ - ٦١ ب ٣٦ ح ٤.

(٢) سورة الحشر: ٩.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٢٨ ب ١٠٢ ضمن ح ١.

الأول: إن مسلمي المدينة كانوا الأقلية بالقياس إلى مسلمي سائر البلاد الإسلامية^(١). الثاني: إن مسلمي المدينة لم يشهدوا بأجمعهم تلك القضية.

الثالث: إن من شهد منهم القضية انقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم معارض وهم أهل بيت رسول الله ﷺ وسلمان وعمار ومقداد وأبو ذر وغيرهم من خيار أصحاب رسول الله ﷺ، وقسم ساكت خوفاً أو طمعاً، وقسم مؤيد، فقد ظهر أن من وافق أبا بكر على دعواه حول فذك كانوا الأقلية من الأقلية.

وأما كبرى: فإن هذا الإجماع على فرض تحققه ليس بحجة، إذ هو معارض لصريح الكتاب، وهذا ما أشارت إليه الصديقة الطاهرة عليها السلام فيما سيأتي من كلامها، ومن الواضح أن حجية الإجماع باعتباره كاشفاً عن الكتاب والسنة فلو عارضهما بالصراحة كان ساقطاً عن الاعتبار بالبدهة.

حكمه على نفسه

لقد حكم ابن أبي قحافة على نفسه بنفسه، وأقر بجعل هذا الحديث وبطلان موقفه قبل إجابتها وبعد الإجابة أيضاً، إذ قد أقر بصدقها عليها السلام بقوله: (وأنت يا خيرة النساء، صادقة في قولك...)، ثم بعد إجابتها عليها السلام صرح بصدقها حيث قال: (صدق الله وصدق رسوله وصدقت ابنته، أنت... عين الحجة، لا أبعد صوابك ولا أنكر خطابك)، وهي عليها السلام قد صرحت عليها السلام بعدم صحة رواية (إنا معاشر الأنبياء... بذيلها).

ولا يستطيع مدافع عنه أن يقول: إنه كان في هذه التصريحات كاذباً، ولو دافع بذلك لكان هروباً من المطر إلى الميزاب كما لا يخفى.

(١) كاليمن ومكة والحبشة وغيرها.

فقلت ﷺ: سبحان الله ما كان أبي رسول الله ﷺ عن كتاب الله صادقاً، ولا لأحكامه مخالفاً!

تسبيح الله

مسألة: يستحب - وقد يجب - تسبيح الله تعالى، كل في مورده، ومن موارد الوجوب: التسبيحات الواجبة في الصلاة كما في أذكار الركوع والسجود، والركعات الأخيرة من الثلاثية والرابعة على نحو الوجوب التعيني أو التخيري.

و(سبحان الله) بمعنى: أسبح الله تسبيحاً، والتسبيح هو التنزيه والتبرئة من النقائص والعيوب، وربما يقال: بأن (سبحان الله) إشارة إلى الصفات السلبية، و(الحمد لله) إشارة إلى الصفات الثبوتية. وكثيراً ما يستعمل (سبحان الله) في مقام الذكر تعجباً، وهو المراد به في الخطبة الشريفة.

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١).

وعن هشام الجواليقي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾^(٢) ما يعنى به؟ قال: «تنزيهه»^(٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن رسول الله ﷺ مر برجل يغرس غرساً في

(١) سورة القصص: ٦٨.

(٢) سورة يوسف: ١٠٨، سورة المؤمنون: ٩١، سورة النمل: ٨، سورة القصص: ٦٨، سورة الصافات: ١٥٩، سورة الطور: ٤٣، سورة الحشر: ٢٣.

(٣) الكافي: ج ١ ص ١١٨ باب معاني الأسماء واشتقاقها ح ١١.

حائط له فوقف عليه ، فقال له : ألا أدلك على غرس أثبت أصلاً وأسرع إتياءً وأطيب ثمراً وأبقى؟ قال : بلى فداك أبي وأمي يا رسول الله . فقال : إذا أصبحت وأمست فقل : "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر" ، فإن لك بذلك إن قلته بكل تسبيحة عشر شجرات في الجنة من أنواع الفاكهة ، وهن من الباقيات الصالحات . قال : - فقال الرجل : أشهدك يا رسول الله أن حائطي هذه صدقة مقبوضة على فقراء المسلمين من أهل الصدقة . فأنزل الله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾^(١) .^(٢)

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : «ما من عبد يقول إذا أصبح قبل طلوع الشمس : (اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَثِيرًا، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ)، إلا ابتدرهن ملك وجعلهن في جوف جناحه وصعد بهن إلى السماء الدنيا فتقول الملائكة : ما معك؟ فيقول : معي كلمات قالهن رجل من المؤمنين وهي كذا وكذا . فيقولون : رحم الله من قال هؤلاء الكلمات وغفر له . قال : - وكلّما مر بسماء قال لأهلها مثل ذلك . فيقولون : رحم الله من قال هؤلاء الكلمات وغفر له ، حتى ينتهي بهن إلى حملة العرش فيقول لهم : إن معي كلمات تكلم بهن رجل من المؤمنين وهي كذا وكذا . فيقولون : رحم الله هذا العبد وغفر له ، انطلق بهن إلى حفظة كنوز مقالة المؤمنين ، فإن هؤلاء كلمات الكنوز حتى تكتبهن في ديوان الكنوز»^(٣) .

(١) سورة الليل : ٥ - ٧ .

(٢) روضة الواعظين : ج ٢ ص ٣٧٠ مجلس في ذكر الحث على اصطناع المعروف .

(٣) الكافي : ج ٢ ص ٥٢٦ - ٥٢٧ باب القول عند الإصباح والإمساء ح ١٤ .

التصدي لأكاذيب الظالم

مسألة: يجب التصدي لأكاذيب الظالم وشبهاته التي يلقيها على الناس بالإجابة، ويلزم الانتقال من صرف التكذيب إلى الاستدلال فيما إذا لم يكف مجرد الرد. كما صنعت الصديقة الطاهرة عليها السلام، وينبغي الإعداد المسبق للإجابة المقنعة لمن لم يكن حاضر البديهة، أما المعصوم عليه السلام فعلمه لدني كما هو واضح. والوجوب فيما إذا كان عدم الجواب الإجمالي أو التفصيلي سبباً لوقوع الناس في اللبس والاشتباه، أو كان الجواب تصدياً للبدعة، أو شبه ذلك.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، كما ينفي الكير خبث الحديد»^(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «صعد رسول الله ﷺ المنبر فتغيرت وجنتاه والتمع لونه، ثم أقبل بوجهه فقال ﷺ: يا معشر المسلمين، إني إنما بعثت أنا والساعة كهاتين. قال عليه السلام: ثم ضم ﷺ السباحتين. ثم قال: يا معشر المسلمين، إن أفضل الهدى هدي محمد ﷺ، وخير الحديث كتاب الله، وشر الأمور محدثاتها، إلا وكل بدعة ضلالة، ألا وكل ضلالة ففي النار»^(٣).

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٧٨ ب ٨ ح ٣٣٢٤٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٩٢-٩٣ ب ١٤ ح ٢٢.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٣٢٤ ب ٣٨ ح ١٤٢٠٧.

وعن سلمان الفارسي (رضوان الله عليه) قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال :
«معاشر الناس ، إني راحل عنكم عن قريب ، ومنطلق إلى المغيب ، أوصيكم في
عترتي خيراً ، وإياكم والبدع فإن كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة وأهلها في
النار»^(١).

وعن الرضا عليه السلام أنه قال : «من ذكر عنده الصوفية ولم ينكرهم بلسانه
وقلبه فليس منا ، ومن أنكرهم فكأنما جاهد الكفار بين يدي رسول الله ﷺ»^(٢).
وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : «من رد على صاحب بدعة بدعته فهو في
سبيل الله تعالى»^(٣).

دفع التهمة

مسألة: يجب دفع التهمة عن المؤمن ، ويتأكد وجوب الدفع في التهم
والافتراءات إذا كانت موجهة للرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام
ومنها المفتریات من الأحاديث.

والتأكد لكلتا الجهتين الذاتية والطريقة ، لأن^(٤) فعلهم وقولهم وتقريرهم
ﷺ حجة ، فإذا لم يدفع عنهم افتراء المفترين ولم يبين تلك الروايات المخترعة
صارت تلك المفتریات من الدين ، وذلك بدعة محرمة يجب ردعها.

(١) بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٨٩ ب ٤١ ح ١١١.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٣٢٣ ب ٣٧ ح ١٤٢٠٤.

(٣) الجعفریات: ص ١٧٢ باب المكر والخيانة والخديعة.

(٤) الظاهر أن هذا تعليل للطريقة.

قال رسول الله ﷺ: «لا تكذبوا علي؛ فإنه من كذب علي متعمداً يلج النار»^(١).

وقال أبو الحسن موسى عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، ملعون ملعون من اتهم أخاه، ملعون ملعون من غش أخاه، ملعون ملعون من لم ينصح أخاه، ملعون ملعون من احتجب عن أخيه، ملعون ملعون من اغتاب أخاه»^(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من اتهم أخاه في دينه فلا حرمة بينهما»^(٣).
وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث: «أحب الخلق إلى الله أطوعهم لله، وأبغض الخلق إلى الله من اتهم الله»^(٤).

ومن الواضح أن الافتراء على الرسول ﷺ افتراء على الله، لأنه ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

قال تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾^(٥).
وقال سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٦). وقال تعالى: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۖ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾^(٧).

(١) كشف الغمة: ج ١ ص ٢٨٦ في ذكر رسوخ الإيمان في قلبه عليه السلام.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٣١ ب ١٣٠ ح ١٦١٦٥.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٦١ باب التهمة وسوء الظن ح ٢.

(٤) راجع مكارم الأخلاق: ص ٣٢٠ ب ١٠ ف ٤ في الاستخارة.

(٥) سورة النساء: ٥٠.

(٦) سورة المائدة: ١٠٣.

(٧) سورة يونس: ٦٨ - ٦٩.

وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾^(١)، «هم هؤلاء الثلاثة»^(٢).

الدفاع عن المؤمن

مسألة: يجب الدفاع عن المؤمن، والدفاع أعم من الدفاع عن نفسه أو ماله أو عرضه، والعرض أعم من أمثال القول عليه.

وما سبق من كلام الصديقة الطاهرة عليها السلام يعد من مصاديقه حيث الدفاع عن رسول الله ﷺ من افتراء المفتريين كما لا يخفى، ودفاعها عليها السلام هاهنا كان عن العرض بالمعنى الأعم، وعن المال أيضاً، وقبلهما عن: الشريعة وأحكام الله عزوجل، وعن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام التي بها كمل الدين وتمت النعمة ورضي الله الإسلام لنا ديناً، حيث قال عزوجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾^(٣).

ثم إن الذب عن حريم رسول الله ﷺ هو ذب عن حريم الله عزوجل. قال النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه في علي عليه السلام: «يا أبا ذر، هذا الإمام الأزهر، ورمح الله الأطول، وباب الله الأكبر، فمن أراد الله فليدخل الباب. يا أبا ذر، هذا القائم بقسط الله، والذاب عن حريم الله، والناصر لدين الله، وحجة الله على خلقه»^(٤).

(١) سورة النساء: ٥٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩ ص ١٩٣ ب ١ ح ٣٧.

(٣) سورة المائدة: ٣.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٨٣١ سورة الإخلاص.

أنواع الكذب

مسألة: الكذب حرام، والكذب على المؤمن أشد حرمة، وعلى الرسول ﷺ وآله الأطهار ﷺ أشد وأشد، هذا في الشؤون العادية فكيف بالأحكام الشرعية، وكيف بأصل من أصول الدين وهي الخلافة والإمامة.

وقد كذب خصمها ﷺ على رسول الله ﷺ في مسألة شرعية خطيرة، وهي الإرث، كما كذب - ضمناً - على كل الأنبياء ﷺ بدعواه عدم توريتهم. ثم إن الكذب قد يسمعه شخص فينخدع به، وقد يسمعه الألوف فينخدعون، والعقوبة على الأخير أشد بعدد من ضل منذ ذلك الزمن وإلى يوم القيامة. حيث قال ﷺ: «من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»^(١).

وقال ﷺ: «يا بن مسعود إياك أن تسن سنة بدعة، فإن العبد إذا سن سنة سيئة لحقه وزرها ووزر من عمل بها»^(٢).

وقال أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه) وهو في الرحبة جالس: «انتدبوا»، وهو على المسير من السواد، فانتدبوا نحو من مائة، فقال: «ورب السماء ورب الأرض لقد حدثني خليلي رسول الله ﷺ أن الأمة ستغدر بي من بعده عهداً معهوداً وقضاءً مقضياً، وقد خاب من افترى»^(٣).

(١) الفصول المختارة: ص ١٣٦.

(٢) مكارم الأخلاق: ص ٤٥٤ ب ١٢ ف ٤.

(٣) الأمالي للطوسي: ص ٤٧٦ المجلس ١٧ ح ١٠٣٩.

وقال رسول الله ﷺ: «يا علي، من كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار»^(١). وقال عليه السلام: «من كذب علي متعمداً، أو رد شيئاً أمرت به، فليتبوأ بيتاً في جهنم»^(٢).

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «يا أخا أهل الشام اسمع حديثنا ولا تكذب علينا، فإنه من كذب علينا في شيء فقد كذب على رسول الله ﷺ، ومن كذب على رسول الله ﷺ فقد كذب على الله، ومن كذب على الله عذبه الله عز وجل»^(٣).

وفي (تفسير القمي): «﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ»^(٤) يعني: أمير المؤمنين عليه السلام ومن غصبه حقه، ثم ذكر أيضاً أعداء آل محمد ومن كذب على الله وعلى رسوله وادعى ما لم يكن له فقال: «﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾»^(٥) يعني: بما جاء به رسول الله ﷺ من الحق وولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ثم ذكر رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام فقال: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾» يعني: أمير المؤمنين عليه السلام «﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾»^(٦)»^(٧).

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٤٩ ب ١٣٩ ح ١٦٢٢٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٢١٢ ب ٢٦ ح ١١٥.

(٣) الكافي: ج ٤ ص ١٨٧ باب بدء البيت والطواف ح ١.

(٤) سورة الزمر: ٣٠ - ٣١.

(٥) سورة الزمر: ٣٢.

(٦) سورة الزمر: ٣٣.

(٧) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٤٩ ما ذا يعطي الله وليه في الجنان.

أقسام التهمة

مسألة: التهمة تنقسم إلى بسيطة ومركبة. والإثم في المركبة مركب.
وقد كانت التهمة المنسوبة للرسول ﷺ مركبة^(١) فكان الإثم والعقوبة فيها كذلك.

قولها ﷺ: «عن كتاب الله صادقاً، ولا لأحكامه مخالفأ». الفرق بين الصدف عن كتاب الله وبين مخالفة أحكامه، أن الأول لا يعمل بكتاب الله بينما الثاني يعمل بخلاف ما أمر الله به، فالأول - مثلاً - : لا يصلي، والثاني : يصلي بلا وضوء أو باتجاه الصنم.

والأول مثلاً : كمن لا يلتزم ولا يعمل بمقتضى الأخوة الإسلامية، والثاني : كمن يبرمج ويخطط للقضاء عليها. ومصادق كلا الأمرين دعواه ونسبته تلك الرواية للرسول ﷺ فإن (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) مصادق للأول^(٢)، و(ما كان لنا من طعمة فلولي الأمر...) مصادق للثاني.

هذا وقد يراد بالمخالفة الأعم من الصدف عن الشيء^(٤)، وقد يراد بالصادف الأعم^(٥).

(١) وهي الرواية المنسوبة إليه ﷺ.

(٢) توضيحه : إنه لو نسب إلى الرسول ﷺ كذباً أنه قال : (إن سليمان النبي لا يورث) لكانت تهمة واحدة. أما حينما نسب إلى الرسول ﷺ كذباً قوله : (إنا معاشر الأنبياء) فإنه قد اتهمه ﷺ بعدد الأنبياء كلهم أجمعين، فهي تهمة ظاهرها بسيط وباطنها مركب.

(٣) هذا إذا كان الحديث كله مجعولاً لا الجزء الأخير فقط.

(٤) أي : إن المخالف أعم من التارك ومن الذي يعمل بالضد (أي من السلب والإيجاب).

(٥) أي : الأعم من التارك والمنصرف.

وعلى الأول فالأمر من باب ذكر العام بعد الخاص ، وعلى الثاني فالأمر من قبيل ذكر الخاص بعد العام^(١) ، أو من قبيل عطف البيان^(٢) .
والرسول ﷺ لم يكن صادفاً ولا مخالفاً للكتاب العزيز ، كما هو من أوضح الواضحات .

حرمة الإعراض عن الكتاب

مسألة: الصدق والإعراض عن كتاب الله محرم .
والصدق عن الكتاب ربما يراد به الأعم من عدم العمل بأحكامه الشرعية ، وعدم الاتعاض بمواعظه ، وعدم الاهتداء بهديه ، وعدم مدارسته وقراءته وتلاوته وفهمه وترويجه وما أشبه .
وقد سبق الحديث عن تفصيل ذلك^(٣) .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ما بال أقوام غيروا سنة رسول الله ﷺ وعدلوا عن وصيه ، لا يتخوفون أن ينزل بهم العذاب - ثم تلا هذه الآية - : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۖ جَهَنَّمَ ﴾^(٤) - ثم قال : - نحن النعمة التي أنعم الله بها على عباده ، وبنا يفوز من فاز يوم القيامة^(٥) .

(١) الخاص (لأحكامه مخالفاً) بناء على اختصاصه بالمعارض (أي العامل بالضد) ، والعام قد سبقه وهو (صادف) على الأعم .

(٢) بناء على إرادة الأعم من كليهما ، فالصور إذن أربعة ، أولاها كانت عطف المبائن على المبائن .

(٣) راجع المجلدات السابقة من هذا الكتاب .

(٤) سورة إبراهيم : ٢٨ - ٢٩ .

(٥) الكافي : ج ١ ص ٢١٧ باب أن النعمة التي ذكرها الله عزوجل في كتابه الأئمة عليهم السلام ح ١ .

وفي قول الله عزوجل: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(١) أبالنبي أم بالوصي تكذبان، نزل في الرحمن»^(٢).

وعن أبي يوسف البزاز قال: تلا أبو عبد الله عليه السلام هذه الآية: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾^(٣) وقال: «أتدري ما آلاء الله؟». قلت: لا. قال: «هي أعظم نعم الله على خلقه وهي ولايتنا»^(٤).

وعن عبد الرحمن بن كثير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ الآية^(٥) قال: «عنى بها قريشاً قاطبة الذي عادوا رسول الله ﷺ ونصبوا له الحرب وجحدوا وصية وصيه»^(٦).

قولها عليه السلام: «ما كان أبي...»، رد على ما أجابها أبو بكر بحديث موضوع قائلاً: «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة، ولا داراً ولا عقاراً، وإنما نورث الكتاب والحكمة، والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه». فأجابته الصديقة الطاهرة عليها السلام بقولها: «سبحان الله»، وهذه كلمة تعجب أي: إني أسبح الله وأنزهه عن كل منقصة، ومن النقص أن يكون لله تعالى رسول يصدف عن كتابه

(١) سورة الرحمن: ١٣ و ١٦ و ١٨ و... .

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٥٩ ب ٢٩ ح ٣٧.

(٣) سورة الأعراف: ٦٩ و ٧٤.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة: ص ١٨٣ سورة الأعراف.

(٥) سورة إبراهيم: ٢٨.

(٦) الكافي: ج ١ ص ٢١٧ باب أن النعمة التي ذكرها الله عزوجل في كتابه الأئمة عليهم السلام ح ٤.

ويخالف أحكامه ، ولذا لم تقتصر على «سبحان الله» بل قالت : «ما كان أبي رسول الله...».

قولها عليها السلام : «صادفاً» ، الصادف عن الشيء : المعرض والصاد ، أي : كيف يمكن أن يتحدث أبي عليه السلام بهذا الحديث مع العلم أنه إعراض عن حكم الله سبحانه ، ومخالفة لكتابه الذي نطق بإرث الأولاد من الآباء بشكل عام ، وصرح بذكر مصاديق من إرث أولاد الأنبياء عليهم السلام بشكل خاص أيضاً.

«ولا لأحكامه مخالفاً» ؛ فإن رسول الله عليه السلام لم يكن يخالف أحكام القرآن ، بأن يقول القرآن شيئاً ويقول هو عليه السلام شيئاً آخر ، وحاشاه ذلك.

وبذلك يظهر أن الصادف عن كتاب الله والمخالف لأحكامه هو ابن أبي قحافة ومن اتبعه - لا النبي عليه السلام - فقد انطبق على الأول عنوانان :

١. عنوان الصدف عن كتاب الله والمخالفة في المسألة الفرعية (الإرث).
٢. وعنوان مخالفة الكتاب بشكل عام ، بل وغيرها من العناوين أيضاً^(١).

من صفات القيادة

مسألة: يعلم من كلامها عليها السلام رداً على ابن أبي قحافة ، لزوم أن يتحلى القائد الإسلامي بعدم الصدف عن كتاب الله وعدم مخالفته لأحكام الله ، وكذلك غير القائد أيضاً لكن الوجوب فيه أكد.

عن أبي جعفر عليه السلام قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فقال :

(١) إشارة إلى ما سبق : من الكذب والتزوير والتهمة ...

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا بَدَأُ وَقُوعَ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تَتَّبَعُ، وَأَحْكَامُ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ، يَتَوَلَّى فِيهَا رِجَالٌ رِجَالًا، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ لَمْ يَخَفْ عَلَى ذِي حِجْيٍ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ لَمْ يَكُنْ اخْتِلَافٌ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمَزَّجَانِ فَيَجِيئَانِ مَعًا، فَهُنَالِكَ اسْتَحُوذَ الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَنَجَا الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى»^(١).

وقال أبو الحسن الأول عليه السلام: «يا يونس، لا تكونن مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله ضل، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر»^(٢).

(١) الكافي: ج ١ ص ٥٤ باب البدع والرأي والمقاييس ح ١.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٤٠ ب ٦ ح ٣٣١٥٧.

بل كان عليه السلام يتبع أثره، ويقفو سوره

شمولية إتباع الكتاب

مسألة: الواجب الإتباع الشمولي للكتاب الكريم، كما على الإنسان أن يتبع أثر القرآن وأن يقفو سوره، وذلك لأن القرآن دستور السماء للبشر، ورسول الله عليه السلام أسوة بصريح الكتاب، وكل ما صدر منه عليه السلام يجب أن يقتدى به، وقد صرحت الصديقة الزهراء عليها السلام بأن الرسول عليه السلام كان يتبع أثر القرآن ويقفو سوره، والتاريخ كله دليل على ذلك.

ثم إن إتباعه عليه السلام أثر القرآن شامل: للعقائد والعبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات والأحكام والتاريخ والأخبار الغيبية والمواعظ والعبر والآداب والسنن وشتى العلوم الطبيعية وغيرها.

ولربما يقول البعض إن ذلك بديهي، فنقول:

أولاً: بدهيته نشأت ببركة أمثال هذه الكلمات من بضعته وعترته ونفسه عليه السلام.

ثانياً: أراد البعض أن ينكر حتى البديهيات لكي يستولي على الخلافة، فلم يكن لهم مانع من اتهام رسول الله عليه السلام، كما قالوا في حقه عليه السلام (إنه ليهجر)^(١) والعياذ بالله.

ثالثاً: إن الكثيرين - مع ذلك - لا يتبعون أثر القرآن، والشواهد كثيرة فجاء التأكيد على ضرورة الإتباع.

(١) هذا ما قاله ابن الخطاب في حق رسول الله عليه السلام راجع الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة:

ومنهم^(١): من يقول بالشرعية والطريقة، فإنه بهذا التخريج يترك إتباع الأثر ويفر من قفو السور ويقول بعدد من المنكرات.

ومنهم: من يقول بما قاله بعض الفلاسفة من العقول العشرة، وقدم العالم، والفيض المنبسط، والواحد لا يصدر منه إلا الواحد، ووحدة الوجود، وشبه ذلك مما هو مخالف لإتباع أثر الكتاب وإعراض عن قفو سوره التي تصرح بـ ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢) و ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(٣) و ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾^(٤) إلى غيرها من الآيات الكريمة الصريحة، وتفصيل البحث في علم الكلام^(٥).

ومنهم: من ينكر الشفاعة، والمعاد الجسماني.

ومنهم: من يقول بالتجسيم، وما إلى ذلك من العقائد الفاسدة.

ومنهم: من يقول بأن القرآن أو عدداً من آياته، نزل لزمان خاص أو مكان خاص فلا يكون دستوراً أبدياً.

ولربما تمسك بعض أولئك بأي من الكتاب، إلا أن ذلك لا يخرجهم عن كونه غير متبع لأثر القرآن، غير مقتفٍ لأثره، إذ غاية الأمر تمسكه بمتشابه من الكتاب وهو نابع من قلب مريض أو جهل ذريع، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾^(٦).

(١) أي ممن لا يتبع أثر القرآن ...

(٢) سورة الأنعام: ١٠٢، سورة الرعد: ١٦، سورة الزمر: ٦٢، سورة غافر: ٦٢.

(٣) سورة الأعراف: ٥٤، سورة يونس: ٣، سورة هود: ٧، سورة الحديد: ٤.

(٤) سورة فاطر: ١٥.

(٥) راجع موسوعة (الفقه) للإمام الشيرازي رحمه الله: كتاب العقائد.

(٦) سورة آل عمران: ٧.

ثم إن توهم الإتيان غير الأتيان، وغير المتبع غير متبع وإن قطع بكونه متبعاً، غايته الجهل المركب.

ولعل الفرق بين إتيان الأثر وقفو السور: أن إتيان الأثر معناه إتيان أحكام القرآن والقول بما قال به من الغيبيات والمواعظ والقصص وغير ذلك. أما قفو السور: ففي قبال التقدم على سور القرآن، حيث قال سبحانه: ﴿لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١)، فكما لا يجوز للناس التقدم عليهما، كذلك لا يجوز للرسول صلوات الله عليه التقدم على الله سبحانه وتعالى، ولعل من مصاديق ذلك أو ما يشابهه قوله سبحانه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۖ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۖ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۖ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۖ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۖ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾^(٣).

ديدن الرسول صلوات الله عليه

مسألة: التذكير بهذه الحقيقة وهي أن رسول الله صلوات الله عليه كان ديدنه إتيان أثر الكتاب العزيز وقفو سوره، بشكل كامل وشامل لا ينقص حتى في أبسط الجزئيات والمفردات، من الواجبات في الجملة.

قولها (صلوات الله عليها): «بل كان يتبع أثره»، أي: أثر القرآن، فكلما قاله القرآن يقوله صلوات الله عليه، بالإضافة إلى أنه صلوات الله عليه يشرحه ويوضحه ويبينه.

(١) سورة الحجرات: ١.

(٢) سورة القيامة: ١٦-١٨.

(٣) سورة الحاقة: ٤٤-٤٧.

قولها (سلام الله عليها): «ويقفو سوره»، أي: يتبع سور القرآن، فكلما ذكر في سورة من حكم كان رسول الله ﷺ يتبع تلك السورة في الالتزام بالحكم والعمل بما جاء به القرآن الحكيم في تلك السورة.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خطب النبي ﷺ بمنى فقال: أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله»^(١).

ثم إن رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام هم الذين يعرفون الكتاب وعلومه وأسراره دون غيرهم.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله عز وجل، ولكن لا تبلغه عقول الرجال»^(٢).

وعن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قد ولدني رسول الله ﷺ وأنا أعلم كتاب الله، وفيه بدء الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه خبر السماء، وخبر الأرض، وخبر الجنة، وخبر النار، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، أعلم ذلك كأنما أنظر إلى كفي إن الله يقول: فيه تبيان كل شيء»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم ونحن نعلمه»^(٤).

(١) الكافي: ج ١ ص ٦٩ باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب ح ٥.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ٣٥٧ ب ٣٥ ح ٩.

(٣) بصائر الدرجات: ص ١٩٧-١٩٨ ب ٨ ح ٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ٩٨ ب ٨ ح ٦٧.

وعن سماعة، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قلت له: أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام أو تقولون فيه؟ قال: «بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام»^(١).

وعن عبد الله بن جندب أنه كتب إليه الرضا عليه السلام: «أما بعد فإن محمداً عليه السلام كان أمين الله في خلقه فلما قبض عليه السلام كنا أهل البيت ورثته فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الإسلام، وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق، وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا ويدخلون مدخلنا، ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم، نحن النجباء النجاة، ونحن أفراط الأنبياء ونحن أبناء الأوصياء ونحن المخصوصون في كتاب الله عز وجل، ونحن أولى الناس بكتاب الله، ونحن أولى الناس برسول الله عليه السلام ونحن الذين شرع الله لنا دينه فقال في كتابه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ﴾ يا آل محمد ﴿مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ قد وصانا بما وصى به نوحاً ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ فقد علمنا وبلغنا علم ما علمنا واستودعنا علمهم نحن ورثة أولي العزم من الرسل ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ يا آل محمد ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ وكونوا على جماعة ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ من أشرك بولاية علي ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من ولاية علي إن ﴿اللَّهُ﴾ يا محمد ﴿... يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(٢) من يجيبك إلى ولاية علي عليه السلام»^(٣).

(١) الكافي: ج ١ ص ٣٢ باب الرد إلى الكتاب والسنة ح ١٠.

(٢) سورة الشورى: ١٣.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٢٢٣ باب أن الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم ح ١.

أفتمعون إلى الغدر

حرمة الغدر

مسألة: يحرم الغدر - كما سبق - وحرمة عقلية قبل أن تكون شرعية ؛ لأن الغدر من الظلم القبيح ، وإذا فشا ذلك في المجتمع وغدر كل بالآخر انفصمت عروة المجتمع ، وبدأ بالتآكل والتلف ، وينعدم التآلف والتآخي ، ويظهر الهرج والمرج ، ومن الواضح أن انفصام المجتمع واختلال النظام أصل كل شر .
والغدر: ضد الوفاء ، وما فعله القوم كان غدرًا في حق رسول الله ﷺ وعترته الطاهرة عليهم السلام .

ورد في حديث جنود العقل وجنود الجهل : «والوفاء وضده الغدر»^(١) .
وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «ثلاث هن شين الدين : الفجور ، والغدر ، والخيانة»^(٢) . وقال عليه السلام : «الغدر شيمة اللئام»^(٣) .
وقال عليه السلام : «الغدر يضاعف السيئات»^(٤) .
وعن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ ذات يوم : « يا علي ، علمت أن جبرئيل عليه السلام أخبرني أن أمتي تغدر بك من بعدي ، فويل ثم ويل ثم ويل لهم - ثلاث مرات - . قلت : يا رسول الله ، وما ويل ؟ . قال : واد في جهنم أكثر أهله معادوك والقاتلون لذريتك والناكث لبيعتك ، فطوبى ثم طوبى ثم طوبى

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٢ كتاب العقل والجهل ح ١٤ .

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٦٢ ق ٦ ب ٥ ف ٦ ح ١٠٥٩٧ .

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩١ ق ٣ ب ٣ ف ١ الغدر ح ٦٤٩٨ .

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩١ ق ٣ ب ٣ ف ١ الغدر ح ٦٤٩٩ .

- ثلاث مرات - لمن أحبك ووفى لك. قلت: يا رسول الله، وما طوبى؟ قال: شجرة في دارك في الجنة، ليس دار من دور شيعتك في الجنة إلا وفيها غصن من تلك الشجرة تهدل عليهم بكل ما يشتهون»^(١).

وفي (نهج البلاغة): «إِنَّ الْوَفَاءَ تَوَامُ الصَّدْقِ، وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ، وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عِلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ، وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدْ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْسًا، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ، مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ قَدْ يَرَى الْحَوْلُ الْقُلُوبَ وَجَهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، فَيَدْعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيَجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ»^(٢).

وعن ابن نباتة قال: أتى ابن ملجم أمير المؤمنين عليه السلام فبايعه فيمن بايع ثم أدبر عنه، فدعاه أمير المؤمنين عليه السلام فتوثق منه وتوكد عليه أن لا يغدر ولا ينكث ففعل، ثم أدبر عنه فدعاه أمير المؤمنين عليه السلام الثانية فتوثق منه وتوكد عليه أن لا يغدر ولا ينكث ففعل، ثم أدبر عنه فدعاه أمير المؤمنين عليه السلام الثالثة فتوثق منه وتوكد عليه ألا يغدر ولا ينكث. فقال ابن ملجم: والله يا أمير المؤمنين ما رأيتك فعلت هذا بأحد غيري؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

امض يا ابن ملجم فوالله ما أرى أن تفي بما قلت»^(٣).

(١) تفسير فرات الكوفي: ص ٢١٥ ومن سورة الرعد ح ٢١٥-٢٨٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ٤١ ومن خطبة له عليه السلام وفيها ينهى عن الغدر ويحذر منه.

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد: ج ١ ص ١٢ فصل فمن الأخبار التي جاءت بذكره عليه السلام الحادث قبل كونه وعلمه به قبل حدوثه.

الاجتماع المحرم

مسألة: يحرم الاجتماع على الغدر، وخاصة في الغدر على النبي والوصي والعترة الطاهرة عليهم السلام.

وفي الحديث: «إن الشياطين اجتمعوا إلى إبليس، فقالوا له: ألم تكن أخبرتنا أن محمداً إذا مضى نكثت أمته عهده ونقضت سنته، وأن الكتاب الذي جاء به يشهد بذلك، وهو قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(١)، فكيف يتم هذا وقد نصب لأمرته علماً وأقام لهم إماماً؟.

فقال لهم إبليس: لا تجزعوا من هذا، فإن أمته ينقضون عهده ويغدرون بوصيه من بعده، ويظلمون أهل بيته، ويهملون ذلك لغلبة حب الدنيا على قلوبهم، وتمكن الحمية والضغائن في نفوسهم، واستكبارهم وعزهم، فأنزل الله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ في وصيته لأمر المؤمنين عليهم السلام: «يا علي، إن قريشاً ستظاهر عليك وتجتمع كلمتهم على ظلمك وقهرك، فإن وجدت أعواناً فجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فكف يدك واحقن دمك، فإن الشهادة من ورائك، لعن الله قاتلك»^(٤).

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٢) سورة سبأ: ٢٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٦ ص ٨٣-٨٤ ب ٣٠ ح ٢٩، والبحار: ج ٩٠ ص ٥٩-٦٠ ب ١٢٨.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٧٤ ب ٢٨ ح ١٢٤٦١.

اعتلالاً عليه بالزور

التستر على الغدر بالزور

مسألة: يحرم التستر على الغدر بالزور، والذي يعني ذلك^(١) الكذب والدجل، وبعبارة أخرى: يحرم جمع الغدر مع الزور فإنهما معصيتان، فإذا اجتمعتا كانت الحرمة أشد، فإن التستر والجمع يزيد المحرمين حرمة^(٢)، فتأمل.

قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «شاهد الزور لا تزول قدماء حتى تجب له النار»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينقضي كلام شاهد الزور من بين يدي الحاكم حتى يتبوا مقعده من النار، وكذلك من كتم الشهادة»^(٥).

وفي رسالة خرجت من أبي عبد الله عليه السلام إلى أصحابه: «فاتقوا الله وكفوا ألسنتكم إلا من خير، وإياكم أن تذلقوا ألسنتكم بقول الزور والبهتان والإثم والعدوان، فإنكم إن كففت ألسنتكم عما يكرهه الله مما نهاكم عنه كان خيراً لكم عند ربكم من أن تذلقوا ألسنتكم به، فإن ذلق اللسان فيما يكرهه الله وفيما ينهى

(١) أي هذا التستر هو الخداع.

(٢) أي لو فرض أن الغدر كانت حرمة مغلظة بمقدار عشر درجات وكذلك الزور، فإن التستر على الغدر بالزور يزيد غلظة حرمة كل منها إلى ١٢ درجة مثلاً.

(٣) سورة الحج: ٣٠.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٣٢٤ ب ٩ ح ٣٣٨٤٦.

(٥) الكافي: ج ٧ ص ٣٨٣ باب من شهد بالزور ح ٣.

عنه مرداة للعبد عند الله، ومقت من الله وصمم وبكم وعمى يورثه الله إياه يوم القيامة، فتصيروا كما قال الله: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١) يعني: لا ينطقون ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾^(٢) وإياكم وما نهاكم الله عنه أن تركبوه وعليكم بالصمت إلا فيما ينفعكم الله به من أمر آخرتكم ويأجركم عليه^(٣).

سياسة الطغاة

مسألة: يمكن أن يستنبط من كلام الصديقة فاطمة عليها السلام هاهنا قاعدة شبه مطردة تكشف عن منهجية الطغاة والمنحرفين، وهي أنهم لا يقتصرون على الغدر والخيانة، بل لا بد وأن ينساقوا نحو جريمة أخرى هي الزور والدجل، فالغدر والزور متلازمان عادة، وكل طاغية أو غادر يحاول التستر على جريمته بذلك وإضفاء الشرعية الكاذبة عليها.

روى نصر عن عمر بن سعد بإسناده، قال: قال معاوية لعمر: يا أبا عبد الله، إني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى الله! وشق عصا المسلمين، وقتل الخليفة، وأظهر الفتنة، وفرق الجماعة، وقطع الرحم!. فقال عمرو: من هو؟ قال: علي. قال: والله يا معاوية، ما أنت وعلي بحملي بعير، ليس لك هجرته ولا سابقته، ولا صحبته ولا جهاده، ولا فقهه ولا علمه، والله إن له مع ذلك لحظاً في الحرب ليس لأحد غيره، ولكنني قد تعودت من الله تعالى إحساناً وبلاءً جميلاً، فما تجعل لي إن شايعتك على حربيه وأنت تعلم ما فيه من

(١) سورة البقرة: ١٧١.

(٢) سورة المرسلات: ٣٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٢١١-٢١٢ ب ٢٣ ح ٩٣.

الغرر والخطر؟. قال : حكمك. فقال : مصر طعمة»^(١).

وفي حديث قال معاوية لعمر بن عاص : يا أبا عبد الله ، إنني أكره أن يتحدث العرب عنك أنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا. قال : دعني عنك. قال معاوية : إنني لو شئت أن أمنيك وأخذعك لفعلت. قال عمرو : لالعمر الله ما مثلي يخدع لأنا أكيس من ذلك. قال له معاوية : ادن مني برأسك أسارك. قال : فدنا منه عمرو يساره فعض معاوية أذنه ، وقال : هذه خدعة»^(٢).

حرمة الزور

مسألة: يحرم الزور بشكل عام ، وخاصة على رسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام ، أي أن حرمة تشدد وتتأكد ، والعقوبة تتضاعف وتتغلظ.

والزور: هو الكذب والباطل ، وهاهنا بمعنى أن ينسب إليهم ما لم يقولوه ، وقد ادعى غاصبو فداء أن الرسول ﷺ قال : (نحن معاشر الأنبياء لانورث وما تركناه صدقة) ، وهذه النسبة إلى الرسول ﷺ غدر وزور.

قولها عليها السلام : «أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور» ، يمكن أن تقرأ (أَفَتَجْمَعُونَ...) من الثلاثي المجرد ، والمعنى هل تضمون إلى سيئة الغدر سيئة الزور وتجمعونهما؟. حيث جمعوا بين (الغدر) وبين (الاعتلال عليه بالزور والكذب) فيكون (اعتلالاً) مفعولاً لـ (تجمعون).

(١) شرح نهج البلاغة : ج ٢ ص ٦٤-٦٥ قدوم عمرو بن العاص على معاوية.

(٢) وقعة صفين : ص ٣٨ حديث عمرو مع معاوية.

وهذا بعد وفاته ﷺ شبيه بما بُغي له من الغوائل في حياته

ويمكن أن تقرأ (أَفْتَجْمَعُونَ) من باب الإفعال، من أجمع القوم على الشيء، أي اتفقوا عليه وعزموا، والمعنى هل تتفقون وتعزمون على الغدر وتعتلون وتستدلون عليه بقول الزور؟ ف (اعتلالاً) على هذا (حال). وربما يقوى الأول لمكان (إلى) ^(١)، فتأمل.

وهذا بعد وفاته ﷺ شبيه بما بُغي له من الغوائل في حياته

هل أصحاب النبي ﷺ كلهم كالنجوم؟

مسألة: يستفاد من كلام الصديقة الطاهرة عليها السلام:

أولاً: إن الغدر برسول الله ﷺ جرى في زمن حياة الرسول الأعظم ﷺ وقد استمر إلى ما بعد وفاته، وأن هناك من كان يبغي للنبي ﷺ الغوائل في حياته.

وثانياً: إن التزوير على رسول الله ﷺ جرى في حياته، وبعد مماته أيضاً، ولذلك قال الرسول ﷺ: «كثرت عليّ الكذابة» ^(٢).

ومن كلامها عليها السلام هذا - والأدلة على ذلك كثيرة - يعرف أن ما يذهب إليه جمع من أبناء العامة من تنزيه الصحابة بأجمعهم خطأ وباطل، فهل من يغدر برسول الله ﷺ نزيه؟ وهل يعقل أن يقول الرسول ﷺ: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)؟.

(١) إذ يقال: (أجمع القوم على كذا) لا إلى كذا، وفي كلام الصديقة الكبرى عليها السلام (أفجمعون إلى ..).

(٢) الكافي: ج ١ ص ٦٢ باب اختلاف الحديث ح ١.

قال ابن عباس: وضع رسول الله ﷺ يده على صدره فقال: «أنا المنذر»، وأوماً إلى منكب علي عليه السلام وقال: «أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون بعدي»^(١).

وقال العلامة المجلسي رحمته الله: وبهذه الأخبار يظهر أن حديث: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" من مفترياتهم، كما اعترف بكونه موضوعاً شارح الشفاء وضعّف رواته، وكذا ابن حزم والحافظ زين الدين العراقي، وسيأتي القول في ذلك إن شاء الله تعالى^(٢).

وفي (دعائم الإسلام): إنما قال رسول الله ﷺ: «الأئمة من أهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، ولو كان كما قالت العامة: "أصحابي" - وهم كل من رآه و صحبه كما زعموا - لكان هذا القول يبيح قتلهم أجمعين؛ لأنهم قد تجاوزوا بعده واختلفوا وقتل بعضهم بعضاً، ولو أن مقتدياً اقتدى بواحد منهم لحل له قتل الطائفة التي قاتلها علي عليه السلام على قولهم، ثم يبدو له فيقتدي بآخر من الطائفة الأخرى فيحل له قتل الطائفة الأولى والطائفة التي هو فيها، ولن يأمر الله عز وجل ولا رسوله ﷺ بالإقتداء بقوم مختلفين لا يعلم المأمور بالإقتداء بهم من يقتدي به منهم، وهذا قول بين الفساد ظاهر فساد يغني عن الاحتجاج على قائله^(٣).

وفي (الصوارم المهرقة) - بعد الإشارة إلى ما رووه من "أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم" - قال: وفيه بحث سنداً وممتناً:

(١) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٤٠٦ ب ٢٠ ضمن ح ٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٤٠٦ ب ٢٠.

(٣) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٨٦-٨٧ ذكر من يجب أن يؤخذ عنه العلم.

أما أولاً: فلما قال بعض الفضلاء من أولاد الشافعي في شرح كتاب (الشفاء) للقاضي عياض المالكي: إن حديث "أصحابي كالنجوم" أخرجه الدارقطني في (الفضائل)، وابن عبد في (العلم) من طريقه من حديث جابر، وقال: هذا إسناد لا يقوم به حجة؛ لأن في طريقه الحارث بن غصين وهو مجهول. ورواه عبد بن حميد في (مسنده) من رواية عبد الرحيم بن زيد، عن أبيه، عن المسيب، عن عمر، قال البزار: منكر لا يصح. ورواه ابن مهدي في (الكامل) من رواية حمزة بن أبي حمزة النصيبي، عن نافع، عن عمر، بلفظ: "بأيهم أخذتم" بدل قوله: "اقتديتم" وإسناده ضعيف؛ لأجل حمزة لأنه متهم بالكذب. ورواه البيهقي في (المدخل) من حديث ابن عباس وقال: متنه مشهور وأسانيده ضعيفة لم يثبت في هذا الباب إسناد. وقال ابن حزم: إنه مكذوب موضوع باطل. وقال الحافظ زين الدين العراقي: وكان ينبغي للمصنف أن لا يذكر هذا الحديث بصيغة الجزم لما عرفت حاله عند علماء الفن...

وأما ثانياً: فلأن المخاطبين في متن الحديث بلفظ: "اقتديتم واهتديتم" إن كانوا هم الصحابة أو الصحابة مع غيرهم فلا يستقيم، إذ لا مساغ للفصح أن يقول لأصحابه أو لهم مع غيرهم: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" وهو ظاهر، وإن كانوا غير الصحابة فهو خلاف الظاهر، إذ الظاهر أن كل من خاطبه النبي ﷺ بهذا الخطاب المتبادر منه الخطاب الشفاهي كان بمرأى منه ﷺ فكان صحابياً، ولو سلم ذلك لكان الظاهر إخبار راويه بأن الرسول ﷺ قال لجميع من أسلم غير الصحابة: "أصحابي كالنجوم" إلى آخره، ولما لم يكن في روايتكم شيء من هذا التخصيص بطل ادعاؤكم في ذلك.

وأيضاً يلزم على هذا التقدير أن كل من اقتدى بقول بعض الجهال بل الفساق من الصحابة أو المنافقين منهم وترك العمل بقول بعض العلماء الصالحين منهم يكون مهتدياً!، ويلزم أن يكون المقتدي بقتلة عثمان والذي تقاعد عن نصرته تابعا للحق مهتدياً، وأن يكون المقتدي بعائشة وطلحة والزبير الذين بغوا وخرجوا على علي عليه السلام وقاتلوه مهتدياً!، وأن يكون المقتول من الطرفين في الجنة!، ولو أن رجلاً اقتدى بمعاوية في صفين فحارب معه إلى نصف النهار ثم عاد في نصفه فحارب مع علي عليه السلام إلى آخر النهار لكان في الحالين جميعاً مهتدياً تابعاً للحق!، والتوالي بأسرها باطلة ضرورة واتفاقاً.

والذي يسد باب كون عموم الصحابة كالنجوم ما قال الفاضل التفتازاني في (شرح المقاصد) من أن: ما وقع بين الصحابة من المحاربات والمشاجرات على الوجه المسطور في كتب التواريخ والمذكور على ألسنة الثقات يدل بظاهره على أن بعضهم قد حاد عن طريق الحق وبلغ حد الظلم والفسق، وكان الباعث عليه الحقد والعناد والحسد واللداد وطلب الملك والرئاسات والميل إلى اللذات والشهوات، إذ ليس كل صحابي معصوماً، ولا كل من لقي النبي صلى الله عليه وآله بالخير موسوماً، إلا أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ذكروا لها محامل وتأويلات بها يليق وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق صوناً لعقائد المسلمين من الزيغ والضلالة في حق كبار الصحابة سيما المهاجرين منهم والأنصار المبشرين بالثواب في دار القرار، انتهى.

ويتوجه إلى ما ذكره آخراً من تعليل ذكر العلماء المحامل والتأويلات لما وقع

بين الصحابة بحسن ظنهم فيه : أن بعد العلم بوقوع ما وقع بينهم لا وجه لحسن الظن بالكل إلا التعصب فيهم ، وأما من زعموه كبار الصحابة وعنوا به الثلاثة فهم أول من أسس أساس الظلم والعدوان بغصب الخلافة عن أهل البيت عليهم السلام والإقدام بكيت وكيت ، وإنما صاروا كباراً بغصبهم الخلافة وحكومتهم على الناس بالجلالة ، ولهذا قال بعض علماء العامة : كل زينت الخلافة إلا علي بن أبي طالب عليه السلام . روي أنه لما دخل علي عليه السلام الكوفة دخل عليه حكيم من العرب فقال : والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زيتك ، ورفعتها وما رفعتك ، وهي كانت أحوج إليك منك إليها ، انتهى .

وأما ما ذكره من البشارة لهم بالثواب في دار القرار ، فإن أشار به إلى حديث بشارة العشرة فهو موضوع لا يصح إلا في واحد منهم عليه السلام كما سيأتي بيانه ، وإن أشار به إلى غيره من الأحاديث فلعل بعد ظهور صحته يكون بشارة الثواب فيه مشروطاً بشروطه ...

والحاصل : أنه لا يتحتم بمجرد الصحابية الحكم بالإيمان والعدالة وحسن الظن فيهم واستيغالهم للإقتداء بهم والاستهداء منهم ؛ وذلك لأنه لا ريب في أن الصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤمناً به وموته على الإسلام ، وأن الإيمان والعدالة مكسبان وليساً طبعين جبليين ، فالصحابي كغيره في أنه لا يثبت إيمانه إلا بحجة ، لكن قد جازف أهل السنة كل المجازفة فحكموا بعدالة كل الصحابة من لابس منهم الفتن ومن لم يلبس ، وقد كان فيهم المقهورون على الإسلام ، والداخلون على غير بصيرة ، والشكاك كما وقع من فلتات ألسنتهم كثيراً ، وكان فيهم : شاربو الخمر وقتلو النفس وسارقو الرءاء وغيرها من المناكير ، بل كان فيهم

المنافقون كما أخبر به الباري جل ثناؤه ورواه البخاري في (صحيحه) وغيره في غيره، وكانوا في عهده عليه السلام ساكنين في مدينته يصحبونه ويجلسون في مجلسه ويخاطبهم ويخاطبونه ويدعون بالصحابة ولم يكونوا بالنفاق معروفين ولا متميزين ظاهراً، قال الله سبحانه: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾^(١)، بل كان فيهم من يبتغي له الغوائل ويتربص به الدوائر ويمكر ويسعى في هدم أمره، كما ذكره أبو بكر أحمد البيهقي في كتاب (دلائل النبوة) حيث قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وذكر الإسناد مرفوعاً إلى أبي الأسود عن عروة قال:

لما رجع رسول الله عليه السلام من تبوك إلى المدينة حتى إذا كان ببعض الطريق مكر به ناس من أصحابه، فأتمروا أن يطرحوه من عقبة في الطريق وأرادوا أن يسلكوه معه، فأخبر رسول الله عليه السلام خبرهم فقال: «من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع لكم»، فأخذ النبي عليه السلام العقبة وأخذ الناس بطن الوادي إلا النفر الذين أرادوا المكر به فاستعدوا وتلثموا، وأمر رسول الله عليه السلام حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر فمشيا معه، وأمر عماراً أن يأخذ بزمام الناقة وأمر حذيفة أن يسوقها، فبينما هم يسيرون إذ سمعوا ذكراً القوم من ورائهم قد غشوهم، فغضب رسول الله عليه السلام وأمر حذيفة أن يردهم فرجعوا متلثمين فرعبهم الله حين أبصروا حذيفة وظنوا أن مكرهم قد ظهر وأسرعوا حتى خالطوا الناس، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله عليه السلام فلما أدركه، قال له: «اضرب الراحلة يا حذيفة، وامش أنت يا عمار»، فأسرعوا وخرجوا من العقبة ينتظرون الناس،

فقال النبي ﷺ: «يا حذيفة هل عرفت من هؤلاء الرهط والركب أحداً؟». فقال حذيفة: عرفت راحلة فلان وفلان وكانت ظلمة الليل غشيتهم وهم ملتثمون. فقال ﷺ: «هل علمتما ما شأن الركب وما أرادوا؟». قالوا: لا يا رسول الله ﷺ. قال: «فإنهم مكروا ليسيروا معي حتى إذا أظلمت لي العقبه طرحوني منها». قالوا: أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاءك الناس فنضرب أعناقهم. قال: «أكره أن يتحدث الناس ويقولون: إن محمداً قد وضع يده في أصحابه». فسامهم لهما ثم قال: «اكتماهم». وفي كتاب أبان بن عثمان، قال الأعمش: وكانوا اثني عشر سبعة من قريش!.

وعلى تقدير ثبوت الإيمان والعدالة يمكن زوالهما كما في بلعم صاحب موسى ﷺ حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١)، وكان بلعم أوتي علم بعض كتب الله، وقيل: يعرف اسم الله الأعظم ثم كفر بآيات الله، وكما وقع من الطامة الكبرى في سبعين ألفاً من بني إسرائيل وأولاد الأنبياء الذين كانوا في دين موسى ﷺ فارتدوا في حياته بمجرد غيبته عنهم مدة قليلة إلى الطور، واستضعفوا وصية هارون النبي ﷺ وكادوا يقتلونه ويدفعونه باليد والرجل واقتدوا بالسامري في عبادة العجل، وإذا كان هذا حال هؤلاء النجباء من أولاد الأنبياء الذين لم يندسهم سبق الشرك والكفر في حياة نبيهم

(١) سورة الأعراف: ١٧٥-١٧٦.

ووجود نبي آخر ووصيه فيهم ، فما ظنك بحال جماعة مضى أكثر عمرهم في الكفر والجاهلية ، بعد وفاة نبيهم ، مع أنه لم يكن يحصل لهؤلاء عن ذلك العجل الحنيذ جاء أو مال عتيد ، وكان لمن وافق أبا بكر في غضب خلافة نبينا الحميد من طمع الجاه والمال ما ليس عليه مزيد ، فعقدوا لواء السلطنة بسيفهم خالد بن الوليد ، وسدوا لسان أبي سفيان بتفويض ولاية الشام إلى ولده يزيد ، ودفعوا فتنة زبير بما أراد وأريد ، وفوضوا إلى غيرهم كمغيرة وأبا عبيدة حكومة صنعاء وزيد ، إلى غير ذلك مما يطول به النشيد ، وإذا كان كذلك فلا بد من تتبع أحوالهم وأقوالهم في حياة النبي ﷺ وبعد موته ، ليعلم من مات منهم على الإيمان والعدالة ومن مات ميتة جاهلية ، انتهى^(١).

وقد استفاد من كلامها عليها السلام خاصة بلحاظ كلمة (شبيه) أن من بغوا الغوائل له ﷺ بعد مماته هم نفس من بغوا له الغوائل في حياته ﷺ !
ويدل كلامها عليها السلام أيضاً على تعدد بل كثرة الغوائل التي خططوا لها في حياته ﷺ بلحاظ الجمع المحلى ، وبلحاظ القرائن المقالية والمقامية أيضاً.

فعن محمد بن موسى بن نصر الرازي ، قال : حدثني أبي ، قال : سئل الرضا عليه السلام عن قول النبي ﷺ : "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" ، وعن قوله ﷺ : "دعوا لي أصحابي" ؟. فقال عليه السلام : «هذا صحيح يريد من لم يغير بعده ولم يبدل». قيل : وكيف يعلم أنهم قد غيروا أو بدلو؟. قال : «لما يروونه من أنه ﷺ قال : "ليزادن برجال من أصحابي يوم القيامة عن حوضي كما تزداد غرائب الإبل عن الماء ، فأقول : يا رب أصحابي أصحابي؟. فيقال لي :

إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: بُعداً لهم وسحقاً، أفترى هذا لمن لم يغير ولم يبدل»^(١).

وفي (تفسير العياشي): عن الحسين بن المنذر، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ القتل أم الموت؟ قال: «يعني أصحابه الذين فعلوا ما فعلوا»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «ليجيئن قوم من أصحابي من أهل العلية والمكانة مني ليمروا على الصراط، فإذا رأيتهم ورأوني وعرفتهم وعرفوني اختلجوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي أصحابي؟. فيقال: ما تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم حيث فارقتهم. فأقول: بُعداً وسحقاً»^(٣).

وفي صحاحهم بإسنادهم إلى ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً. ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾»^(٤)، إلى آخر الآية، ثم قال: «ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصيحابي؟. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾»^(٥). فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٨٧ ب ٢٢ ح ٣٣.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٠ من سورة آل عمران ح ١٥٣.

(٣) كتاب سليم بن قيس: ص ٥٩٩ الحديث الرابع.

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٤.

(٥) سورة المائدة: ١١٧.

مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»^(١).

وروا عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «ليردن عليّ الحوض رجال من صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا إليّ اختلجوا دوني، فلاقولن: أي رب أصيحابي أصيحابي؟. فليقالن لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»^(٢).

وفي البخاري: أن رسول الله ﷺ قال: «بيننا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم. فقال: هلم. فقلت: أين؟. قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟. قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم. فقال: هلم. قلت: أين؟. قال: إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟. قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم»^(٣).

وروا عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول - وهو بين ظهراني أصحابه -: «إني على الحوض انتظر من يرد عليّ منكم، فوالله ليقطعن دوني رجال فلاقولن: أي رب مني ومن أمتي. فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم»^(٤).

وروا عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني على

(١) صحيح البخاري: ج ٥ ص ١٩١-١٩٢ كتاب تفسير القرآن، صحيح مسلم: ج ٨ ص ١٥٧ باب في صفة يوم القيامة.

(٢) صحيح مسلم: ج ٧ ص ٧٠-٧١ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، صحيح البخاري: ج ٧ ص ٢٠٧ كتاب الرقاق.

(٣) صحيح البخاري: ج ٧ ص ٢٠٨ كتاب الرقاق.

(٤) صحيح مسلم: ج ٧ ص ٦٦ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

الحوض حتى انظر من يرد عليّ منكم ، وسيؤخذ ناس من دوني فأقول : يا رب مني ومن أمتي . فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك ، والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم»^(١).

وروا عن أم سلمة (رضي الله عنها) عن النبي ﷺ ، أنه قال : «إني لكم فرط على الحوض فيأي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال ، فأقول : فيم هذا؟ . فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول : سحقاً»^(٢).

وروا عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لأزودن رجالاً عن حوضي كما تزداد الغريبة من الإبل عن الحوض»^(٣).

إلى غير ذلك من الروايات التي رووها وهي تدل على عدم صحة ما ادعوه من عدالة جميع الصحابة كما هو واضح.

التخطيط للمستقبل

مسألة: كما أن الرسول الأعظم ﷺ خطط وعمل للحاضر وحال حياته وللمستقبل وبعد مماته^(٤) في قبال تخطيط الأعداء في حياته ولما بعد مماته والذي أشارت إليه هاهنا الصديقة الزهراء ع عليها السلام .. كذلك يجب على المصلح أن يعمل

(١) صحيح البخاري : ج ٧ ص ٢٠٩ كتاب الرقاق ، صحيح مسلم : ج ٧ ص ٦٦ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

(٢) صحيح مسلم : ج ٧ ص ٦٧ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

(٣) صحيح البخاري : ج ٣ ص ٧٨ كتاب المساقاة ، صحيح مسلم : ج ٧ ص ٧٠ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

(٤) عبر سبل من الإرشادات والخطط ومنها استخلافه الثقلين . الكتاب والعترة . على الناس من بعده حيث قال ﷺ : «إني تارك فيكم الثقلين ... ».

ويخطط للمستقبل ولما بعد وفاته، كما يعمل ويخطط للحاضر وفي حال حياته، إذ إن (المسؤولية) و(واجب الأمر والنهي) لا يُمَثَلُ بمجرد الهداية والإرشاد طوال العمر فقط، إذ بالمقدور عبر تأسيس المؤسسات الاستراتيجية وعبر تربية الأفراد وعبر التخطيط المستقبلي: هداية كم أكبر ولمدة أطول وعلى امتداد الأزمان.

وعلى هذا فالواجب لمن يعرف أن العدو يبتغي الغوائل (حسب تعبيرها عليها السلام) في زمن حياة المصلحين (وعلى رأسهم سيد المرسلين عليه السلام) وبعد وفاتهم، أن يتخذ الحيطة والحذر، وأن يخطط لإحباط ذلك أو لفضحه على الأقل، كما فعلت الصديقة الكبرى عليها السلام. وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.

روي أنه دخل ضرار صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على معاوية بن أبي سفيان بعد وفاته عليه السلام فقال له معاوية: يا ضرار، صف لي علياً؟ قال: أوتعفيني. قال: لا أعفيك. قال: ما أصف منه، كان والله شديد القوى، بعيد المدى، يتفجر العلم من أنحائه، والحكمة من أرجائه، حسن المعاشرة، سهل المباشرة»^(١).

ما لقي الرسول صلى الله عليه وآله من الغوائل

مسألة: يستحب بيان ما لقي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في حياته من الغوائل والمشاكل، ولا يصح التعلل لعدم ذلك بأن فيه فضحاً وتعرية لعدد من الصحابة، إذ أية حرمة لمن يبغى لرسول الله صلى الله عليه وآله الغوائل؟

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١٨ ص ٢٢٥.

وقد يجب بيان ذلك، فإن ذكر ما لاقى الرسول ﷺ من المشاكل والمصاعب يوجب الاعتقاد به ﷺ والتأسي بوجوده أكثر فأكثر؛ لأن المصلحين الذين يلاقون العنت والإرهاق والشدائد يكونون أسوة للمصلحين الآتين الذين يريدون تغيير المجتمع من السيئ إلى الحسن، أو من الحسن إلى الأحسن.

قال رسول الله ﷺ: «ما أوزي نبي مثل ما أوزيت»^(١).
 وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾^(٢). وقال عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾^(٣).

وقال سليم: وحدثني علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في بعض طرق المدينة فأتينا على حديقة. فقلت: يا رسول الله، ما أحسنها من حديقة؟. قال: ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها.
 ثم أتينا على حديقة أخرى فقلت: يا رسول الله، ما أحسنها من حديقة؟. قال: ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها.
 حتى أتينا على سبع حدائق أقول: يا رسول الله، ما أحسنها؟. ويقول: لك في الجنة أحسن منها.

فلما خلا له الطريق اعتنقني ثم أجهدش باكياً وقال: بأبي الوحيد الشهيد. فقلت: يا رسول الله، ما يبكيك؟.

(١) المناقب: ج ٣ ص ٢٤٧ فصل مساواته يعقوب ويوسف عليه السلام.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

(٣) سورة الممتحنة: ٤.

فقال: ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلا من بعدي، أحقاد بدر وترات أحد. قلت: في سلامة من ديني؟.

قال: في سلامة من دينك، فأبشر يا علي فإن حياتك وموتك معي، وأنت أخي، وأنت وصيي، وأنت صفيي ووزير ووارثي والمؤدي عني، وأنت تقضي ديني وتنجز عداتي عني، وأنت تبرئ ذمتي وتؤدي أمانتي، وتقاتل على سنتي الناكثين من أمتي والقاسطين والمارقين، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى ولك بهارون أسوة حسنة، إذ استضعفه قومه وكادوا يقتلونه، فاصبر لظلم قريش إياك وتظاهرهم عليك، فإنك بمنزلة هارون من موسى ومن تبعه وهم بمنزلة العجل ومن تبعه، وإن موسى أمر هارون حين استخلفه عليهم إن ضلوا فوجد أعواناً أن يجاهدوهم بهم، وإن لم يجد أعواناً أن يكف يده ويحقن دمه ولا يفرق بينهم.

يا علي، ما بعث الله رسولاً إلا وأسلم معه قوم طوعاً وقوم آخرون كرهاً، فسلط الله الذين أسلموا كرهاً على الذين أسلموا طوعاً، فقتلوهم ليكون أعظم لأجورهم. يا علي، وإنه ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، وإن الله قضى الفرقة والاختلاف على هذه الأمة ولو شاء لجمعهم على الهدى حتى لا يختلف اثنان من خلقه، ولا يتنازع في شيء من أمره، ولا يجحد المفضول ذا الفضل فضله، ولو شاء عجل النعمة فكان منه التغيير حتى يكذب الظالم، ويعلم الحق أين مصيره، ولكن جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة دار القرار ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (١).

فقلت: الحمد لله شكراً على نعمائه وصبراً على بلائه، وتسليماً ورضى بقضائه»^(١).

حرمة إثارة المشاكل

مسألة: يحرم على الإنسان أن يثير المشاكل ويحيك المؤامرات ضد الرسول ﷺ، أو ضد آله الأطهار عليهم السلام، أو ضد منهجه ودعوته ورسالته ﷺ، في حياته وبعد مماته ﷺ وإلى يومنا هذا وحتى قيام الساعة، وتشمل الحرمة كل من قام بذلك في أي زمن من الأزمان.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).
وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾^(٣).

فإن الواجب هو مناصرة الرسول ﷺ لا أن يكون الإنسان حيادياً بالنسبة إليه، فكيف بابتغاء المشاكل عليه ﷺ؟! فإنه من أشد المحرمات.
قال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾^(٤).

وفي (البحار) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال عند توجههما - أي طلحة والزبير - إلى مكة للاجتماع مع عائشة في التأليب عليه بعد أن حمد الله تعالى

(١) كتاب سليم بن قيس: ص ٥٦٩-٥٧٠ الحديث الثاني.

(٢) سورة التوبة: ٦١.

(٣) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٤) سورة التوبة: ٦٣.

وأثنى عليه: «أما بعد، فإن الله عز وجل بعث محمداً عليه السلام للناس كافة وجعله رحمة للعالمين، فصدع بما أمر به، وبلغ رسالة ربه، فلم به الصدع، ورتق به الفتق، وآمن به السبل، وحقن به الدماء، وألف به بين ذوي الإحن والعداوة، والوغر في الصدور، والضغائن الراسخة في القلوب، ثم قبضه الله إليه حميداً، لم يقصر في الغاية التي إليها أدى الرسالة، ولأبلغ شيئاً كان في التقصير عنه القصد، وكان من بعده ما كان من التنازع في الإمرة، فتولى أبو بكر وبعده عمر، ثم تولى عثمان فلما كان من أمره ما كان أتيتموني فقلت: بايعنا. فقلت: لأفعل. قلت: بلى. فقلت: لا. وقبضت يدي فبسطتموها، ونازعتكم فجذبتموها، وحتى تداكتم عليّ كتداكك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى ظننت أنكم قاتلي، وأن بعضكم قاتل بعض، وبسطت يدي فبايعتموني مختارين، وبايعني في أولكم طلحة والزبير طائعين غير مكرهين، ثم لم يلبثا أن استأذنانني في العمرة، والله يعلم أنهما أرادا الغدرة، فجددت عليهما العهد في الطاعة، وأن لا يبغيا الأمة الغوائل، فعاهداني ثم لم يفيا لي ونكثا بيعتي، ونقضا عهدي، فعجباً لهما من انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما لي، ولست بدون أحد الرجلين، ولو شئت أن أقول لقلت: اللهم اغضب عليهما بما صنعا وأظفرني بهما»^(١).

معنى الغوائل

قولها عليها السلام: «وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل في حياته»
الغوائل بمعنى: الشرور والدواهي والحوادث المهلكة، وكانت المهالك والمشاكل

التي أوجدوها لرسول الله ﷺ في حياته كثيرة جداً وفي مختلف الشؤون الدينية والدينية.

فالمراد أن غدركم وزوركم بعد وفاة رسول الله ﷺ شبيه بغدركم وزوركم عليه في حال حياته ﷺ ؛ لأنهم كثيراً ما غدروا به حينذاك خصوصاً في ليلة العقبة، كما زوروا عليه وقالوا عنه ما لم يقله حتى قال ﷺ : «كثرت عليّ الكذابة، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(١).

والتعبير بـ (بغي له من الغوائل) يفصح عن محاولاتهم إهلاك الرسول ﷺ بخطط خفية، فإن الغائلة هي الحادثة المهلكة والداهية، وغاله: أهلكه وأخذه من حيث لا يدري، فبغي له من الغوائل يعني حاولوا إهلاكه وقتله غيلة وغدراً ومن حيث لا يعلم - حسب زعمهم - كما في العقبتين حيث أرادوا قتل النبي ﷺ والوصي عليه السلام^(٢)، وهكذا غدروا وغاولوا إلى أن وصل بهم الأمر أن دسوا السم إلى رسول الله ﷺ فقتل مسموماً شهيداً..

ففي (البحار)، عن (تفسير العياشي)، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «تدرون مات النبي ﷺ أو قُتل، إن الله يقول: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(٣) فسمّ قبل الموت، إنهما سمّاه». فقلنا: إنهما وأبويهما شر من خلق الله^(٤).

(١) الكافي: ج ١ ص ٦٢ باب اختلاف الحديث ح ١.

(٢) للتفصيل انظر بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٨٥ ب ٢٩.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٢٠-٢١ ب ١ ح ٢٨.

هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً

القرآن هو الحكم

مسألة: يجب اتخاذ وجعل كتاب الله الحكم في المخاصمات، والرجوع إليه في معرفة الحق من الباطل؛ فإنه المصدر الأول لتبيين الحق وهو العدل والفصل، كما يجب الرجوع إلى العترة الطاهرة عليهم السلام فإنهم عدل القرآن.

قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مَبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١). وعن يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: بما أوحى الله؟ فقال: «يا يونس، لا تكونن مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيه عليه السلام ضلّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه عليه السلام كفر»^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣)، والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى معناها الدعوة إلى كتابه في أصول الدين وفروعه، وفي حل المنازعات وما أشبه ذلك.

على خلاف غير المؤمنين حيث قال عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مَّعْرِضُونَ^(٤).

(١) سورة النور: ٤٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٤٠ ب ٦ ح ٣٣١٥٧.

(٣) سورة النور: ٥١.

(٤) سورة النور: ٤٧ - ٤٨.

روى السدي: أنه لما غنم النبي ﷺ بني النضير وقسم أموالهم، قال عثمان لعلي عليه السلام: ائت النبي ﷺ واسأله كذا فإن أعطاك فأنا شريكك، وأنا أسأله فإن أعطاني فأنت شريكي. فسأله عثمان أولاً فأعطاه فأبى أن يشرك علياً، فقاضاه إلى النبي ﷺ فأبى وقال: إنه ابن عمه فأخاف أن يقضي له. فنزلت ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ - إلى قوله - ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١)، فلما بلغه ما أنزل فيه جاء إلى النبي ﷺ وأقر بالحق لعلي عليه السلام^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن إلا وقد أنزله الله فيه»^(٣).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «إذا حدثتكم بشيء فاسألوني عن كتاب الله عز وجل»^(٤). وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله عز وجل ولكن لا تبلغه عقول الرجال»^(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم، ونحن نعلمه»^(٦).

(١) سورة النور: ٤٧ - ٥١.

(٢) الصراط المستقيم: ج ٣ ص ٣٧ النوع الثالث في عثمان.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٥٩ باب الرد إلى الكتاب والسنة ح ١.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ٧ ص ٢٣١ ب ٢١ ح ٣٠.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٢٦ ص ٢٩٤ ب ٤ ح ٣٣٠٢٥.

(٦) بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ٩٨ ب ٨ ح ٦٧.

وعن سليم بن قيس الهلالي، قال: قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن ومن الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله تخالف الذي سمعته منكم، وأنتم تزعمون أن ذلك باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين ويفسرون القرآن برأيهم؟

قال: فأقبل عليَّ عليه السلام فقال لي: «يا سليم، قد سألت فافهم الجواب. إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وخاصاً وعاماً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام فيهم خطيباً، فقال: أيها الناس، قد كثرت عليَّ الكذابة، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. ثم كذب عليه من بعده حين توفي رحمة الله على نبي الرحمة وصلى الله عليه وآله، وإنما يأتيك بالحديث أربعة نفر ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً، فلو علم المسلمون أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا: هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله رآه وسمع منه، وهو لا يكذب ولا يستحل الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أخبر الله عن المنافقين بما أخبر، ووصفهم بما وصفهم، فقال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾^(١)، ثم بقوا بعده وتقربوا إلى أئمة الضلال

(١) سورة المنافقون: ٤.

والدعاة إلى النار بالزور والكذب والنفاق والبهتان، فولوهم الأعمال وحملوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم من الدنيا، وإنما الناس مع الملوك في الدنيا إلا من عصم الله، فهذا أول الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله ﷺ شيئاً فلم يحفظه على وجهه، ووهم فيه ولم يتعمد كذباً، وهو في يده يرويه ويعمل به، ويقول: أنا سمعته من رسول الله ﷺ. فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوا، ولو علم هو أنه وهم فيه لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه نهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، حفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون أنه منسوخ إذ سمعوه لرفضوه.

ورجل رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله بغضاً للكذب، وتخوفاً من الله وتعظيماً لرسوله ﷺ، ولم يوهم بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به كما سمعه ولم يزد فيه ولم ينقص، وحفظ الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ.

وإن أمر رسول الله ﷺ ونهيه مثل القرآن: ناسخ ومنسوخ، وعام وخاص، ومحكم ومتشابه، وقد كان يكون من رسول الله ﷺ الكلام له وجهان: كلام خاص، وكلام عام. مثل القرآن يسمعه من لا يعرف ما عنى الله به وما عنى به رسول الله ﷺ، وليس كل أصحاب رسول الله ﷺ كان يسأله فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهم، حتى أن كانوا يحبون أن يجيء الطارئ والأعرابي فيسأل رسول الله ﷺ حتى يسمعوا منه.

وكنت أدخل على رسول الله ﷺ كل يوم دخلة وفي كل ليلة دخلة، فيخليني فيها أدعه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أنه لم يكن يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، وربما كان ذلك في منزلي يأتيني رسول الله ﷺ، فإذا دخلت عليه في بعض منازل خلا بي وأقام نساءه فلم يبق غيري وغيره، وإذا أتاني للخلوة في بيتي لم تقم من عندنا فاطمة عليها السلام ولا أحد من ابني عليها السلام.

وكنت إذا سأله أجابني، وإذا سكت أو نفدت مسألتي ابتدأني، فما نزلت عليه آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملأها عليّ، فكتبتها بخطي ودعا الله أن يفهمني إياها ويحفظني، فما نسيت آية من كتاب الله منذ حفظتها وعلمني تأويلها، فحفظته وأملأه عليّ فكتبته.

وما ترك شيئاً علمه الله من حلال وحرام، أو أمر ونهي، أو طاعة ومعصية، كان أو يكون إلى يوم القيامة إلا وقد علمنيه، وحفظته ولم أنس منه حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدري ودعا الله أن يملأ قلبي علماً وفهماً، وفقهاً وحكماً ونوراً، وأن يعلمني فلا أجهل، وأن يحفظني فلا أنسى.

فقلت له ذات يوم: يا نبي الله، إنك منذ يوم دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً مما علمتني، فلم تملئ عليّ وتأمرنني بكتابته، ألتخوف علي النسيان؟.

فقال: يا أخي، لست ألتخوف عليك النسيان ولا الجهل^(١).

(١) كتاب سليم بن قيس: ص ٦٢٠-٦٢٦ الحديث العاشر.

في باب التعارض

مسألة: في تعارض الخبرين أو الطائفتين من الروايات ، يجب الرجوع إلى القرآن الحكيم فهو (المرجع) وليس (المرجح).

قال رسول الله ﷺ : «إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فدعوه»^(١).

وعن ابن أبي يعفور ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اختلاف الحديث يرويه من ثقب به ومنهم من لا ثقب به ؟ قال : «إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله ﷺ ، وإلا فالذي جاءكم به أولى به»^(٢).

وعن أيوب بن الحر ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : «ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : «خطب النبي ﷺ بمنى فقال : أيها الناس ، ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته ، وما جاءكم يخالف كتاب الله

(١) الكافي: ج ١ ص ٦٩ باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب ح ١.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١١٠ ب ٩ ح ٣٣٤٤٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٢٤٢ ب ٢٩ ح ٣٧.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٦٩ باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب ح ٤.

فلم أقله»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من خالف كتاب الله وسنة محمد صلی اللہ علیہ وسلم فقد كفر»^(٢).

الظواهر حجة بدون الضميمة

مسألة: كلام الصديقة الطاهرة عليها السلام صريح في حجية ظواهر الكتاب العزيز. إلا ما خرج بالدليل.، وصحة بل لزوم التمسك بها، خلافاً لبعض من لا يرى ذلك، وقد سبق نظيره.

لا يقال: تمسكها عليها السلام بها في المقام هو المتمم، وبه أمكن التمسك كما قال البعض؟.

لأنه يقال: ظاهر (الحكمية) غير ذلك، وكذلك ظاهر (ناطقاً فصلاً)^(٣).

وهذا لا ينافي ضرورة الرجوع إلى رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم وأهل البيت عليهم السلام لمعرفة تفسير القرآن وعلومه، كما أنه لا ينافي ضرورة تأويل مثل قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٤)، وقوله عز وجل: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٥) لقيام الدليل القطعي على ذلك.

عن عبد الله بن سنان، عن أبيه، قال: حضرت أبا جعفر محمد بن علي

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١١١ ب ٩ ح ٣٣٣٤٨.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٧٠ باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب ح ٦.

(٣) أي ظاهر تعبيرها بـ (حكماً) أنه الحاكم بالاستقلال، وكذا ظاهر (ناطقاً فصلاً) لا بالضميمة.

(٤) سورة الفتح: ١٠.

(٥) سورة القيامة: ٢٣.

الباقر عليه السلام ودخل عليه رجل من الخوارج. فقال: يا أبا جعفر أي شيء تعبد؟ قال: «الله». قال: رأيته؟ قال: «لم تره العيون بمشاهدة العيان، ورأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يُعرف بالقياس، ولا يُدرك بالحواس، ولا يُشبه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات، لا يجور في حكمه، ذلك الله لا إله إلا هو». قال: فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته^(١).

وقال علي بن موسى الرضا عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٢)، قال: «يعني مشرقة تنتظر ثواب ربها»^(٣).

وعن الهروي، قال: قلت لعلي بن موسى الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله، ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث "أن المؤمنين يزورون ربهم في منازلهم في الجنة"؟

فقال عليه السلام: «يا أبا الصلت، إن الله تبارك وتعالى فضل نبيه محمداً صلى الله عليه وآله على جميع خلقه من النبيين والملائكة، وجعل طاعته طاعته، ومتابعته متابعته، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته، فقال عز وجل: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٤)، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٥)، وقال النبي صلى الله عليه وآله: من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله تعالى. ودرجة النبي صلى الله عليه وآله في الجنة أرفع الدرجات، فمن زاره في درجته في الجنة من منزله فقد

(١) الأماشي للصدوق: ص ٢٧٨ المجلس ٤٧ ح ٤.

(٢) سورة القيامة: ٢٣.

(٣) التوحيد: ص ١١٦ ب ٨ ح ١٩.

(٤) سورة النساء: ٨٠.

(٥) سورة الفتح: ١٠.

زار الله تبارك وتعالى».

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فما معنى الخبر الذي رواه "أن ثواب لا إله إلا الله النظر إلى وجه الله تعالى"؟

فقال عليه السلام: «يا أبا الصلت، من وصف الله تعالى بوجهه كالوجوه فقد كفر، ولكن وجه الله تعالى أنبيأؤه ورسله وحججه (صلوات الله عليهم) هم الذين بهم يتوجه إلى الله عزوجل وإلى دينه ومعرفته، وقال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام»^(١)، وقال عزوجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٢)، فالنظر إلى أنبياء الله تعالى ورسله وحججه عليهم السلام في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم القيامة، وقال: إن فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني. يا أبا الصلت، إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان، ولا يدرك بالأبصار والأوهام....»^(٣).

وعن محمد بن الفضيل، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه عزوجل؟ فقال: «نعم بقلبه رآه، أما سمعت الله عزوجل يقول: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾»^(٤)، لم يره بالبصر ولكن رآه بالفؤاد»^(٥).

(١) سورة الرحمن: ٢٦-٢٧.

(٢) سورة القصص: ٨٨.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ١١٥-١١٦ ب ١١ ح ٣.

(٤) سورة النجم: ١١.

(٥) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٤٣ ب ٥ ضمن ح ١٩.

التأكيد على حكمة القرآن

مسألة: يجب العمل على تكريس هذه الحقيقة في أذهان الناس وهي أن القرآن حكم وعادل وناطق وفصل.

فالقرآن يحكم بين الأطراف المتنازعة، ويقضي على من عليه الحق لمن له ذلك، وهو عادل في حكمه فلا يجور، كما أن القرآن ناطق فصل، ونطقه هو ظهور مفاده، وليس مثل بعض الآيات الكونية حيث إنها ليست ناطقة بمنزلة نطق القرآن، وإن كانت هي ناطقة أيضاً، بمعنى تسبيحها ودلالاتها على وجود الله سبحانه وتعالى وجمله من صفاته.

قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(١).

والقرآن فصل بين الحق والباطل سواء في المنازعات العقائدية أم غيرها، فهو يظهر ويبين جانب الحق، كما أنه يعري جانب الباطل ويكشف زيفه، قال سبحانه: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾^(٢).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا سعد، تعلموا القرآن؛ فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق - إلى أن قال - حتى ينتهي إلى رب العزة فيناديه تبارك وتعالى: يا حجتني في الأرض وكلامي الصادق الناطق ارفع رأسك وسل تعط، واشفع تشفع، كيف رأيت عبادي؟». فيقول: يا رب، منهم من

(١) سورة الإسراء: ٤٤.

(٢) سورة ص: ٢٠.

صانني وحافظ عليّ ولم يضيع شيئاً، ومنهم من ضيعني واستخف بحقي وكذب بي، وأنا حجتك على جميع خلقك. فيقول الله عزوجل: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لأثيبن عليك اليوم أحسن الثواب، ولأعاقبن عليك اليوم أليم العقاب»^(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم أمتي، ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وبأهل بيتي»^(٢).

قولها عليها السلام: «هذا كتاب الله حكماً وعدلاً وناطقاً فصلاً». أي: كيف تنسبون إلى رسول الله ﷺ الحديث المكذوب والحال أن كتاب الله حكم بيننا وبينكم، وهو يدل على كذب هذا الحديث وعدم صدوره عن الرسول ﷺ؟

ثم إن هذا الحاكم عادل لا يجور، وناطق وفاصل فهو يفصل بين الحق والباطل، ونطقه عبارة عن: ظهور مفاده وخصوصياته وأحكامه.

لا يقال: كيف يكون القرآن ناطقاً فصلاً والحال أننا لا نراه يفصل في كثير من الخصومات العقائدية والفكرية والاجتماعية وغيرها؟

لأنه يقال: القرآن ناطق فصل بمعنى الاقتضاء، فهو كلمة الله الكاشفة عن الحقيقة ومن شأنه الفصل في الخصومة، لا بمعنى الجبر والقسر في فعليته، بل هذه الكلمة شأنها الفصل لو أراد الناس فصلاً إلهياً. وبعبارة أخرى: القرآن جعل مقتضياً للفصل وليس علة تامة مما يستلزم الجبر، بل لفصيلته الفعلية شروط

(١) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ١٦٥ ب ١ ح ٧٦٣٦.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٠٠ كتاب فضل القرآن ح ٤.

ومنها قابلية القابل وخضوعه للحق وعدم عناده، قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾^(١)، فالقرآن ناطق فصل تشريعاً، أي شرع هكذا، أما تكويناً وفي مرحلة التطبيق فحسب القابليات وما أشبهه.

وعن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ - في حديث -: «إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن؛ فإنه شافعٌ مُشَفِّعٌ، وما حل مصدقٌ، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل، وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تُبلى غرائب، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جال بصره، وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، ويتخلص من نشب؛ فإن التفكير حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص، وقلة التبرص»^(٢).

هل متشابه القرآن فصل؟

مسألة: كل القرآن ناطق فصل وحكم عدل حتى المتشابه منه؛ فإن المتشابه متشابه ظاهره وواضح الدلالة والمقصود في واقعه، وإن كان لا نعلم به، فوضوحه عند من نزل الكتاب في بيوتهم، وبعبارة أخرى: إن المتشابه متشابه

(١) سورة الرعد: ١٧.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ١٧١ ب ٣ ح ٧٦٥٧.

عند البعض وليس عند الكل ، فهو متشابه على من لم يخاطب به . فيلزم الرجوع إلى الرسول ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام لمعرفة المراد من التشابه منه ، وحينئذ يكون فصلاً وحكماً.

والفرق بين المحكم والمتشابه :

إن المحكم غير متوقف فهمه إلا على الشروط العامة ، مثل أن يكون من أهل اللغة عارفاً بها ، وإلا فإن من لا يعرف العربية لا يفهم من المحكم شيئاً إلا بعد الترجمة وما أشبه ، كما هو واضح .

والمتشابه يتوقف على شرط إضافي هو لزوم صدور التوضيح ممن نزل القرآن في بيوتهم ومن خاطبوا به . ولتقريب المعنى إلى الذهن نمثل بكلمات رمزية اتفق عليها شخصان ؛ فإنها لهما محكمة وللثالث متشابهة ، لكنه لو اطلع على الرمز أضحت لديه محكمة أيضاً . وبعبارة أخرى : يكون التشابه بالعرض وليس بالذات ، وذلك لمصلحة رآها الباري عز وجل ، ولكي يبين الناس ضرورة الرجوع إلى العترة الطاهرة عليهم السلام .

قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١) . وفي تفسير الآية أن الراسخون في العلم : «أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام»^(٢) .

(١) سورة آل عمران : ٧ .

(٢) الكافي : ج ١ ص ٤١٥ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية ح ١٥ .

وفي حديث آخر: «الراسخون في العلم هم آل محمد ﷺ»^(١).
وقال رسول الله ﷺ: «من عمل بالمقاييس فقد هلك وأهلك، ومن أفتى
الناس وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك
وأهلك»^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام - في حديث - قال: «والمحكم من القرآن مما تأويله
في تنزيله، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى
الْكَعْبَيْنِ﴾، وهذا من المحكم الذي تأويله في تنزيله، لا يحتاج تأويله إلى أكثر من
التنزيل»^(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «دعوا عنكم ما اشتبه عليكم مما لا علم لكم
به، وردّوا العلم إلى أهله تؤجروا وتُعذروا عند الله»^(٤).

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٣ من سورة آل عمران ح ٤.

(٢) الأماشي للصدوق: ص ٤٢١ المجلس ٦٥ ح ١٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٣٩٩ ب ١٥ ح ١٠٤٢.

(٤) تحف العقول: ص ٣٥٣ احتجاجه عليه السلام على الصوفية لما دخلوا عليه.

يقول: «يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ»^(١)، ويقول: «وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ»^(٢) وبين عز وجل فيما وزع من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح^(٣) من حظ الذكران والإناث ما أزاح به علة المبطلين.

آيات الإرث

مسألة: لكلامها عليها السلام عقد إيجاب وعقد سلب، فعقد الإيجاب أن ما وزعه الله من الأقساط على الورثة وشرّعه لهم ينبغي أن يعطى لكل منهم كما وزعه الباري عز وجل وشرّعه. وعقد السلب عدم جواز أن يعطى لغيرهم قسط، وكذلك الفقرتان اللاحقتان، فما فعله ابن أبي قحافة كان مخالفاً لكلا عقدي السلب والإيجاب.

قولها عليها السلام: «يقول: «يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ»^(٤)، ويقول: «وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ»^(٥)». قد تقدم بيان الآيتين وأنها وردتا في إرث الأنبياء عليهم السلام، بالإضافة إلى آيات الإرث العامة المتقدمة.

ثم إنه ليس ذكرها عليها السلام الآية الثانية الدالة على إرث سليمان النبي عليه السلام مجرد بيان مصداق آخر لتأكيد المدعى، بل فيها فوائد أخرى أيضاً، فإن الآية الأولى دعاء وطلب، والثانية إخبار وتحقيق^(٦).

(١) سورة مريم: ٦.

(٢) سورة النمل: ١٦.

(٣) وفي بعض النسخ: (أتاح).

(٤) سورة مريم: ٦.

(٥) سورة النمل: ١٦.

(٦) فلا يبقى مجال لاعتراض من ربما يقول: إن «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ»

لا يقال: ما وجه استدلالها عليها السلام بإرث سليمان من داود ويحيى من ذكريا عليهما السلام مع أن الشريعة الإسلامية ناسخة للأديان السابقة، والاحتجاج في إرثها من الرسول الأعظم عليه السلام؟

إذ يقال:

أولاً: كلامها عليها السلام رد على ابن أبي قحافة حيث استدل بما نسبته إلى الرسول عليه السلام من الرواية: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث...»، وهي معارضة بصريح الكتاب العزيز، بدليل إرث سليمان من داود وغيره من غيره عليهم السلام.

وثانياً: إن الشريعة الإسلامية لم تنسخ كل ما كان في الشرائع السابقة كما هو بديهي^(١) بل بعضه فقط، فما قام الدليل على نسخه نسخ، وإلا كان على ما كان، لاستصحاب الشرائع السابقة، بل للعمومات والاطلاقات وغيرها على ما ذكرناه في (الأصول)^(٢).

قولها عليها السلام: «وبين عزوجل فيما وزع من الأقساط»؛ لأن الله سبحانه جعل لكل وارث قسطاً من التركة. والتوزيع: التقسيم، والأقساط: جمع القسط أي الحصة.

► سورة مريم: ٥-٦، دعاء وطلب وليس دليلاً على أن الله قد أقر ذلك وأعطاه. والجواب أولاً: إن الآية الثانية دليل على أن الله قد أقر ذلك كما في المتن. وثانياً: إنه لا يعقل أن يطلب النبي عليه السلام ما لم يشرعه الله، أي: ما هو خلاف الشرع، ولا يعقل أن يكون النبي جاهلاً بهذا الحكم الواضح.

(١) إذ الأمور الاعتقادية وكثير من الأحكام الشرعية: (كالحج والصلاة و... في العبادات، وكذا النكاح والطلاق والبيع والشراء و... في العقود والإيقاعات، والإرث والقصاص و... في الأحكام)، وكثير من الأخلاق والآداب وشبهها بقيت على ما كانت أو جرى فيها بعض التغيير فحسب، وفي صورة الشك يستصحب ذلك على ما بين في علم الأصول.

(٢) الأصول: من تأليفات الإمام الشيرازي رحمته الله ويقع في ثمانية أجزاء.

«وشرع من الفرائض والميراث»: فإنه تعالى فرض لكل وارث إرثاً. و(الفرائض): جمع الفريضة، بمعنى الحصة المفروضة والمقدرة.

ولعل الحكمة في مقابلة الميراث بالفرائض - في هذه الخطبة الشريفة - هو أن هناك مواريث فرض ومواريث غير فرض، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(١)، حيث يستحب إعطاؤهم على ما هو مذكور في محله^(٢).

قولها عليها السلام: «وأباح من حظ الذكران والإناث»، أي: إن الله سبحانه وتعالى أباح وحلّل التركة للذكران والإناث من الأولاد وغيرهم من الأقرباء بعد ما كان ممنوعاً عليهم في حياة المورث، أو أن ذلك في قبال الحظر على غيرهم. والذكران: جمع الذكر، والإناث: جمع الأنثى.

قولها عليها السلام: «ما أزاح به علة المبطلين»، أي: أزال به علة أهل الباطل، أو الذين يريدون الإبطال في حكم إعطاء الإرث وعدم منح الورثة حقهم، أو المبدعين في الزيادة والنقيصة عما فرضه الله سبحانه وتعالى.

(١) سورة النساء: ٨.

(٢) راجع تفسير (تبيين القرآن): ج ١ سورة النساء، وفيه: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ أي: قسمة التركة، ﴿أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾ بأن شهد وقت القسمة فقراء قرابة الميت الذين لا يرثون، ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ﴾ ويتامهم ومساكينهم، ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ أي: أعطوهم شيئاً من التركة على وجه الندب، وذلك فيما إذا رضي سائر الورثة وكانوا كباراً، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ حسناً غير خشن؛ فإنه كثيراً ما يتوقع هؤلاء أن يعطوا شيئاً كثيراً من التركة.

سبب تركيزها عليها السلام على فداك

ربما يتساءل البعض عن السبب في تشدد الصديقة فاطمة عليها السلام في قضية الميراث، ومحاجة القوم أشد المحاجة حولها وهي قضية مادية، وأهل البيت عليهم السلام أرفع شأنًا من الترافع في القضايا المادية الدنيوية، فكيف بشن معركة وإدارة صراع وتحمل أخطار في ذلك، حيث أدى ذلك إلى ما أدى إليه من ظلم وجور في حقها (صلوات الله عليها)!! إضافة إلى وجود قضية أخرى أهم هي مسألة الخلافة، فرما كان الأحرى التركيز عليها؟.

والجواب:

أولاً: إن القضية كانت مسألة (التلاعب بأحكام الله) - في إرث أولاد الأنبياء عليهم السلام وربما الأعم من ذلك - و(محاولة نسف حكم شرعي) قبل أن تكون قضية إرث مادي.

ثانياً: إن القضية كانت بمثابة وضع الحجر الأساس لبدء مسيرة البدعة والتحريف في أحكام الله، والفساد والوضع على رسول الله صلى الله عليه وآله ومخالفة كتاب الله، وكان بدايتها هذا الحديث المجعول وتضييع آيات الإرث.

فكان لابد من التصدي بكل حزم لأية محاولة تحريف، وكان لابد من فضح قادة التحريف ليقفوا عند حدهم، أو (ليتحجموا) على أقل الفروض بعد أن يشاهدوا افتضاح أمرهم من بعد تلك المقاومة من قبل العترة الطاهرة عليهم السلام وخاصة من قبل الصديقة الزهراء عليها السلام.

ثالثاً: إن الرأي العام كان أكثر تقبلاً لطرح ظلامة غصب فداك من طرح

ظلامه غصب الخلافة^(١)، فلذلك كان تأثير الكلام أشد عند طرح القضية الأولى من طرح الثانية.

رابعاً: إن طرح قضية الإرث وإثباتها والمطالبة بها، كان من طرق طرح قضية الخلافة وإثباتها والمطالبة بها.

خامساً: إن فذك - بما كانت تدر من محصول هائل - كانت سلاحاً اقتصادياً كبيراً بيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان الغاصبون للخلافة يرمون إلى تجريده عليه السلام من هذا السلاح وهذه القوة الاقتصادية، والدفاع عن الحق المالي واجب، فكيف لو كان يرام منه تشييد دعائم الدين ونصرة المظلوم والتصدي للظالم؟. وإلا فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري: «وَنِعْمَ الْحَكْمُ اللَّهُ، وَمَا أَصْنَعُ بِفَذِكِ وَغَيْرِ فَذِكِ»^(٢).

لا ضريبة على الإرث

مسألة: كلامها عليها السلام واضح الدلالة فيما هو الظاهر من آيات الإرث من أن ما يخلفه الميت يقسم بين الورثة لا غير، فلا يحق للدولة فرض ضريبة على الإرث، ومن يرتكب ذلك فإنه من (المبطلين) حسب كلامها عليها السلام، فإنه تعالى قد وزع الأقساط وشرع من الفرائض والميراث كما ورد في الآيات وصرحت

(١) وذلك لعلل عديدة منها: إن القوم كانت لهم تارات مع الإمام علي عليه السلام لما قتل من أشياخهم وأقربائهم ببدر وحنين وغيرها، وكانوا يتخوفون - لشدة عدله - من خلافته، ولم تكن لهم تارات على السيدة الزهراء عليها السلام كما أن قضيتهم كانت الخلافة لا فذك.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ٤٥ ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة.

(عليها السلام) بذلك في خطبتها، ولم يكن منه الضرائب على الإرث، فهي أمر غير شرعي وغير مباح، فالضرائب على الإرث كما هو في بعض الدول الإسلامية! مما لم يوزعه الله ولم يشرعه ولم يبيحه. مضافاً إلى حرمة مطلق الضرائب إلا ما قرره الشرع من الخمس والزكاة وما أشبهه.

و(من) في قولها ﷺ: بيانية^(١) وليست تبعية كما هو واضح.

من مصاديق اللطف

مسألة: إزاحة علة المبطلين لطف، وهو واجب على الله تعالى في الجملة، كما قرر في علم الكلام. إلا أن البحث قد يأتي في المصاديق^(٢) والحدود^(٣) والتزاحم^(٤)، وقد يستكشف بالبرهان الإني^(٥).
قال تعالى: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة﴾^(٦).
وقال سبحانه: ﴿فلله الحجة البالغة﴾^(٧).

(١) أي: إن (من الأقساط) بيان لـ (ما وزع)، و(من الفرائض) بيان لـ (ما شرع) إذ شرع معطوف على وزع، و(من حظ) بيان لـ (ما أباح).

(٢) أي: ما هو مصداق اللطف؟ وهل هذا مصداق أو لا؟.

(٣) أي: في حدود اللطف الواجب.

(٤) أي: مزاحمة بأمر أهم.

(٥) أي: يستكشف اللطف وأن هذا لطف عبر معلوله.

(٦) سورة النساء: ١٦٥.

(٧) سورة الأنعام: ١٤٩.

إزاحة علة المبطلين

مسألة: يلزم إزاحة علة المبطلين ؛ فإن إبطال حجج أهل الباطل والتصدي لها واجب ، وهذا هو معنى إزاحة العلة ، حتى لا يكون للناس حجة على الله سبحانه وتعالى في أعمالهم الباطلة.

وفي قولها عليها السلام إشارة واضحة إلى أن ابن أبي قحافة من المبطلين وأهل الباطل ، فإن المبطلين في مقابل المحقين وهم أهل الحق.

قال رسول الله ﷺ : « في كل خلف من أمتي عدلاً من أهل بيتي ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهال ، وإن أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدوا في دينكم وصلواتكم »^(١).

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾^(٢).

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴾^(٣).

وقال عز وجل : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾^(٤).

(١) قرب الإسناد : ص ٣٧.

(٢) سورة غافر : ٧٨.

(٣) سورة الكهف : ٥٦.

(٤) سورة غافر : ٥.

وأزال التظني والشبهات في الغابرين

هل إزالة التظني تكوينية؟

مسألة: يجب إزالة التظني، في الجملة.

وليس المراد من (أزال التظني) الإزالة التكوينية التامة، وإلا لزم تخلف مراده عن إرادته وهو خلف، بل المراد الإزالة بنحو المقتضي، أو الإزالة التشريعية وهي جزء العلة للإزالة التكوينية.

نعم قوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١) المراد به الإذهاب تكويناً أيضاً، فهو أعم مما هو باختيارهم عليهم السلام وما ليس باختيارهم^(٢).

قولها عليهم السلام: «وأزال التظني»، التظني: إعمال الظن والأخذ بالشبهة، وأصله التظن فأبدل من إحدى النونات ياء.

وفي اللغة: التظني: التحري، وهو من التظن، حذفت النون الأخيرة وجعلوا اشتقاق الفعل على ميزان تفعل^(٣).

و«الشبهات»: تشمل الشك والوهم.

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) أي: إن الله تعالى قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وهذا الإذهاب بلحاظ (ما أذهب) على قسمين: فما لم يكن باختيارهم (كالطينة المباركة، والجينات الوراثية، والأصلاّب والأرحام) تعلقت بإرادة الله بانتخاب الأفضل الأطهر، وما كان داخل دائرة اختيارهم (كعدم ارتكاب المحرمات، والمكروهات وما أشبه) فإنهم بريؤون عن الرجس فيهن بإرادتهم، وصح نسبة ذلك إلى الله كما في ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ - سورة الأنفال: ١٧ - فقد أذهب الله عنهم الرجس إما مباشرة أو تسيباً.

(٣) كتاب العين: ج ٨ ص ١٥١ مادة ظن.

فإنه لولا القرآن الحكيم لكان من الممكن التظني والشبهة بالنسبة إلى الأحكام السابقة والسابقين^(١)، فإن الغابر يأتي بمعنى السابق كما يأتي بمعنى اللاحق، وهو من ألفاظ الأضداد - على اصطلاحهم - وقد ذكرنا في بعض كتبنا أن الظاهر في أمثال هذه الألفاظ أن الضدين فيها من باب المصاديق لا من باب وضع اللفظ لأحدهما مرة وللآخر مرة^(٢).

ويمكن أن يكون المراد من «في الغابرين» أي: في الآتين، وهم الذين يأتون بعد نزول القرآن، فلا يكون لهم تظن وشبهات بالنسبة إلى أحكام الإرث وغيره. عن محمد بن مسلم، عن الإمام الباقر عليه السلام: «إذا رأيت الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، وليس بالرأي والتظني»^(٣).

ومن أدعية الصحيفة السجادية: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رُوعِي مِنَ التَّمَنِّيِّ وَالتَّظْنِيِّ وَالْحَسَدِ ذِكْرًا لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّرًا فِي قُدْرَتِكَ، وَتَدْبِيرًا عَلَى عَدُوِّكَ»^(٤).

إثارة الشبهات محرمة

مسألة: من الواجب رد الشبهات ودفع الشكوك وإن كانت بالنسبة إلى الغابرين.

أما (إثارة الشبهة) في أذهان الناس فهي محرمة، حتى إذا كانت بحجة إثراء

(١) حيث اتهم ابن أبي قحافة السابقين من الأنبياء عليهم السلام أيضاً بعدم الإرث.

(٢) فاللفظ وضع للجامع فهو من المشترك المعنوي لا اللفظي.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ١٢٣ باب الصوم للرؤية والفطر للرؤية ح ١٩٠٨.

(٤) الصحيفة السجادية: الدعاء رقم ٢٠ وكان من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال.

البحث وتحريك العقول ، فإنها تناقض فلسفة القرآن الكريم الذي جاء ﴿هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾^(١) ومناقض لقولها ﷺ في وصف
القرآن: «أزال التظني والشبهات في الغابرين».

نعم إذا كان طرح الشبهة في مقام دفعها تحصيناً وتعليماً وللرد بشروطه كان
جائزاً ، ومن الشروط قابلية القابل^(٢) ، وأن يكون الدفع دافعاً للشبهة حقيقة.

ومن الواضح أن إثارة الشبهات مع عدم تحقق الشرطين إضلال.

عن ابن أبي نصر، عن أبي الحسن ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ
أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾^(٣) ، قال: «يعني من اتخذ دينه رأيه بغير
إمام من أئمة الهدى»^(٤).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم أهل الريب
والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم ، وأكثروا من سبهم والقول فيهم
والوقية ، وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ، ويحذرهم الناس ،
ولا يتعلمون من بدعهم ، يكتب الله لكم بذلك الحسنات ، ويرفع لكم به
الدرجات في الآخرة»^(٥).

وفي الحديث: «من أتى ذا بدعة فعظمه فإنما سعى في هدم الإسلام»^(٦).

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) أي قابلية المستمع لأن يفهم ويستوعب ويقتنع بالرد كما استمع للشبهة.

(٣) سورة القصص: ٥٠.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٣٧٤ باب فيمن دان الله عز وجل بغير إمام من الله جل جلاله ح ١.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٢٦٧ ب ٣٩ ح ٢١٥٣١.

(٦) المحاسن: ج ١ ص ٢٠٨ ب ٦ ح ٧٢.

كلا بل سولت لكم أنفسكم أمراً

وعن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، عن علي عليه السلام، قال: «من مشى إلى صاحب بدعة فوقه فقد مشى في هدم الإسلام»^(١).
وهكذا يجب رد أهل الشبهة والبدعة.

كلا بل سولت لكم أنفسكم أمراً

دوافع الظلم والغدر

مسألتان: من اللازم استكشاف الدوافع الحقيقية وراء التعليقات الظاهرية التي يتخذها المبطلون، ويحرم الانخداع بالتلبيسات الشيطانية فيما كان اختيارياً ولو باختيارية مقدماته، وقضية فذك من أظهر مصاديق ذلك كما ظهر من كلاماتها عليها السلام حيث غصبها القوم إتباعاً للشيطان وهوى النفس.

قولها عليها السلام: «كلا» أي ليس الأمر كما تزعمون من أن الرسول صلى الله عليه وآله قال هذا الحديث، «بل سولت لكم أنفسكم أمراً»، أي: أظهرت لكم أنفسكم إظهاراً سوءاً في أمر فذك واغتصابها، وبعبارة أخرى زينت لكم أنفسكم أمراً قبيحاً وسهله لكم، ومعنى ذلك أنه لم تكن مصادرتكم لذك عن باعث عقلي ولا لدافع شرعي على خلاف ما ادعاه ابن أبي قحافه ونسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله في الحديث المفترى: «نحن معاشر الأنبياء...»، وإنما كان ذلك بدافع هوى النفس وحرصاً على الدنيا وطمعاً في لذائذها، وكان سحراً لحق (أي فذك) وتكريساً لغصب حق آخر ومصادرته وهو الخلافة.

(١) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٢٦٧-٢٦٨ ب ٣٩ ح ٢١٥٣٣.

قولها عليها السلام: «سولت»، التسويل بمعنى تحسين ما ليس بحسن وتحبيبه إلى الإنسان ليقوم به. وهذا هو عمل إبليس (لعنه الله)، وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان عابد في بني إسرائيل لم يقارف من أمر الدنيا شيئاً، فنخر إبليس نخرة فاجتمع إليه جنوده، فقال: من لي بفلان؟»

فقال بعضهم: أنا.

فقال: من أين تأتیه؟

فقال: من ناحية النساء.

قال: لست له، لم يجرب النساء.

قال له آخر: فأنا له.

قال: من أين تأتیه؟

قال: من ناحية الشراب واللذات.

قال: لست له، ليس هذا بهذا.

قال آخر: فأنا له.

قال: من أين تأتیه؟

قال: من ناحية البر.

قال: انطلق فأنت صاحبه.

فانطلق إلى موضع الرجل فأقام حذاءه يصلي، قال: وكان الرجل ينام والشيطان لا ينام، ويستريح والشيطان لا يستريح، فتحول إليه الرجل وقد تقاصرت إليه نفسه واستصغر عمله.

فقال: يا عبد الله، بأي شيء قويت على هذه الصلاة؟

فلم يجبه ثم أعاد عليه. فقال: يا عبد الله، إني أذنبت ذنباً وأنا تائب منه، فإذا ذكرت الذنب قويت على الصلاة.

قال: فأخبرني بذنبك حتى أعمله وأتوب؛ فإذا فعلته قويت على الصلاة.

قال: ادخل المدينة فسل عن فلانة البغية، فأعطها درهمين ونل منها.

قال: ومن أين لي الدرهمين، وما أدري ما الدرهمين؟.

فتناول الشيطان من تحت قدميه درهمين فناوله إياهما، فقام ودخل المدينة بجلايبه يسأل عن منزل فلانة البغية، فأرشده الناس وظنوا أنه جاء يعظها، فجاء إليها بالدرهمين وقال: قومي.

فقامت فدخلت منزلها، وقالت: ادخل، وقالت: إنك جئتني في هيئة ليس يؤتى مثلي في مثلها، فأخبرني بخبرك، فأخبرها.

فقالت له: يا عبد الله، إن ترك الذنب أهون من طلب التوبة، وليس كل من طلب التوبة وجدها، وإنما ينبغي أن يكون هذا شيطاناً مثل لك، فانصرف فإنك لا ترى شيئاً.

فانصرف وماتت من ليلتها فأصبحت وإذا على بابها مكتوب: احضروا فلانة البغية؛ فإنها من أهل الجنة. فارتاب الناس فمكثوا ثلاثاً لا يدفنونها ارتياباً في أمرها، فأوحى الله عز وجل إلى نبي من الأنبياء لا أعلمه إلا موسى بن عمران عليه السلام: أن ائت فلانة فصلّ عليها، وأمر الناس أن يصلوا عليها؛ فإني قد غفرت لها، وأوجبت لها الجنة بتشييطها عبيد فلاناً عن خطيئته»^(١).

(١) قصص الأنبياء للجزائري: ص ٤٦٦-٤٦٧ خاتمة الكتاب في نوادر أخبار بني إسرائيل وأحوال بعض

وفي الحديث، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «والشبهة على أربع شعب: على الإعجاب بالزينة، وتسويل النفس، وتأول العوج، ولبس الحق بالباطل»^(١).
وعن كميل بن زياد، عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال - في كلام له في تسويل الشياطين -: «إِنَّهُمْ يَخْدَعُوكَ بِأَنْفُسِهِمْ، فَإِذَا لَمْ تُجِبْهُمْ مَكْرُوا بِكَ وَبِنَفْسِكَ، بِتَحْيِيهِمْ إِلَيْكَ شَهَوَاتِكَ، وَإِعْطَائِكَ أَمَانِيكَ وَإِرَادَتِكَ، وَيُسَوِّلُونَ لَكَ وَيَنْسُونَكَ، وَيَنْهَوْنَكَ وَيَأْمُرُونَكَ، وَيُحَسِّنُونَ ظَنَّنَا بِاللَّهِ حَتَّى تَرْجُوهُ، فَتَغْتَرَّ بِذَلِكَ فَتَعْصِيَهُ، وَجَزَاءُ الْعَاصِي لَظَى»^(٢).

وقال عليه السلام: «ردع النفس عن تسويل الهوى شيمة العقلاء»^(٣).

وفي الغرر: «ردع النفس عن تسويل الهوى ثمرة النبل»^(٤).

وقال عليه السلام: «سلوا الله سبحانه العافية من تسويل الهوى وفتن الدنيا»^(٥).

(١) تحف العقول: ص ١٦٧ خطبته عليه السلام التي يذكر فيها الإيمان ودعائمه وشعبه والكفر ودعائمه وشعبه.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٣٣٧-٣٣٨ ب ٤١ ح ١٣٢٠٤.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ١١٤ ب ٨١ ضمن ح ١٣٦٦٨.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤١ ق ٣ ب ٢ ف ١ مخافة الهوى ح ٤٨٧٨.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠٦ ق ٣ ب ٣ ف ٥ ذم الهوى ح ٧٠٠٣.

فصير جميل

أقسام الصبر

مسائل: الصبر صبران: صبر جميل وغيره، ولعل المنصرف من الآيات والروايات الواردة في الأثر الوضعي والجزاء الأخروي على الصبر هو الأول، وربما يقال بأن الأثر والأجر الكاملين هو للجميل منهما وإن كان قسيمه أيضاً لا يخلو من شيء، وربما يقال بأن غير الجميل أنواع، بعضها يحبط الأجر كاملاً وبعضها في الجملة.

ثم إن الصبر الجميل له مراتب ودرجات، وما كان أصله واجباً كان الفضل من مراتب الفضل.

أما صبر الصديقة الطاهرة عليها السلام فكان صبراً جميلاً بأعلى درجاته. والصبر الجميل هو الذي لا يخالطه شكاية ولا جزع ولا ما شابه ذلك، ويقابله الصبر المقرون بالجزع والشكوى وعدم الرضا بالقضاء القدر. ومن الواضح أن رضاها عليها السلام بالقضاء - لا صبرها فحسب - كان في أعلى الدرجات.

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله والعتره الطاهرة عليهم السلام.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام يوم ما سموه بالشورى حين عرضوا عليه العمل بسيرة الشيخين: «بل أجتهد برأيي..» وقال: «ليس هذا بأول يوم تظاهرت فيه علينا فصبر جميل والله المستعان عى ما تصفون»^(١).

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ١٩٤ قصة الشورى.

وقال علي عليه السلام لابن عباس: «يا ابن عباس، هداهم رسول الله ﷺ في حياته بوحي من الله يأمرهم بموالاتي، فحمل القوم ما حملهم مما حقد على أبينا آدم عليه السلام من حسد اللعين له، فخرج من روح الله ورضوانه، وألزم اللعنة لحسده لولي الله، وما ذاك بضاري إن شاء الله شيئاً. يا ابن عباس، أراد كل امرئ أن يكون رأساً مطاعاً تميل إليه الدنيا وإلى أقاربه، فحمله هواه ولذة دنياه وإتباع الناس إليه أن يغصب ما جعل لي، ولولا اتقائي على الثقل الأصغر أن يبيد، فينقطع شجرة العلم وزهرة الدنيا، وحبل الله المتين، وحصنه الأمين، ولد رسول الله رب العالمين، لكان طلب الموت والخروج إلى الله عز وجل ألد عندي من شربة ظمآن ونوم وسمان، ولكنني صبرت وفي الصدر بلابل، وفي النفس وساوس، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾^(١)، ولقد يما ظلم الأنبياء، وقُتل الأولياء قديماً في الأمم الماضية والقرون الخالية، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره. والله أحلف يا ابن عباس، أنه كما فتح بنا يختم بنا، وما أقول لك إلا حقاً. يا ابن عباس، إن الظلم يتسق لهذه الأمة، ويطول الظلم، ويظهر الفسق، وتعلو كلمة الظالمين...»^(٢)، الحديث.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنا صبرٌ»^(٣).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ في وصيته لعلي عليه السلام: «يا علي، اصبر على ظلم الظالمين؛ فإن الكفر يقبل والردة

(١) سورة يوسف: ١٨.

(٢) اليقين: ص ٣٢٥ ب ١٢٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٩٣ باب الصبر ح ٢٥.

والنفاق مع الأول منهم، ثم الثاني وهو شر منه وأظلم ثم الثالث، ثم يجتمع لك شيعة تقاتل بهم الناكثين والقاسطين، والمتبعين المضلين، واقنت عليهم هم الأحزاب وشيعتهم»^(١).

وفي وصية رسول الله ﷺ قرب وفاته: «يا علي، ما أنت صانع لو قد تأمر القوم عليك بعدي وتقدموا عليك، وبعث إليك طاغيتهم يدعوك إلى البيعة، ثم لبيت بثوبك تقاد كما يقاد الشارد من الإبل مذموماً مخذولاً محزوناً مهموماً، وبعد ذلك ينزل بهذه الذل؟». قال: فلما سمعت فاطمة ما قال رسول الله ﷺ صرخت وبكت، فبكى رسول الله ﷺ لبكائها، وقال: «يا بنية، لا تبكين ولا تؤذين جلساءك من الملائكة، هذا جبرئيل بكى لبكائك وميكائيل وصاحب سر الله إسرافيل. يا بنية، لا تبكين فقد بكت السماوات والأرض لبكائك». فقال علي عليه السلام: «يا رسول الله، أنقاد للقوم وأصبر على ما أصابني من غير بيعة لهم، ما لم أصب أعواناً لم أناجز القوم». فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اشهد»^(٢).

قولها عليها السلام: «فصبر جميل»، أي فصبري جميل، أو الصبر الجميل أولى. قالوا: إنما يكون الصبر جميلاً إذا قصد به وجه الله تعالى، وفعل للوجه الذي وجب، ذكره السيد المرتضى^(٣) (رضوان الله عليه).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٨٨-٤٨٩ ب ١ ح ٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٩٣ ب ١ ح ٣٨.

(٣) أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، المشهور بـ (السيد المرتضى) و(الشریف المرتضى) و(ذي الثمانين) و(ذي المجدين) و(علم الهدى)، لقبه بهذا اللقب أمير المؤمنين عليه السلام في قصة معروفة. ولد ﷺ في بغداد عام ٣٥٥ هـ من أسرة هاشمية عالية

والله المستعان على ما تصفون

وعن علي بن محمد العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الصادق عليه السلام:
في قول الله عز وجل في قول يعقوب: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾^(١) قال: «بلا شكوى»^(٢).

والله المستعان على ما تصفون

الاستعانة بالله

مسألة: الاستعانة بالله مستحبة وقد تجب، كل منهما في مورده.
ومعناها: طلب العون من الله تعالى، وهو بالقلب واللفظ، وتشمل كل
أفعال الإنسان.
وفي سورة الحمد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٣) بحذف المتعلق حيث يفيد
العموم.

والفرق بينها وبين التوكل مذكور في محله.
فعلى الإنسان أن يتوكل ويستعين بالله جل وعلا فيما ليس بيده، كما عليه

► النسب، فله نسب شريف من ناحية أبيه وأمه. كان السيد المرتضى عالماً جامعاً، ومتكلماً فقيهاً،
وأديباً. جمع من العلوم ما لم يجمعه أحد، كان نقيب الطالبين في عصره. وكان يحظى بمنزلة سامية في
العلم والفقه قل نظيرها. صار إماماً في الفقه والكلام ومرجعاً للإمامية في عصره بعد وفاة الشيخ المفيد.
له تصانيف مشهورة منها: (الشافعي في الإمامة) وكتاب (الطيف والخيال) وكتاب (الغرر والدرر)، وله
ديوان شعر فيه أكثر من عشرين ألف بيت. قيل: إنه خلف بعد وفاته ٨٠ ألف مجلداً من مقرئاته
ومصنفاته ومحفوظاته. توفي رحمته الله في بغداد عام ٤٣٦هـ، وصلى عليه ابنه.

(١) سورة يوسف: ١٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٢ ص ٢٦٧-٢٦٨ ب ٩ ح ٣٨.

(٣) سورة الفاتحة: ٥.

ذلك فيما بيده أيضاً، حيث اللازم أن يعمل به ويتوكل، فإن دائرة الاستعانة والتوكل غير دائرة العمل والسعي، وإن كان العمل والسعي أيضاً من الله سبحانه وتعالى لأنه عز وجل مسبب الأسباب، كما سبق شبه ذلك بالنسبة إلى كل ما في دائرة قدرة الإنسان وما ليس في دائرة قدرته، ومنه أيضاً يتضح المراد بـ «الأمرين» الذي ذكره الإمام (عليه الصلاة والسلام) نافياً الجبر والتفويض^(١).

قولها عليها السلام: «بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون»، اقتباس من الآية المباركة في قصة يوسف (عليه السلام) حيث قال سبحانه: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾^(٢).

وفي هذا الاقتباس إشارات ودلالات لمن تدبره.

قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣).

وقال الإمام الحسن المجتبي عليه السلام: «فعلیکم عباد الله بتقوى الله وطاعته، والجد والصبر والاستعانة بالله، والخوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين عليه السلام»^(٤).
وفي نهج البلاغة: «وَأَكْثَرُ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ يَكْفِيكَ مَا أَهَمَّكَ، وَيُعِينُكَ عَلَى مَا يُنْزِلُ بِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٥).

(١) راجع الكافي: ج ١ ص ١٦٠ باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين ح ١٣.

(٢) سورة يوسف: ١٨.

(٣) سورة الأعراف: ١٢٨.

(٤) شرح نهج البلاغة: ج ١٤ ص ١٢-١٣ أخبار علي عليه السلام عند مسيره إلى البصرة ورسله إلى أهل الكوفة.

(٥) نهج البلاغة، الرسائل: ٣٤ ومن كتاب له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر.

وقال رسول الله ﷺ: «ألا فاذكروا هادم اللذات، ومنغص الشهوات، وقاطع الأمنيات عند المشاورة للأعمال القبيحة، واستعينوا بالله على أداء واجب حقه، وما لا يحصى من أعداد نعمه وإحسانه»^(١).

فائدة الاستعانة

مسألة: قد يتساءل عن مراد الصديقة فاطمة عليها السلام من الاستعانة بالله، وعن الفائدة المتوخاة فيها، فهل هي استعانة به لاسترجاع فذك؟. أم هي استعانة به لاستعادة الخلافة المغصوبة؟. أم هي استعانة به لفضح الغاصبين والظالمين؟. أم هي استعانة به لكي يمنعهم من المزيد من الظلم والجور؟. أم هي استعانة به عليهم في الآخرة؟.

والجواب: إن استعانتها عليها السلام به عزوجل في ما عدا الأولين واضح الوجه، وواضح التحقق والفائدة، أما الاستعانة فيهما فهي وظيفة، فكما لا يلزم في الدعاء إحراز الإجابة، بل المطلوب الطلب والدعاء فإنه من مصاديق العبودية، كذلك الاستعانة حتى مع إحراز عدم الإجابة فرضاً، بالشكل الذي طلبه، فإن للاستعانة والدعاء موضوعية أيضاً.

ثم إن الدعاء يجب حتماً - على ما ذكرناه في بعض كتبنا - وإن كانت الإجابة متأخرة، أو بشكل آخر، أو في زمن دون زمن، أو في عالم دون عالم^(٢).

(١) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٩١ ب ٥٢.

(٢) والقدر المسلم استجابة هذه الدعوة زمن ظهور منقذ البشرية عجل الله تعالى فرجه الشريف.

كما أن في نفس الاستعانة بالله عليهم فضحاً للظالمين ، إلى غير ذلك من فوائدها.

استنباطات

مسائل: ربما يستنبط من اقتباسها عليها السلام الآية الشريفة هاهنا بكاملها أمور:

منها: أن الكثير من الآيات القرآنية كليات وقواعد عامة وإن صيغت في قالب جزئي أو شخصي أو في قالب حكاية تاريخية ، ولعل هذا من معاني ما ورد في الروايات من أن القرآن كالشمس^(١).

ومنها: أن من الجائز استخدام الآيات الشريفة في المصاديق المشابهة للاستخدام القرآني ، كقراءة آية ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢) وتطبيقها على طواغيت العصر من باب المصداق.

ومنها: إن الواجب الحذر من تسويل النفس.

ومنها: كفاية كلامها عليها السلام هذا في إدانة القوم وأن نواياهم كانت سيئة وعلى غير ما أظهروها ، فإنها (صلوات الله عليها) الصديقة التي يرضى لرضاها الرب ويغضب لغضبها . كما قال رسول الله ﷺ^(٣) . ولا يعقل في من حالها هذه أن تتهم جمعاً كبيراً من المسلمين بغير الحق.

(١) راجع الكافي: ج ٢ ص ٦١٠ باب البيوت التي يقرأ فيها القرآن.

(٢) سورة القصص: ٤.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٩ ب ٣ ح ٢.

ومنها: كفاية كلامها عليها السلام هذا وما سبقه ويلحقه في تفسيق القوم.

ومنها: دلالة هذا الكلام ونظائره على كون الذين خاطبتهم الصديقة الطاهرة عليها السلام - وعلى رأسهم ابن أبي قحافة - ظالمين جائرين، وهو كافٍ في إسقاطهم عن صلاحية الخلافة، فلو فرض - وفرض المحال ليس بمحال - أن الرسول ﷺ لم يعهد ولم يوص بالخلافة للإمام علي عليه السلام.. ولو فرض أيضاً - من باب التسليم - أنهم جاءوا للخلافة بالشورى واختيار المسلمين - ولم يكن شورى ولا اختيار - فإنهم بشهادتها عليها السلام هذه وأنهم كذبوا على رسول الله ﷺ ووضعوا الحديث وغيروا حكم الله في الإرث و... لا يصلحون للخلافة في علتها المبقية، كما يستكشف عن عدم صلاحيتهم في علتها المحدثه، هذا بالإضافة إلى ما سيأتي في باقي الخطبة الشريفة وغيره في غيرها من عدم صلاحيتهم للخلافة حدوثاً وبقاءً.

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).

فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك، هؤلاء المسلمون بيني وبينك قلدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبد ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

مكانة الصديقة عليها السلام في نفوس المسلمين

إلفات: يمكن لمن يعتقدون بأبي بكر أن يكتشفوا من تصريحه هذا مدى مكانة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام في نفوس المسلمين الأوائل، وأنهم كانوا يرونها ركن الدين وعين الحجة ومعدن الحكمة - لا حكيمة فحسب - وموطن الهدى والرحمة ...

ثم إن مثل هذا التصريح - بل الأقل منه بكثير - لم يصدر عن أبي بكر تجاه عائشة وحفصة، ومنه يعلم البون الشاسع حتى في أعين مخالفين الزهراء عليها السلام بينها وبين معارضاتها.

إقرار ابن أبي قحافة

إلفات آخر: إن إقرار ابن أبي قحافة بكل ذلك إبطال لنفسه بنفسه، حيث أبطل به كل كلماته السابقة واللاحقة في موضوع فذك وغصب الخلافة، وإقراره هذا يؤخذ به دون معاكساته؛ لأن تلك جر النار إلى قرصه، ولاحتفافها بقرائن الجعل الأخرى دون هذا الإقرار.

وقوله: (صدق الله ورسوله وصدقت ابنته)، تصديق منه لتوارث الأنبياء عليهم السلام ودلالة الآيات الشريفة على إرث البنت من أبيها، وأن الأمر كما

ذكرته الصديقة الطاهرة عليها السلام.. وأن حديث (نحن معاشر...) الذي رواه كذب. وقوله: (ركن الدين وعين الحجة)، إقرار بأن الصديقة عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام قوام الدين فلا دين بدونهم، فإن الشيء لا يقوم بلا ركن، كما هو إقرار بأن الصديقة عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام لهم الحجة والحجية، فهم حجج الله حقاً، وكلامهم وفعلهم حجة، ومن هنا فإن من يقف في قبال ركن الدين وعين الحجة لا يكون إلا على باطل.

وكذلك قوله: (لا أبعد صوابك، ولا انكر خطابك)، اعتراف صريح بصديق الصديقة الطاهرة عليها السلام وصواب ما قالت، وإقرار بجميع خطابها عليها السلام في إرثها وإرث الأنبياء عليهم السلام ومسألة الخلافة.

قوله: (قلدوني ما تقلدت)، هذا إقرار منه بأن غصبه للخلافة ولفدك لم يكن بأمر من الله ولا من قبل رسوله صلى الله عليه وآله ولا طبق الكتاب العزيز، بل من جهة اجتماع هؤلاء القوم على ذلك.

سكوت القوم

إلفات ثالث: قوله (هم بذلك شهود)، لا دليل على صحته حتى بالنسبة إلى الحاضرين في المسجد، فكانت هذه مجرد دعوى لا دليل عليها، بل الدليل على عدمها.

وأما سكوت جمع منهم عن تكذيبه، فليس دليل على التسليم بكلامه، إذ من الواضح خوف الناس من معارضة الحاكم وتكذيبه، والأدلة التاريخية كثيرة على جو الإرهاب الذي فرض على الناس ساعتئذ، فليراجع في مظانه.

ثم إن السكوت لا يكفي في مقام الشهادة، كما أنه لا يدل على الرضا إلا فيما استثني كما ذكره الفقهاء في باب النكاح ورضا البكر^(١).

بين السكوت والرضا

مسألة: كما أن السكوت على الباطل محرم كذلك الرضا به على ما سبق.
عن معمر بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لعن الله القدرية، لعن الله الحرورية، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة».

قلت: كيف لعنت هؤلاء مرة ولعنت هؤلاء مرتين؟

فقال: «إن هؤلاء زعموا أن الذين قتلونا كانوا مؤمنين فثيابهم ملطخة بدمائنا إلى يوم القيامة، أما تسمع لقول الله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمْ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢). قال: - وكان بين الذين خوطبوا بهذا القول وبين القاتلين خمسمائة عام، فسامهم الله قاتلين برضاهم بما صنع أولئك^(٣)».

وعن محمد بن الهيثم التميمي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. قال: «أما إنهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم ولا يجلسون مجالسهم، ولكن كانوا إذا لقوهم ضحكوا في وجوههم وأنسوا بهم^(٤)».

(١) راجع موسوعة الفقه للإمام الشيرازي رحمته الله: كتاب النكاح.

(٢) سورة آل عمران: ١٨٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٢٦٨-٢٦٩ ب ٣٩ ح ٢١٥٣٦.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٣٥ من سورة المائدة ح ١٦١.

خدعة الغاصبين

لقد حاول أبو بكر أن يبرأ ساحته، وينقل المعركة من معركة بينه وبين الصديقة الزهراء عليها السلام إلى معركة بين (المسلمين) - حسب تعبيره - وبينها عليها السلام، وهذا من أخطر أنواع المكر.

ثم إن ذلك لا ينفي عنه تجرؤه على الله ورسوله ﷺ بوضعه الحديث وكذبه على رسول الله ﷺ حيث وضع تلك الرواية أولاً، ولكنه عندما حاججته الصديقة عليها السلام بالقرآن تراجع وقال: (صدقت ابنته..)، وهذا مما يلزم به هو وأتباعه.

ثم إن استدلاله أضعف من الضعيف، أفهل للمسلمين - على فرض أن كانوا كما قال قد قلدوه ما تقلد - أن يحكموا بخلاف القرآن؟.

وهل الإجماع على فرضه حجة في مقابل الكتاب؟. وقد قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

أو ما كان الأحرى به أن يلتزم بحكم القرآن ويدعو الناس أيضاً إلى الالتزام به؟!.

﴿كَأَلَّا بَلَ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

(١) سورة النساء: ٦٥.

(٢) سورة المطففين: ١٤.

آيات في وجوب الطاعة حرمة المعصية

قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾^(٦).

(١) سورة آل عمران: ٣٢.

(٢) سورة النساء: ١٣-١٤.

(٣) سورة النساء: ٥٩.

(٤) سورة المائدة: ٩٢.

(٥) سورة الأنفال: ١.

(٦) سورة الأنفال: ٢٠.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٥).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَلِينَ * كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٦).

(١) سورة النور: ٥٢.

(٢) سورة النور: ٥٤.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٤) سورة الأحزاب: ٦٤-٦٦.

(٥) سورة الفتح: ١٧.

(٦) سورة المجادلة: ٢٠-٢١.

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٣).

روايات في وجوب الطاعة حرمة المعصية

عن عاصم بن حميد، عن أبي إسحاق النحوي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فسمعتة يقول: «إن الله عز وجل أدب نبيه على محبته فقال: ﴿وَأَنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾»^(٤)، ثم فوض إليه فقال عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾»^(٥)، وقال عز وجل: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾»^(٦). ثم قال: وإن نبي الله فوض إلى علي عليه السلام وائتمنه، فسلمتم وجدد الناس، فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا، وتصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله عز وجل، ما جعل الله لأحد خيرا في خلاف أمرنا»^(٧).

(١) سورة الحشر: ٤.

(٢) سورة الحشر: ٧.

(٣) سورة التغابن: ١٢.

(٤) سورة القلم: ٤.

(٥) سورة الحشر: ٧.

(٦) سورة النساء: ٨٠.

(٧) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٣-٤ ب ١٣ ح ١.

وعن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام يقولان: «إن الله عزوجل فوض إلى نبيه ﷺ أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم - ثم تلا هذه الآية -: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١)»^(٢).

وعن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر: «إن الله عزوجل أدب نبيه فأحسن أدبه، فلما أكمل له الأدب قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣)، ثم فوض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده، فقال عزوجل: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٤)، وإن رسول الله ﷺ كان مسددا موفقا مؤيدا بروح القدس لا يزل ولا يخطئ في شيء مما يسوس به الخلق فتأدب بآداب الله... وليس لأحد أن يرخص ما لم يرخصه رسول الله ﷺ، فوافق أمر رسول الله ﷺ أمر الله عزوجل ونهيه نهى الله عزوجل، ووجب على العباد التسليم له كالتسليم لله تبارك وتعالى»^(٥).

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «وضع رسول الله ﷺ دية العين ودية النفس، وحرّم النبيذ وكل مسكر». فقال له رجل: وضع رسول الله ﷺ من غير أن يكون جاء فيه شيء^(٦)؟ فقال: «نعم، ليعلم من يطيع الرسول

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٢٦٦ باب التفويض إلى رسول الله ﷺ وإلى الأئمة عليهم السلام في أمر الدين ح ٣.

(٣) سورة القلم: ٤.

(٤) سورة الحشر: ٧.

(٥) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٤-٥ ب ١٣ ح ٣.

(٦) أي من القرآن، وإلا فالرسول ﷺ لا ينطق عنه نفسه بل مشيئته مشيئة الله عزوجل وإرادته إرادة الله عزوجل.

ممن يعصيه»^(١).

في نوادر محمد بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا والله ما فوض الله إلى أحد من خلقه إلا إلى رسول الله ﷺ وإلى الأئمة عليهم السلام، فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾^(٢)، وهي جارية في الأوصياء»^(٣).

وعن عبد الله بن سليمان، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إن الله أدب محمدا ﷺ تأديبا ففوض إليه الأمر وقال: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٤)، وكان مما أمره الله في كتابه فرائض الصلابة وفرض رسول الله ﷺ للجد فأجاز الله ذلك له، وحرّم الله في كتابه الخمر بعينها وحرّم رسول الله ﷺ كل مسكر فأجاز الله ذلك له»^(٥).

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٥ ص ٣٥٤ ب ٢٤ ح ٣٢١٠٩.

(٢) سورة النساء: ١٠٥.

(٣) بصائر الدرجات: ص ٣٨٦ ب ٥ ح ١٢.

(٤) سورة الحشر: ٧.

(٥) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٩-١٠ ب ١٣ ح ١٧.

فالتفتت فاطمة عليها السلام إلى الناس وقالت: معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل

الباطل

حرمة الإسراع إلى الباطل

مسألة: يحرم الإسراع إلى قيل الباطل، فإن الذهاب إلى الباطل محرم، والإسراع إليه أشد حرمة، كما قلنا مثل ذلك في بعض البنود السابقة.

وبما أن أبا بكر أجابها بجواب مضمونه أن المسلمين هم الذين وافقوا على ما فعلت وفوضوا الأمر إليه، فكان اللازم أن توجه الصديقة الزهراء عليها السلام الخطاب إلى أولئك الذين آزره على غصبه للخلافة ولفدك، فتقصدهم باللوم والعتاب مباشرة.. ولهذا قالت الصديقة عليها السلام: «معاشر المسلمين»، وفي بعض النسخ: «معاشر الناس».

(معاشر): جمع معشر، والمعشر بمعنى: الجماعة. ولعل السبب في التعبير بـ (معاشر) دون معشر؛ لأنهم كانوا مجاميع لا على قلب واحد، بل لكل هوى وهدف ومصلحة وسبب في معاضدته للباطل أو سكوته عليه، إذ كانوا جماعات أنصار ومهاجرين وفي كل واحد من هذين جماعات^(١) ولو كانوا على قلب واحد وإيمان واحد لكان التعبير بمعشر المسلمين.

(قيل الباطل): أي قول الباطل، فإن القيل والقال في القول الشر والباطل، فهما مصدران أيضا، وقيل: بأنهما اسما مصدر للقول، أما (قيل) المجهول في قبال (قال) المعلوم فهو من الفعل كما لا يخفى.

(١) فكان البعض ينطلق خوفا والبعض طمعا والبعض عصبية والبعض حسدا و..

والظاهر أن (المسرعة إلى قيل الباطل) قيد احترازي وليس توضيحياً، فقد قيدت عليها السلام ما أطلقه أبو بكر (هؤلاء المسلمين) محاولاً أخذ الشرعية من أنهم أعطوه الصلاحية! فأجابت عن ذلك ضمناً بأن المسلمين المسرعين إلى قيل الباطل المغضين عن الفعل القبيح الخاسر هم الذين أعطوه الصلاحية لا كل المسلمين، فلا إجماع في البين.

هل كان (معاشر المسلمين) أقلية؟

لا يقال: كيف تقول الصديقة عليها السلام: «معاشر المسلمين»، والحال أنهم كانوا الأقلية من الأقلية كما سبق؟.

إذ يقال: أولاً: (معاشر المسلمين) و(معاشر الناس) وغيرها تطلق على من هم طرف الخطاب وإن كانوا مجموعة غير كبيرة مجتمعة في مسجد - كما في هذه الخطبة - أو قاعة أو ما أشبه، ألا ترى صحة أن يخاطب الخطيب أو إمام الجماعة من حضر في مسجده أو مجلسه بـ (معاشر الناس أو صيكم بتقوى الله) وما أشبه؟. هذا وفي بعض النسخ: «معاشر المسرعة» من دون إضافة إلى الناس أو المسلمين.

وثانياً: لقد قلنا إن الذين بايعوا أبا بكر كانوا الأقلية من الأقلية - إذ كانوا مجموعة من أهل المدينة فحسب - وخاطبها الآن لهم وللذين غضوا الطرف عن ظلامتها وسكتوا على ظلمها، فلو فرض دلالة خطابها العام على العموم لم يكن دالاً على عمومية البيعة كما هو واضح من أن يخفى.

وثالثاً: لقد ثبت أن من بايع لم يكن بملء اختياره وإرادته، بل كان الأكثر منهم خوفاً ومجموعة منهم طمعا^(١) أما من بايع اقتناعاً فكان (النادر) لا (الأقلية)

(١) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ١٧٥ ب ٤ ح ١.

فحسب، وقد قال عمر بن الخطاب: (كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها)^(١).

ورابعاً: لو فرض دلالة الجملة على جمهرة كثيرة، فإن من غير البعيد أن خطابها ﷺ لمعاشر المسلمين في ذلك الزمن وعلى مر الأزمان ممن تبع أولئك الأوائل ولا يزال مسرعاً إلى قيل الباطل ومغضياً عن الفعل القبيح الخاسر، فلا دلالة إذن على كونهم جمهرة كبيرة في ذلك الزمن.

لا يقال: لماذا استجابتها ﷺ لمحاولته الخدعة بتحويل الصراع بينه وبينها إلى المسلمين معها؟ أي لماذا وجهت خطابها إلى المسلمين ولا متهم بدل أن تعود مرة أخرى لعتابه والإشكال عليه؟.

إذ يقال: لأنها ﷺ أتمت الحجة على أبي بكر فيما سبق من الكلام، فبقي أن تتم الحجة على الناس أيضاً، بل هي إتمام الحجة للجميع على مر الدهور والأزمان، فقد أرادت ﷺ لخطبتها أن تكون مدرسة متكاملة في شتى البحوث ولشتى المستويات، منها الحاكم ومنها المحكومون، ومنها المخاطبون ومنها الآتون فيما بعد، إلى غير ذلك.

الإشاعات المغرضة

مسألة: قد يستفاد من كلام الصديقة الطاهرة ﷺ ذم ظاهرة اجتماعية قد تكون عامة، وهي أن الناس عادة تسرع إلى الأقاويل الباطلة، ومنها الإشاعات المغرضة ضد المصلحين، فيتوجب على المرء الانتباه وأن لا يخدعه الجمهور، كما يتوجب على المصلح اليقظة والحذر والتخطيط لتلافي ذلك.

(١) بحار الأنوار: ج ٣٠ ص ٤٤٨ ب ٢٢ الرابع.

المغضية على الفعل القبيح الخاسر

السكوت على القبائح

مسألة: يحرم الإغضاء على الفعل القبيح الخاسر، إذا كان مما استقل العقل بقبحه بحيث يمنعه من النقيض (كالظلم)، أو مما حرمه الشارع. فإن اللازم على الناس تغيير القبيح لا أن يغضوا الطرف عنه أو يكونوا محايدين بالنسبة إليه، بل يجب النهي عن المنكر.

ونسبة الخسران إلى الفعل القبيح من باب علاقة السبب والمسبب كما قيل في (البلاغة)، وإلا فالإنسان الفاعل للقبيح هو الخاسر، وذلك كقوله تعالى: ﴿فَمَا رِيحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾^(١) حيث نسبة الربح إلى التجارة من باب السبب.

نعم، ربما يقال بحقيقية النسبة وذلك بلحاظ تجسم الأعمال، فإن العمل يكون خاسرا أو رابحا كما لا يخفى على المتأمل.

(المغضية): إغضاء البصر بمعنى خفضه والنظر إلى الأرض، وهذا يستدعي عدم رؤية الإنسان أمامه، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾^(٢)، وقال عز وجل: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾^(٣).

ولعل في قولها عليها السلام: «القبيح» تنبيها إلى أن غضب الإرث وفدك والكذب على الرسول ﷺ وغضب الخلافة قبيح عقلا قبل أن يكون قبيحا شرعا، فهو نوع من إثارة دفائن عقولهم، ويتضح ذلك مما لو كان التعبير بـ

(١) سورة البقرة: ١٦.

(٢) سورة النور: ٣٠.

(٣) سورة النور: ٣١.

(الفعل المحرم) فهي عليه السلام بهذه الكلمة تحاول إثارة عقولهم وفطرتهم، وبـ (الخاسر) تحاول ردعهم عبر التنبيه على الآثار.

(الخاسر): صفة الفعل القبيح، أي أن هذا الفعل يوجب الخسارة، فهو من باب وصف الشيء بحال متعلقه، ويحتمل - بعيدا - أن يكون صفة معاشر المسلمين على الإنفراد أي: كل واحد منهم خاسر، أو معشر معشر منهم خاسر، من قبيل: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾^(١) أي: لم يتسنه كل واحد منهما.

ثم إن (الفعل الخاسر) أعم من الخسارة الدنيوية والأخروية، فإنهم لو لم يقوموا بتلك الجرائم من غصب الخلافة وغصب فذك وإبعاد أهل البيت عليهم السلام عن مقامهم، وسكوتهم على الباطل، كانوا كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَبُوا فَاَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

من عادة الناس

مسألة: يستفاد من كلام الصديقة عليها السلام ظاهرة اجتماعية أخرى بحاجة إلى إعادة النظر والسعي للقضاء عليها، وهي أن الناس عادة لا تصطدم بالحكام الظلمة ولا بالطغاة والفراعنة، وبشكل عام فإنها تفضل السكوت على الباطل والإغضاء عن الجرائم والجنايات التي يرتكبها (الكبار) أو غيرهم في المجتمع،

(١) سورة البقرة: ٢٥٩.

(٢) سورة الأعراف: ٩٦.

وذلك خوفا على مصالحهم الشخصية، فإن «الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معاشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون»^(١). وهذا التاريخ - بل الحياة المعاصرة - أكبر شاهد على ما نقول.

وقد قال النبي عيسى عليه السلام في مواعظه لعبيد الدنيا:

«ويلكم يا عبيد السوء، كيف ترجون أن يؤمنكم الله من فزع يوم القيامة وأنتم تخافون الناس في طاعة الله، وتطيعونهم في معصيته، وتفون لهم بالعهود الناقضة لعهد، بحق أقول لكم لا يؤمن الله من فزع ذلك اليوم من اتخذ العباد أربابا من دونه.

ويلكم يا عبيد السوء، من أجل دنيا دنية وشهوة رديئة تفرطون في ملك الجنة، وتنسون هول يوم القيامة.

ويلكم يا عبيد الدنيا، من أجل نعمة زائلة وحياة منقطعة تفرون من الله وتكرهون لقاءه، فكيف يحب الله لقاءكم وأنتم تكرهون لقاءه، وإنما يحب الله لقاء من يحب لقاءه، ويكره لقاء من يكره لقاءه، وكيف تزعمون أنكم أولياء الله من دون الناس وأنتم تفرون من الموت وتعتصمون بالدنيا...»^(٢).

(١) تحف العقول: ص ٢٤٥ وعنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٣٠٨ ب ٢١ ح ١٦.

أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟

ترك التدبر محرم

مسألة: يحرم الترك المطلق للتدبر في القرآن الكريم، أي عامة الناس في عامة آياته، فإنه من أجلى مصاديق اتخاذ القرآن مهجورا، وهو إعراض عن الآيات التي تأمر بالتدبر وتنهى عن الهجر، إلى غير ذلك. قال تعالى: ﴿كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٤).

لكن هل يحرم على الفرد ترك التدبر مطلقا بعد عمل العموم به؟. الظاهر ذلك لنفس الأدلة، ولكن لا يلزم التدبر في كل الآيات على مر الأزمنة، بل الواجب بمقدار الصدق العرفي كما وكيفا. والمراد بالتدبر: استخراج أحكامه وفهم الحياة ومعرفة الحق وأخذ العبرة منه. كما في أحوال الأمم السالفة. والاستعداد للآخرة.

(١) سورة ص: ٢٩.

(٢) سورة النساء: ٨٢.

(٣) سورة محمد ﷺ: ٢٤.

(٤) سورة (المؤمنون): ٦٨.

ثم إن التدبر يختلف معناه عن التفسير بالرأي^(١) الذي ورد فيه: «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»^(٢)، وقد أشرنا إلى الفرق فيما سبق.

قولها: «أفلا تتدبرون» اقتباس من الآية الكريمة: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٣).

وفي الروايات: إن معنى الآية أفلا يتدبرون القرآن فيقضوا بما عليهم من الحق^(٤).

الدعوة للتدبر

مسألة: يستحب إرشاد الناس ودعوتهم للتدبر في القرآن، وقد يجب ذلك كل في موره، ففي مورد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير الواجب يكون واجبا، فإن عدم التدبر في القرآن كان من أهم أسباب تخلف المسلمين، لأن آياته تكفلت سعادة الدنيا والآخرة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(٥).

كما أن من الواجب على دعاة النهضة والتغيير، إضافة إلى توجيه الناس للتدبر في القرآن، أن يرشدوهم لضوابطه وقواعده كي يحولوا دون استغلال المستغلين وتحريفات الضالين.

(١) فإن التدبر ينطلق من القواعد والأصول، والتفسير بالرأي ينطلق خارجا عنها. فالتدبر يلاحظ مثلا الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآيات. حيث إنهم قد نزل القرآن في بيوتهم فهم الأعرف به. كما يلاحظ المطلق والمقيد والعام والخاص... ثم يستخرج حكما مثلا، والتدبر يتبع المحكم، بينما المفسر بالرأي يتبع التشابه ويتصرف بالمحكم كما يشاء...

(٢) غوالي اللالكئي: ج ٤ ص ١٠٤ الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامله ح ١٥٤.

(٣) سورة محمد عليه السلام: ٢٤.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٣٠٥-٣٠٦ ب ١١.

(٥) سورة الأنفال: ٢٤.

قولها ﷺ: «أفلا تتدبرون...» أي: هل تعجزون عن التدبر والتأمل في القرآن؟ أم أنكم قادرون لكن تأبى أنفسكم ذلك، هذا إذا كان (أم) بمعنى: أحد الأمرين، أما إذا كان بمعنى: الإضراب، فمعناه: بل الأقفال التي على قلوبكم تمنعكم من التدبر.

والمراد بالأقفال هو: الطبع على القلب^(١)؛ لأن الإنسان إذا تمادى في المعصية طبع على قلبه كأن على قلبه القفل، وهذا اقتباس من القرآن أيضا. قال سبحانه: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٣). وقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ وَأُوتِيَكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(٥).

(١) أو الأعم منه ومن الأهواء والشهوات.

(٢) سورة الأعراف: ١٠١.

(٣) سورة يونس: ٧٤.

(٤) سورة النحل: ١٠٨.

(٥) سورة محمد ﷺ: ١٦.

وقال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(١).

طبع على قلوبهم

مسألة: يستفاد من قول الصديقة الطاهرة عليها السلام: «أفلا تدبرون القرآن..» أن أولئك القوم لم يكونوا من المتدبرين للكتاب عموماً، والمورد لا يخص الوارد خاصة بعد تأييد قرائن المقام، وكون سيرتهم العملية على عدم التدبر عموماً، فإنهم لو تدبروا لأرعووا ولما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الخسران المبين، ولما حصل حتى حروبهم المسماة بالردة وغيرها. ويستفاد من كلامها عليها السلام أيضاً: إن القوم كانوا ممن طبع الله على قلوبهم وكانت الأقفال عليها.

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾^(٣).

(١) سورة (المنافقون): ٣.

(٢) سورة الروم: ٥٩.

(٣) سورة غافر: ٣٥.

كلا بل ران على قلوبكم ما أسأت من أعمالكم

تأثير الأعمال السيئة

مسألة: يستحب بيان أن الأعمال السيئة تؤثر على قلب الإنسان فيؤخذ بسمعه وبصره، وقد يجب بيانه كما ذكر في البند السابق، وإنما تؤثر الأعمال السيئة على قلب الإنسان؛ لأنها توحى إلى القلب، كما أن في عكسه: الأعمال الحسنة توحى إلى الملكات الحسنة، وقد ذكرنا في بعض ما سبق أن كلا من النفس والبدن يؤثر أحدهما على الآخر وفيه، فليس المراد بالقلب: القلب الصنوبري، وإنما يراد به: النفس، وهذا اقتباس من قوله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١).

و(الرين) هو الوسخ الذي يعلو المرأة ونحوها، وهذا تشبيه للمعقول بالمحسوس؛ لأن الإنسان إذا أساء في العمل انحرف قلبه عن جادة الصواب شيئاً فشيئاً فكان هناك غطاء على قلبه. قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منه وإن زاد زادت، فذلك الرين الذي ذكره الله في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢)». وفي الغرر قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «قد قادتكم أزمة الحين، واستغلقت على قلوبكم أقفال الرين»^(٤).

(١) سورة المطففين: ١٤.

(٢) سورة المطففين: ١٤.

(٣) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٤١٤ مجلس في معرفة القلب.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٢٣ ق ١ ب ٥ ف ٢ ذم زمانه وأهل زمانه ح ٢١٤١.

وفي نهج البلاغة قال عليه السلام: «وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ابتعثه والناس يضربون في غمرة، ويموجون في حيرة، قد قادتهم أزمة الحين واستغلقت على أفئدتهم أقفال الرين»^(١).

قال الجوهري: (الرين الطبع والدنس. يقال: ران على قلبه ذنبه يرين رينا وريونا، أي: غلب)^(٢).

وقال بعضهم: الرين الطبع والتغطية.

وقال بعضهم: الرين الصداء.

وقيل: الرين الذنب على الذنب حتى يموت القلب.

وقيل: معنى ران غطى وغشي.

تسلسل السيئات

مسألة: الواجب الحذر من السيئات بل من صغارها أيضا، فإن السيئات بعضها آخذ بعنق بعض، كما أن الحسنات كذلك، على ما ورد في الرواية. وهذا ما يستفاد من كلامها عليها السلام إذ أن سيئتهم الكبرى هذه كانت امتدادا لسيئات سابقة لهم، حيث قالت عليها السلام: «ما أسأتم من أعمالكم».

(١) نهج البلاغة، الخطب: ١٩١ ومن خطبة له عليه السلام بحمد الله ويشني على نبيه عليه السلام ويوصي بالزهد والتقوى.

(٢) الصحاح للجوهري: ج ٥ ص ٢١٢٩ مادة رين.

شهادتان من الزهراء عليها السلام

مسألة: هاهنا شهادتان من سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام :
أولاهما: إنهم أساءوا في أعمالهم، أي الكثير من أعمالهم إن لم نقل كلها، لمكان الجمع المضاف، فتأمل.
فيكشف ذلك أن سيئتهم هذه كانت نتيجة لسيئات أخرى كثيرة، وفي ذلك عبرة للعالمين وأية عبرة.

وثانيتهما: إن قلوبهم أيضا أصبحت ملوثة ومغطاة بالدنس ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١).

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله عز وجل يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾»^(٢)، وكيف يهتدي من لم يبصر، وكيف يبصر من لم يتدبر، اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وأقروا بما نزل من عند الله، واتبعوا آثار الهدى، فإنهم علامات الأمانة والتقوى، واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى ابن مريم عليه السلام وأقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن، اقتصوا الطريق بالتماس المنار، والتمسوا من وراء الحجب الآثار، تستكملوا أمر دينكم وتؤمنوا بالله ربكم»^(٣).

وفي التوقيع الشريف من أبي محمد عليه السلام لإسحاق بن إسماعيل:

(١) سورة الحج: ٤٦.

(٢) سورة الحج: ٤٦.

(٣) الكافي: ج ١ ص ١٨٢ باب معرفة الإمام عليه السلام والرد إليه ح ٦.

«يا إسحاق بن إسماعيل، سترنا الله وإياك بستره، وتولاك في جميع أمورك بصنعه، قد فهمت كتابك رحمك الله، ونحن بحمد الله ونعمته أهل بيت نرق على موالينا، ونسر بتتابع إحسان الله إليهم وفضله لديهم، ونعتد بكل نعمة ينعمها الله عزوجل عليهم، فأتم الله عليكم بالحق، ومن كان مثلك ممن قد رحمه وبصره بصيرتك، ونزع عن الباطل، ولم يعم في طغيانه بعمه، فإن تمام النعمة دخولك الجنة، وليس من نعمة وإن جل أمرها وعظم خطرها إلا والحمد لله تقدست أسماؤه عليها يؤدي شكرها، وأنا أقول: الحمد لله مثل ما حمد الله به حامد إلى أبد الأبد بما من به عليك من نعمته، ونجاك من الهلكة، وسهل سبيلك على العقبة، وأيم الله إنها لعقبة كئود، شديد أمرها، صعب مسلكها، عظيم بلاؤها، طويل عذابها، قديم في الزبر الأولى ذكرها. ولقد كانت منكم أمور في أيام الماضي عليه السلام إلى أن مضى لسبيله (صلى الله على روحه) وفي أيامي هذه كنتم فيها غير محمودي الشأن، ولا مسددي التوفيق. واعلم يقينا يا إسحاق أن من خرج من هذه الحياة الدنيا ﴿أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١)، إنها يا ابن إسماعيل ليس تعمى الأبصار ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٢) وذلك قول الله عزوجل في محكم كتابه للظالم: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾^(٣) قال الله عزوجل: ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾^(٤)، وأي آية يا إسحاق أعظم من حجة الله عزوجل على خلقه، وأمينه

(١) سورة الإسراء: ٧٢.

(٢) سورة الحج: ٤٦.

(٣) سورة طه: ١٢٥.

(٤) سورة طه: ١٢٦.

في بلاده، وشاهده على عباده، من بعد ما سلف من آبائه الأولين من النبيين، وآبائه الآخرين من الوصيين (عليهم أجمعين رحمة الله وبركاته). فأين يتاه بكم؟! وأين تذهبون كالأنعام على وجوهكم؟! عن الحق تصدقون، وبالباطل تؤمنون، وبنعمة الله تكفرون أو تكذبون، فمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ ومن غيركم ﴿إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١) الفانية، وطول عذاب الآخرة الباقية، وذلك والله الخزي العظيم.

إن الله بفضله ومنه لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليكم، بل رحمة منه لا إله إلا هو عليكم ليميز الله الخبيث من الطيب وليبتلي... ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم، ولتألفوا إلى رحمته، ولتفاضل منازلكم في جنته، ففرض عليكم الحج والعمرة، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والولاية، وكفى بهم لكم بابا ليفتحوا أبواب الفرائض، ومفتاحا إلى سبيله، ولولا محمد ﷺ والأوصياء من بعده لكنتم حيارى كالبهائم لا تعرفون فرضا من الفرائض، وهل يدخل قرية إلا من بابها، فلما من عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيه قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢)، وفرض عليكم لأوليائه حقوقا أمركم بأدائها إليهم ليحل لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم، وأموالكم، ومأكلكم، ومشربكم، ويعرفكم بذلك النماء والبركة والثروة، وليعلم من يطيعه منكم بالغيب، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا

(١) سورة البقرة: ٨٥.

(٢) سورة المائدة: ٣.

إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»^(١). واعلموا أن ﴿مَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَلَى نَفْسِهِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾^(٢) لا إله إلا هو ... فاعملوا من بعد ما شئتم ﴿فَسِيرِىَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ثم تردون ﴿إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣)، والعاقبة للمتقين والحمد لله كثيرا رب العالمين»^(٤).

بعد الإصلاح

مسألة: الواجب على الإنسان - في إصلاح نفسه - أن يتجه اتجاهاين ويتحرك حركتين:

١ : حركة إلى الداخل ، بتطهير قلبه من الشرك والحسد والحقد والبغضاء والنفاق ...

٢ : حركة إلى الخارج ، بتطهير جوارحه عن اجتراح المعاصي .
ومن ذلك يعرف أن واجب المصلحين هو تطهير المجتمع في كلا البعدين واللازم وضع برامج تفي بكلا الجانبين .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «ليخشع لله سبحانه قلبك ، فمن خشع قلبه خشعت جميع جوارحه»^(٥).

(١) سورة الشورى : ٢٣ .

(٢) سورة محمد عليه السلام : ٣٨ .

(٣) سورة التوبة : ١٠٥ .

(٤) بحار الأنوار : ج ٥٠ ص ٣١٩-٣٢٢ ب ٤ ح ١٦ .

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ٦٧ ق ١ ب ١ ف ١٣ القلب السليم آثاره وعلائمه ح ٩٠٧ .

وعن النبي ﷺ أنه سئل ما القلب السليم؟ فقال: «دين بلا شك وهوى، وعمل بلا سمعة ورياء»^(١).

وفي تفسير القمي ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٢)، قال: «القلب السليم الذي يلقي الله وليس فيه أحد سواه»^(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم؛ لأن سلامة القلب من هواجس المحذورات بتخليص النية لله تعالى في الأمور كلها، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾»^(٤)^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة، وقوه باليقين، ونوره بالحكمة، وذله بذكر الموت، وقرره بالفناء، وبصره فجائع الدنيا»^(٦).

وقال عليه السلام: «طهروا قلوبكم من درن السيئات تضاعف لكم الحسنات»^(٧).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ١١٣ ب ١٢ ح ١٢٤.

(٢) سورة الشعراء: ٨٩.

(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٢٣ قصة موسى عليه السلام وفرعون.

(٤) سورة الشعراء: ٨٨-٨٩.

(٥) مصباح الشريعة: ص ٥٣ ب ٢٣.

(٦) نهج البلاغة، الرسائل: ٣١ ومن وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٧ ق ١ ب ١ ف ١٣ القلب السليم آثاره وعلائمه ح ٩٠٥.

بين الإساءة والرين

مسألة: هناك ترابط وثيق بين (الإساءة في العمل) وبين (الرين و الطبع على القلب) وبين (تزيين الشيطان)، وكل منها يؤثر في الآخر ويتأثر به أيضا، وقد أشارت الصديقة الطاهرة عليها السلام إلى الأولين هاهنا وإلى الثالث فيما سبق^(١).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من مات قلبه دخل النار»^(٢).

وقال عليه السلام: «الرجل بجنانه»^(٣).

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال: «ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنبا خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبدا، وهو قول الله عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^(٤)^(٥).

كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن العبد كلما أذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه»^(٦).

(١) عند قولها: «وتستجيون لهاتف الشيطان الغوي»، و«طلع الشيطان رأسه من مفرزة هاتف بكم...».

(٢) نهج البلاغة، قصاص الحكم: ٣٤٩.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٦ ق ١ ب ١ ف ١٣ أهمية القلب ح ٨٧٦.

(٤) سورة المطففين: ١٤.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٢٧٣ باب الذنوب ح ٢٠.

(٦) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٣٣٤ ب ١٣٧ ضمن ح ١٧.

وقال رسول الله ﷺ: «إذا أذنب العبد كان نقطة سوداء على قلبه، فإن هو تاب وأقلع واستغفر صفا قلبه منها، وإن هو لم يتب ولم يستغفر كان الذنب على الذنب، والسواد على السواد حتى يغمر القلب فيموت بكثرة غطاء الذنوب عليه، وذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^(١)»^(٢).

وعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نقطة سوداء، فإن تاب انمحت وإن زاد زادت، حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبدا»^(٣).

وعن النبي ﷺ: «قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر، وقلب الكافر أسود منكوس»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وإن عمل السيئ أسرع في صاحبه من السكين في اللحم»^(٥).

وعن المدائني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «كان أبي يقول: إن الله قضى قضاء حتما لا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها إياه حتى يحدث العبد ذنبا يستحق بذلك النعمة»^(٦).

وهذه بعض آثار الذنوب والتفصيل في مظانه.

(١) سورة المطففين: ١٤.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٣٣٣ ب ٤٠ ح ١٣١٩٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٣٢٧ ب ١٣٧ ح ١٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٥٩ ب ٤٤ ح ٣٩.

(٥) المحاسن: ج ١ ص ١١٥ ب ٥٦ ح ١١٩.

(٦) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٣٠٣ ب ٤٠ ح ٢٠٥٨١.

فأخذ بسمعكم وأبصاركم

الأخذ بالسمع والبصر

مسألة: هل يحرم فعل كل ما يأخذ بالسمع والبصر؟. فمثلا هل تحرم مجالسة البطالين، أو مجالسة أصدقاء السوء، أو النظر إلى برامج عبثية، أو ما أشبه ذلك؟.

قال الإمام السجاد عليه السلام: «أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتي»^(١).

الظاهر أن المحرم هو ما وقع طريقا إلى المعصية ولو بالواسطة^(٢)، فإن (حب الشيء يعمي ويصم)، وحينئذ لا يسمع الإنسان الحق ولا يبصر الحق وإنما يسمع ويبصر ما يوافق شهواته وأهواءه.

هذا وربما أمكن القول بحرمة بعض المراتب منها.

أي: أن هذا الرين أخذ بسمع قلوب القوم وأبصارها، فأصبحت لا تسمع ولا تبصر، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(٣).

وفي الحديث: قام رجل إلى علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن الناس وأشباه الناس والنسناس؟.

(١) مصباح المتجهذ: ص ٥٨٨ دعاء السحر في شهر رمضان.

(٢) يبدو أن المراد أن المشاركة في مجلس البطالين مثلا قد يكون طريقا مباشرا للمعصية كشرب الخمر أو الغيبة، وقد يكون سببا لموت القلب والأخذ بالسمع والبصر الذي يكون سببا للمعصية.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٩.

قال: فقال علي عليه السلام: «أجبه يا حسن».

قال: فقال له الحسن عليه السلام: «سألت عن الناس فرسول الله ﷺ الناس؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾^(١) ونحن منه، وسألت عن أشباه الناس فهم شيعتنا وهم منا وهم أشباهنا، وسألت عن النسناس فهم هذا السواد الأعظم وهو قول الله تعالى في كتابه: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٢)»^(٣).

قولها عليها السلام: «فأخذ بسمعكم وأبصاركم»؛ لأن الذي يرين على قلبه لاتطيعه جوارحه إلى الحق، فيسمع غير الحق، ويبصر غير الحق، ويتكلم بغير الحق، وغير ذلك من حواسه، فإنها كلها تتجه إلى جادة الخطأ.

(١) سورة البقرة: ١٩٩.

(٢) سورة الفرقان: ٤٤.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ص ٦٤ ومن السورة التي تذكر فيها البقرة ح ٦٤-٣٠.

ولبئس ما تأولتم

التأويل والمكيدة الشيطانية

مسألة: يحرم التأويل الشخصي^(١) للأمور الدينية على خلاف ما أمر الله ورسوله عليه السلام به، فإن هذا النوع من التأويل هو إحدى مكائد الشيطان وشباكه وبواباته نحو البدعة والضلالة، ومن ذلك يتضح حرمة كثير من تأويلات الصوفية والعرفاء والفلاسفة وأضرابهم للآيات والنصوص الشريفة، وكذلك تأويلات الظالمين والطغاة والمستكبرين لها، ومنها ما يحاولون به تثبيت حكومتهم على الناس كوجوب إطاعة ولي الأمر - وهو الحاكم عندهم فاسقا كان أم عادلا - مع أن المراد به هو المعصوم عليه السلام، إلى غير ذلك.

قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾^(٢)، ومن أهم مصاديق التحريف هو حمله على غير المراد.

وفي تفسير القمي: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(٣) قال: من نحى أمير المؤمنين عليه السلام عن موضعه، والدليل على ذلك أن الكلمة أمير المؤمنين عليه السلام^(٤).

قولها عليها السلام: «ولبئس ما تأولتم» أي: ما تطلبتم من التأويل لإبطال الحق وإحياء الباطل، أو آل إليه أمركم من ذلك.

(١) وهو التأويل الذي لا يستند إلى حجة كعدم الاعتماد على قول من نزل القرآن في بيوتهم.

(٢) سورة المائدة: ٤١.

(٣) سورة المائدة: ١٣.

(٤) تفسير القمي: ج ١ ص ١٦٣-١٦٤ القمار في الجاهلية.

مآل القوم

مسألة: يستفاد من كلام الصديقة الطاهرة عليها السلام أن مآل أمر القوم
بئس ، حيث قالت : «ولبئس ما تأولتم».

ومعنى التأويل ما ينتهي إليه الأمر من (آل يؤول) ، كما قال سبحانه :
﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١).

أو المراد : بئس تأويلكم وصرفكم القرآن والأحكام عن واقعها.
أو : بئس تأويلكم وصرفكم الخلافة عن أمير المؤمنين عليه السلام إلى من
لا يستحقها.

ويؤيده ما بعده من الجمل.

(١) سورة النساء : ٥٩ ، سورة الإسراء : ٣٥.

وساء ما به أشرتم

الإشارة بالباطل

مسألة: تحرم الإشارة بالباطل، ويستحب أن يبين للناس ما ارتكبه الغاصبون من الإشارة المنحرفة، وربما كان واجبا على ما ذكرناه سابقا. و(أشار إليه) بمعنى: دل عليه وأرشده إليه، فذكر له بأن الطريق هذا لاذاك، وأن الصراط هذا لا ذاك.

ومن الواضح أن الإشارة إلى الباطل - بالمعنى المذكور - محرمة، كما أن الإشارة إلى الحق واجبة، وربما كانت مستحبة في الحق المستحب كما ذكره الفقهاء في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي قصة الأعرابي الذي سأل عن خليفة رسول الله ﷺ فأرشدوه إلى أبي بكر، فلما عجز عن جوابه جاؤوا به إلى أبي الحسن علي عليه السلام فأخذ الجواب، قال الأعرابي: ويحكم يا أصحاب رسول الله والذي أشرتم إليه بالخلافة - يعني ابن أبي قحافة - ليس فيه من هذه الخلل خلة.

فعن الفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام: «أن أعرابيا بدويا خرج من قومه حاجا محرما، فورد على أدحي نعام فيه بيض فأخذه واشتواه وأكل منه، وذكر أن الصيد حرام في الإحرام، فورد المدينة فقال الأعرابي: أين خليفة رسول الله ﷺ فقد جنيت جناية عظيمة؟»

فأرشد إلى أبي بكر، فورد عليه الأعرابي وعنده ملأ من قریش فيهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد، والمغيرة بن شعبة.

فسلم الأعرابي عليهم فقال: يا قوم، أين خليفة رسول الله ﷺ؟

فقالوا: هذا خليفة رسول الله ﷺ.

فقال: أفتني.

فقال له أبو بكر: قل يا أعرابي.

فقال: إني خرجت من قومي حاجا، فأتيت على أدحي فيه بيض نعام فأخذته فاشتويته وأكلته، فماذا لي من الحج وما علي فيه، أحلالا ما حرم علي من الصيد أم حراما؟

فأقبل أبو بكر على من حوله فقال: حوارى رسول الله ﷺ وأصحابه أجبوا الأعرابي.

قال له الزبير من بين الجماعة: أنت خليفة رسول الله ﷺ، فأنت أحق بإجابته!.

فقال أبو بكر: يا زبير، حب بني هاشم في صدرك؟

قال: وكيف لا وأمي صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ.

فقال الأعرابي: إنا لله ذهب فتياي فتنازع القوم فيما لا جواب فيه،

فقال: يا أصحاب رسول الله ﷺ استرجع بعد محمد ﷺ دينه فترجع عنه؟

فسكت القوم، فقال الزبير: يا أعرابي، ما في القوم إلا من يجهل ما جهلت.

قال الأعرابي: ما أصنع؟

قال له الزبير: لم يبق في المدينة من تسأله بعد من ضمه هذا المجلس إلا

صاحب الحق الذي هو أولى بهذا المجلس منهم.

قال الأعرابي : فترشدني إليه؟.

قال له الزبير : إن إخباري يسر قوما ويسخط قوما آخرين.

قال الأعرابي : وقد ذهب الحق وصرتم تكرهونه؟.

فقال عمر : إلى كم تطيل الخطاب يا ابن العوام ، قوموا بنا والأعرابي إلى

علي عليه السلام فلا تسمع جواب هذه المسألة إلا منه.

فقاموا بأجمعهم والأعرابي معهم حتى صاروا إلى منزل أمير المؤمنين عليه السلام

فاستخرجوه من بيته وقالوا : يا أعرابي ، اقصص قصتك على أبي الحسن عليه السلام.

فقال الأعرابي : فلم أرشدتموني إلى غير خليفة رسول الله ﷺ؟.

فقالوا : يا أعرابي ، خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر ! وهذا وصيه في أهل

بيته ، وخليفته عليهم ، وقاضي دينه ، ومنجز عدااته ، ووارث علمه.

قال : ويحكم يا أصحاب رسول الله والذي أشرتم إليه بالخلافة ليس فيه من

هذه الخلال خلة.

فقالوا : يا أعرابي ، سل عما بدا لك ودع ما ليس من شأنك.

قال الأعرابي : يا أبا الحسن ، يا خليفة رسول الله إني خرجت من قومي

محرمًا.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : تريد الحج فوردت على أدحي وفيه بيض نعام

فأخذته واشتويته وأكلته.

فقال الأعرابي : نعم يا مولاي.

فقال له : وأتيت تسأل عن خليفة رسول الله ﷺ فأرشدت إلى مجلس

أبي بكر وعمر ، فأبديت بمسألتك فاختصم القوم ولم يكن فيهم من يجيبك على

مسألتك؟.

فقال: نعم يا مولاي.

فقال له: يا أعرابي، الصبي الذي بين يدي مؤدبه صاحب الذؤابة فإنه ابني الحسن عليه السلام، فسله فإنه يفتيك.

قال الأعرابي: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات دين محمد ﷺ بعد موته وتنازع القوم وارتدوا.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: حاش لله يا أعرابي، ما مات دين محمد ﷺ ولن يموت.

قال الأعرابي: أفمن الحق أن أسأل خليفة رسول الله ﷺ وحواريه وأصحابه فلا يفتوني ويحيلوني عليك فلا تجيبني وتأمرنني أن أسأل صبيا بين يدي المعلم، ولعله لا يفصل بين الخير والشر.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا أعرابي، لا تقف ما ليس لك به علم، فاسأل الصبي فإنه ينبئك.

فمال الأعرابي إلى الحسن عليه السلام وقلمه في يده ويخط في صحيفته خطأ، ويقول مؤدبه: أحسنت، أحسنت، أحسن الله إليك.

فقال الأعرابي: يا مؤدب الحسن الصبي فتعجب من إحسانه وما أسمعك تقول له شيئا حتى كأنه مؤدبك.

فضحك القوم من الأعرابي وصاحوا به: ويحك يا أعرابي سل وأوجز.

قال الأعرابي: فديتك يا حسن، إني خرجت حاجا محرما، فوردت على أدحي فيه بيض نعام فشويته وأكلته عامدا وناسيا؟.

قال الحسن عليه السلام: زدت في القول يا أعرابي، قولك عامدا لم يكن هذا من مسألتك هذا عبث.

قال الأعرابي: صدقت ما كنت إلا ناسيا.

فقال له الحسن عليه السلام: وهو يخط في صحيفته -: يا أعرابي، خذ بعدد البيض نوقا فاحمل عليها فنيقا فما نتجت من قابل فاجعله هديا بالغ الكعبة؛ فإنه كفارة فعلك.

فقال الأعرابي: فديتك يا حسن، إن من النيق ما يزلقن.

فقال الحسن عليه السلام: يا أعرابي، إن من البيض ما يمرقن.

فقال الأعرابي: أنت صبي محقق محرر في علم الله مغرق، ولو جاز أن يكون ما أقوله قلته: إنك خليفة رسول الله ﷺ.

فقال له الحسن عليه السلام: يا أعرابي، أنا الخلف من رسول الله ﷺ وأبي أمير المؤمنين عليه السلام الخليفة.

فقال الأعرابي: وأبو بكر ماذا؟.

قال الحسن عليه السلام: سلهم يا أعرابي.

فكبر القوم وعجبوا مما سمعوا من الحسن عليه السلام.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الحمد لله الذي جعل في وفي ابني هذا ما جعله في

داود وسليمان إذ يقول الله عز من قائل: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾^(١) ﴿٢﴾.

(١) سورة الأنبياء: ٧٩.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٢٦٦-٢٧١ ب ١٧ ح ١٠٨٧١.

الاستشارة المحرمة

مسألة: إذا قلنا بوجوب الاستشارة ووجوب الإشارة - بمحدودها كما ذكرناه في كتاب (الشورى في الإسلام)^(١) وغيره^(٢)، فإن الاستشارة والإشارة بشرائط معاكسة للشرائط المطلوبة محرمة ولو في الجملة^(٣). وربما كان بعض المصاديق منها مكروها.

(١) من تأليفات سماحة الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) في قم المقدسة بتاريخ ١٤٠٨ هـ. يقع الكتاب في ١٤٣ صفحة قياس ٢٠ × ١٤. تناول سماحته فيه المواضيع التالية: الفصل الأول: توضيح جوانب من الشورى، المشير والمستشير، المشورة، هل تلزم المشورة، هل يلزم المستشار، كم قدر المشورة. الفصل الثاني: تفصيل الحزب وأقسامه، الأحزاب الدكتاتورية، فشل الأحزاب السياسية في العالم الثالث، الهيكلية العامة للأحزاب السياسية، العلاقات الداخلية في التنظيمات، أقسام التمرکز، بدل العضوية، الأحزاب الديمقراطية والدكتاتورية، الأحزاب السياسية والمؤسسات الحكومية، النظام القائم على الحزبين، التجمعات الضاغطة، اللجوء إلى السرية، الفرق بين مجموعات النفوذ والأحزاب السياسية، الزعماء الحقيقيون للأحزاب السياسية، الرأي العام، النظام الحزبي، البرلمان، الحزب والانتخابات. الفصل الثالث: جملة من روايات المشورة.

طبع الكتاب عدة مرات في لبنان وقم المقدسة، منها طبعة دار الفردوس بيروت عام ١٤٠٩ هـ. ومؤسسة الوعي الإسلامي بيروت عام ١٤٢٠ هـ. ومطبعة الشهيد قم المقدسة، والطبعة العاشرة هيئة محمد الأمين الكويت، عام ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م. ترجم الكتاب إلى اللغة الفارسية تحت عنوان (شورا در اسلام) وطبع في انتشارات الوعي الإسلامي ١٣٧٣ هـ ش. وكانت الطبعة السادسة في انتشارات آل الرسول ﷺ قم المقدسة.

(٢) الحكم في الإسلام.

(٣) كأن يتخذ بطانة من الأشرار ليستشيرهم في الشؤون الخطيرة.

وفي الغرر^(١) تحت عنوان (لا تشاور هؤلاء):
قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مشاورة الجاهل المشفق خطر».
وقال عليه السلام: «استشر عدوك العاقل، واحذر رأي صديقك الجاهل».
وقال عليه السلام: «لا تشاورن في أمرك من يجهل».
وقال عليه السلام: «لا تشاور عدوك واستره خبرك».
وقال عليه السلام: «لا تدخلن في مشورتك بخيلا، فيعدل بك عن القصد،
ويعدل الفقر».
وقال عليه السلام: «لا تشركن في رأيك جباناً، يضعفك عن الأمر (الأمور)،
ويعظم عليك ما ليس بعظيم».
وقال عليه السلام: «لا تشركن في مشورتك حريصاً، يهون عليك الشر، ويزين
لك الشره».
وقال عليه السلام: «لا تستشر الكذاب؛ فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد،
ويبعد عليك (إليك) القريب».
وقال عليه السلام: «آفة المشاورة انتقاض الآراء».
وقال عليه السلام: «إذا ازدحم الجواب نفي الصواب».
وقال عليه السلام: «شر الآراء ما خالف الشريعة».

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٢ ق ٦ ب ٤ ف ١ لا تشاور هؤلاء ح ١٠٠٨٥-١٠٠٩٥.

المستشار الأجنبي

مسألة: ملاك كلامها عليها السلام يعطي - وربما بالأولوية^(١) - حرمة اتخاذ مستشارين من الكفار فيما إذا ترتب عليه الإضرار بالمسلمين، أو سيطرة الأجانب على البلاد والعباد.

قولها عليها السلام: «وساء ما به أشرتم»، فإنهم أشاروا إلى خلاف الصواب بسكوتهم على اغتصاب فذك والسلطة.

وبتعبير آخر: إن الذين أشاروا وإن كانوا عددا محدودا منهم، إلا أن الباقين حيث سكتوا شاركوهم الإثم فصح نسبة الإشارة إليهم بأجمعهم.

والترتيب بين الجملتين على حسب الطبع، فإن التأويل يسبق الإشارة^(٢) كما لا يخفى.

(١) فإنه إذا حرم اتخاذ مستشار ضال مسلم، فكيف باتخاذ مستشار ضال كافر.

(٢) إذ الأول عمل قلبي وذهني، والثاني عمل خارجي.

وشر ما منه اغتصبتم^(١)

الغضب درجات

مسألة: يحرم ما اغتصبوه أو اعتاضوه، أشد الحرمة.

فإن الغضب حرام ولو كان بمقدار مثقال ذرة، فكيف بالغضب الذي هو بهذا الحجم، وفي مثل هذا الموضع، ومن سيدة نساء العالمين عليها السلام التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها؟.

وكيف بغضب الخلافة حيث ترتب عليه أكبر المفاسد من جيل إلى جيل وإلى يوم ينظرون؟.

فإن الغضب بعضه أشد حرمة من بعض، من ناحية الكم ومن ناحية الكيف أيضا، وكذلك من حيث المصاديق والآثار.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل غافر كل ذنب إلا رجل اغتصب أجيرا أجره، أو مهر امرأة»^(٢).

وفي حديث المناهي عن النبي ﷺ: «من خان جاره شبرا من الأرض جعله الله طوقا في عنقه من تخوم الأرض السابعة حتى يلقي الله يوم القيامة مطوقا إلا أن يتوب ويرجع»^(٣).

وفي نهج البلاغة: «الحجر الغصيب في الدار رهن على خرابها»^(٤).

(١) وفي بعض النسخ: (اعتصمت)، وفي بعضها: (اعتصمت).

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٣١ ب ٥ ح ١٦٠٢٤، والمستدرک: ج ١٥ ص ٧٢ ب ١١ ح ١٧٥٧١.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٢ باب ذكر جمل من مناهي النبي ﷺ ح ٤٩٦٨.

(٤) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٤٠.

غصب فذك بداية مسيرة

مسألة: قولها عليها السلام: «وشر ما منه اغتصبتم» يدل على أن ما قام به القوم من اغتصاب الخلافة، واغتصاب فذك، كان شراً عظيماً عليهم بالفعل، لا أنه سيتحول شراً فقط، لظهور العناوين في الفعلية.

ولعل كلمة: (منه) للتبويض باعتبار أن فذك إنما اغتصبت منها السيطرة والوارد والثمره وما أشبه؛ لأن الأرض باقية مكانها، وهذا في مقابل الأشياء المنقولة التي تغتصب أعيانها أيضاً وتنقل إلى غير مكانها، فتأمل، لأن غصب كل شيء بحسبه.

وكذلك بالنسبة إلى الخلافة حيث يغتصب الظاهري منها فقط، أما الواقعي وهي الإمامة فباقية لأمر المؤمنين عليهم السلام وذريته الطاهرين عليهم السلام.

ويحتمل أن تكون (من) هاهنا بمعنى الابتداء^(١)، أي أن ما بدأتم منه الغصب (وهو فذك) شر عظيم، إذ أن غصبهم فذكا كان بداية لأنواع أخرى من الغصب عديدة وكثيرة، كما ظهر طوال تاريخ الثلاثة والأمويين والعباسيين، فقد غصبوا أموال الناس وأغاروا عليهم، وغصبوا النساء والجواري^(٢)، وفرضوا الضرائب^(٣) إلى غير ذلك مما هو كثير وكثير.. ويعد هذا المعنى إخباراً منها (صلوات الله عليها) بما سيجري في المستقبل متضمناً كل ذلك في كلمة (من).

(١) وذلك كما تقول لمن ابتداء سيره من نقطة معينة: شر ما منه سرت.

(٢) كما في حروب الردة وفي قصة مالك بن نويرة وغيرها. راجع بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٤٥٧-٤٦١ ب ١٣ بيان.

(٣) كما فرض بعضهم الضرائب على الخيل وغيره.

وفي بعض النسخ: «وشر ما منه اعتضتم» من الاعتياض وهو أخذ العوض؛ لأنهم باعوا دينهم ودنياهم وأخذوا عوض ذلك فدك^(١)، كما في قول سبحانه: ﴿لَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٢).

وفي بعضها: «وشر ما منه اعتصمت» حيث اعتصموا بالدنيا وتركوا حبل الله الذي أمر الله بالاعتصام به وهو أمير المؤمنين علي عليه السلام قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾^(٣).

(١) كلمة (فدك) يجوز فيها أن تكون منصرفة وغير منصرفة.

(٢) سورة البقرة: ١٠٢.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٣.

لتجدن والله محمله ثقيلًا

تحذير الطغاة

مسألة: تحذير الطغاة ومن يدور في فلكهم واجب في الجملة، والتحذير أعم من التخويف بالعذاب الأخروي والتخويف بالآثار الدنيوية.

والمراد بالمحمل: الحمل، فهو مصدر ميمي. و(الثقل): إشارة إلى عظيم ما يترتب على فعلهم من الخسران والعذاب الدنيوي والأخروي، ومن الواضح أن مطلق المحرمات محمله ثقيل، إلا أن بعضها أثقل من بعض.

فقولها عليه السلام يدل أيضا على أن أوزار ابن أبي قحافة، وأوزار من دار في فلكه ثقيل في الآخرة.

قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أَوْزَارَ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «وأيا داع دعا إلى ضلالة فاتبع، فإن عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(٢).

وقال ﷺ: «ومن استن شرا فاستن به فعله وزره ومثل أوزار من اتبعه من غير منتقص من أوزارهم»^(٣).

والوزر في اللغة: هو الثقل، وإنما سميت الذنوب بأنها أوزار؛ لأنها يثقل كاسبها وحاملها.

(١) سورة النحل: ٢٥.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٢٣٠ ب ١٥ ح ١٣٩٦١.

(٣) مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٢٣٢ ب ١٥ ح ١٣٩٦٨.

وفي تفسير القمي: قال علي بن إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أَوْزَارَ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١) قال: يحملون آثامهم، يعني الذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام وآثام كل من اقتدى بهم، وهو قول الصادق عليه السلام: «والله ما أهرقت محجمة من دم، ولا قرعت عصا بعصا، ولا غصب فرج حرام، ولا أخذ مال من غير حله، إلا ووزر ذلك في أعناقهما»^(٢) من غير أن ينقص من أوزار العالمين بشيء»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث -: «ورجلان»^(٤) أسسا ذلك لهم، وعليهما مثل جميع أوزار هذه الأمة إلى يوم القيامة»^(٥).

القسم الواجب

مسألة: القسم في مثل هذا الموضع واجب إذا توقف عليه النهي عن المنكر أو تأكيده بالقدر الواجب.

وقسم الصديقة عليها السلام في هذا الموطن لدفع أدنى شبهة في صحة وصدق كلامها عليها السلام، إذ هل يعقل أن تقسم من يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها على باطل؟!.

فلا شك في أن الغاصبين لفدك وللخلافة محملهم ثقیل وغبهم وبیل...

(١) سورة النحل: ٢٥.

(٢) أي الأول والثاني.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٨٣ سورة النحل.

(٤) أي الأول والثاني.

(٥) بحار الأنوار: ج ٣١ ص ٤٢٧ ب ٢٧.

وغيه وبيلا

الغب الوبيل

مسألة: الغب الوبيل والعاقبة السوء والعذاب الأخروي لمن غصب الخلافة وفدك، ويلزم الاعتقاد بذلك وبيانه للناس.

والغب بالكسر: العاقبة والمستقبل، فإن مستقبل هذه المعصية الكبيرة الشديدة وبال وعقاب.

والوبال: الثقل والمكروه الشديد العظيم، ويراد به العذاب الثقيل الشديد.

أي: إن عاقبة اغتصابكم فدك والخلافة وسكوتكم على الباطل سوف يكون شديدا عليكم في الدنيا والآخرة.

ويحتمل أن يكون قولها عليها السلام: «محملة ثقيلًا» إشارة لحمله في الدنيا، و«غيه وبيلا» إشارة لعذاب الآخرة.

ثم إن ثقل الحمل في الدنيا نفسي وجسدي وتاريخي، فإن مطلق الغاصب - فكيف بغاصب فدك وغاصب الخلافة - يعيش في أشد أنواع وخز^(١) الضمير وتأنيبه وعذاب الوجدان مما يؤثر على أعصابه وجسده، وذلك أيضا يخلف له سوء السمعة في الحياة وبعد الممات.

(١) الخبز في اللغة: الطعن، وخزه بالرمح والخنجر يخزه وخزا: إذا طعنه. واستعمل في الطعن غير النافذ والنافذ معا.

إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون ﴿وخسر هنالك المبطلون﴾^(١).

إذا كشف الغطاء

مسألة: ينبغي أن يتذكر الإنسان دائما يوم يكشف الغطاء فيه، ويذكر الآخرين بذلك اليوم خاصة الظلمة وأعدائهم ليرتدعوا وليتم الحجة عليهم. فإن كشف الغطاء يبدأ بعد الموت ويستمر في عالم البرزخ ثم يوم القيامة، حيث ينكشف العالم الآخر للإنسان ويرى الثواب والعقاب بمجرد الموت، كما قال سبحانه: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٢). وقال رسول الله ﷺ: «من مات فقد قامت قيامته»^(٣). وقال النبي الأكرم ﷺ: «فإن أحدكم إذا مات فقد قامت قيامته يرى ما له من خير أو شر»^(٤).

وحدة العالمين

مسألة: قد يستظهر من قول الصديقة عليها السلام هاهنا ما ذهب إليه بعض المتكلمين، وذكرناه في موضع آخر في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٥) بلحاظ أن إطلاقه يقتضي الإحاطة في الدنيا أيضا إلا أن النوافذ نحوها مغلقة.

(١) سورة غافر: ٧٨.

(٢) سورة ق: ٢٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ٧ ب ٤٢.

(٤) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٨ ب ٢.

(٥) سورة التوبة: ٤٩، سورة العنكبوت: ٥٤.

فكلامها عليها السلام: «إذا كشف لكم الغطاء .. وبان... وبدا...» قد يستظهر منه وحدة العالمين في الجملة إلا أن هنالك غطاء على الحواس قبل الممات، فالأمر ليس انتقالا بالمعنى الدقيق بل رفع حاجز، وذلك كالأعمى الذي لا يبصر ما يحيط به من أزهار وأشجار أو أشواك وأحجار، فمع امتلاكه البصر ينكشف له ما حوله ويبين ويبدو، لا أنه ينتقل لمكان آخر، وكذلك فاقد سائر الحواس بالنسبة إليها. والحديث كله في الجملة ومجرد احتمال كما لا يخفى، فلا ينفي الانتقال في مراحل لاحقة أو أزمنة كذلك^(١) بل المراد أصل احتمال أن قسما من الأمر قد يكون برفع الحاجز.

قولها عليها السلام: «وبان ما وراءه الضراء»، أي: ظهر لكم الضراء ورأيتم العذاب بعدما انكشف الغطاء.

عذاب الآخرة

مسألة: يظهر من قول الصديقة عليها السلام: «وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحسبون»، أن عذاب الآخرة فوق كل ما يتخيل أو يتعقل في أقصى درجاتهما كما وكيفا، ويظهر أنها عليها السلام أخبرت بأن عذاب القوم فوق ما يتصور.. وكذلك الراضي بفعلهم، والساكت عن جرمهم في الأزمنة اللاحقة، لوحدة الملاك مع الساكتين ذلك الزمن، أو للإطلاق كما أشرنا آنفا.

وقولها عليها السلام: «وبدا لكم...» اقتباس من الآية الكريمة: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾^(٢).

(١) أي لاحقة.

(٢) سورة الزمر: ٤٧.

محطة الخسارة الكبرى

مسألة: إن القوم - وعلى رأسهم من غصب الخلافة وفدك - مبطلون وخاسرون، حيث قالت الصديقة الطاهرة عليها السلام: «وخسر هنالك المبطلون» وهي الآية المباركة من سورة غافر^(١)، والمراد بالمبطلين: الذين يستبدلون الحق بالباطل؛ فإن القوم أبطلوا الحق في فدك والخلافة وجعلوا مكانه الباطل.

ومن السر في قوله: «هنالك» أي يوم القيامة مع أن المبطلين يخسرون في الدنيا أيضا، هو أن (الخسارة الحقيقية) والمصداق الأجل لها هو هنالك، فإن خسارة المبطلين وإن كانت دنيوية أيضا لكنها قد لا تتحقق ولا تظهر بشكل كامل كيفاً ودائماً زمناً في الدنيا، وإنما تتحقق وتظهر في الآخرة كيفاً وكما لجميع الناس. قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٢).

وفي الدعاء: «ولا تفضحني على رؤوس الأشهاد»^(٣)؛ لأن الأعمال تنكشف بشكل كامل أمام الناس في الآخرة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾^(٤).

بين الوحدة والسكوت عن الحق

مسألة: يجب بيان أن القوم كانوا مبطلين وأنهم في الآخرة من الخاسرين، وأنهم سيجدون محمل عملهم ثقيلاً وعاقبته وبيلاً و...، ولا ينبغي الإصغاء لمن

(١) سورة غافر: ٧٨.

(٢) سورة غافر: ٥١.

(٣) العدد القوية: ص ٢٤ اليوم الخامس عشر.

(٤) سورة الطارق: ٩.

يردع عن ذلك بدعوى أنه مخل بالوحدة إذ:

أولاً: لا تعني (الوحدة) عدم البحث والحوار والدفاع عن المعتقد، بل تعني (التنسيق والتعاون) في قبال العدو المشترك وفي نقاط الاشتراك، بل إن الوحدة المبنية على فتح باب الحوار بحرية تامة ستكون أعمق وأوثق، وستدفع نحو التقارب الثقافي والفكري أكثر فأكثر، وغيرها ليس أكثر من تظاهر ونفاق عادة، وبعبارة أخرى ينبغي أن تتكامل قيمة الوحدة مع قيمة الحرية لا أن تلغيها.

وثانياً: لو صح ذلك لكان الرسول ﷺ أول مخل للوحدة عندما عين أمير المؤمنين علياً عليه السلام، وأخذ يؤكد على مناقبه وخلافته - وهو يعلم بأن العديد سوف لا يستجيبون؛ لأن بينهم وبينه ثارات بدر وحنين، ولغير ذلك..

وثالثاً: نفس كلام الصديقة عليها السلام هذا وسائر ما احتجت به عليهم، دليل على أن الوحدة المطلوبة لا يصح أن تمنع الإنسان عن بيان معتقده ورأيه.

ورابعاً: لا يمكن إهمال مثل: «الساكت عن الحق شيطان أخرس»^(١)، وأدلة النهي عن المنكر، وتنبيه الغافل وإرشاد الجاهل وما إلى غير ذلك، وتفصيل الكلام في محله.

ومن الواضح أن الوحدة لا تشمل المعتقدات، بل تشمل - في الجملة - الأمور السياسية وما شابهها بحسب الموازين الشرعية.

(١) في غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٧٠ ق ١ ب ١ ف ١٤ قولوا بالحق ولا تمسكوا عن إظهاره ح ٩٩١:

«لا خير في السكوت عن الحق، كما أنه لا خير في القول بالجهل».

ثم عطف عليها السلام على قبر النبي ﷺ

محورية قبر الرسول ﷺ

مسألة: يستحب العطف على قبر النبي ﷺ مطلقاً^(١)، كما يستحب العطف على قبور الأنبياء والأوصياء والصلحاء عليهم السلام مطلقاً، وذلك للأدلة الكثيرة العقلية والنقلية المذكورة في مظانها، ومنها^(٢):

لجريان سيرة الصديقة الطاهرة عليها السلام على زيارة قبر رسول الله ﷺ.. ومن قبله زيارة قبر عمها حمزة عليه السلام^(٣) في أحد.

مضافاً إلى عطفها عليها السلام في هذا الوطن على قبر الرسول ﷺ؛ فإن الفعل وإن قالوا بأنه لا جهة له إلا أنه باحتفائه بالقرائن - كالمقام - يفيد الرجحان.

ولما ورد من أن السلام على النبي ﷺ في مماته كالسلام عليه في حياته ﷺ^(٤) وفيه نفس الأجر والثواب^(٥). ولما ورد من فضل زيارة القبور مطلقاً^(٦).

ولما ورد من أن الإمام السجاد (صلوات الله عليه) وضع خده على قبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في (زيارة أمين الله) المباركة^(٧).

(١) أي سواء للمظلوم وغيره، لطلب الشفاعة في قضاء الحوائج وعدمه، بل مجرد الزيارة والعطف نحو القبر الشريف مستحب في ذاته.

(٢) بعض الأدلة الآتية بتنقيح المناط والملاك وبعضها بالإطلاق.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٣٦٥ ب ٤٦ ح ٢٢٠٣.

(٤) راجع وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٣٤٠ ب ٥.

(٥) راجع بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ١٨١ ب ٣.

(٦) راجع بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ١١٦ ب ٢.

(٧) راجع وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٣٩٥ ب ٣٠ ح ١٩٤٥١.

إضافة إلى أن كل ذلك يزيد من محورية الرسل والأوصياء عليهم السلام والتأسي بهم (صلوات الله عليهم)، وغير خفي ما لذلك من التأثير الكبير على إصلاح الفرد والمجتمع، وبعثه نحو كل معاني الخير والصلاح.. ومن هنا يعلم السر الشيطاني والحقد الكبير والمغزى الخبيث الكائن وراء الدعوة إلى هدم قبورهم ^(١) عليهم السلام، أو تحريم قصدهم والصلاة عندهم، أو نقل الجنائز إليهم وما أشبه ذلك، فإنهم أرادوا بذلك القضاء على قيم الإسلام وتعاليمه.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ^(٢).

زيارتها عليها السلام لقبر رسول الله ﷺ وقبر حمزة وقبور الشهداء

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «عاشت فاطمة عليها السلام بعد أبيها خمسة وسبعين يوما لم تر كاشرة ولا ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين الاثنين والخميس، فتقول: هاهنا كان رسول الله ﷺ، هاهنا كان المشركون» ^(٣).

(١) في صبيحة يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر محرم الحرام عام ١٤٢٧ هـ المصادف للعشرين من شهر شباط عام ٢٠٠٦م قام الإرهابيون التكفيريون بالاعتداء الآثم على مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام في مدينة سامراء المقدسة، حيث قاموا بزرع العبوات الناسفة والمتفجرات في جميع أنحاء المرقد الشريف ومن ثم تفجيره وتدميره بالكامل مؤكدين حقدهم وعدائهم لآل البيت عليهم السلام مقتدين بأسلافهم الوهابيين في هدم قبور أئمة البقيع عليهم السلام، ولكن هيهات هيهات أن يتم لهم ما أرادوه، فهذه سنة الله جارية في خلقه بأن الأرض يورثها عباده الصالحون ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

(٢) سورة التوبة: ٣٢.

(٣) الكافي: ج ٣ ص ٢٢٨ باب زيارة القبور ح ٣.

وفي رواية أخرى: عن أبي عبد الله عليه السلام: «أنها عليها السلام كانت تصلي هناك وتدعو حتى ماتت عليها السلام»^(١). وعن يونس، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن فاطمة عليها السلام كانت تأتي قبور الشهداء في كل غداة سبت، فتأتي قبر حمزة عليه السلام وترحم عليه وتستغفر له»^(٢).

وعن محمد بن الفضل، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «جاءت فاطمة عليها السلام إلى سارية في المسجد وهي تقول وتخطب النبي ﷺ:
قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدا لم يكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فأشهدهم ولا تغب»^(٣)

السلام على النبي ﷺ والمعصومين عليهم السلام بعد مماتهم

عن الحسن بن علي الوشاء، قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: «إن لكل إمام عهدا في عنق أوليائهم وشيعتهم، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا لما رغبوا فيه، كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة»^(٤).
وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام: أن النبي ﷺ قال: «من زارني حيا وميتا كنت له شفيعا يوم القيامة»^(٥).

(١) الكافي: ج ٤ ص ٥٦١ باب إتيان المشاهد وقبور الشهداء ح ٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٢٤ ب ٥٥ ح ٣٤٦٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٩٥-١٩٦ ب ٧ ح ٢٥.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٧٨-٧٩ ب ٢٦ ح ٣، والتهذيب: ج ٦ ص ٩٣ ب ٤٣ ح ٢.

(٥) قرب الإسناد: ص ٣١.

وعن ياسر الخادم، قال: قال علي بن موسى الرضا عليه السلام: «لا تشد الرحال إلى شيء من القبور إلا إلى قبورنا، ألا وإني مقتول بالسم ظلما ومدفون في موضع غربة، فمن شد رحله إلى زيارتي استجيب دعاؤه وغفر له ذنوبه»^(١).

وفي حديث الأربعمئة قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «أتموا برسول الله ﷺ حجكم إذا خرجتم إلى بيت الله؛ فإن تركه جفاء وبذلك أمرتم، وأتموا بالقبور التي ألزمكم الله عز وجل حقها وزيارتها، واطلبوا الرزق عندها»^(٢).

وعن أبي حجر الأسلمي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى مكة حاجا ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتاني زائرا وجبت له شفاعتي ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة، ومن مات في أحد الحرمين مكة والمدينة لم يعرض ولم يحاسب، ومن مات مهاجرا إلى الله عز وجل حشر يوم القيامة مع أصحاب بدر»^(٣).

وقال الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام لرسول الله ﷺ: «يا أبتاه، ما جزاء من زارك؟. فقال رسول الله ﷺ: يا بني، من زارني حيا أو ميتا، أو زار أباك، أو زار أخاك، أو زارك، كان حقا علي أن أزوره يوم القيامة وأخلصه من ذنوبه»^(٤).

(١) وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٥٦٢ ب ٨٤ ح ١٩٨٢٨.

(٢) الخصال: ج ٢ ص ٦١٦ علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربعمئة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه ح ١٠.

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٥٤٨ باب زيارة النبي ﷺ ح ٥.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٥٧٧ باب ثواب زيارة النبي والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين)

وروي عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام أنه قال: «من زار جعفرا وأباه عليهما السلام لم يشتك عينه، ولم يصبه سقم، ولم يمت مبتلى»^(١).
وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «من زارني غفرت له ذنوبه، ولم يمت فقيرا»^(٢). وعن الحسن بن محمد القمي، قال: قال لي الرضا عليه السلام: «من زار قبر أبي عليه السلام ببغداد كان كمن زار قبر رسول الله ﷺ وقبر أمير المؤمنين عليه السلام، إلا أن لرسول الله ﷺ ولأمير المؤمنين عليه السلام فضلهما»^(٣). إلى غير ذلك مما حث على زيارتهم ودل على أنهم عليهم السلام أحياء عند ربهم يرزقون ولا فرق بين حيهم وميتهم.

زيارة القبور

وهناك الروايات الكثيرة من الفريقين على استحباب زيارة مطلق القبور، نشير إلى بعضها من مصادرنا:

عن أبي عبد الله عليه السلام في زيارة القبور - قال: «إنهم يأنسون بكم، فإذا غبتم عنهم استوحشوا»^(٤).

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: قلت له: المؤمن يعلم بمن يزور قبره؟ قال: «نعم، ولا يزال مستأنسا به ما دام عند قبره، فإذا قام وانصرف من قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشة»^(٥).

(١) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٧٨ ب ٢٦ ح ٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ١٤٥ ب ١ ح ٣٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٥٤٥ ب ٨٠ ح ١٩٧٨٧.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٢٢ ب ٥٤ ح ٣٤٦٤.

(٥) الكافي: ج ٣ ص ٢٢٨ باب زيارة القبور ح ٤.

وعن عمرو بن أبي المقدام، قال: مررت مع أبي جعفر عليه السلام بالبقيع، فمررنا بقبر رجل من أهل الكوفة من الشيعة قال: فوقف عليه عليه السلام فقال: «اللهم ارحم غربته، وصل وحدته، وأنس وحشته، وأسكن إليه من رحمتك ما يستغني بها عن رحمة من سواك، وألحقه بمن كان يتولاه»^(١).

العطف على قبور الأولياء عليهم السلام

وقد ورد في الزيارات:

ثم انكب على القبر وقل: «السلام عليك يا حجة الله وابن حجة...»^(٢).
ثم انكب على الضريح فقبله وقل: «يا ولي الله إن بيني وبين الله عز وجل ذنوبا كثيرة لا يأتي عليها إلا رضى الله ورضاكم، فبحق من ائتمنكم على سره، واسترعاكم أمر خلقه، وقرن طاعتكم بطاعته، وموالاتكم بموالاته، لما استوهبتم ذنوبي، وكنتم شفعايني إلى الله تعالى...»^(٣).
ثم انكب على قبره وقال: «بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين يا حجة الخصام، بأبي أنت وأمي يا باب المقام...»^(٤).
ثم انكب على القبر وقل: «اللهم لرحمتك تعرضت، وبإزاء قبر أخي نبيك وقفت، عائذا به من النار، فأعذني من نقمتك وسخطك...»^(٥).

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٢٩ باب زيارة القبور ح ٦.

(٢) ورد ذلك في زيارة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام. راجع تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٦١ ب ١٨ ح ١.

(٣) مستدرك الوسائل: ج ١٠ ص ٤٢٥ ب ٨٦ ح ١٢٢٧٤.

(٤) فرحة الغري: ص ٩٥ ب ٦.

(٥) بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٣٠٠ ب ٤ ح ٢١.

ثم انكب على القبر فقبله وقل: «سلام الله وسلام ملائكته المقربين والمسلمين لك بقلوبهم يا أمير المؤمنين...» ^(١).

ثم اعطف على علي بن الحسين عليه السلام وهو عند رجل الحسين عليه السلام وقل: «السلام عليك يا ابن رسول الله...» ^(٢).

إلى غيرها وغيرها.

رواية صفوان الجمال

وفي رواية صفوان دلالات على ما ذكرناه من استحباب العطف على قبور المعصومين عليهم السلام وزيارتهم والتوسل بهم وبيان بعض ثوابها، إلى غيرها من الروايات الكثيرة الكثيرة وقد نقلنا بعضها في كتاب (الدعاء والزيارة) ^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٣٠٦ ب ٤ ح ٢٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٣٥٤ ب ٣٠ ح ١.

(٣) من تأليفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) في كربلاء المقدسة، وانتهى سماحته رحمته الله من تأليفه ليلة ٦ رمضان المبارك ١٣٧٥ هـ. يقع الكتاب في ١٠٧٢ صفحة قياس ١٧×٢٤، وقد تناول (أعلى الله مقامه) فيه الأدعية والصلوات والزيارات، التعقيبات المشتركة والمختصة، أدعية الصباح والمساء، أدعية أيام الأسبوع، النوافل اليومية والصلوات المستحبة، جملة من الأدعية الماثورة كدعاء الصباح وكميل والعشرات والاحتجاب والسمات والاعتقاد والعلوي المصري والمشلول ويستشير والحرز اليماني والمجير والجوشن الكبير والصغير ومكارم الأخلاق وأدعية أخرى، الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، أدعية للحوائج، أعمال السنة وملحقاتها، أعمال شهر رجب، أعمال شهر شعبان، أعمال شهر رمضان، أعمال شهر شوال، أعمال ذي القعدة، أعمال ذي الحجة، أعمال شهر محرم، أعمال شهر صفر الخير، أعمال شهر ربيع الأول، أعمال شهر ربيع الثاني، أعمال شهر جمادى الأولى، أعمال شهر جمادى الآخرة، أعمال وآداب متفرقة، أعمال يوم النيروز، أعمال شهر نيسان، آداب السفر، آداب الزيارة، زيارة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ملحقات زيارة النبي صلى الله عليه وآله، زيارة فاطمة الزهراء عليها السلام،

في (إرشاد القلوب): عن صفوان الجمال، قال: لما وافيت مع مولاي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الغري يريد أبا جعفر المنصور. قال لي: «يا صفوان، أنخ الناقة؛ فإن هذا حرم جدي أمير المؤمنين عليه السلام». فأنختها، فنزل واغتسل وغير ثوبه وتحفى، وقال لي: «افعل مثل ما أفعل». ففعلت، ثم أخذ نحو الذكوات وقال لي: «قصر خطاك وألق عينيك إلى الأرض؛ فإن لك بكل خطوة مائة ألف حسنة، وتمحى مائة ألف سيئة، وترفع لك مائة ألف درجة، وتقضى لك مائة ألف حاجة، ويكتب لك ثواب كل صديق وشهيد مات أو قتل».

زيارة أئمة البقيع عليهم السلام، سائر الزيارات في المدينة المنورة، زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، أعمال مسجد الكوفة، زيارة قبر مسلم بن عقيل وهاني بن عروة عليه السلام، أعمال مسجد السهلة، عمل مسجد زيد ومسجد صعصعة ومسجد الجعفي ومسجد بني كاهل ومسجد غني، زيارة الإمام الحسين عليه السلام، زيارة الناحية المقدسة، التبرك بترية الحسين عليه السلام، زيارة الكاظمين عليهم السلام، فضل مسجد براءنا، زيارة النواب الأربعة عليهم السلام، زيارة سلمان الفارسي عليه السلام، زيارة الإمام الرضا عليه السلام، زيارة السيد محمد عليه السلام، زيارة الإمامين العسكريين عليهم السلام، زيارة أم القائم عليه السلام، زيارة السيدة حكيمه عليها السلام، زيارة الإمام المهدي عليه السلام، دعاء العهد، دعاء الندبة، الزيارات الجامعة الكبيرة، زيارة المعصومين عليهم السلام، الزيارة بالنيابة عن الغير، زيارة السيدة زينب الكبرى عليها السلام، زيارة بيت المقدس، زيارة الأنبياء عليهم السلام، زيارة أولاد الأئمة عليهم السلام، زيارة فاطمة المعصومة عليها السلام، زيارة العلماء والمؤمنين، حديث الكساء، رقاع الحاجة... وقد طبع عدة مرات منها: طبعة مؤسسة البلاغ، بيروت عام ١٤١٤. وطبعة مؤسسة الفكر الإسلامي بيروت عام ١٤١٥ هـ. وطبعة مكتبة الألفين، الكويت. وطبع في إيران، باللغتين العربية والفارسية. كما أعادت طبعه مؤسسة الفكر الإسلامي قم المقدسة عام ١٤٠٨ هـ باللغتين العربية والفارسية، بخط محمود اشرفي تبريزي. وقد ترجمه آية الله الشيخ اختر عباس النجفي إلى اللغة الأردنية تحت عنوان (مفاتيح الجنان جديد)، ويقع في ١٠٦٩ صفحة قياس ١٧×٢٤، وقامت بطبعه إدارة نشر معارف إسلامي لاهور باكستان، ومؤسسة الرسول الأعظم عليه السلام لاهور باكستان.

ثم مشى ومشيت معه حافيا وعلينا السكينة نسبح الله ونقدسه ونهلله إلى أن بلغنا القبر، فوقف عليه ونظر يمينه ويسرة وخط بعكازته، وقال لي: «اطلب». فطلبت فإذا أثر القبر في الخط، ثم أرسل دمعة وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون». ثم قال:

«السلام عليك أيها الوصي البر التقي، السلام عليك أيها النبا العظيم، السلام عليك أيها الصديق الشهيد، السلام عليك أيها الرضي الزكي، السلام عليك يا وصي رسول رب العالمين، السلام عليك يا خيرة الله من الخلائق أجمعين، أشهد أنك حبيب الله وخاصة الله وخالسته، السلام عليك يا ولي الله، وموضع سره، وعيبة علمه، وخازن وحيه».

ثم انكب عليه على القبر الشريف، وقال: «بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين، بأبي أنت وأمي يا نور الله التام، أشهد أنك قد بلغت عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ ما حملت، ورعيت ما استحفظت، وحفظت ما استودعت، وحللت حلال الله، وحرمت حرام الله، وأقمت أحكام الله، ولم تتعد حدود الله، وعبدت الله مخلصا حتى أتاك اليقين، صلى الله عليك وعلى الأئمة من بعدك».

ثم قام عليه فصلى ركعتين عند الرأس الكريم، ثم قال: «يا صفوان، من زار أمير المؤمنين بهذه الزيارة وصلى بهذه الصلاة، رجع إلى أهله مغفورا ذنبه، مشكورا سعيه، وكتب له ثواب كل من زاره من الملائكة المقربين، وأنه ليزوره في كل ليلة سبعون قبيلة من الملائكة».

قلت: وكم القبيلة؟ قال: «مائة ألف».

ثم خرج القهقري وهو يقول: «يا جداه، يا سيداه، يا طيباه، يا ظاهراه، لا جعله الله تعالى آخر العهد من زيارتك، ورزقني العود إليك، والمقام في حرمك، والكون معك ومع الأبرار من ولدك، صلى الله عليك وعلى الملائكة المحققين بك». فقلت: يا سيدي أأذن لي أن أخبر أصحابك من أهل الكوفة؟ فقال: «نعم». وأعطاني دراهم فأصلحت القبر^(١).

التجاء المظلومين للرسول ﷺ

مسألة: يستحب عطف المظلوم على قبر النبي ﷺ وقصده والالتجاء إليه والتوسل به، وكذلك سائر مراقد الأنبياء والأئمة والأولياء عليهم السلام، وهذا مصداق من مصاديق ذلك الأمر العام؛ فإن النبي ﷺ في مماته كما هو في حياته، حي عند ربه يرزق، يسمع الكلام ويرد الجواب^(٢)، ويتمكن من الدعاء للمظلوم والشفاعة له حتى يرفع الله ظلامته. ويعتبر هذا البحث من العقائد الإسلامية المسلمة، وقد تحدث عنه العلماء في كتب أصول الدين في بحث الشفاعة والتوسل إلى الله بأوليائه الطاهرين.

شمولية الاستحباب

مسألة: لا يختص استحباب العطف على الرسول ﷺ وزيارته والالتجاء إليه والتوسل به وكذلك الأولياء المعصومين عليهم السلام بالظلم الشخصي الفردي، بل هو أعم منه ومن الظلم النوعي على أمة، ومن ذلك يعلم رجحان تشكيل

(١) إرشاد القلوب: ج ٢ ص ٤٤١ وفي فضل زيارته عليه السلام ومما جاء من الأخبار والآثار.

(٢) راجع وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٣٣٧ ب ٤.

لجان وهيئات تهتم بإرسال المظلومين في مجاميع إلى مراقد المعصومين عليهم السلام.. وكذلك حال المسيرات الجماهيرية الراجلة وغيرها نحو مراقدهم الشريفة عند نزول بلاء عام كحاكم جائر أو فقر أو غلاء أو مرض عام أو ما أشبه.. وقد يلزم كل ذلك على حسب تشخيص الفقيه أو شورى الفقهاء المراجع، وما أحوجنا اليوم إلى مثل هذه التضرعات والتوسلات.

قبر الوالدين

مسألة: يستحب عطف البنت على قبر أبيها مطلقا، وهكذا الابن، وكذلك قبر الأم، على ما يستفاد من الروايات.

وهذا أيضا مصداق آخر للكلية الواردة، إضافة إلى أنه تأس بالصديقة الطاهرة (صلوات الله عليها)، فإن عطف البنت أو الولد على قبر الأب أو الجد مما يندب إليه، خصوصا إذا كان الأب من أولياء الله الصالحين.

نعم ربما يستثنى من استحباب ذلك قبر الكافر والمنافق، وربما كان محرما في بعض المصاديق، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾^(١).

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «زوروا موتاكم؛ فإنهم يفرحون بزيارتكم، وليطلب أحدكم حاجته عند قبر أبيه وعند قبر أمه بما يدعو لهما»^(٢).

(١) سورة التوبة: ٨٤.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٢٩-٢٣٠ باب زيارة القبور ح ١٠.

من هندسة المسجد النبوي

تقول السيدة زينب عليها السلام راوية هذه الخطبة الشريفة :

(ثم عطفت - أي الصديقة الطاهرة عليها السلام - على قبر رسول الله ﷺ).

حيث كانت الخطبة في المسجد النبوي الشريف ، وقبر النبي ﷺ ملاصق للمسجد ؛ لأن القبر الطاهر كان في بيت أمير المؤمنين علي وفاطمة (عليهما الصلاة والسلام) حيث كانت وفاته ﷺ في نفس البيت ودفن هناك ، كما جاء ذلك في جملة من الأحاديث التي رواها العامة والخاصة بأنه ﷺ توفي في بيت فاطمة عليها السلام.

فإن رسول الله ﷺ لما بنى مسجده بنى حوله بيوتا صغارا لنفسه وأزواجه وفاطمة عليها السلام وزوجها عليه السلام ولأصحابه ، وكان من هندسة البيوت أن جعل لكل بيت من تلك البيوت بابين ، بابا إلى المسجد وبابا في الطرف الآخر إلى الشارع ، ولما جاء الأمر الإلهي بسد الأبواب كلها إلا باب علي وفاطمة (صلوات الله عليهما) بقي لبيت علي وفاطمة عليهما السلام بابان ، أما سائر البيوت فلم يبق لها إلا باب واحد إلى الشارع ، والقوم عندما هجموا على دار فاطمة وخرجوا بعلي (عليه الصلاة والسلام) إلى المسجد جاءوا به من الباب الذي في الشارع لا الباب الذي كان إلى المسجد.

وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبئة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

الشعر عند قبر النبي ﷺ

مسألة: يستحب إنشاد مثل هذا الشعر وإنشاؤه على قبر النبي ﷺ.

فإن الشعر المكروه هو الشعر الذي ليس بحق، أما شعر الحق فهو بين مستحب ومباح ولربما وجب، ولذا كان لرسول الله ﷺ شاعر اسمه حسان^(١).

(١) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار. كنيته: أبو الوليد، ويقال: أبو الحسام. وهو من الأنصار ومن قبيلة الخزرج. عاش في الجاهلية فقصد ملوك المناذرة والغساسنة ومدحهم ونال جوائزهم، ثم أدرك الإسلام فأسلم وأصبح شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه. كان النبي ﷺ يضع له منبرا في المسجد يقوم عليه قائما ينافح عن رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يقول: «إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله ﷺ». ويروى أن عمر مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظه. فقال حسان: قد كنت أنشد فيه وفيه خير منك. قال: صدقت. لم يشهد مع النبي ﷺ مشهدا وكان يجبن، يقول ابن الكلبي: كان حسان لسانا شجاعا فأصابته علة أحدثت فيه الجبن. ولما كان يوم الأحزاب، قال النبي ﷺ: «من يحمي أعراض المسلمين؟» قال كعب بن مالك: أنا. وقال ابن رواحة: أنا. وقال حسان: أنا. فقال ﷺ: نعم، اهجم أنت وسيعينك عليهم روح القدس». وعن عائشة: إن النبي ﷺ، قال: «اهج قريشا؛ فإنه أشد عليهم من رشق النبل». ويروى أنه قيل لابن عباس: قدم حسان اللعين!. فقال ابن عباس: ما هو بلعين، قد جاهد مع رسول الله ﷺ بنفسه ولسانه. وعن أم عروة بنت جعفر بن الزبير بن العوام، عن أبيها، عن جدها، قال: لما خلف رسول الله ﷺ نساء يوم أحد، خلفهن في فارع وفيهن صفية بنت عبد المطلب، وخلف فيهن حسان. فأقبل رجل من المشركين ليدخل عليهن. فقالت صفية لحسان: عليك الرجل. فجبن وأبى عليها. وفي رواية أخرى. أنه قال: لو كان ذاك في لكننت مع رسول الله ﷺ. فتناولت السيف فضربت به المشرك حتى قتلت، ثم قطعت رأسه وقالت لحسان: قم فاطرحه على اليهود وهم تحت الحصن. قال: والله ما ذاك في.. وفي رواية أخرى. أنها قالت لحسان: قم فاسلبه؛ فإني امرأة

وكان أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) ينشئ الشعر بنفسه كما في ديوانه المنسوب إليه^(١).

وكذلك بعض الأئمة الطاهرين عليهم السلام كانوا ينشئون الأشعار^(٢).

وهو رجل. فقال: ما لي بسلبه يا بنت عبد المطلب من حاجة. فأخذت رأسه فرميت به عليهم. فقالوا: قد علمنا والله إن هذا لم يكن ليرك أهله خلوا ليس معهم أحد، ففرقوا. كف بصره آخر عمره بعدما عاش مائة ونيفا من السنين، توفي سنة أربع وخمسين، وقيل: سنة أربعين. وقيل: زمن معاوية.

(١) ديوان أمير المؤمنين عليه السلام وهو يشمل أشعارا منسوبة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومتضمنة لمضامين الروايات والآيات القرآنية، كما وتشمل المباحث الأخلاقية والعقائدية والحماسية. وقد رتبت أشعار هذا الديوان على ترتيب حروف الهجاء وتبتدئ قوافي الأشعار من «الألف» وتنتهي بـ «الياء». وبعض هذه الأشعار غير صادرة عن الإمام عليه السلام؛ فإنه عليه السلام أنشد بعضها جوابا لآخرين. يقول العلامة الشيخ آقا بزرك الطهراني رحمته الله: بأن الديوان المنسوب لأمر المؤمنين عليه السلام جمع من قبل قطب الدين الكيدري شارح (نهج البلاغة)، وهو الشيخ أبو الحسن محمد بن الحسن البيهقي النيشابوري من تلامذة المرحوم الطبرسي، جمع هذه الأشعار على أساس ما جمعه أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الفنجركردى النيشابوري المتوفى سنة ٥١٣ هـ. إن النسخة الموجودة والمطبوعة من ديوان الإمام عليه السلام قريبة من النسخة التي جمعها ودونها قطب الدين الكيدري إلا أن في هذه النسخة قد حذفت المصادر والأسانيد لهذه الأشعار، علما بأن أقدم نسخة من الكتاب جمعها ابن أحمد عبد العزيز الجلودى المتوفى سنة ٣٣٢ هـ باسم (شعر علي عليه السلام). ترجم هذه الأشعار إلى الشعر الفارسي وشرحها الحسين بن معين الدين الميبدى من كبار علماء السنة سنة ٨٩٠ هـ. لقد جمع هذا الديوان وشرحه سبعة عشر شخصا وربما أكثر، وتوجد ما يقارب من ثلاثين نسخة من الديوان وشرحه في المكتبات العامة لمدينتي مشهد وقم في إيران.

(٢) مثل شعر الإمام الهادي عليه السلام عندما أحضره المتوكل العباسي وطلب منه أن ينشده الشعر، فأنشده عليه السلام:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

والإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام) في كربلاء أنشأ الشعر مكرراً^(١).
وهكذا أنشأه جملة من الصالحين بحضور الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين)^(٢).

واستنزلوا بعد عز من معاقلهم	واسكنوا حضرا يا بنسما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد دفنهم	أين الأساور والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة	من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم	تلك الوجوه عليها الدود تقتتل
قد طال ما أكلوا دهرأ وقد شربوا	وأصبحوا اليوم بعد الأكل قد أكلوا

قال: فبكى المتوكل حتى بلت لحيته دموع عينيه وبكى الحاضرون. راجع بحار الأنوار: ج ٥٠ ص ٢١١-٢١٢ ب ٤ ضمن ح ٢٥.

(١) مثل قوله عليه السلام:

يا دهرأف لك من خليل	كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل	والدهر لا يقنع بالبديل
وانما الأمر إلى الجليل	وكل حي سالك سبيل

وقوله عليه السلام مخاطباً ابنته سكينه عليها السلام:

سيطول بعدي يا سكينه فاعلمي	منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرقني قلبي بدمعك حسرة	ما دام مني الروح في جثمانني
وإذا قتلت فانت أولى بالذي	تأتيه يا خيرة النسوان

راجع المناقب ج ٤ ص ٩٩ و ١٠٩ فصل في مقتله عليه السلام.

(٢) مثل قصيدة الفرزق الميمية في مدح الإمام زين العابدين عليه السلام والتي قالها في حضور هشام الأموي الذي تظاهر بعدم معرفته بالإمام عليه السلام في قصة معروفة لدى الكعبة المشرفة، وكذلك قصيدة دعل الخزاعي الثانية والتي قالها في محضر الإمام الرضا عليه السلام فأكرمه الإمام عليه السلام، وغير ذلك مما هو كثير ضمنه كتب التاريخ والأدب.

وغير خفي أن هذه الأشعار - التي قالتها الصديقة عليها السلام - بكل كلماته حجة، سواء كانت إنشاء منها عليها السلام أو إنشادا ^(١).

خطاب المعصومين عليهم السلام

مسألة: ينبغي أن يخاطب الإنسان النبي ﷺ والأئمة والأولياء عليهم السلام بعد مماتهم كما يخاطبهم حال حياتهم، كما خاطبت الصديقة الزهراء عليها السلام أباهما ﷺ من حيث الاطمئنان بأنه ﷺ يسمع الكلام ويرى المقام ويرد الجواب، إذ إنهم **﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾** ^(٢).

وقد ورد الأمر بهذا الخطاب كما في الزيارات الماثورة:

جاء في الزيارة الجامعة للأئمة المعصومين عليهم السلام ما نصه: «وأشهد أنكم الأئمة الراشدون المهديون، المعصومون المكرمون، المقربون المتقون، الصادقون المصطفون، المطيعون لله، القوامون بأمره، العاملون بإرادته، الفائزون بكرامته، اصطفاكم بعلمه، وارتضاكم لغيبه، واختاركم لسره، واجتباكم بقدرته، وأعزكم بهداه، وخصكم ببرهانه، وانتجبكم بنوره، وأيدكم بروحه، ورضيكم خلفاء في أرضه، وحججا على بريته، وأنصارا لدينه، وحفظة لسره، وخزنة لعلمه، ومستودعا لحكمته، وتراجمة لوحيه، وأركاناً لتوحيده، وشهداء على خلقه، وأعلاما لعباده، ومنارا في بلاده، وأدلاء على

(١) حيث قال بعض: بأن البيتين الأولين من باب التمثيل وهما لهند بنت أئمة، وباقي الأبيات مما أنشأتها الصديقة عليها السلام.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٩.

صراطه، عصمكم الله من الزلل، وآمنكم من الفتن، وطهركم من الدنس، وأذهب عنكم الرجس أهل البيت وطهركم تطهيرا»^(١).

وجاء في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ما نصه: «السلام عليك يا أمير المؤمنين، أنا عبدك وابن عبدك وابن أمتك، جئتك زائرا لا ئذا بجرمك، متوسلا إلى الله بك في مغفرة ذنوبي كلها، متضرعا إلى الله تعالى وإليك لمنزلتك عند الله، عارفا عالما إنك تسمع كلامي وترد سلامي، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾»^(٢). فيا مولاي، إني لو وجدت إلى الله تعالى شفيعا أقرب منك لقصدت إليه، فما خاب راجيكم، ولا ضل داعيكم، أنتم الحجة والمحجة إلى الله، فكن لي إلى الله شفيعا، فما لي وسيلة أوفى من قصدي إليك، وتوسلي بك إلى الله، فأنت كلمة الله وكلمة رسوله صلوات الله وسلاماته عليه، وأنت خازن وحيه، وعيبة علمه، وموضع سره، والناصح لعبيد الله، والتالي لرسوله، والمواسي له بنفسه، والناطق بحجته، والداعي إلى شريعته، والماضي على سنته، فلقد بلغت عن النبي صلوات الله وسلاماته عليه ما حملت، ورعيت ما استحفظت، وحفظت ما استودعت، وحللت حلاله، وحرمت حرامه، وأقمت أحكامه، ولم تأخذك في الله لومة لائم، فجاهدت القاسطين في حكمه، والمارقين عن أمره، والناكثين لعهد صابرا محتسبا، صلى الله عليك وسلم أفضل ما صلى على أحد من أصفياه وأنبيائه وأوليائه إنه حميد مجيد»^(٣).

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦١١ زيارة جامعة لجميع الأئمة عليهم السلام ح ٣٢١٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٩.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٢٩٥ ب ٤ ح ٢٠.

وجاء في زيارة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ما نصه: «السلام عليك يا وتر الله الموتور في السماوات والأرض، أشهد أن دمك سكن في الخلد، واقتشعت له أظلة العرش، وبكى له جميع الخلائق، وبكت له السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن، ومن في الجنة والنار من خلق ربنا ما يرى وما لا يرى»^(١).

وذكر العلامة أحمد بن فهد رحمته الله في (عدة الداعي): روي عن الصادق عليه السلام: «من كانت له حاجة إلى الله عزوجل فليقف عند رأس الحسين عليه السلام وليقل: يا أبا عبد الله، أشهد أنك تشهد مقامي، وتسمع كلامي، وأنت حي عند ربك ترزق، فاسأل ربك وربي في قضاء حوائجي، فإنها تقضى إن شاء الله تعالى»^(٢).

وجاء في زيارة الإمام الكاظم عليه السلام ما نصه: «أشهد أنك أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وتلوت الكتاب حق تلاوته، وجاهدت في الله حق جهاده، وصبرت على الأذى في جنبه محتسبا، وعبدته مخلصا حتى أتاك اليقين، أشهد أنك أولى بالله وبرسوله، وأنت ابن رسول الله حقا، أبرأ إلى الله من أعدائك، وأتقرب إلى الله بموالائك، أتيئك يا مولاي عارفا بحقك، مواليا لأولياك، معاديا لأعدائك، فاشفع لي عند ربك»^(٣).

(١) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٥٥ ب ١٨ ح ١.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٣٤٥ ب ٥٩ ح ١٢١٤٩.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ١١ ب ٢ ح ٧.

وجاء في زيارة الإمامين العسكريين عليهما السلام ما نصه: «السلام عليكما يا وليي الله، السلام عليكما يا حجتي الله، السلام عليكما يا نوري الله في ظلمات الأرض، السلام عليكما يا من بدا الله في شأنكما، أتيتكما زائرا عارفا بحقكما، معاديا لأعدائكما، مواليا لأوليائكما، مؤمنا بما آمنتم به، كافرا بما كفرتم به، محققا لما حققتما، مبطلا لما أبطلتما، أسأل الله ربي وربكما أن يجعل حظي من زيارتكما الصلاة على محمد وآله، وأن يرزقني مرافقتكما في الجنان مع آبائكما الصالحين، وأسأله أن يعتق رقبتني من النار، ويرزقني شفاعتكما ومصاحبتكما، ويعرف بيني وبينكما، ولا يسلبني حبكما وحب آبائكما الصالحين، وأن لا يجعله آخر العهد من زيارتكما، ويحشرني معكما في الجنة برحمته»^(١).

إلى غيرها مما هو كثير.

عدة مسائل

- مسألة:** ربما يستفاد من ذلك أيضا استحباب إقامة مجالس العزاء عند قبور المعصومين عليهم السلام، وكان عملها مصداقا من مصاديقه.
- مسألة:** ويستفاد - من ملاكه - استحباب إقامة الاحتفالات الدينية بمناسبة مواليدهم عليهم السلام عند مراقدهم، مع حفظ الآداب الشرعية.
- مسألة:** ويستفاد استحباب المطالبة بالحقوق عند مراقدهم عليهم السلام، وكذلك عقد الندوات والمؤتمرات وإلقاء المحاضرات حول ذلك.
- كل ذلك مع حفظ الموازين الشرعية ورعاية الآداب اللازمة.

(١) بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ٦١ ب ٦ ح ٥.

رثاء البنت

مسألة: يستحب للبنت أن ترثي^(١) أباه.

وهذا ليس خاصا بالبنت والأب، بل ما فعلته الصديقة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) مصداق من المصاديق العامة، فالأولاد والآباء والأقرباء إذا تحن بعضهم على بعض كان له الأجر والثواب، وهو نوع صلة رحم وبر كما لا يخفى.

عن جميل بن دراج، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله جل ذكره: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢). قال: فقال: «هي أرحام الناس إن الله عزوجل أمر بصلتها وعظمها ألا ترى أنه جعلها منه»^(٣).

وعن إسحاق بن عمار، قال: بلغني عن أبي عبد الله عليه السلام: «أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، إن أهل بيتي أبوا إلا توثبا علي وقطعة لي فأرفضهم؟»

فقال: إذا يرفضكم الله جميعا. قال: فكيف أصنع؟

قال: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك؛ فإنك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عزوجل عليهم ظهير»^(٤).

(١) وفي اللغة: رثى فلان فلانا يرثيه رثيا: أي يكيه ويمدحه، والاسم المرثية، ورثى له: أي رق له ورحمه، ورثيت له: أي ترحمت وترفقت.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٥٠ باب صلة الرحم ح ١.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٥٣٨ ب ١٨ ح ٢٧٨٠٠.

وعن عبد الله بن سنان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن لي ابن عم أصله فيقطعني حتى هممت لقطيعته إياي أن أقطعه؟ قال: «إنك إن وصلته وقطعتك وصلكما الله جميعا، وإن قطعته وقطعتك قطعكما الله»^(١).

وعن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «لما خرج أمير المؤمنين عليه السلام يريد البصرة نزل بالربذة، فأتاه رجل من محارب، فقال: يا أمير المؤمنين، إني تحملت في قومي حمالة وإني سألت في طوائف منهم المواساة والمعونة، فسبقت إلي ألسنتهم بالنكد، فمرهم يا أمير المؤمنين بمعونتي وحثهم على مواساتي. فقال: أين هم؟ فقال: هؤلاء فريق منهم حيث ترى. قال: فنص راحلته فادلفت كأنها ظليم، فادلف بعض أصحابه في طلبها فلأيا بلأى ما لحقت، فانتهى إلى القوم فسلم عليهم وسألهم ما يمنعونهم من مواساة صاحبهم فشكوه وشكاهم. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وصل امرؤ عشيرته فإنهم أولى بیره وذات يده، ووصلت العشيرة أخاها إن عثر به دهر وأدبرت عنه دنيا؛ فإن المتواصلين المتبازلين مأجورون، وإن المتقاطعين المتدابرين موزورون. قال: ثم بعث راحلته وقال: حل»^(٢).

دراسة التاريخ

مسألة: يجب دراسة التاريخ والتعرف على السلبيات والإيجابيات والعوامل والعلل والنتائج، ومن صغريات ذلك دراسة ما جرى بعد الرسول عليه السلام وذلك لشدة ارتباط المستقبل بالماضي وتأثره به، ومن مفردات ذلك المسألة اللاحقة.

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٩٧.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٥٣-١٥٤ باب صلة الرحم ح ١٨.

ما حدث بعد الرسول ﷺ

مسألة: يستحب أو يجب بيان أن بعد رسول الله ﷺ حدثت أنباء وهنبة، كما قالت الصديقة عليها السلام؛ وبيان ذلك يوجب التعرف على المشاكل التي لاقاها المسلمون والفتن التي واجهوها بعد رسول الله ﷺ، فإن تلك المشاكل تعتبر الأساس لمشاكل المسلمين إلى هذا اليوم وجذورها وعللها.

إن الانقلاب على أوامر الرسول ﷺ والإعراض عن خليفته أمير المؤمنين علي عليه السلام بما يتضمن من إعراض عن مناهجه التي أوضحها خليفته.. لا يزال هو السبب الرئيسي لتخلف المسلمين، كما صرح رسول الله ﷺ بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(١).

ولكن المسلمين لما تركوا الثقلين الكتاب والعتره ضلوا وأضلوا.

عن أبان بن تغلب، عن مسلم، قال: سمعت أبا ذر، والمقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، قالوا: كنا قعودا عند رسول الله ﷺ ما معنا غيرنا، إذ أقبل ثلاثة رهط من المهاجرين البدرين. فقال رسول الله: «تفرق أمتي بعدي ثلاث فرق: فرقة أهل حق لا يشوبونه بباطل، مثلهم كمثل الذهب كلما فتنه بالنار ازداد جودة وطيبا وإمامهم هذا أحد الثلاثة، وهو الذي أمر الله به في كتابه ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾»^(٢). وفرقة أهل باطل لا يشوبونه بحق، مثلهم كمثل خبث

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٣٣ ب ٥ ح ٣٣١٤٤.

(٢) سورة هود: ١٧، سورة الأحقاف: ١٢.

الحديد كلما فتنته بالنار ازداد خبثا وإمامهم هذا أحد الثلاثة. وفرقة أهل ضلالة مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وإمامهم هذا أحد الثلاثة». قال: فسألتهم عن أهل الحق وإمامهم؟ فقال: «هذا علي بن أبي طالب إمام المتقين»، وأمسك عن الاثنين فجهدت أن يسميهما فلم يفعل^(١).

وعن يحيى البكاء، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية والباقي هالكون، والناجون الذين يتمسكون بولايتكم ويقتبسون من علمكم ولا يعملون برأيهم، فأولئك ما عليهم من سبيل»^(٢).

وعن رسول الله ﷺ، قال: «ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحرمون الحلال ويحللون الحرام»^(٣).

وعن زيد بن أسلم، عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «تفرقت أمة موسى عليه السلام على إحدى وسبعين ملة [فرقة] سبعون منها في النار وواحدة في الجنة، وتفرقت أمة عيسى عليه السلام على اثنتين وسبعين فرقة إحدى وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة، وتعلو أمتي على الفرقتين جميعا بملة، واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار». قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «الجماعات الجماعات».

(١) الطرائف: ج ١ ص ٢٤١ ما شهد به العامة على أنهم خالفوا وصايا نبيهم ح ٣٤٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٤٩-٥٠ ب ٦ ح ٣٣١٨٠.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٢٥٧ ب ٦ ح ٢١٢٧٤.

وقال يعقوب بن زيد: كان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا حدث هذا الحديث عن رسول الله ﷺ تلا فيه قرآنا: ﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم﴾ - إلى قوله - ﴿ساء ما يعملون﴾^(١)، وتلا أيضا: ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾^(٢)، يعني: «أمة محمد ﷺ»^(٣).

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لرأس اليهود: «على كم افترقتم؟». فقال: على كذا وكذا فرقة. فقال علي عليه السلام: «كذبت».

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال: «والله لو ثبت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل القرآن بقرآنهم. افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة سبعون منها في النار وواحدة ناجية في الجنة وهي التي اتبعت يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة إحدى وسبعون فرقة في النار وواحدة بالجنة وهي التي اتبعت شمعون الصفا وصي عيسى عليه السلام، وتفرقت هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة وهي التي اتبعت وصي محمد ﷺ».

وضرب عليه السلام بيده على صدره ثم قال: «ثلاث عشرة فرقة من الثلاث وسبعين فرقة كلها تنتحل مودتي وحببي واحدة منها في الجنة وهي النمط الأوسط واثنان عشرة في النار»^(٤).

(١) سورة المائدة: ٦٥-٦٦.

(٢) سورة الأعراف: ١٨١.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٣١ من سورة المائدة ح ١٥١.

(٤) الاحتجاج: ج ١ ص ٢٦٣ احتجاجه ع على من قال بالرأي في الشرع والاختلاف في الفتوى.

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام: في قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾^(١)، قال: «زرارة، أولم تتركب هذه الأمة بعد نبيها طبقا عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان»^(٢).

وعن حمزة بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، عن النبي ﷺ، قال: «أتزعمون أن رحم نبي الله لا تنفع قومه يوم القيامة، بلى والله إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة - ثم قال - يا أيها الناس، أنا فرطكم على الحوض، فإذا جئت وقام رجال يقولون: يا نبي الله، أنا فلان بن فلان. وقال آخر: يا نبي الله، أنا فلان بن فلان. وقال آخر: يا نبي الله، أنا فلان بن فلان. فأقول: أما النسب فقد عرفته ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقري»^(٣).

وعن خير بن نوف أبي الوداك، قال: قلت لأبي سعيد الخدري: والله ما يأتي علينا عام إلا وهو شر من الماضي، ولا أمير إلا وهو شر من كان قبله؟! فقال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ يقول ما تقول، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال بكم الأمر حتى يولد في الفتنة والجور من لا يعرف عددها حتى تملأ الأرض جورا فلا يقدر أحد يقول: الله، ثم يبعث الله عز وجل رجلا مني ومن عترتي فيملأ الأرض عدلا كما ملأها من كان قبله جورا، وتخرج له الأرض أفلاذ كبدها، ويحثو المال حثوا، ولا يعده عدا، وذلك حين يضرب الإسلام بجراحه»^(٤).

(١) سورة الانشقاق: ١٩.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٤١٣ سورة الانشقاق.

(٣) الأمالي للطوسي: ص ٢٦٩ المجلس العاشر ٥٠٠-٣٨.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ١٨ ب ١ ح ٢٥، والبحار: ج ٥١ ص ٦٨ ب ١ ح ٩.

وفي الطرائف والعمدة، بإسنادهما إلى صحيح البخاري ومسلم والجمع بين الصحيحين، بإسنادهم إلى ابن عباس، قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله عراة حفاة غرلا - ثم تلا - ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعِندَ عُذَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(١) - ثم قال - ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال. فأقول: يا رب أصحابي!! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٢). فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»^(٣).

نتائج فقد القائد

مسألة: يستحب بيان أن الرسول ﷺ - وهو أعظم قائد رآه العالم - لو كان حيا وحاضرا وشاهدا لما كثر الخطب، ولما ازدادت المحن والمصائب على الصديقة الطاهرة عليها السلام، وعلى أمير المؤمنين عليه السلام، وعلى أهل البيت الطاهرين عليه السلام، وعلى الأمة الإسلامية جمعاء.

كما يستحب بيان أن بعض القوم كانوا ينتظرون موته ﷺ ليغتصبوا الخلافة، كما تنتظر كل أمة متخلفة وكل شريحة ضالة موت القائد أو تغييبه.

(١) سورة الأنبياء: ١٠٤.

(٢) سورة المائدة: ١١٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٢٤-٢٥ ب ١ ح ٣٥.

وهذا يكشف عن عظمة الرسول ﷺ ومدى منزلته ومكانته وإدارته، وهي مما تحببه إلى الناس فيلتفون حوله، وكل ما أوجب الإلتفاف حول الرسول ﷺ أكثر فأكثر فهو مستحب، بل قد يكون واجبا أيضا.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى: إن ذلك يكشف عن سوء سريرة القوم وإضرارهم الغدر، وأن وجوده ﷺ الشريف كان هو المانع، فكان النفاق متأصلا في بعضهم زمن حياته ﷺ وقد تجلى بعد وفاته، وكان على رأس هؤلاء المنافقين من اغتصب الخلافة وفدك وهجم على دار الصديقة الزهراء عليها السلام وأحرق البيت، وضرب بضعة الرسول ﷺ حتى أدمأها وكسر ضلعها وأسقط جنينها المحسن عليه السلام. فلذلك تقول الصديقة: «لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب». لا يقال: ألم يكن الإمام علي عليه السلام موجودا وهو من الرسول ﷺ كالنفس من النفس بشهادة «وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ»^(١)، وكان المثل الأعلى في الحكمة والإدارة والعلم وغير ذلك؟.

إذ يقال: إن وجود القائد الكفوء والمثالي لا يكفي وحده في استتباب الأمر وانتظام الأمور في كثير من الأحيان، كما أن وجود هارون عليه السلام خليفة لموسى عليه السلام لم يكف في منع السامري والحيلولة دون عبادة العجل، وكما أن وجود آدم عليه السلام لم يكف في منع قابيل من قتل هابيل عليه السلام، وكما في سائر أنبياء الله ﷺ.. حتى الرسول ﷺ بالنسبة للمنافقين وأضرابهم، بل لا بد من قابلية القابل أيضا.. فكثرت الدواهي رغم وجود الإمام علي عليه السلام؛ لأن القوم أعرضوا عنه حسدا وحقدا نتيجة ثارات بدر وحنين وغيرها.

(١) سورة آل عمران: ٦١.

الثلمة العظمى

مسألة: أجلى المصاديق للرواية التالية: «إذا مات العالم - أو المؤمن الفقيه - ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة»^(١)، هو وفات رسول الله ﷺ بل استشهاده ﷺ، الذي ذكرته الصديقة ع إشارة بقولها: «لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب»، فوفاته ﷺ الثلمة العظمى التي لا يسدها شيء، ووجود سائر المعصومين ع أيضا لا يسد تلك الثلمة، فإن لكل وجود من وجوداتهم المباركة خير في حد ذاته، وهو بركة للمعصوم اللاحق أيضا، ولذا قالت ع: «إنا فقدناك فقد الأرض وابلها».. ولا ريب أن بعض الآثار تحفظ بالمعصوم اللاحق ع إذ بوجود كل منهم (رزق الوري، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء)^(٢)، وتفصيل الكلام في محله.

وقد ورد في حديث الإمام الرضا ع: «إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين».

إن الإمامة أس الإسلام النامي، وفرعه السامي.

بالإمام تمام الصلاة والزكاة، والصيام والحج، والجهد وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة.

(١) مستدرك الوسائل: ج ٩ ص ٥١ ب ١٠٦ ح ١٠١٧١.

(٢) شجرة طوبى: ص ٢٧٠ المجلس السادس عشر.

الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث
لاتنالها الأيدي والأبصار.

الإمام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في
غياهب الدجى وأجواز البلدان والقفار ولجج البحار.
الإمام الماء العذب على الظمأ، والదال على الهدى، والمنجي من
الردى.

الإمام النار على اليفاع الحار لمن اصطلى به، والدليل في المهالك، من
فارقه فهالك.

الإمام السحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشمس المضيئة، والسماء
الظليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة.

الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، والأم البرة بالولد
الصغير، ومفزع العباد في الداهية النّاد.

الإمام أمين الله في خلقه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده،
والداعي إلى الله، والذاب عن حرم الله.

الإمام المطهر من الذنوب، والمبرأ عن العيوب، المخصوص بالعلم،
الموسوم بالحلم، نظام الدين، وعز المسلمين، وغيظ المنافقين، وبوار
الكافرين.

الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل،
ولا له مثل ولا نظير، مخصص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا
اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب.

فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام، أو يمكنه اختياره، هيئات هيئات ضلت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الأبواب، وخسأت العيون، وتضاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت الحلما، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباء، وكلت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، وأقرت بالعجز والتقصير.

وكيف يوصف بكله، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه، ويغني غناه، لا كيف وأنى وهو بحيث النجم من يد المتناولين، ووصف الوافين.

فأين الاختيار من هذا، وأين العقول عن هذا، وأين يوجد مثل هذا، أ تظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد ﷺ.

كذبتهم والله أنفسهم، ومنتهم الأباطيل، فارتقوا مرتقا صعبا دحضا، تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة باثرة ناقصة، وآراء مضلة، فلم يزدادوا منه إلا بعدا قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ولقد راموا صعبا، وقالوا إفكا، وضلوا ضلالا بعيدا، ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن بصيرة، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين، رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله ﷺ وأهل بيته إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم:

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١)، وقال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ

(١) سورة القصص: ٦٨.

وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ^(١) الآية، وقال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخِيرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ * سَلَهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ^(٢)﴾، وقال عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا^(٣)﴾، أم طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون، أم قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ^(٤)﴾، أم قالوا سمعنا وعصينا بل هو فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فكيف لهم باختيار الإمام، والإمام عالم لا يجهل، وراع لا ينكل، معدن القدس والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرسول صلی اللہ علیہ وسلم، ونسل المطهرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو حسب في البيت من قريش، والذروة من هاشم، والعترة من الرسول صلی اللہ علیہ وسلم، والرضا من الله عز وجل، شرف الأشراف، والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عز وجل، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله^(٥).

(١) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٢) سورة القلم: ٣٦-٤١.

(٣) سورة محمد: ٢٤.

(٤) سورة الأنفال: ٢٢-٢٣.

(٥) الكافي: ج ١ ص ٢٠٠-٢٠٢ باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته ح ١.

أوزار المستقبل على الأوائل أيضا

مسألة: لا يبعد كون «قد كان بعدك أنباء وهنبثة» إشارة للماضي، أي لما حدث بعد وفاته عليه السلام مباشرة، و«لم تكثر الخطب» أعم مما جرى بعد الوفاة ومما سيجري في المستقبل إلى يوم الظهور، فإن (قد كان بعدك) إشارة للأسس و(لم تكثر) إشارة للنتائج على مر الأزمان، أي (لم تكثر الخطب) في هذا الزمن وفي الأزمان اللاحقة.. وهذا إشارة إلى أن كافة المظالم على مر التاريخ وزرها عليهما ومن آزرهما أو رضي بفعلهما إلى يوم القيامة، كما نصت على ذلك روايات عديدة. عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يعني: ليستكملوا الكفر يوم القيامة، «﴿وَمَنْ أَوْزَارَ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعني: كفر الذين يتولونهم، قال الله: «﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾»^(١)»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «وما أحدثت بدعة إلا ترك بها سنة، فاتقوا البدع والزموا المهييع، إن عوازم الأمور أفضلها وإن محدثاتها شرارها»^(٣). وقال عليه السلام: «أظلم الناس من سن سنن الجور ومحا سنن العدل»^(٤).

وعن النبي عليه السلام، قال: «أيما داع دعا إلى الهدى فاتبع فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وأيما داع دعا إلى ضلالة واتبع فإن عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(٥).

(١) سورة النحل: ٢٥.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٥٧ من سورة النحل ح ١٦.

(٣) نهج البلاغة، الخطب: ١٤٥ ومن خطبة له عليه السلام.

(٤) غرر الحكم: ص ٤٥٥ ق ٦ ب ٥ ف ١ ذم الظلم ح ١٠٣٨٩.

(٥) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٢٧.

وعن ميمون القداح، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «أيا عبد من عباد الله سن سنة هدى كان له مثل أجر من عمل بذلك من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وأيا عبد من عباد الله سن سنة ضلال كان عليه مثل وزر من فعل ذلك من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(١).

وعن إسماعيل الجعفي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «من سن سنة عدل فاتبع كان له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن استن بسنة جور فاتبع كان له مثل وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(٢).

وعن عبد الرحمن بن أبي عبد الله، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا يتكلم الرجل بكلمة حق يؤخذ بها إلا كان له مثل أجر من أخذ بها، ولا يتكلم بكلمة ضلال يؤخذ بها إلا كان عليه مثل وزر من أخذ بها»^(٣).

وعن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «من علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً، ومن علم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً»^(٤).

وجاء في الحديث: إن سائلاً قام على عهد النبي ﷺ فسأل فسكت القوم. ثم إن رجلاً أعطاه فأعطاه القوم. فقال النبي ﷺ: «من استن خيراً فاستن به فله أجره ومثل أجور من اتبعه من غير منتقص من أجورهم، ومن استن شراً فاستن به

(١) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ١٧٣-١٧٤ ب ١٦ ح ٢١٢٧٤.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٢٢٨-٢٢٩ ب ١٥ ح ١٣٩٥٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢ ص ١٩ ب ٨ ح ٥٢.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٣٥ باب ثواب العالم والمتعلم ح ٤.

فعليه وزره ومثل أوزار من اتبعه غير منتقص من أوزارهم»^(١).

وعن قيس بن أبي حازم، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: «يا معشر المسلمين، يا أبناء المهاجرين، انفروا إلى أئمة الكفر وبقية الأحزاب وأولياء الشيطان، انفروا إلى من يقاتل على دم حمال الخطايا، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئاً»^(٢).

وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «من يشفع شفاعة حسنة، أو يأمر بمعروف، أو ينه عن منكر، أو دل على خير، أو أشار به فهو شريك. ومن أمر بشر، أو دل عليه، أو أشار به فهو شريك»^(٣). إلى غيرها من الروايات. قولها (صلوات الله عليها): «أنباء» جمع نبأ بمعنى الخبر، والمراد بها ما حدث من غصب الخلافة وفدك، والمنازعات والمحاورات والانقلاب على تعاليم السماء.

قولها ﷺ: «هنبئة» أي: الأمر الشديد، وربما كانت بمعنى الاختلاط في القول وما أشبه.

قولها ﷺ: «شاهدها» أي لو كنت حاضراً.

قولها ﷺ: «لم تكثر الخطب» أي: لم يستفحل الأمر بهذه الشدة التي وقعت بعدك، فإن (الخطب) في المقام بمعنى: المصيبة العظيمة. ومن المحتمل أن تكون جمع خطبة، أي لم يكثر القيل والقال، بل كان القول قولك يا رسول الله ﷺ وما كان لأحد أن يخالفك.

(١) تفسير مجمع البيان: ج ١٠ ص ٢٨٦ سورة الانفطار.

(٢) الغارات: ج ١ ص ٢٦ في استنفاره الناس.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ١٧٨ ب ١ ح ١٣٨١٣.

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا^(١)

الآثار التكوينية للرسول صلوات الله عليه وآله

مسألة: يحرم التشكيك في الآثار والبركات التكوينية للرسول صلوات الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام، بل في الولاية التكوينية لهم أيضاً، والتفصيل في محله.

وقد أشرنا إلى بعض البحث في كتاب البيع^(٢).

قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءَ حَيْثُ أَصَابَ﴾^(٥).

وقال سبحانه: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٦).

(١) وفي بعض النسخ: (ولا تغب) بدل (فقد نكبوا).

(٢) انظر موسوعة (الفقه) كتاب البيع المجلد الرابع والخامس.

(٣) سورة النمل: ٤٠.

(٤) سورة الأنبياء: ٧٩.

(٥) سورة ص: ٣٦.

(٦) سورة آل عمران: ٤٩.

نماذج من الولاية التكوينية للمعصومين عليهم السلام

إني قد أمرت كل شيء بطاعتك

عن محمد، قال: حدثني يونس، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام:
«اجتمعوا أربعة عشر رجلاً أصحاب العقبة ليلة أربع عشرة من ذي الحجة. فقالوا
للنبي ﷺ: ما من نبي إلا وله آية فما آيتك في ليلتك هذه؟
فقال النبي ﷺ: ما الذي تريدون؟»

فقالوا: إن يكن لك عند ربك قدر فأمر القمر أن ينقطع قطعتين!
فهبط جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمد، إن الله يقرؤك السلام ويقول لك:
إني قد أمرت كل شيء بطاعتك.

فرفع ﷺ رأسه فأمر القمر أن ينقطع قطعتين فانقطع قطعتين، فسجد
النبي ﷺ شكراً لله وسجد شيعتنا. ثم رفع النبي ﷺ رأسه ورفعوا رؤوسهم.
ثم قالوا: يعود كما كان، فعاد كما كان، ثم قالوا: ينشق رأسه. فأمره
فانشق، فسجد النبي ﷺ شكراً لله وسجد شيعتنا. فقالوا: يا محمد، حين تقدم
سفارنا من الشام واليمن فنسألهم ما رأوا في هذه الليلة، فإن يكونوا رأوا مثل ما
رأينا علمنا أنه من ربك، وإن لم يروا مثل ما رأينا علمنا أنه سحر سحرتنا به،
فأنزل الله: ﴿اقتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾^(١) إلى آخر السورة^(٢).

(١) سورة القمر: ١.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٤١ معجزة شق القمر.

أرني قبره ومقتله

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه كان يطلب قوما من الخوارج ، فلما بلغ الموضع المعروف اليوم بساباط ... أتاه رجل من شيعته ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أنا لك شيعة ومحب ، ولي أخ وكنت شقيقا عليه فبعثه عمر في جنود سعد بن أبي وقاص إلى قتال أهل المدائن فقتل هناك ، وكان من وقت مقتله إلى اليوم سنين كثيرة. فقال أمير المؤمنين عليه السلام : «فما الذي تريد منه؟». قال : أريد أن تحييه لي. قال علي عليه السلام : «لا فائدة لك في حياته». قال : لا بد من ذلك يا أمير المؤمنين. قال له : «إذا أبيت إلا ذلك فأرني قبره ومقتله». فأراه إياه ، فمد عليه السلام الرمح وهو راكب بغلته الشهباء فركز القبر بأسفل الرمح ، فخرج رجل أسمر طويل يتكلم بالعجمة. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : «لم تتكلم بالعجمة وأنت رجل من العرب؟». فقال : بلى ، ولكن بغضك في قلبي ومحبة أعدائك في قلبي ، فانقلب لساني في النار».

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، رده من حيث جاء فلا حاجة لنا فيه. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : «ارجع» ، فرجع إلى القبر وانطبق عليه^(١).

الأرض تحدثه ويحدثها

عن أسماء بنت واثلة بن الاسقع ، قالت : سمعت أسماء بنت عميس الخثعمية تقول : سمعت سيدتي فاطمة عليها السلام تقول : «ليلة دخل بي علي بن أبي طالب عليه السلام أفزعني في فراشي». قلت : فيما فزعت يا سيدة النساء؟.

قالت : «سمعت الأرض تحدثه ويحدثها ، فأصبحت وأنا فزعة فأخبرت

(١) الفضائل : ص ٦٧ خبر آخر معجزة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

والذي ﷺ فسجد سجدة طويلة ثم رفع رأسه، وقال: يا فاطمة، أبشري بطيب النسل؛ فإن الله فضل بعلك على سائر خلقه وأمر الأرض أن تحدثه بأخبارها وما يجري على وجهها من شرقها إلى غربها»^(١).

ولاية على الكواكب

عن إبراهيم بن منصور، قال: رأيت الحسن بن علي عليه السلام وقد خرج مع قوم يستسقون. فقال للناس: «أيا أحب إليكم المطر أم البرد أم اللؤلؤ؟». فقالوا: يا ابن رسول الله، ما أحببت. فقال: «على أن لا يأخذ أحد منكم لدنياه شيئاً بالثلاثة». قال: ورأيناه يأخذ الكواكب من السماء ثم يرسلها فتطير كما تطير العصافير إلى مواضعها»^(٢).

نور للروحانيين

عن محمد بن حجارة، قال: رأيت الحسن بن علي عليه السلام وقد مرت به صرمة من الظباء، فصاح بهن، فأجابته كلها بالتلبية حتى أتت بين يديه. فقلنا: يا ابن رسول الله، هذا وحش فأرنا آية من السماء؟. فأومأ عليه السلام نحو السماء ففتحت الأبواب ونزل نور أحاط بدور المدينة، ونزلت الدور حتى كادت أن تخرب. فقلنا: ردها يا ابن رسول الله؟. فقال: «نحن الأولون والآخرون، ونحن الآمرون، ونحن النور ننور الروحانيين بنور الله، ونروحهم بروحه، فينا مسكنه وإلينا معدنه، الآخر منا كالأول، والأول منا

(١) مدينة المعاجز: ج ١ ص ١٢٠-١٢١ السادس عشر أنه عليه السلام تحدثه الأرض بأخبارها ح ٦٨.

(٢) دلائل الإمامة: ص ٦٤ ذكر معجزاته عليه السلام.

كالآخر»^(١).

ويلك ليس بسحر

عن محمد الكناني ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : «خرج الحسين بن علي عليهما السلام في بعض أسفاره ومعه رجل من ولد الزبير بن العوام يقول بإمامته ، فنزلوا من تلك المنازل تحت نخل يابس قد يبس من العطش ، ففرش للحسين عليه السلام تحتها والزبيري بإزائه تحت نخل أخرى وليس عليها رطب.

قال : فرفع عليه السلام يده فدعا بكلام لم أفهمه ، فاخضرت النخلة وصارت إلى حالها وأورقت وحملت رطباً. فقال الجمال الذي اكرى منه : هذا سحر والله ! فقال الحسين عليه السلام : ويلك ليس بسحر ، ولكنها دعوة ابن نبي مستجابة. قال : فصعدوا إلى النخلة حتى حووا منها كلهم»^(٢).

قوموا حتى نصير إليها

عن يحيى ابن أم الطويل ، قال : كنا عند الحسين عليه السلام إذ دخل عليه شاب يبكي. فقال له الحسين عليه السلام : «ما يبكيك؟». قال : إن والدتي توفيت في هذه الساعة ولم توص ولها مال ، وكانت قد أمرتني أن لا أحدث في أمرها شيئاً حتى أعلمك خبرها. فقال الحسين عليه السلام : «قوموا حتى نصير إلى هذه الحرة».

فقمنا معه حتى انتهينا إلى باب البيت الذي توفيت فيه المرأة وهي مسجاة ، فأشرف عليه السلام على البيت ودعا الله ليحييها حتى توصي بما تحب من وصيتها ،

(١) دلائل الإمامة : ص ٦٥ ذكر معجزاته عليه السلام.

(٢) مدينة المعاجز : ج ٣ ص ٤٥٩-٤٦٠ الثاني والعشرون النخلة اليابسة أخرج منها الرطب ح ٩٧٧/٣٠.

فأحيّاها الله ، وإذا المرأة جلست وهي تشهد ثم نظرت إلى الحسين عليه السلام ، فقالت : ادخل البيت يا مولاي ومرني بأمرك . فدخل وجلس على مخدة ثم قال لها : «وصي يرحمك الله» . فقالت : يا ابن رسول الله ، لي من المال كذا وكذا في مكان كذا وكذا فقد جعلت ثلثه إليك لتضعه حيث شئت من أوليائك ، والثلثان لابني هذا إن علمت أنه من مواليك وأوليائك ، وإن كان مخالفا فخذهُ إليك فلاحق^(١) في المخالفين في أموال المؤمنين ، ثم سألته أن يصلي عليها وأن يتولى أمرها ، ثم صارت المرأة ميتة كما كانت^(٢) .

السحاب المسخر

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد البلوي ، قال : سمعت عمارة بن يزيد ، قال : حدثني إبراهيم بن سعد ، قال : لما كانت وقعة الحرة وأغار الجيش على المدينة وأباحها ثلاثا ، وجه بردعة الحمار صاحب يزيد بن معاوية في طلب علي بن الحسين عليه السلام ليقتله أو يسمه فوجدوه في منزله ، فلما دخلوا عليه ركب السحاب وجاء حتى وقف فوق رأسه ، وقال : «أيما أحب إليك تكف أو آمر الأرض أن تبلعك؟» . قال : ما أردت إلا إكرامك والإحسان إليك . ثم نزل عن السحاب فجلس بين يديه ، فقرب إليه أقداحا فيها ماء ولبن وعسل ، فاختر علي بن الحسين عليه السلام لبنا وعسلا ، ثم غاب من بين يديه حيث لا يعلم^(٣) .

(١) أي الحق المعنوي ، أما الحق المادي فكما هو مقرر في الإرث والفرائض .

(٢) بحار الأنوار : ج ٤٤ ص ١٨٠-١٨١ ب ٢٥ ح ٣ .

(٣) مدينة المعاجز : ج ٤ ص ٢٥٦ الثالث ركوبه السحاب ح ١٢٨٧/٣٥ .

ولاية الصنع بإذن الله

قال أبو جعفر: حدثنا عبد الله بن منير، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق الصاعدي وأبو محمد ثابت بن ثابت، قالا: حدثنا جمهور بن حكيم، قال: رأيت علي بن الحسين عليه السلام وقد ثبت له أجنحة بريش فطار ثم نزل. فقال: «رأيت الساعة جعفر بن أبي طالب في أعلى عليين». فقلت: وهل تستطيع أن تصعد؟. فقال: «نحن صنعناها فكيف لا نستطيع أن نصعد إلى ما صنعناه، نحن حملة العرش ونحن على العرش، والعرش والكرسي لنا». ثم أعطاني طلعا في غير أوانه^(١).

إنه وارث سليمان عليه السلام

عن أنس بن مالك، قال: لقيت علي بن الحسين عليه السلام وهو خارج إلى ينبع ماشيا. فقلت: يا بن رسول الله لو ركبت؟. فقال: «ههنا ما هو أيسر فانظر»، فحملته الريح وحفت به الطير من كل جانب، فما رأيت مرفوعا أحسن منه يرفد إلى الطير لتناغيه والريح تكلمه^(٢).

الطين المسخر

قال أبو جعفر: وحدثنا أحمد بن منصور الرماني، قال: حدثنا شاذان بن عمر، قال: حدثنا مرة بن قبيصة بن عبد الحميد، قال: قال لي جابر بن يزيد

(١) دلائل الإمامة: ص ٨٦ ذكر شيء من معجزاته عليه السلام.

(٢) مدينة المعاجز: ج ٤ ص ٢٦٠-٢٦١ الحادي عشر أنه عليه السلام حملته الريح وحفت به الطير ح ٤٣/١٢٩٥.

الجعفي: رأيت مولاي الباقر عليه السلام وقد صنع فيلا من طين، فركبه وطار في الهواء حتى ذهب إلى مكة عليه وعاد. فلم أصدق ذلك منه حتى رأيت الباقر عليه السلام، فقلت له: أخبرني جابر عنك بكذا وكذا فصنع مثله، وركب وحملني معه إلى مكة وردني^(١).

نبعة من عصا موسى عليه السلام:

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا أبو محمد، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، قال: حدثنا حكم بن سعد، قال: لقيت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام وبيده عصا يضرب به الصخر فينبع منه الماء. فقلت: يا بن رسول الله ما هذا؟ قال: «نبعة من عصا موسى التي يتعجبون منها»^(٢).

نعم بإذن الله

عن أبي بصير، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام. فقلت له: أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: «نعم». قلت: رسول الله صلى الله عليه وآله وارث الأنبياء، علم كل ما علموا؟ قال لي: «نعم». قلت: فأنتم تقدرُونَ على أن تحيوا الموتى وتبرءوا الأكمه والأبرص؟ قال: «نعم بإذن الله». ثم قال لي: «ادن مني يا أبا محمد». فدنوت منه فمسح على وجهي وعلى عيني، فأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكل شيء في البلد، ثم قال لي: «أتحب أن تكون هكذا ولك ما للناس وعليك ما عليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصا؟».

(١) دلائل الإمامة: ص ٩٦ ذكر معجزاته عليه السلام.

(٢) مدينة المعاجز: ج ٥ ص ١٠-١١ السابع أنه عليه السلام يضرب الصخر فينبع منه الماء ح ١٤٢٣/٧.

قلت: أعود كما كنت. فمسح على عيني فعدت كما كنت.
قال: فحدثت ابن أبي عمير بهذا، فقال: أشهد أن هذا حق كما أن النهار حق^(١).

سمكة مملوحة

قال أبو جعفر: وحدثنا أبو محمد، قال: حدثنا عمارة بن زيد، قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد، قال: رأيت الصادق عليه السلام وقد جيء إليه بسمك مملوح فمسح يده على سمكه فمشت بين يديه، ثم ضرب بيده إلى الأرض فإذا دجلة والفرات تحت قدميه، ثم أَرانا سفن البحر، ثم أَرانا مطلع الشمس ومغربها أسرع من لمح البصر^(٢).

ولكن رحمة الله وسعت كل شيء

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: قال: حدثنا أبو محمد، عن وكيع، عن عبد الله بن قيس، عن أبي قناب الصدوجي، قال: رأيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام وقد سئل عن مسألة، فغضب حتى امتلأ منه مسجد الرسول صلوات الله عليه وآله وبلغ أفق السماء، وهاجت لغضبه ريح سوداء حتى كادت تقلع المدينة، فلما هدأ هدأت لهدوئه. فقال عليه السلام: «لو شئت لقلبتها على من عليها ولكن رحمة الله وسعت كل شيء»^(٣).

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٧٠ باب مولد أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام ح ٣.

(٢) دلائل الإمامة: ج ١١٣ ذكر معجزاته عليه السلام.

(٣) مدينة المعاجز: ج ٥ ص ٢١٥ السابعة أنه عليه السلام هاجت لغضبه ريح سوداء ح ٦/١٥٧٦.

والشمس مسخرة لهم

قال أبو جعفر: وحدثنا عبد الله، قال: حدثنا عمار بن زيد، قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد، قال: قلت للصادق عليه السلام: أتقدر أن تمسك الشمس بيدك؟ فقال: «لو شئت لحببتها عنك». فقلت: افعل. فرأيته قد جرها كما يجرد الدابة بعنانها، فاسودت وانكشفت، وذلك بعين أهل المدينة كلهم حتى ردها^(١).

المشي في النار

عن الفضل بن عمر، قال: وجه المنصور إلى حسن بن زيد - وهو واليه على الحرمين -: أن أحرق على جعفر بن محمد داره. فألقى النار في دار أبي عبد الله عليه السلام فأخذت النار في الباب والدهليز، فخرج أبو عبد الله عليه السلام يتخطى النار ويمشي فيها ويقول: «أنا ابن أعراق الثرى، أنا ابن إبراهيم خليل الله»^(٢).

إنه وارث موسى عليه السلام

عن رشيق مولى الرشيد، قال: وجه بي الرشيد في قتل موسى بن جعفر عليه السلام لأقتله، فبرز عليه السلام عصا كانت في يده فإذا هي أفعى، وأخذ هارون الحمى ووقعت الأفعى في عنقه حتى وجه إلي بإطلاقه فأطلقت عنه^(٣).

(١) دلائل الإمامة: ص ١١٣ ذكر معجزاته عليه السلام.

(٢) المناقب: ج ٤ ص ٢٣٦ فصل في خرق العادات له عليه السلام.

(٣) دلائل الإمامة: ج ١٥٨ ذكر معجزاته عليه السلام.

حرية من السماء

عن إبراهيم بن الأسود، قال: رأيت موسى بن جعفر عليه السلام صعد إلى السماء ونزل ومعه حربة من نور. فقال: «أتخوفوني بهذا - يعني الرشيد - لو شئت لطعنته بهذه الحربة». فأبلغ ذلك الرشيد فأغمي ثلاثا وأطلقه^(١).

إخراج الماء من الصخر

قال أبو جعفر: حدثنا سفيان، قال: حدثنا وكيع، قال: رأيت علي بن موسى الرضا عليه السلام في آخر أيامه. فقلت: يا ابن رسول الله، أريد أحدث عنك معجزة فأرنيها؟ فرأيت أنه أخرج لنا ماء من صخرة فسقانا وشرب^(٢).

الجماد يعترف بإمامته

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا علي بن قنطرة الموصلي، قال: حدثنا سعد بن سلام، قال: أتيت علي بن موسى الرضا عليه السلام وقد جاش الناس فيه، وقالوا: لا يصلح للإمامة؛ فإن أباه لم يوص إليه. فقعد منا عشرة رجال فكلّموه، فسمعت الجماد الذي من تحته يقول: هو إمامي وإمام كل شيء. وإنه دخل المسجد الذي في المدينة - يعني مدينة أبي جعفر - فرأيت الحيطان والخشب تكلمه وتسلم عليه^(٣).

(١) مدينة المعاجز: ج ٦ ص ٢٠١ الحادي عشر صعوده عليه السلام إلى السماء ونزوله بالحربة ح ١٥/١٩٤٥.

(٢) دلائل الإمامة: ص ١٨٦ ذكر معجزاته عليه السلام.

(٣) مدينة المعاجز: ج ٧ ص ٢٣ الثالث عشر نطق الجماد بإمامته عليه السلام وتسليمها عليه ح ١٨/٢١٢٠.

وما تشاء؟

عن معبد بن عبد الله الشامي، قال: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام. فقلت له: قد كثر الخوض فيك وفي عجائبك، فلو شئت أثبت بشيء وأحدثه عنك؟ قال: «وما تشاء؟». قلت له: تحيي لي أبي وأمي. فقال: «انصرف إلى منزلك فقد أحيتهما». فانصرفت وإذا هما والله حيان في البيت، وأقاما عندي عشرة أيام ثم قبضهما الله تعالى إليه^(١).

ترزقين بعد الموت ولدا

قال أبو جعفر: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد، قال: حدثنا إبراهيم بن سهيل، قال: لقيت علي بن موسى الرضا عليه السلام وهو على حماره. فقلت له: من أركبك هذا وتزعم أكثر شيعتك أن أباك لم يوصك ولم يقعدك هذا المقعد، وادعيت لنفسك ما لم يكن لك؟! فقال له: «وما دلالة الإمام عندك؟». قلت: أن يكلم ما وراء البيت، وأن يحيي ويميت. فقال: «أنا أفعل، أما الذي معك فخمسة دنانير، وأما أهلك فإنها ماتت منذ سنة وقد أحيتها الساعة، وأتركها معك سنة أخرى ثم أقبضها إلي لتعلم أنني إمام بلا خلاف».

فوقع علي الرعد. فقال: «أخرج روعك فإنك آمن». ثم انطلقت إلى منزلي فإذا بأهلي جالسة. فقلت لها: ما الذي جاء بك؟. فقالت: كنت نائمة إذا أتاني آت ضخم شديد السمرة، فوصفت لي صفه الرضا عليه السلام فقال لي: يا هذه قومي وارجعي إلى زوجك؛ فإنك ترزقين بعد الموت ولدا. فرزقت والله^(٢).

(١) فرج المهموم: ص ٢٣١-٢٣٢ ب ١٠.

(٢) دلائل الإمامة: ص ١٨٧ ذكر معجزاته عليه السلام.

السدرۃ الیابسة

عن أبي هاشم الجعفري، قال: صليت مع أبي جعفر عليه السلام في مسجد المسيب وصلى بنا في موضع القبلة سواء، وذكر أن السدرۃ التي في المسجد كانت يابسة ليس عليها ورق، فدعا بماء وتهيأ تحت السدرۃ فعاشت السدرۃ وأورقت وحملت من عامها^(١).

البحر وسفنه

عن حكيم بن حماد، قال: رأيت سيدي محمد بن علي عليه السلام وقد ألقى في الدجلة خاتماً، فوقفت كل سفينة صاعدا وهابطا، وأهل العراق يومئذ يتزايدون، ثم قال لعلامه: «أخرج الخاتم». فسارت الزوارق^(٢).

أغثني فإننا من موالیکم

قال أبو هاشم الجعفري: جاء رجل إلى محمد بن علي بن موسى عليه السلام. فقال: يا ابن رسول الله، إن أبي مات وكان له مال ففاجأه الموت، ولست أقف على ماله ولي عيال كثير، وأنا من موالیکم فأغثني. فقال له أبو جعفر عليه السلام: «إذا صليت العشاء الآخرة فصل على محمد وآل محمد؛ فإن أباك يأتيك في النوم ويخبرك بأمر المال». ففعل الرجل ذلك فرأى أباه في النوم فقال: يا بني، مالي في موضع كذا فخذہ واذهب به إلى ابن رسول الله

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٩٧ باب مولد أبي جعفر محمد بن علي الثاني عليه السلام ح ١٠.

(٢) مدينة المعاجز: ج ٧ ص ٣٢٠ السادس والعشرون وقوف السفن في البحر ح ٤٧/٢٣٥٥.

فأخبره أنني دلتك على المال. فذهب الرجل فأخذ المال وأخبر الإمام عليه السلام بخبر المال، وقال: الحمد لله الذي أكرمك واصطفاك^(١).

من طيور الجنة

قال أبو جعفر: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا عمارة بن زيد، قال: قلت لأبي الحسن: أتقدر أن تصعد إلى السماء حتى تأتي بشيء ليس في الأرض حتى نعلم ذلك؟ فارتفع في الهواء وأنا أنظر إليه حتى غاب، ثم رجع ومعه طير من ذهب في أذنيه أشنقة من ذهب وفي منقاره درة، وهو يقول: "لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله". فقال: «هذا طير من طيور الجنة». ثم سببه فرجع^(٢).

الولاية على الأرض

عن محمد بن يزيد، قال: كنت عند علي بن محمد عليه السلام إذ دخل عليه قوم يشكون الجوع، فضرب يده إلى الأرض وكان لهم برا ودقيقا^(٣).

اتسع بهذا واكتم ما رأيت

عن أبي هاشم الجعفري، قال: خرجت مع أبي الحسن عليه السلام إلى ظاهر سر من رأى يتلقى بعض القادمين فأبطئوا، فطرح لأبي الحسن عليه السلام غاشية السرج فجلس عليها، ونزلت عن دابتي وجلست بين يديه وهو يحدثني، فشكوت إليه قصر يدي وضيق حالي، فأهوى بيده إلى رمل كان عليه جالسا فناولني منه كفا.

(١) الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٦٦٥-٦٦٦ فصل في أعلام الإمام محمد بن علي التقي عليه السلام.

(٢) دلائل الإمامة: ج ٢١٨ ذكر بعض معجزاته عليه السلام.

(٣) مدينة المعاجز: ج ٧ ص ٤٤٣ الثاني والعشرون البر والدقيق الذي من الأرض ح ٢٤٤٤/٢٤.

قال: «اتسع بهذا يا أبا هاشم واكنم ما رأيته». فخبأته معي ورجعنا فأبصرته فإذا هو يتقد كالنيران ذهباً أحمر، فدعوت صائغاً إلى منزلي وقلت له: اسبك لي هذه السبيكة. فسبكها وقال لي: ما رأيته ذهباً أجود من هذا وهو كهيئة الرمل، فمن أين لك هذا، فما رأيته أعجب منه!! قلت: كان عندي قديماً^(١).

الطبع في الحصاة

قال أبو هاشم الجعفري: استؤذن لرجل جميل طويل من أهل اليمن على أبي محمد عليه السلام فجلس إلى جنبي. فقلت في نفسي: ليت شعري من هذا؟. فقال أبو محمد: «هذا من ولد الأعرابية صاحبة الحصاة التي طبع آبائي فيها. ثم قال: هاتها»، فأخرج حصاة فطبع في موضع منها أملس. فقلت لليمانى: رأيته قط؟. قال: لا والله وإنني منذ دهر لحريص على رؤيته حتى كان الساعة أتاني شاب لست أراه، فقال: قم فادخل، فدخلت. ثم نهض وهو يقول: رحمة الله وبركاته عليكم منا أهل البيت، ذرية بعضها من بعض. فسألته عن اسمه؟. فقال: اسمي مهجع بن الصلت بن عقبة بن سمعان بن غانم ابن أم غانم^(٢).

الولاية على المطر

قال أبو جعفر: ودخل قوم على الحسن بن علي عليه السلام يشكون قلة الأمطار في سواد العراق وكانوا من أهله، فكتب لهم كتاباً فأمطروا، ثم جاءوا يشكون كثرته فختم في الأرض فأمسك المطر^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٥٠ ص ١٣٨ ب ٣ ح ٢٢.

(٢) المناقب: ج ٤ ص ٤٤١ فصل في آياته عليه السلام.

(٣) دلائل الإمامة: ص ٢٢٤ ذكر بعض معجزاته عليه السلام.

لا ظل له

قال أبو جعفر: رأيت الحسن بن علي عليه السلام يمشي في أسواق سر من رأى ولا ظل له^(١).

ورق الآس دراهم

قال أبو جعفر: رأيت يأخذ الآس فيجعلها ورقا، ويرفع طرفه نحو السماء ويده فيردها ملأى لؤلؤا^(٢).
إلى غيرها وغيرها مما هو كثير جدا وفي كل عصر وزمان.

بركات المعصوم التكوينية

مسألة: يمكن استفادة الآثار التكوينية لوجود المعصوم عليه السلام من كلامها (صلوات الله عليها) هذا - إضافة إلى سائر الأدلة العقلية والنقلية على ذلك - فإن المجاز لا يصار إليه إلا مع تعذر الحقيقة، والمعنى الحقيقي هنا^(٣) غير متعذر، بل الأدلة عليه.

ومن ذلك يعلم أن لا حاجة للحصر في المعنوي وللقول بأن للرسول صلوات الله عليه وابلا معنويا وإن كان أهم من الوابل المادي؛ لأن فائدة الوابل المادي إنما تكون بسبب الوابل المعنوي.

(١) مدينة المعاجز: ج ٧ ص ٥٧٤ الحادي والأربعون أنه لا ظل له ح ٢٥٦٢/٤٤.

(٢) دلائل الإمامة: ص ٢٢٤ ذكر بعض معجزاته عليه السلام.

(٣) فكما أن الوابل إذا انزل (اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج) بتأثير تكويني حقيقي كذلك الرسول صلوات الله عليه والمعصومين عليهم السلام.

ويتضح ذلك بملاحظة أن الآية التالية: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا﴾^(١) تنطق بـ (الأثر التكويني) الذي جعله الله تعالى للإيمان والتقوى وإنهما في سلسلة العلل، فكيف بوجود سيد الخلائق أجمعين عليه السلام؟.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٢) دليل آخر على وجود الترابط التكويني الذي أقره الله سبحانه بين وجود الرسول عليه السلام وبين بعض الظواهر الكونية^(٣).

الشكوى للرسول عليه السلام بعد الوفاة

مسألة: يستحب للأمة أن تشكو ما بها إلى رسول الله عليه السلام في حياته وبعد وفاته، فإن الشكاية تكون إلى كبير القوم، وحيث إنه لا فرق بين حياته عليه السلام وموته، فإن مثل هذه الشكوى إليه مستحبة.

وفائدة الشكوى: التظلم أولاً، وفضح الظالم ثانياً، وكشف القناع عن وجه الحق ثالثاً^(٤)، ثم التوسل به عليه السلام وطلب الرسول عليه السلام إلى الله سبحانه وتعالى - في حياته المعنوية - لحل المشكلة وإرجاع الحق إلى أهله رابعاً.

هذا بالإضافة إلى أن التحريض لبث الهم والحزن والشكوى إلى الرسول عليه السلام وسائر المعصومين عليهم السلام يوجب مزيد التلاحم والارتباط النفسي والروحي

(١) سورة الأعراف: ١٦٠.

(٢) سورة الأنفال: ٣٣.

(٣) المقصود بها هاهنا رفع العذاب بل دفعه.

(٤) الثالث أعم من الثاني ولم يدرج الثاني فيه لأهمية إفراده بالذكر.

والمعنوي مع القمم السامقة في الفضيلة والتقوى والعلم والجهاد...
 عن أبي معاوية، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من شكا إلى مؤمن فقد شكا إلى الله عز وجل ومن شكا إلى مخالف فقد شكا الله عز وجل»^(١).
 وخرج الإمام الحسين عليه السلام من منزله ذات ليلة وأقبل إلى قبر جده عليه السلام، فقال: «السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة فرحك وابن فرختك، وسبطك الذي خلفتني في أمتك، فاشهد عليهم يا نبي الله إنهم قد خذلوني وضيعوني ولم يحفظوني، وهذه شكواي إليك حتى ألقاك». قال: ثم قام فصاف قدميه فلم يزل راکعا ساجدا^(٢).

وروي: أن أبا بكر وعمر لما أرادا استرضاء فاطمة الزهراء عليها السلام فأبت أن تأذن لهما فطلبها من أمير المؤمنين أن يدخلهما عليها: فدخل علي عليه السلام على فاطمة عليها السلام فقال: «يا بنت رسول الله ﷺ، قد كان من هذين الرجلين ما قد رأيت، وقد تردد مرارا كثيرة ورددتهم ولم تأذني لهما، وقد سألاني أن أستأذن لهما عليك». فقالت: «والله لا آذن لهما ولا أكلمهما كلمة من رأسي حتى ألقى أبي فأشكوهما إليه بما صنعاه وارتكباه مني»^(٣).

وفي قصة الاسترضاء أيضا لما دخلا عليها، قالت عليها السلام: «نشدتكما بالله هل سمعتما رسول الله ﷺ يقول: فاطمة بضعة مني، فمن آذاها فقد آذاني». قالوا: نعم. فرفعت يدها إلى السماء فقالت: «اللهم إنهما قد آذاياني، فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك، لا والله لا أرضى عنكما أبدا حتى ألقى أبي

(١) وسائل الشيعة: ج ٢ ص ٤١٢ ب ٦ ح ٢٥٠٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٢٧ ب ٣٧.

(٣) علل الشرائع: ج ١ ص ١٨٦ ب ١٤٩ ح ٢.

رسول الله وأخبره بما صنعتما، فيكون هو الحاكم فيكما»^(١).

وروي: أن قوما مشاة أدركهم رسول الله ﷺ فشكوا إليه شدة المشي. فقال لهم: «استعينوا بالنسل»^(٢).

وسأل معاوية بن عمار أبا عبد الله عليه السلام عن رجل عليه دين أعليه أن يحج؟ قال: «نعم، إن حجة الإسلام واجبة على من أطاق المشي من المسلمين، ولقد كان أكثر من حج مع رسول الله ﷺ مشاة، ولقد مر رسول الله ﷺ بكراع الغميم فشكوا إليه الجهد والطاقة والإعياء. فقال: شدوا أزركم واستبطنوا ففعلوا ذلك فذهب ذلك عنهم»^(٣).

وعن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: «أتى رسول الله ﷺ قوم فشكوا إليه سرعة نفاد طعامهم. فقال ﷺ: تكيلون أو تهيلون؟ فقالوا: نهيل يا رسول الله، يعنون الجزاف. فقال لهم: كيلوا فإنه أعظم للبركة»^(٤).

وعن عيسى بن جعفر العلوي، عن آبائه عليهم السلام: أن النبي ﷺ قال: «مر أخي عيسى عليه السلام بمدينة وإذا في ثمارها الدود فشكوا إليه ما بهم. فقال: دواء هذا معكم وليس تعلمون، أنتم قوم إذا غرستم الأشجار صببتم التراب وليس هكذا يجب، بل ينبغي أن تصبوا الماء في أصول الشجر ثم تصبوا التراب؛ لكيلا يقع فيه الدود، فاستأنفوا كما وصف فذهب ذلك عنهم»^(٥).

(١) كتاب سليم بن قيس: ص ٨٦٩ الحديث الثامن والأربعون.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٩٥ باب المشي في السفر ح ٢٥٠٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٩٥ باب المشي في السفر ح ٢٥٠٣.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ٧ ص ١٦٣ ب ١٣ ح ٢٧.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٩ ص ٣٢ ب ٢ ح ٢٤٠٨٣.

وعن النبي ﷺ قال: «ما مطر قوم إلا برحمته، وما قحطوا إلا بسخطه». وقال ﷺ: «قال ربي: لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعد». ووفد قوم إليه ﷺ فشكوا إليه القحط. فقال: «اجثوا على ركبكم، وتضرعوا إلى ربكم، واسألوا يسقكم». ففعلوا ذلك فسقوا حتى سألوا أن يكشف عنهم^(١).

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢)، فإنها نزلت لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأصاب أصحابه الجهد والعلل والمرض، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ﴾ ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾، أي: إنه لا يصيبكم إلا الجهد والضر في الدنيا، فأما العذاب الأليم الذي فيه الهلاك لا يصيب إلا القوم الظالمين^(٣).

وروي: أن أهل المدينة مطروا مطرا عظيما، فخافوا الغرق فشكوا إليه. فقال ﷺ: «اللهم حوالينا ولا علينا». فانجابت السحاب عن المدينة على هيئة الإكليل لا تمطر في المدينة وتمطر حواليتها، فعابن مؤمنهم وكافرهم أمرا لم يعابنوا مثله^(٤).

وروي: أن رجلا مات وإذا الحفارون لم يحفروا شيئا، فشكوا إلى رسول

(١) مستدرك الوسائل: ج ٦ ص ١٩٠ ب ٧ ح ٦٧٤٠.

(٢) سورة الأنعام: ٤٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩ ص ٢٠٤ ب ١ ضمن ح ٦٨.

(٤) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٢٩ فصل من روايات العامة.

الله ﷻ، وقالوا: حديدنا لا يعمل في الأرض كما نضرب في الصفا. قال: «ولم، إن كان صاحبكم لحسن الخلق، ائتوني بقدر من ماء». فأدخل يده فيه ثم رشه على الأرض رشا، فحفر الحفارون فكأنما رمل يتهايل عليهم^(١).

وعن جابر بن عبد الله: اشتد علينا في حفر الخندق كدية، فشكوا إلى النبي ﷺ فدعا بإناء من ماء فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو، ثم نضح الماء على تلك الكدية فعادت كالكندر^(٢). إلى غيرها من الروايات التي تبين جواز الشكوى إلى رسول الله ﷺ وربما رجحانها.

بعد وفاة القائد المؤسس

مسألة: هل أن قولها عليها السلام: «واختل قومك» يكشف عن مصداق لقاعدة كلية هي أن اختلال النظم أو الأمر سنة اجتماعية تحكم المجتمعات - عادة - بعد وفاة القائد المؤسس، أم أنها صغرى جزئية، والجزئي لا يكون كاسبا ولا مكتسبا؟. الظاهر: إنها قضية خارجية ولا يمكن التعميم إلا بإلغاء الخصوصية وكشف الملاك، عبر معرفة شتى العوامل التي تؤدي إلى ذلك، نعم ربما يقال: بأنها قضية شبه طبيعية أي من طبيعة المجتمع ذلك، وسيأتي البحث عنه في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

قولها عليها السلام: «فقدناك» فقد أن يرى الشيء غائبا بعد ما كان حاضرا. «الوابل»: المطر، بل المطر الشديد الضخم القطر، كما في اللغة^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٣٧٧-٣٧٨ ب ٤ ح ٤٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٣٨٢ ب ٤ ضمن ح ٥٠.

(٣) انظر لسان العرب: ج ١١ ص ٧٢٠ مادة (وبل).

«اختل قومك»: من الخلل أي تفرقوا عن الحق وحصل فيهم الخلل.
 «فاشهدهم»: الشهود الحضور، وهو يحمل على المعنى الحقيقي لإمكانه
 كما سبق، فلا مجال لحصره في الحمل على المعنى المجازي فقط كما لا يخفى.

انحراف القوم

مسألة: يدل قول الصديقة الطاهرة عليها السلام «وقد نكبوا» - مضافا إلى سائر الأدلة - على انحرافهم وعدم عدالة كثير منهم، على خلاف من ادعى عدالة جميع الصحابة. فإن «نكبوا»: أي انحرفوا عن الطريق. و(نكب) بفتح الكاف وكسره كنصر وفرح: أي عدل ومال.

وفي اللغة: نكب عن الشيء وعن الطريق ينكب نكبا ونكوبا، ونكب نكبا، ونكب، وتنكب: عدل؛ قال الأزهري: وسمعت العرب تقول: نكب فلان عن الصواب ينكب نكوبا، إذا عدل عنه^(١).

وعن زيد بن وهب: أن عليا عليه السلام قال للناس - وهو أول كلام له بعد النهروان وأمور الخوارج التي كانت - فقال: «يا أيها الناس، استعدوا إلى عدو في جهادهم القربة من الله وطلب الوسيلة إليه، حيارى عن الحق لا يبصرونه، وموزعين بالكفر والجور لا يعدلون به، جفاة عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون في الطغيان، ويتسكعون في غمرة الضلال، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾^(٢)، وتوكلوا على الله وكفى بالله وكفى بالله

(١) لسان العرب: ج ١ ص ٧٧٠ مادة (نكب).

(٢) سورة الأنفال: ٦٠.

نصيرا»^(١).

هذا وفي بعض النسخ: (واختل قومك لما غبت وانقلبوا)، فيكون إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾^(٢).

روى الواقدي وغيره من نقله أخبارهم: أن النبي ﷺ لما فتح خيبر اصطفى لنفسه قرى من قرى اليهودي، فنزل جبرئيل بهذه الآية: ﴿وَأَتَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(٣). فقال محمد ﷺ: «ومن ذو القربى وما حقه؟». قال: فاطمة تدفع إليها فدكا والعوالي. فاستغلتها حتى توفي أبوها، فلما بويع أبو بكر منعها فكلمته في ردها عليها. وقالت: «إنها لي وإن أبي دفعها إلي». فقال أبو بكر: فلا أمنعك ما دفع إليك أبوك. فأراد أن يكتب لها كتابا فاستوقفه عمر، وقال: إنها امرأة فطالبها بالبينة على ما ادعت. فأمرها أبو بكر فجاءت بأم أيمن، وأسماء بنت عميس مع علي عليه السلام فشهدوا بذلك. فكتب لها أبو بكر^(٤)، فبلغ ذلك عمر فأخذ الصحيفة ومزقها فمحاها، فحلفت أن لا تكلمهما وماتت ساخطة عليهما^(٥).

وفي البخاري: أن فاطمة أرسلت إلى أبي بكر وسألته ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة من فدك وما بقي من خمس خيبر. فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقة، وإنما يأكل آل محمد من هذا

(١) الغارات: ج ١ ص ٢١-٢٢ في استنفاره الناس.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٣) سورة الإسراء: ٢٦.

(٤) ولا يبعد أن أبابكر كان يكتب لها الكتاب ثم يرسل إلى عمر لكي يمزقه.

(٥) نهج الحق: ص ٣٥٧ مناواة فاطمة وغضب فدك.

المال، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليه. وأبى أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر فهجرته فلم تتكلم معه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبو بكر، وصلى عليها علي عليه السلام^(١).

وروى العلامة المجلسي رحمه الله في البحار: قال عمر - حين حضره الموت -: أتوب إلى الله من ثلاث: من اغتصابي هذا الأمر أنا وأبو بكر من دون الناس، ومن استخلافي عليهم، ومن تفضيلي المسلمين بعضهم على بعض. وقال أيضاً: أتوب إلى الله من ثلاث: من ردي رقيق اليمن، ومن رجوعي عن جيش أسامة بعد أن أمره رسول الله ﷺ علينا، ومن تعاقدنا على أهل البيت إن قبض رسول الله أن لا نولي منهم أحداً. ورووا عن عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: كنت عند عمر وهو يموت فجعل يجزع. فقلت: يا أمير، أبشر بروح الله وكرامته. فجعلت كلما رأيت جزعه قلت هذا، فنظر إلي فقال: ويحك فكيف بالممالة على أهل بيت محمد ﷺ^(٢).

وعن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، قال: قال أبو بكر في مرضه الذي قبض فيه: أما إني لا آسى من الدنيا إلا على ثلاث فعلتها ووددت أني تركتها، وثلاث تركتها ووددت أني فعلتها، وثلاث وددت أني كنت سألت عنهن رسول الله ﷺ أما التي وددت أني تركتها: فوددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة وإن كان أعلن علي الحرب، ووددت أني لم أكن

(١) نهج الحق: ص ٣٦٠ مناواة فاطمة وغضب فذك.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٠ ص ١٢٢-١٢٣ ب ١٩ ح ١.

أحرق الفجاءة وأناي قتلتة سريحا أو أطلقته نجىحا ، ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين عمر أو أبي عبيدة ، فكان أميرا وكنت وزيرا. الخبر^(١).

وروى أبان عن سليم بن قيس في قصة موت معاذ بن جبل بالطاعون حيث قال معاذ: ويل لي ويل لي ويل لي ويل لي ، فلما سئل عن ذلك قال: لموالياتي عدو الله على ولي الله. فقالوا له: إنك لتهجر. فقال: والله ما أهجر هذا رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام يقولان: «يا معاذ بن جبل ، أبشر بالنار أنت وأصحابك الذين قلتهم: إن مات رسول الله أو قتل زوينا الخلافة عن علي فلن يصل إليها» الحديث^(٢).

المؤامرة على أهل البيت عليهم السلام

مسألة: في بعض النسخ هكذا:

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واجتث أهلك مذ غيبت واغتصبوا وهو يدل على عظيم المصيبة التي حل بأهل بيت رسول الله ﷺ بمجرد أن غاب عنهم الرسول ﷺ وارتحل إلى ربه عز وجل ، ومن المعلوم حرمة ذلك أشد الحرمة.

(١) الخصال: ج ١ ص ١٧١ قول أبي بكر لا آسى من الدنيا إلا على ثلاث ح ٢٢٨.

(٢) كتاب سليم بن قيس: ص ٨١٦-٨٢٥ الحديث السابع والثلاثون.

وكل أهل له قربى ومنزلة عند الإله على الأدين مقرب

الحقوق الامتدادية

مسألة: من مصاديق حق الشخص: الحقوق الامتدادية، ومنها حقوقه في ذريته وأهله طوليا وعرضيا^(١)، فكل إكرام للأهل عد إكراما للشخص الواجب الإكرام، واجب في الجملة، إذ (يحفظ المرء في ولده)^(٢).

وكلامها عليه السلام دليل على أن من له منزلة وقرب من الله تعالى فإن شيئا من منزلته وقربه يترشح على أهله وأقربائه في الجملة عند الله تعالى، ولا عكس في المبعد^(٣)، وبذلك يحكم العقل، وعليه جرت الشرائع كلها.

ويعد كلامها عليه السلام من الأدلة على نقض القاعدة الماركسية التي تحصر للشخص ما يكتسبه بنفسه فقط - بل أقل من ذلك^(٤) - بالمعنى الضيق الذي فسروه، والتي استندوا إليها في نفي الإرث باعتبار أن الإرث ليس من جهد الشخص فيكون للدولة، فإنها قاعدة لا دليل عليها بل العقل على خلافها، والتفصيل في محله^(٥).

قولها عليه السلام: «كل أهل» أي كل جماعة...

(١) الطولية في الأبناء والآباء، والعرضية في الأخوة والأخوات وأبناء العمومة وما أشبه.

(٢) من أقوال رسول الله ﷺ وردت بمعناه روايات متعددة، ذكرته الصديقة الطاهرة عليها السلام في خطبتها التي أوردتها في المسجد النبوي الشريف، راجع الاحتجاج: ج ١ ص ١٠٣ احتجاج فاطمة الزهراء عليها السلام على القوم لما منعوها فذك.

(٣) أي أن المبعد من رحمة الله والمغضوب لا يترشح من بعده لأهله عند الله.. إذ لا تزور وزارة وزر أخرى.

(٤) حيث قالوا: بأن على كل شخص أن يعمل بقدر طاقته ولا يستفيد إلا بقدر حاجته.

(٥) راجع (الفقه: الاقتصاد) للإمام المؤلف رحمته الله.

«قربى»: أي تقرب إلى الله عزوجل بالإيمان والعمل الصالح.

«منزلة»: أي درجة ومرتبة.

«الأدنين»: جمع أدنى أي الأقرب.

وحاصله: إنا أهل بيت رسول الله ﷺ والأقربون إليه فكيف يتعامل معنا

هكذا ظلما وجورا، وغصبا وهتكاً؟.

فهذا البيت إشارة إلى أن القوم غصبوا ميراثنا مع إنا قربى الرسول ﷺ

ونستحق ميراثه، وقد تقدم أن المراد بالميراث إما الإرث حقيقة لأن القوم ادعوا أن

فدكا^(١) إرث وأن فاطمة عليها السلام لا ترث، وأما الإرث بمعناه الأعم مما يتركه الميت

سواء بالنحلة أم بالميراث، فيتصرف فيهما الورثة بعده.

(١) كلمة فدك وردت منصرفة وغير منصرفة.

أبدت رجال لنا نجوى^(١) صدورهم لما مضيت^(٢) وحالت دونك التراب^(٣)

ضغائن الصدور

مسألة: يستحب بيان أن بعض الصحابة أبدوا ما في صدورهم من الضغائن بعد فقد الرسول ﷺ.

وهذا الأمر قد يكون مستحبا، وقد يكون واجبا، حسب اختلاف الموارد، بالإضافة إلى أن بيان مثل ذلك يكون درسا للأجيال الآتية حتى يعلموا أن القائد إذا مات أو قتل يختلف الناس بعده - عادة - مما يوجب اتخاذ العدة للحد من الاختلاف والفتن وسائر المفاسد بالقدر الممكن.

قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «اتق الضغائن التي لك في صدور من لا يظهرها إلا بعد موتي، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون». ثم بكى النبي ﷺ فقيل: مم بكاؤك يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «أخبرني جبريل عليه السلام أنهم يظلمونه ويمنعونه حقه، ويقاتلونه ويقتلون ولده ويظلمونهم بعده»^(٤).

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «كنت أمشي مع النبي ﷺ في بعض طرق المدينة، فأتينا على حديقة وهي الروضة ذات الشجر. فقلت: يا رسول الله،

(١) في بعض النسخ: (فحوى).

(٢) وفي بعض النسخ: (لما نأيت). وفي بعضها: (لما قضيت). وفي بعضها: (لما فقدت وكل الإرث قد غصبوا).

(٣) وفي بعض النسخ: (حالت دونك الحجب)، وفي بعضها: (حالت دونك الكتب)، وفي بعضها: (حالت بيننا الكتب).

(٤) كشف اليقين: ص ٤٦٧ المبحث الخامس والثلاثون في أمر الله تعالى النبي ﷺ بتبليغ فضائل علي عليه السلام.

ما أحسن هذه الحديقة!. فقال: ما أحسنها، ولك في الجنة أحسن منها. ثم أتينا على حديقة أخرى فقلت: يا رسول الله، ما أحسنها من حديقة!. فقال: لك في الجنة أحسن منها. حتى أتينا على سبع حدائق أقول: يا رسول الله، ما أحسنها!. فيقول عليه السلام: لك في الجنة أحسن منها. فلما خلا له الطريق اعتنقني وأجهش باكيا فقلت: يا رسول الله، ما يبكيك؟. قال عليه السلام: ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها إلا بعدي. فقلت: في سلامة من ديني؟. قال عليه السلام: في سلامة من دينك»^(١).

وعن زيد بن أرقم، قال: سمعت رسول الله عليه السلام يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «أنت سيد الأوصياء، وابنك سيدا شباب أهل الجنة، ومن صلب الحسين يخرج الله عز وجل الأئمة التسعة، فإذا مت ظهرت لك الضغائن في صدور قوم، ويمنعونك حقك ويتمالون عليك». وبإسناده عن زيد بن أرقم، قال: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله عليه السلام إلا يبغضهم علي بن أبي طالب وولده عليه السلام^(٢).

وعن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس، قال: كنت عند عبد الله بن عباس في بيته ومعنا جماعة من شيعة علي عليه السلام، فحدثنا فكان فيما حدثنا أن قال: يا إخوتي، توفي رسول الله عليه السلام يوم توفي فلم يوضع في حفرته حتى نكث الناس وارتدوا وأجمعوا على الخلاف، واشتغل علي بن أبي طالب عليه السلام برسول الله عليه السلام حتى فرغ من غسله وتكفينه وتحنيطه ووضعه في حفرته، ثم أقبل على

(١) كشف الغمة: ج ١ ص ٩٨ في حجة الرسول عليه السلام إياه وتحريضه على محبته وموالاته ونهيه عن بغضه.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٢٠ ب ٤١ ح ١٧٢.

تأليف القرآن^(١) وشغل عنهم بوصية رسول الله ﷺ، ولم يكن همته الملك لما كان رسول الله ﷺ أخبره عن القوم، فلما افتن الناس بالذي افتنوا به من الرجلين، فلم يبق إلا علي وبنو هاشم وأبو ذر والمقداد وسلمان في أناس معهم يسير، قال عمر لأبي بكر: يا هذا، إن الناس أجمعين قد بايعوك ما خلا هذا الرجل وأهل بيته وهؤلاء النفر، فابعث إليه.

فبعث إليه ابن عم لعمر يقال له: قنفذ.

فقال له: يا قنفذ، انطلق إلى علي فقل له أجب خليفة رسول الله!.

فانطلق فأبلغه، فقال علي عليه السلام: «ما أسرع ما كذبتكم على رسول الله، نكثتم وارتددتم، والله ما استخلف رسول الله غيري، فارجع يا قنفذ فإنما أنت رسول فقل له: قال لك علي: والله ما استخلفك رسول الله، وإنك لتعلم من خليفة رسول الله» الحديث^(٢).

وفيه إشارة إلى بعض تلك الضغائن التي كانت في صدورهم فأبدوها بعد رسول الله ﷺ.

الحقد الخفي

مسألة: المخفي من الحقد والضغينة من رذائل الأخلاق لو كان بالنسبة إلى غير المعصومين وما لم يظهر، وأما بالنسبة لهم ﷺ فإنه من علائم النفاق ومن أشد المحرمات، والحاقد عليهم وإن أخفى حقه آثم باعتبار اختيارية الأمر ولو باختيارية المقدمات، ولو أظهره ازداد إثماً.

(١) أي تأليف تفسيره وعلومه، وإلا فالقرآن جمع كما هو اليوم في عهد رسول الله ﷺ وبأمر منه ﷺ.

(٢) كتاب سليم بن قيس: ص ٨٦٢-٨٦٨ الحديث الثامن والأربعون.

نفاق القوم وعصيانهم

مسألة: إن (إبداء القوم نجوى صدورهم) يكشف - بتصريحها عليها السلام - عن نفاقهم أولا ، ثم تجاهرهم بالمعصية ثانيا ، وهذا البيت شهادة منها بذلك وهي صادقة مصدقة ، وعندئذ كيف يمكن إتباع المنافقين والعصاة؟.

وأما السر في تنكيرها كلمة الرجال ، فقد يكون لأنه الأبلغ في الدلالة من التعريف ؛ فإن التنكير قد يكشف عن جو التقية والرعب والرغبة الذي كان حاكما آنذاك على الناس ، وقد يكون لغرض دفع المستمعين للتحقيق مما يسبب علوق القضية بأذهانهم أكثر فأكثر ، وقد يدفع إلى الفحص في دائرة أوسع نظرا لوجود العلم الإجمالي ، وربما يكتشف أمور أخرى أيضا.

قولها عليها السلام : «أبدت» بمعنى أظهرت.

«نجوى»: المخفي من الحقد والضغينة - بقريئة المقام - وهو اسم مصدر لنجوته ، والمعنى : إن القوم أظهروا ما في صدورهم من الحقد والعداوة.

«لما مضيت»: كناية عن الموت ، ومن الواضح أن إثبات الشيء لا ينفي ما عداه إذ كان هذا البعض وغيرهم قد أبدوا في زمان الرسول عليه السلام أيضا نجوى صدورهم ، ولكن ما أبدوه بعد وفاته كان أشد وأقسى وأكثر وأوضح وأكثر علانية.

«حالت»: الحيلولة هنا ظاهرية وليست واقعية كما هو واضح.

«الترب»: التراب والتربة.

وفي بعض النسخ : «الكثب» جمع كثيب أي : ما اجتمع من الرمل.

تجهمتنا رجال واستخف بنا لما فقدت وكل الأرض^(١) مغتصب^(٢)

حرمة التجهم والاستخفاف

مسألتان: يحرم التجهم بأهل البيت عليهم السلام كما يحرم الاستخفاف بهم.
قال رسول الله ﷺ: «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي، وقاتليهم،
والمعين عليهم، ومن سبهم» ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣) «(٤)».

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه أبي ليلى، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وتكون عترتي إليه أعز من عترته، ويكون أهلي أحب إليه من أهله، وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته»^(٥).

وعن حنان بن سدير، عن سديف المكي، قال: حدثني محمد بن علي عليه السلام وما رأيت محمديا قط يعدله، قال: «حدثني جابر بن عبد الله الأنصاري،
قال: نادى رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار فحضروا بالسلاح، وصعد
النبي ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا معاشر المسلمين، من أبغضنا
أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهوديا. قال جابر: فقامت إليه فقلت: يا رسول
الله، وإن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؟! فقال: وإن شهد أن

(١) وفي بعض النسخ: (كل الإرث)

(٢) وفي بعض النسخ: (بعد النبي وكل الخير مغتصب)، وفي بعضها: (إذ غبت عنا ونحن اليوم نغتصب)،
وفي بعضها: (جهرا وقد أدركونا بالذي طلبوا).

(٣) سورة آل عمران: ٧٧.

(٤) جامع الأخبار: ص ١٦٠ الفصل الخامس والعشرون والمائة.

(٥) علل الشرائع: ج ١ ص ١٤٠ ب ١١٧ ح ٣.

لا إله إلا الله ؛ فإنما احتجز من سفك دمه أو يؤدي الجزية عن يد وهو صاغر. ثم قال عليه السلام : من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهوديا ، فإن أدرك الدجال كان معه ، وإن هو لم يدركه بعث في قبره فأمن به ، إن ربي عزوجل مثل لي أمتي في الطين وعلمني أسماءهم كما علم آدم الأسماء كلها ، فمربي أصحاب الرايات فاستغفرت الله لعلي وشيعته»^(١).

وعن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : «من لم يعرف سوء ما أتى إلينا من ظلمنا ، وذهاب حقنا ، وما ركبنا به ، فهو شريك من أتى إلينا فيما ولينا به»^(٢).

وروي : أن العباس شكّا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ما يلقون من قريش من تعيسهم في وجوههم ، وقطعهم حديثهم عند لقاءهم. فغضب صلى الله عليه وآله غضبا شديدا حتى احمر وجهه ودر عرق بين عينيه ، وقال : «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم الله ورسوله». وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وآله : «ما بال أقوام إذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم ، والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم الله ولقرابتهم مني»^(٣).

وفي البحار عن أبي هريرة ، عنه صلى الله عليه وآله : «ما بال أقوام يؤذون نسبي وذا رحمي ، ألا من آذى نسبي وذا رحمي فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله عزوجل»^(٤).

(١) الأماشي للمفيد : ص ١٢٦ المجلس الخامس عشر ح ٤.

(٢) بحار الأنوار : ج ٢٧ ص ٥٥ ب ١ ح ١١.

(٣) الصوارم المهرقة : ص ١١٥-١١٦.

(٤) بحار الأنوار : ج ٢٧ ص ٢٢٥ ب ١٠ ح ١٩.

وعن هشام بن سالم، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «من جالس لنا عائبا، أو مدح لنا قاليا، أو وصل لنا قاطعا، أو قطع لنا واصلا، أو والى لنا عدوا، أو عادى لنا وليا، فقد كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم»^(١).

وعن ابن عباس، قال: قلت للنبي صلى الله عليه وآله: أوصني؟ قال: «عليك بمودة علي بن أبي طالب عليه السلام، والذي بعثني بالحق نبيا لا يقبل الله من عبد حسنة حتى يسأله عن حب علي بن أبي طالب عليه السلام وهو تعالى أعلم؛ فإن جاءه بولايته قبل عمله على ما كان منه، وإن لم يأت بولايته لم يسأله عن شيء ثم أمر به إلى النار. يا ابن عباس، والذي بعثني بالحق نبيا إن النار لأشد غضبا على مبغض علي عليه السلام منها على من زعم أن الله ولدا. يا ابن عباس، لو أن الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين اجتمعوا على بغضه ولن يفعلوا لعذبهم الله بالنار». قلت: يا رسول الله، وهل يبغضه أحد؟ قال: «يا ابن عباس، نعم يبغضه قوم يذكرون أنهم من أمتي لم يجعل الله لهم في الإسلام نصيبا. يا ابن عباس، إن من علامة بغضهم له تفضيلهم من هو دونه عليه، والذي بعثني بالحق ما بعث الله نبيا أكرم عليه مني، ولا أوصياء أكرم عليه من وصيي علي». قال ابن عباس: فلم أزل له كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصاني بمودته، وإنه لأكبر عملي عندي»^(٢).

وعن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «المخالف لعلي بعدي كافر،

(١) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٢٦٤ ب ٣٨ ح ٢١٥٢٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٢١٩-٢٢٠ ب ١٠ ح ٤.

والشاك به مشرك مغادر، والمحـب له مؤمن صادق، والمبغض له منافق، والمحارب له مارق، والراد عليه زاهق، والمقتفي لأثره لاحق»^(١).

ثم إنه ينبغي ملاحظة أن ما لا يعد تـجهما واستخفافا بالنسبة إلى شخص قد يكون تـجهما واستخفافا بالنسبة لشخص آخر، فعدم القيام مثلا لرجل من عامة الناس قد لا يكون استخفافا به لكنه بالنسبة إلى عالم كبير يعد استخفافا.. وبالنسبة إلى أهل البيت عليهم السلام الأمر أدق وأعظم، وبذلك يمكن الاستناد في وجوب إقامة المواليـد ومجالس العزاء عليهم - في الجملة - إلى هذا الدليل باعتبار أن تركها استخفاف بشأنهم في الجملة، وكذلك عدم الدفاع عنهم لو تعرضوا لهجوم على صفحات الجرائد أو في مختلف وسائل الإعلام، فإنه قد يكون نوعا من التـجهم أو الاستخفاف بهم وبشأنهم وبحقهم عليهم السلام.

هذا كله بالنسبة إلى أهل البيت عليهم السلام أما بالنسبة إلى غيرهم من عامة الناس فالحكم يختلف باختلاف الموارد وينقسم إلى الأحكام الخمسة.

قولها عليها السلام: «تـجهمتنا» التـجهم: عبارة عن تقطيب الوجه وعدم البشر، والاستقبال بوجه كـريه، يقال: تـجهمته إذا كلحت في وجهه، ورجل جهم الوجه أي كالح، وتـجهمه وتـجهم له: إذا استقبله بوجه كـريه، وتـجهم: أي استقبله بما يكره.

وفي بعض النسخ: (تـجهمتنا) أي هجمت علينا.

وفي بعضها: (تـهضمتنا) من الهضم أي الظلم.

تجهم بعض الصحابة

مسألة: يستحب بيان أن بعض الصحابة - بعد وفاة رسول الله ﷺ - تجهموا على أهل البيت ﷺ واستخفوا بهم.

وهذا من باب الموضوع، وما ذكرناه في البحث الأنف من باب الحكم، فإن التجهم - الذي قام به بعض الصحابة تجاه أهل البيت ﷺ - كان حراماً بل من أشد المحرمات، وكذلك الاستخفاف بالنسبة إليهم كما لا يخفى.

رثاء الفقيد

مسألة: يجوز لصاحب المصيبة أن يرثي فقيدته بمثل هذا الرثاء مع رعاية سائر الموازين.

والمقصود من قولها ﷺ: «... وكل الأرض مغتصب»، الأراضي التي كانت منحة من الرسول ﷺ إياها ﷺ من العوالي وفدك، ويمكن أن يراد من كل الأرض: أراضي البلاد الإسلامية كلها، فإنها بأجمعها كان المفروض أن تكون تحت سلطة خليفة رسول الله ﷺ الذي نصبه وعينه بأمر السماء وفي يوم الإنذار ويوم غدير خم وفي غيرهما من الأيام، وهو الإمام علي بن أبي طالب (عليه أفضل الصلاة والسلام).

ويمكن أن يراد باغتصاب الأرض المعنى الكنائي وهو القيادة الإسلامية التي زالت عن موضعها لأنهم (عليهم الصلاة والسلام) هم وراث الأرض بالمعنى الأعم، فسيطرة غيرهم عليها غير جائز، قال سبحانه: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَأَوْثَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ

(١) سورة الأنبياء: ١٠٥.

مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا^(١).

وفي بعض النسخ: (كل الإرث) أي إرث المال وإرث الخلافة.

الحكومات والكفاءات

مسألة: من المحرم تنحية الأكفاء وعزل الكفاءات، وهي سياسة الحكومات الاستبدادية عادة، والديمقراطية أحياناً.

أما الاستبدادية فلأن الكفاءات لا تخضع للمستبد، ولأنها^(٢) لا تستطيع التعامل إلا مع العبيد والإمعات..

وأما الديمقراطية فلصراع الخطوط ولتعارض المصالح أو للرؤى الحزبية الضيقة.

وكان الذين أبعدوا أهل البيت عليهم السلام مجموعة من المستبدين الذين لم يكونوا يمتلكون الكفاءة الدينية ولا الدنيوية، وقد عبرت عنهم الصديقة الزهراء عليها السلام فيما مضى من كلامها بـ «نبغ خامل الأقلين»، و«بئس للظالمين بدلاً»، و«خسر هنالك المبطلون»، و...

وقد صرحوا هم بذلك كما قال الثاني: (كل الناس أفاقه من عمر حتى المخدرات في البيوت)^(٣) إلى غير ذلك..

وكما قال الأول: (أقيلوني أقيلوني، فلست بخيركم)^(٤).

(١) سورة الأعراف: ١٣٧.

(٢) أي الحكومات الاستبدادية.

(٣) كشف اليقين: ص ٦٣ ف ٣ ب ١ المطلب الأول، البحث الثاني العلم.

(٤) الطرائف: ج ٢ ص ٤٠٢ في استقالة أبي بكر من الخلافة.

الكفاءات الإلهية

مسألة: وأشد من ذلك حرمة مضايقة الكفاءات والاستخفاف بهم، وتأكد الحرمة وتشتد في أهل بيت الرسول ﷺ؛ لأن الاستخفاف بهم استخفاف به ﷺ وهو استخفاف بالله عز وجل، وإيذائهم إيذاء له ﷺ وهو إيذاء الله تعالى، هذا أولاً. وثانياً: لأنهم ﷺ القمة العليا في الكفاءات الأهلية والقرب من الله.. ومن الواضح اشتداد قبح التعدي والاستخفاف واشتداد العقوبة^(١) كلما ازداد المعتدى عليه والمستخف به منزلة ومكانة ومقاماً.

أهكذا يمثل أمر الرسول ﷺ

مسألة: من كلامها عليها السلام هذا وما سبقه ويلحقه، يعلم هل أن القوم امتثلوا أمر الله ورسوله في أهل البيت ﷺ^(٢) حيث قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٣)، وقال ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^(٤). قولها عليها السلام: «استخف» بصيغة المجهول. و«المغتصب» بالفتح أي المغصوب. أي لم يقدرونا بل استخفوا بنا ومنعونا حقنا من الإرث في الخلافة وفدك.

(١) ويكتشف منه بالبرهان الآتي اشتداد الحرمة. (منه يُدْرِكُ).

(٢) من غصب الخلافة وزويها عن أمير المؤمنين عليه السلام، ومنع الزهراء عليها السلام إرثها وما نحلها رسول الله ﷺ، ومن ثم الهجوم على دارها وحرق الدار عليها وضربها وكسر ضلعها وإسقاط جنيها... وإخراج أمير المؤمنين عليه السلام ملبياً بحمائل سيفه لبياع القوم، وغير ذلك مما جرى على أهل البيت ﷺ من ظلم وقتل وتشريد مما يطول شرحه.

(٣) سورة الشورى: ٢٣.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ٢٥٥ ب ٤٧ ح ٨١٨١.

و كنت بدرا ونورا يستضاء به عليك ينزل^(١) من ذي العزة الكتب

ألقاب ممدوحة

مسألة: يستحب مخاطبة الرسول ﷺ بالألقاب التي خاطبته بها الصديقة الطاهرة عليها السلام كالبدر والنور وما أشبه ذلك ، وهكذا بالنسبة إلى سائر المعصومين عليهم السلام.

وفي القرآن الكريم في وصفه ﷺ : ﴿وَسَرَّاجًا مُنِيرًا﴾^(٢). ومن شعر العباس عم النبي ﷺ في وصفه (صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين)^(٣) :

يا مخجل الشمس والبدر المنير إذا تبسم الثغر لمع البرق منه أضأ
كم معجزات رأينا منك قد ظهرت يا سيداً ذكره يشفي به المرضى

وقال الشاعر لما حملت آمنة بنت وهب عليها السلام برسول الله ﷺ وأتوا أهل مكة يهنتونها حيث أضأ النور في وجهها :

يا آمنة بشـراك	رب السما هناك
بمحمد منك	سبحان من أعطاك
هذا البشير	هذا النذير
هذا هو البدر المنير	يا حبيذا بشراك
صلوا على خير الأنام	المصطفى بدر التمام
يشفع إلى كل الأنام	هو سيد الأملاك ^(٤)

(١) وفي بعض النسخ (تنزل).

(٢) سورة الأحزاب : ٤٦.

(٣) بحار الأنوار : ج ١٦ ص ٣٠ ب ٥.

(٤) الأنوار في مولد النبي ﷺ : ص ١٣٨.

وقال الشاعر في معجزة شق القمر :

والقمر البدر المنير شقه فقل سحر عجب لما رأى^(١)

وقال السيد الحميري رَحِمَهُ اللهُ فِي مَدْحِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

علي أمير المؤمنين وعزهم	إذا الناس خافوا مهلكات العواقب
علي هو الحامي المرجى فعاله	لدى كل يوم باسل الشر غاصب
علي هو المرهوب والذائد الذي	يذود عن الإسلام كل مناصب
علي هو الغيث الربيع مع الحبا	إذا نزلت بالناس إحدى المصائب
علي هو العدل الموفق والرضا	وفارج لبس المبهمات الغرائب
علي هو المأوى لكل مطرد	شريد ومنحوب من الشر هارب
علي هو المهدي والمقتدى به	إذا الناس حاروا في فنون المذاهب
علي هو القاضي الخطيب بقوله	يجيء بما يعيى به كل خاطب
علي هو الخصم القوول بحجة	يرد بها قول العدو المشاغب
علي هو البدر المنير ضياؤه	يضيء سناه في ظلام الغياهب
علي أعز الناس جارا وحاميا	وأقتلهم للقرن يوم الكتائب
علي أعم الناس حلما ونائلا	وأجودهم بالمال حقاً لطالب
علي أكف الناس عن كل محرم	وأبقاهم لله في كل جاب

هل النور علة للهداية؟

مسألة: (النور) - وهو الرسول ﷺ - مقتض للهداية وليس علة تامة ،
والأ لازم الجبر كما هو واضح ، وعلى ذلك فالواجب على الجميع - كفائيا - توفير
شروط الهداية ، والمحرم على الجميع إيجاد موانعها ، قال تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ

(١) المناقب: ج ١ ص ١٢٣ فصل في معجزات أفعاله عليه السلام.

وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ»^(١)، وقال جل وعلا: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفَئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ»^(٢)، فهو عليه السلام قائم بالهداية بالمعنى الأول^(٣) وهو مع ذلك مقتض لها، إذ لا تجب الخوارق لإيصال الرسالة إلى جميع البشرية مع وجود الموانع التي يصنعها الناس، ولذلك سيعرض الحق على القاصريوم القيامة.

وأما المعنى الثاني للهداية^(٤) فقد يقال بعدم وجوبها عليه عليه السلام وإن كان قد قام بما أمكن من باب اللطف.

قولها عليها السلام: «نورا» لعل الوجه في استخدامها صفة النور للنبي عليه السلام لا الضياء الإشارة إلى مرآيته عليه السلام لتعاليم الله وعدم استقلاله عنه عز وجل، بل هو (الرسول) بمعنى الكلمة - وهذا لا ينافي ما فوض إليه في أمر التشريع والتكوين على تفصيل مذكور في محله - إذ أن الضياء يطلق على (ما منه النور) والنور يطلق على (ما عبره النور)، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا»^(٥)، فهو واسطة الفيض الإلهي هذا كله لو لوحظ منسوباً إلى الله تعالى وإلا - بأن لوحظ منسوباً للعالمين فإنه ضياء وغيره نور - بالقدر الذي استقى منه.

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٢) سورة الصف: ٨.

(٣) أي (إراءة الطريق).

(٤) أي (الإيصال للمطلوب).

(٥) سورة يونس: ٥.

الاستضاءة بالرسول ﷺ

مسألة: الاستضاءة بالرسول ﷺ واجبة، وكذلك بالهداة والدعاة المعصومين عليهم السلام.

و(يستضاء به) يراد به الفعلية أو الأعم منه ومن الشأنية، ولا يمنعه ما قيل من استعمال المشترك في أكثر من معنى لما ذكرناه في (الأصول).
لا يقال: الرسول ﷺ بدر ونور يستضاء به في حياته وبعد مماته، فكيف عبرت عنها الآية بـ (كنت)؟.

إذ يقال:

أولاً: من المحتمل تجرد (كان) هاهنا عن الزمن، كما في ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(١) ونظائره، فتأمل^(٢).

ثانياً: يقال: إن الرسول ﷺ بوجوده الخارجي نور وبدر، وبوجوده عند الله حيا يرزق نور وبدر، وبكلماته وسيرته نور وبدر، وبامتداده عبر ذريته وغير ذلك نور وبدر، و(كان) بلحاظ فقد الأول فحسب، أو يراد الأعم والمضي بلحاظ الأول فقط.

(١) سورة النساء: ١٧ و ٩٢ و ١٠٤ و ١١١ و ١٧٠، سورة الفتح: ٤.

(٢) إذ الظاهر أنها عليه السلام في مقام بيان نتائج فقدته ﷺ وما نجم من الآثار السلبية عليه، وما سبق قرينة على ذلك (إنا فقدناك فقد الأرض وابلها.. الخ).

الإرشاد إلى الاستضاءة

مسألة: إرشاد الناس إلى الاستضاءة بنور رسول الله ﷺ وإقناعهم - عبر السبل العلمية والعاطفية وغيرها - بأنه ﷺ (النور) الظاهر بنفسه المظهر لغيره (من الحقائق الأخلاقية والتربوية والاجتماعية والسياسية وغيرها) - في قبال من يطرح بدائل أخرى، وفي مقابل تشكيكات المشككين - واجب.

فإن بيان ذلك وبيان مصاديقه من أحواله ﷺ وأخلاقه وحكمه ومواعظه وسلوكه و... تعظيم له وتعريف به مما يوجب التفاف الناس حوله ﷺ أكثر فأكثر، والتفاف الناس حول الرسول ﷺ واجب؛ لأنه يؤدي إلى الانقياد والطاعة والسعادة في الدارين قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢) إلى غير ذلك.

قولها عليها السلام: «الكتب» أي السور والآيات؛ لأن جبرئيل عليه السلام كان يأتي بها وينزلها على رسول الله ﷺ تارة بعد تارة ومرة بعد أخرى، وربما يكون هذا السبب في الإتيان بصيغة الجمع، والمعنى أنت صاحب القرآن والكتب السماوية والأعرف بأحكام الله، وقد حكمت لنا بالإرث والخلافة، ولكن القوم غيروا الكتاب وبدلوا السنة وغصبوا الخلافة والميراث.

(١) سورة النساء: ٦٤.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

السرف في النزول التدريجي للقرآن

مسألة: هناك أسرار وحكم في النزول التدريجي للقرآن ينبغي الإشارة إليها وبيانها.

وربما يستفاد من قولها عليها السلام: «عليك ينزل من ذي العزة الكتب» أن المراد بالكتب الأعم من القرآن الكريم، إذ أن ما كان ينزل على الرسول عليه السلام ينقسم إلى قسمين: (الفرقان) و(الحديث القدسي)، وربما كانت الأقسام الأخرى أكثر قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١).

عن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: عن القرآن والفرقان؟ قال: «القرآن جملة الكتاب وأخبار ما يكون، والفرقان المحكم الذي يعمل به، وكل محكم فهو فرقان»^(٢).

ثم إن هناك وجوه دقيقة في نزول القرآن على الرسول عليه السلام بالتدريج خلال ثلاث وعشرين سنة، رغم نزوله عليه عليه السلام دفعة واحدة ليلة القدر: منها: إن نزوله الثاني التدريجي كان بلحاظ المقامات المختلفة والتطبيقات وشبه ذلك.

ومنها: إن النزول الثاني ربما تضمن أو تطلب شرحا وتفسيرا وتوضيحا.

ومنها: ما ذكر في وجه إطالة موسى عليه السلام الجواب في ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ..﴾^(٣).

(١) سورة النجم: ٣-٤.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٩ في ما أنزل القرآن ح ٢.

(٣) سورة طه: ١٨.

ومنها: الترابط المستمر مع الله فإنه لطف منه تعالى به عليه السلام وعروج له عليه السلام وأنه حبل ربط مستمر وتكامل له عليه السلام.
ومنها: أن بيان التشريع الجديد وكذلك تطبيقه بحاجة إلى التدرج عادة، إلى غير ذلك.

قال العلامة المجلسي تدريثاً: في قوله: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾ أي: وأنزلنا عليك قرآنًا فصلناه سورا وآيات، أو فرقنا به الحق عن الباطل، أو جعلنا بعضه خبراً وبعضه أمراً وبعضه نهياً وبعضه وعداً وبعضه وعيداً، أو أنزلناه متفرقاً لم ننزله جميعاً إذ كان بين أوله وآخره نيف وعشرون سنة، ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ أي: على تثبت وتؤدة ليكون أمكن في قلوبهم، وقيل: لتقرأ عليهم مفرقاً شيئاً بعد شيء، ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(١) على حسب الحاجة ووقوع الحوادث^(٢).

وجاء في علة تحريم الخمر عن الإمام الكاظم عليه السلام: «إن الله عزوجل إذا أراد أن يفترض فريضة أنزلها شيئاً بعد شيء حتى يوطن الناس أنفسهم عليها ويسكنوا إلى أمر الله عزوجل ونهيه فيها، وكان ذلك من فعل الله عزوجل على وجه التدبير فيهم أصوب وأقرب لهم إلى الأخذ بها وأقل لنفارهم منها»^(٣).

(١) سورة الإسراء: ١٠٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩ ص ١٢٢ ب ١.

(٣) الكافي: ج ٦ ص ٤٠٦ باب تحريم الخمر في الكتاب ح ٢.

وكان جبرئيل بالآيات يؤنسنا^(١) فقد فقدت^(٢) وكل الخير محتجب

العلاقة بين العترة والسماء

مسألتان: يجب - عينيا - معرفة العلاقة بين عترة الرسول ﷺ والسماء في الجملة، ويجب - كفائيا - بيان العلاقة للناس، وأما ذكر المفردات والمصاديق، كالصديق الذي ذكرته الصديقة الكبرى عمة النبي ﷺ هاهنا: (وكان جبرئيل بالآيات يؤنسنا) فهو مستحب.

والظاهر أن أنسهم ﷺ كان بشيئين: بجبرائيل ﷺ وبالآيات حتى لو كانت الباء هاهنا^(٣) للسببية لا المعية.

والظاهر من هذا أن أنسهم بجبرائيل ﷺ كان مباشرة لا بالواسطة، إذ كانوا يسمعون الصوت ويحسون بوجوده وإن لم يروا شخصه أحيانا^(٤) كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «كنت أسمع الصوت وأبصر الضوء سنين سبعا ورسول الله ﷺ حينئذ صامت ما أذن له بالإندار والتبليغ»^(٥).

علما بأن المعصومين عليهم السلام كانوا يرون الملائكة ومنهم جبرئيل في كثير من الأحيان، وهذا لا يعني رؤيته للوحي، فإن الرؤية للوحي المعهود القرآني كان خاصا بالرسول الأعظم ﷺ.

(١) وفي بعض النسخ: (وكان جبريل روح القدس زائرا).

(٢) وفي بعض النسخ: (فغبت عنا)، وفي بعضها: (فغاب عنا).

(٣) أي: في (بالآيات).

(٤) راجع بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ١٨ ب ١.

(٥) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ١٥ القول في نسب أمير المؤمنين علي عليه السلام وذكر لمع يسيرة من قضائه.

إيناس الغير

مسألة: يستحب أن يؤنس الإنسان غيره - في حدود الشريعة - مطلقاً، وبالآيات بصورة خاصة.

وقد يكون ذلك واجباً، على ما ذكرناه في ما سبق.

وكان أنسهم (عليهم الصلاة والسلام) بالآيات لأنها الرابط بينهم وبين إله العالمين، إضافة إلى أنها كانت ترفع وحشتهم عن مشاكل ومصاعب الحياة، فإنهم (عليهم الصلاة والسلام) كانوا يعانون من شتى المشاكل والمصائب والمحن السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها التي كان يثيرها ضدهم الكفار والمنافقون والحاقدون والجاهلون ومن أشبه، فكانت الآيات خير مؤنس لهم.

حجب كل الخير

مسألة: يستحب بيان أن الخير كله قد احتجب بفقد الرسول ﷺ.

والمراد بكل الخير: كل الخير المنبعث من وجود رسول الله ﷺ الذي انقطع بموته، لا كل خيرات السماء والأرض التي هي أعم من ذلك، ولا كل خيره ﷺ المستمر بعد موته.

وبعبارة أخرى: المحتجب هو (كل الخير)، لا (الخير كله)، أي المجموع هو المحتجب لا الجميع، ويحتمل الإبقاء على الظاهر، من باب المبالغة.

ضاقت علي بلادي بعد ما رحبت وسيم سبطاك خسفا فيه لي نصب

ضاقت البلاد عليها

مسألة: يستحب بيان أن البلاد ضاقت على الصديقة فاطمة عليها السلام لما لاقته من الظلم والعدوان، وقد صرحت عليها السلام بذلك في هذا الشعر وغيره.

وهذا البيت مما ذكره السيد المرتضى رحمته الله.

أي: إن الأرض ضاقت علي بعد ما كانت رحبة بوجودك يا رسول الله صلوات الله عليه، وهو كناية عن عظم المصائب التي وردت على الصديقة الطاهرة عليها السلام بعد أبيها صلوات الله عليه.

مكانة السبطين

مسألة: يلزم الاعتقاد بمكانة السبطين الحسن والحسين عليهما السلام وفي حقهم روايات كثيرة عن الفريقين.

في البحار عن أبي هريرة، قال: قلت لرسول الله صلوات الله عليه: إن لكل نبي وصيا وسبطين، فمن وصيك وسبطاك؟ فسكت ولم يرد علي الجواب، فانصرفت حزينا، فلما حان الظهر. قال: «ادن يا أبا هريرة». فجعلت أدنو وأقول: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، ثم قال: «إن الله بعث أربعة آلاف نبي، وكان لهم أربعة آلاف وصي وثمانية آلاف سبط، فوالذي نفسي بيده لأننا خير النبيين، ووصيي خير الوصيين، وإن سبطي خير الأسباط». ثم قال صلوات الله عليه.

سبطي خير الأسباط الحسن والحسين سبطا هذه الأمة، وإن الأسباط كانوا من ولد يعقوب وكانوا اثني عشر رجلا، وإن الأئمة بعدي اثنا عشر رجلا من أهل بيتي، علي أولهم، وأوسطهم محمد، وآخرهم محمد، وهو مهدي هذه الأمة

الذي يصلي عيسى خلفه، ألا إن من تمسك بهم بعدي فقد تمسك بحبل الله، ومن تخلى منهم فقد تخلى من حبل الله»^(١).

وقال رسول الله ﷺ في حق الحسين عليه السلام إذ دخل عليه فأخذه ﷺ وقبله ثم قال: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه. يا حسين، أنت الإمام، ابن الإمام، أبو الأئمة، التسعة من ولدك أئمة أبرار»^(٢).

وعن أبي أيوب الأنصاري، قال: مرض رسول الله ﷺ مرضة فأتته فاطمة عليها السلام تَعُوذُهُ، فلما رأت ما برسول الله ﷺ من المرض والجهد استعبرت وبكت حتى سالت دموعها على خديها. فقال لها النبي ﷺ: «يا فاطمة، إني لكرامة الله إياك زوجتك أقدمهم سلما، وأكثرهم علما، وأعظمهم حلما. إن الله تعالى اطلع إلى أهل الأرض اطلاعة فاخترني منها فبعثني نبيا، واطلع إليها ثانية فاختر بعلك فجعله وصيا». فسرت فاطمة عليها السلام فاستبشرت.

فأراد رسول الله ﷺ أن يزيدا مزيد الخير. فقال: «يا فاطمة، إنا أهل بيت أعطينا سبعا لم يعطها أحد قبلنا ولا يعطاها أحد بعدنا: نبينا أفضل الأنبياء وهو أبوك، ووصينا أفضل الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا أفضل الشهداء وهو عمك، ومنا من جعل الله له جناحين يطير بهما مع الملائكة وهو ابن عمك، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك. والذي نفسي بيده لا بد لهذه الأمة من مهدي وهو والله من ولدك»^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣١٢ ب ٤١ ح ١٥٧.

(٢) كفاية الأثر: ص ٨١-٨٣ باب ما جاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في النصوص على الأئمة الاثني عشر

عليهم السلام.

(٣) الأُمالي للطوسي: ص ١٥٤-١٥٥ المجلس السادس ح ٢٥٦-٨.

وعن ليث بن أبي سليم، قال: أتى النبي ﷺ علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ كلهم يقول: «أنا أحب إلى رسول الله ﷺ». فأخذ ﷺ فاطمة مما يلي بطنه، وعليها مما يلي ظهره، والحسن عن يمينه، والحسين عن يساره، ثم قال ﷺ: «أنتم مني وأنا منكم»^(١).

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «أخذ رسول الله ﷺ بيد الحسن والحسين ﷺ، فقال: من أحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»^(٢).

وعن حنان بن سدير الصيرفي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثني محمد بن علي بن الحسين ﷺ، قال: «كان النبي ﷺ جالسا في مسجده، فجاء علي عليه السلام فسلم وجلس، ثم جاء الحسن بن علي عليه السلام فأخذه النبي ﷺ وأجلسه في حجره وضمه إليه وقبله، ثم قال له: اذهب فاجلس مع أبيك، ثم جاء الحسين عليه السلام ففعل النبي ﷺ مثل ذلك، وقال له: اجلس مع أبيك، إذ دخل رجل المسجد فسلم على النبي ﷺ خاصة، وأعرض عن علي والحسن والحسين ﷺ، فقال له النبي ﷺ: ما منعك أن تسلم على علي وولديه، فوالذي بعثني بالهدى ودين الحق لقد رأيت الرحمة تنزل عليه وعلى ولديه»^(٣).

وعن زيد بن أرقم، قال: خرج رسول الله ﷺ وإذا علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، فقال: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم»^(٤).

(١) الأماشي للصدوق: ص ١٣ المجلس الرابع ح ٢.

(٢) الأماشي للصدوق: ص ٢٢٩ المجلس الأربعون ح ١١.

(٣) الأماشي للطوسي: ج ٢٢٣ المجلس الثامن ح ٣٨٧-٣٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٤٢-٤٣ ب ٥٠ ح ١٨.

وعن أنس قال: اتكأ النبي ﷺ على علي. فقال: «يا علي، أما ترضى أن تكون أخي وأكون أخاك، وتكون وليي ووصيي ووارثي، تدخل رابع أربعة الجنة: أنا وأنت والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا ومن تبعنا من أمتنا عن أيمانهم وشمائلهم. قال: بلى يا رسول الله»^(١).

وعن حذيفة، قال النبي ﷺ في خبر: «أما رأيت العارض الذي عرض لي؟».

قلت: بلى.

قال: «ذاك ملك لم يهبط إلى الأرض قبل الساعة، فاستأذن الله تعالى أن يسلم علي ويبشرني أن الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيده نساء أهل الجنة»^(٢).

الخسف بالسبطين

مسألة: يحرم خسف السبطين الحسن والحسين عليهما السلام وإرادة الشر بهما كما يحرم إيذاؤهما؛ فإن ذلك إيذاء للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، وإيذاؤها إيذاء لرسول الله ﷺ، وإيذاؤه إيذاء الله عز وجل كما في الروايات^(٣).

(١) بشارة المصطفى: ص ٢٤٣.

(٢) المناقب: ج ٣ ص ٣٩٤ فصل في معالي أمورهما عليهما السلام.

(٣) راجع غوالي اللالكئي: ج ٤ ص ٩٣ الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامله ح ١٣١، وفيه قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة مني، من أذاها فقد أذاني، ومن أذاني فقد أذى الله، ومن أذى الله أكبه الله في النار».

عن ابن عباس ، قال : قال النبي ﷺ : «إن عليا وصيي وخليفتي ، وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين ابنتي ، والحسن والحسين سيदा شباب أهل الجنة ولداي ، من والاهم فقد والاني ومن عاداهم فقد عاداني ، ومن ناوأهم فقد ناوأني ، ومن جفاهم فقد جفاني ، ومن برهم فقد برني ، وصل الله من وصلهم ، وقطع الله من قطعهم ، ونصر الله من أعانهم ، وخذل الله من خذلهم . اللهم من كان له من أنبيائك ورسلك ثقل وأهل بيت فعلي وفاطمة والحسن والحسين أهل بيتي وثقلي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»^(١).

قولها عليها السلام : «سبطاك» الحسن والحسين عليهما السلام

والنصب : التعب .

أي : أن القوم أرادوا خسف السبطين وهذا ما أوجب تعبي .

(١) من لا يحضره الفقيه : ج ٤ ص ١٧٩ باب الوصية من لدن آدم عليه السلام ح ٥٤٠٤ .

فليت قبلك كان الموت صادفنا لما مضيت وحالت دونك الكشب

تمني الموت في رثاء الفقيد

مسألة: يجوز إظهار تمني الموت في رثاء الفقيد.

وهذا من باب الرثاء وبيان عظمة المصاب، فيكون تعبيراً مجازياً لبيان شدة المصيبة، وإن كان يجوز ذلك من باب الواقع أيضاً أي بالمعنى الحقيقي إذا كان تمني الموت في مورده، كما في مصاب المعصومين عليهم السلام... على عكس الذين لا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم كما قال سبحانه: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ^(١).

المظلوم وتمنى الموت

مسألة: تمني الموت بشكل عام مكروه، ولكنه جائز للمظلوم.

وفي المقابل يستحب الدعاء بطول العمر، كما ورد ذلك في المأثور: عن محمد بن عطية، عن أبي عبد الله عليه السلام - في دعاء كل ليلة من شهر رمضان المبارك - تقول: «اللهم إني أسألك فيما تقضي وتقدر من الأمر المحتوم في الأمر الحكيم من القضاء الذي لا يرد ولا يبدل أن تكتبني من حجاج بيتك الحرام المبرور حجهم، المكفر عنهم سيئاتهم، المغفور ذنوبهم، المشكور سعيهم، وأن تجعل في ما تقضي وتقدر من الأمر المحتوم في الأمر الحكيم في ليلة القدر من القضاء الذي لا يرد ولا يبدل أن تطيل عمري، وأن توسع علي في

رزقي، وأن تجعلني ممن تنتصر به لدينك، ولا تستبدل بي غيري»^(١).
وفي دعاء بعد صلاة الفجر يوم الفطر: «اللهم إني أسألك أن تجعل فيما
شئت وأردت، وقضيت وقدرت، وحتمت وأنفذت، أن تطيل عمري، وتنسئ
في أجلي»^(٢).

وفي دعاء بعد صلاة أربع ركعات في يوم الجمعة: «أن تصلي على محمد
وآله وأن تسمع دعائي، وتجيب ندائي، وترحم تضرعي، وتقبل علي، وتقبل
توبتي، وتديم عافيتي، وتسهل قضاء حاجتي وديني، وتوسع علي في رزقي،
وتصح جسمي، وتطيل عمري، وتغفر ذنبي، وتوفقني لما يرضيك، وتقبلني إلى
رضوانك»^(٣).

وفي دعاء السحر لمولانا علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام الذي رواه أبو
حمزة الثمالي: «وأن تجعل فيما تقضي وتقدر أن تطيل عمري، وتوسع رزقي،
وتؤدي عني أمانتي وديني، آمين رب العالمين»^(٤).

كراهة تمني الموت

عن أبي محمد العسكري عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: «جاء رجل إلى
الصادق عليه السلام. فقال: قد سئمت الدنيا فأتمنى على الله الموت؟»

فقال عليه السلام: «تمن الحياة لتطيع لا لتعصي؛ فلأن تعيش فتطيع خير لك من

(١) الكافي: ج ٤ ص ١٦١-١٦٢ باب الدعاء في العشر الأواخر من شهر رمضان ح ٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨٨ ص ٣ ب ٢ ح ١.

(٣) جمال الأسبوع: ص ٣١٧-٣١٨ ف ٣١ الدعاء بعد هذه الصلاة.

(٤) مصباح الكفعمي: ص ٦٢٢-٦٢٣ ف ٤٥.

أن تموت فلا تعصي ولا تطيع»^(١).

وفي (الأمالى) للشيخ الطوسي، عن أم الفضل، قالت: دخل رسول الله ﷺ على رجل يعودوه وهو شاك فتمنى الموت. فقال رسول الله ﷺ: «لا تتمن الموت؛ فإنك إن تك محسنا تزدد إحسانا إلى إحسانك، وإن تك مسيئا فتؤخر تستعيب، فلا تمنوا الموت»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت بضر نزل به»^(٣).
وقال ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت؛ فإن هول المطلع شديد، وإن من سعادة المرء أن يطول عمره، ويرزقه الله الإنابة»^(٤).

تمني الموت في فقد المعصوم عليه السلام

مسألة: يجوز تمني الموت في فقد الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وقد يكون مستحبا، والإفراد بالذكر للأهمية كما في بعض أقسام الخاص بعد العام، فإنه من باب أجلى المصاديق لما تقدم.
نعم، أصل تمني الموت مكروه كما سبق، لكنه قد يستحب تمنيه في بعض الأحيان، كما تمت الصديقة الطاهرة عليها السلام الموت لفقد أبيها ﷺ، وتمنته ثانية لكثرة ما ورد عليها من المصائب^(٥)..

(١) بحار الأنوار: ج ٦ ص ١٢٨ ب ٤ ح ١٥.

(٢) الأمالى للطوسي: ج ٣٨٥ المجلس الثالث عشر ح ٨٣٧-٨٨.

(٣) الدعوات: ص ١٢٢ فصل في فنون شتى من حالات العافية والشكر عليها ح ٢٩٦.

(٤) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ٧.

(٥) راجع بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٧٦ ب ٧ ح ١٥.

وكما تمناه أمير المؤمنين عليه السلام في قصص عديدة مشهورة، حيث قال عليه السلام:
«أنتظر أشقاها أن يخضب لحيتي من دم رأسي بعهد معهود أخبرني به حبيبي
رسول الله ﷺ»^(١).

وقال الإمام السجاد عليه السلام في الشعر المنسوب إليه:
«فيا ليت أمني لم تلدني ولم أكن يزيد يراني في البلاد أسير»
وكما قالت السيدة زينب (عليها الصلاة والسلام) في يوم كربلاء: «ليت الموت
أعدمني الحياة»^(٢).

وكما تمناه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حيث قال: «يا سيدي، نجني من
حبس هارون وخلصني من يده. يا مخلص الشجر من بين رمل وطين وماء،
ويا مخلص اللبن من بين فرث ودم، ويا مخلص الولد من بين مشيمة ورحم،
ويا مخلص النار من بين الحديد والحجر، ويا مخلص الأرواح من بين الأحشاء
والأمعاء، خلصني من يد هارون»^(٣).

قولها عليها السلام: «الكثب»، أي التراب.

الدعاء على النفس بالموت

مسألة: يعلم مما سبق حكم الدعاء على النفس بالموت وكراهته في
الأصل، إلا أنه قد يستفاد رجحانه في ما كان من قبيل قولها عليها السلام: «اللهم
عجل وفاتي سريعا».

(١) وسائل الشيعة: ج ٢ ص ٨٤ ب ٤١ ح ١٥٥٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢ بقية الباب ٣٧ ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ١٤٠ ب ٣٢ ح ١٠٢٥٣.

إنا رزئنا بما لم يرز ذو شجن من البرية^(١) لا عجم ولا عرب

مصيبة وفاة الرسول صلى الله عليه وآله

مسألة: يستحب بيان أن مصيبة وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لا تعدلها مصيبة إطلاقاً، لأنه لا يعدل الرسول صلى الله عليه وآله شيء في الكون كله إطلاقاً، حسب ما دل على ذلك العقل والنقل. وإذا كان كذلك فإن إقامة العزاء على فقدته على مر الأزمان أولى من كل مصاب مهما جد وقرب.

والوجه في قولها عليها السلام: «إنا رزئنا..» بصيغة الجمع، أن رزية فقدته صلى الله عليه وآله رزية عامة عمت آثارها جميع المسلمين، بل البشرية جمعاء في ذلك الزمن إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة، بل الكائنات بأجمعها، وهو واضح ثبوتاً واثباتاً^(٢). أما قولها: «من البرية» الظاهر أنه بيان لـ «ذو شجن»، مع أن ما رزئوا به لم يرزأ به ذو شجن لا من البرية ولا من غيرها^(٣)، فلأنه محط الحاجة على حسب قابلية القابل.

الرزء: المصيبة بفقد الأعزة.

الشجن: الحزن.

العجم: غير العرب من الفرس والترك والهنود وغيرهم.

(١) وفي بعض النسخ: (من البلية) فيكون بياناً لـ (ما).

(٢) فإنهم الأقرب والمحطة الأولى للفيوضات، ثم أن من يعرف قيمة المفقود والفقيد أكثر رزءاً وهما وغما ممن لا يعرف قيمته.

(٣) كالملائكة والجن وسائر مخلوقات الله تعالى.

وقد رزينا به محضا خليقته صافي الضرائب والأعراق والنسب

الطهر الطاهر

مسألة: يلزم الاعتقاد بأن رسول الله ﷺ طهر طاهر مطهر، من طهر طاهر مطهر، وكذلك والديه وأجداده إلى آدم عليه السلام بأجمعهم من المؤمنين الطاهرين، فلم يكن ﷺ إلا في صلب طاهر ورحم طاهر. وأنه ﷺ كان من أشرف الخلق والأعراق والأنساب.

قال تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾^(١). وعن أبي الجارود، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾^(٢)؟ قال: «يرى قلبه في أصلاب النبيين من نبي إلى نبي، حتى أخرج من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام»^(٣). قال الشيخ المفيد (رضوان الله عليه): (اعتقادنا في آباء النبي ﷺ أنهم مسلمون من آدم إلى أبيه عبد الله، وأن أبا طالب كان مسلماً، وأمه آمنة بنت وهب كانت مسلمة. وقال النبي ﷺ: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لن آدم». وروي أن عبد المطلب كان حجة وأبا طالب كان وصيه)^(٤).

وقال العلامة المجلسي رحمه الله: (اتفقت الإمامية (رضوان الله عليهم) على أن والدي الرسول ﷺ وكل أجداده إلى آدم عليه السلام كانوا مسلمين، بل كانوا من الصديقين إما أنبياء مرسلين، أو أوصياء معصومين، ولعل بعضهم لم يظهر

(١) سورة الشعراء: ٢١٨-٢١٩.

(٢) سورة الشعراء: ٢١٩.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٣٩٣ سورة الشعراء وما فيها من الآيات في الأئمة الهداة.

(٤) الاعتقادات، للشيخ المفيد: ص ١١٠ باب الاعتقاد في آباء النبي ﷺ.

الإسلام لتقية أو لمصلحة دينية. قال أمين الدين الطبرسي (رحمه الله) في (مجمع البيان): قال أصحابنا: إن أزر كان جد إبراهيم عليه السلام لأمه أو كان عمه، من حيث صح عندهم أن آباء النبي ﷺ إلى آدم عليه السلام كلهم كانوا موحدين وأجمعت الطائفة على ذلك. ورووا عن النبي ﷺ أنه قال: «لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية». ولو كان في آباءه عليهم السلام كافر لم يصف جميعهم بالطهارة مع قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(١)، ولهم في ذلك أدلة ليس هنا موضع ذكرها، انتهى^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «نزل جبرئيل عليه السلام على النبي ﷺ فقال: يا محمد، إن ربك يقرؤك السلام ويقول: إني قد حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، فالصلب صلب أبيك عبد الله بن عبد المطلب، والبطن الذي حملك فآمنة بنت وهب، وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب»^(٣).

قولها عليها السلام: «محضا» أي خالصة.

خليقته: أي خلقه.

الضرائب: جمع الضريبة وهي الطبيعة.

الأعراق: جمع العرق وهو أصل كل شيء، أي الآباء والأجداد.

(١) سورة التوبة: ٢٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ١١٧ ب ١.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٤٦ باب مولد النبي ﷺ ووفاته ح ٢١.

فأنت خير عباد الله كلهم وأصدق الناس حيث الصدق والكذب

خير العباد

مسألة: الرسول الأعظم ﷺ هو أشرف الخلق وهو خير عباد الله كلهم، ويلزم الاعتقاد بذلك، ويأتي من بعده علي أمير المؤمنين وفاطمة (سلام الله عليهما)، ومن بعدهما الحسن والحسين عليهما السلام ثم المهدي (عجل الله تعالى فرجه) ثم سائر الأئمة (عليهم أفضل الصلاة والسلام) على ما يستفاد من الروايات.

عن أبي هارون العبدي، قال: أتيت أبا سعيد الخدري فقلت له: هل شهدت بدرا؟ قال: نعم. فقلت له: ألا تحدثني بشيء مما سمعته من رسول الله ﷺ في علي عليه السلام وفضله؟ فقال: بلى أخبرك أن رسول الله ﷺ مرض مرضة نقه منها. فدخلت عليه فاطمة عليها السلام تَعُوذُ وأنا جالس عن يمين رسول الله ﷺ، فلما رأت ما برسول الله ﷺ من الضعف خنقتها العبرة حتى بدت دموعها على خدها، فقال لها رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا فاطمة؟! قالت: «أخشى الضيعة يا رسول الله». فقال ﷺ: «يا فاطمة، أما علمت أن الله اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منهم أباك فبعثه نبيا، ثم اطلع ثانية فاختار منهم بعلك فأوحى إلي فأنكحته واتخذته وصيا، أما علمت أنك بكرامة الله إياك زوجك أغزرهم علما، وأكثرهم حلما، وأقدمهم سلما».

فاستبشرت فأراد رسول الله ﷺ أن يزيدا مزيد الخير كله الذي قسمه الله لمحمد وآل محمد، فقال لها: «يا فاطمة ولعلي ثمانية أضراس - يعني: مناقب - إيمان بالله، ورسوله، وحكمته، وزوجته، وسبطاه الحسن والحسين، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر. يا فاطمة، إنا أهل بيت أعطينا ست خصال لم يعطها أحد من

الأولين ولا يدركها أحد من الآخرين غيرنا: نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا خيرنا الشهداء وهو حمزة عم أبيك، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك، ومنا مهدي الأمة الذي يصلي عيسى خلفه - ثم ضرب على منكب الحسين عليه السلام فقال - من هذا مهدي الأمة»^(١).

وعن الأعمش، عن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: سألته عن أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالأمر؟ فقال: «علي بن أبي طالب عليه السلام، وبعده الحسن ثم الحسين سبطا رسول الله وابنا خيرة النسوان، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ثم من بعده الأئمة الهداة المهديون عليهم السلام؛ فإن فيهم الورع، والعفة، والصدق، والصلاح، والاجتهاد، وأداء الأمانة إلى البر والفاجر، وطول السجود، وقيام الليل، واجتناب المحارم، وانتظار الفرج بالصبر، وحسن الصحبة، وحسن الجوار»^(٢).

وعن أصبغ بن نباتة الحنظلي، قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام يوم افتتح البصرة وركب بغلة رسول الله ﷺ، ثم قال: «أيها الناس، ألا أخبركم بخير الخلق يوم يجمعهم الله». فقام إليه أبو أيوب الأنصاري فقال: بلى يا أمير المؤمنين حدثنا؛ فإنك كنت تشهد ونغيب. فقال: «إن خير الخلق يوم يجمعهم الله سبعة من ولد عبد المطلب لا ينكر فضلهم إلا كافر، ولا يجحد به إلا جاحد». فقام عمار بن ياسر (رحمه الله) فقال: يا أمير المؤمنين، سمهم لنا لنعرفهم؟ فقال: «إن خير الخلق يوم يجمعهم الله الرسل، وإن أفضل الرسل محمد ﷺ، وإن أفضل

(١) كشف الغمة: ج ٢ ص ٤٨١-٤٨٢ ب ٩.

(٢) إرشاد القلوب: ج ٢ ص ٤٢١ باب فيه بعض قضاياه عليه السلام في الحد وفي أخذ الحد.

كل أمة بعد نبيها وصي نبيها حتى يدركه نبي، ألا وإن أفضل الأوصياء وصي محمد (عليه وآله السلام)، ألا وإن أفضل الخلق بعد الأوصياء الشهداء، ألا وإن أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب له جناحان خضيان يطير بهما في الجنة لم ينحل أحد من هذه الأمة جناحان غيره شيء كرم الله به محمدا ﷺ وشرفه، والسبطان الحسن والحسين والمهدي ﷺ يجعله الله من شاء منا أهل البيت - ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ۖ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾^(١)»^(٢).

وعن عبد الله بن ميمون القداح، عن جعفر، عن أبيه، قال: قال علي بن أبي طالب ﷺ: «منا سبعة خلقهم الله عز وجل لم يخلق في الأرض مثلهم: منا رسول الله ﷺ سيد الأولين والآخرين وخاتم النبيين، ووصيه خير الوصيين، وسبطاه خير الأسباط حسنا وحسينا، وسيد الشهداء حمزة عمه، ومن قد طاف [طار] مع الملائكة جعفر، والقائم»^(٣).

وعن الأصبع بن نباتة، قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يقول: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: أفضل الكلام قول: لا إله إلا الله، وأفضل الخلق أول من قال: لا إله إلا الله. فقيل: يا رسول الله، ومن أول من قال: لا إله إلا الله؟ قال: أنا، وأنا نور بين يدي الله جل جلاله وأوحده وأسبحه، وأكبره وأقدس وأمجده، ويتلوني نور شاهد مني. فقيل: يا رسول الله،

(١) سورة النساء: ٦٩-٧٠.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٥٠ باب مولد النبي ﷺ ووفاته ح ٣٤.

(٣) قرب الإسناد: ص ١٣-١٤.

ومن الشاهد منك؟ فقال: علي بن أبي طالب أخي وصفيي، ووزيري وخليفتي ووصيي وإمام أمتي، وصاحب حوضي وحامل لوائي. ف قيل له: يا رسول الله، فمن يتلوه؟ فقال: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ثم الأئمة من ولد الحسين إلى يوم القيامة»^(١).

وعن ابن عباس، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وهو آخذ بيد علي عليه السلام وهو يقول: «يا معشر الأنصار، يا معشر بني هاشم، يا معشر بني عبد المطلب، أنا محمد، أنا رسول الله، ألا إني خلقت من طينة مرحومة في أربعة من أهل بيتي: أنا وعلي وحمزة وجعفر». فقال قائل: يا رسول الله، هؤلاء معك ركبان يوم القيامة؟ فقال: «ثكلتك أمك، إنه لن يركب يومئذ إلا أربعة أنا وعلي وفاطمة وصالح نبي الله، فأما أنا فعلى البراق، وأما فاطمة ابنتي فعلى ناقتي العضباء، وأما صالح فعلى ناقة الله التي عقرت، وأما علي فعلى ناقة من نوق الجنة زمامها من ياقوت، عليه حلتان خضراوان، فيقف بين الجنة والنار وقد أجم الناس من العرق يومئذ، فتهب ريح من قبل العرش فتشفي عنهم عرقهم، فيقول الملائكة والأنبياء والصديقون: ما هذا إلا ملك مقرب أو نبي مرسل! فينادي مناد: ما هذا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولكنه علي بن أبي طالب أخو رسول الله صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة»^(٢).

وعن عمار بن ياسر (رضوان الله عليه)، أنه قال: لما سار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى صفين وقف بالفرات وقال لأصحابه: «أين المخاض؟».

(١) كمال الدين: ج ٢ ص ٦٦٩ ب ٥٨ ح ١٤.

(٢) الخصال: ج ١ ص ٢٠٤-٢٠٥ الركبان يوم القيامة أربعة ح ٢٠.

قالوا: يا مولانا، ما نعلم أين المخاض. فقال لبعض أصحابه: «امض إلى هذا التل وناد: يا جلندي، أين المخاض؟». قال: فسار حتى وصل إلى التل ونادى: يا جلندي، أين المخاض؟. قال: فأجابه من تحت الأرض خلق كثير فبهت ولم يعلم ما يصنع، فأتى إلى الإمام عليه السلام وقال: يا مولاي، جاوبني خلق كثير. فقال عليه السلام: «يا قنبر، امض وقل: يا جلندي بن كركر، أين المخاض؟». قال: فمضى قنبر وقال: يا جلندي بن كركر، أين المخاض؟. فكلمه واحد وقال: (ويلكم من عرف اسمي واسم أبي وأنا في هذا المكان قد صرت ترابا وقد بقي قحف رأسي عظما نخرة رميما ولي ثلاثة آلاف سنة ما يعلم أين المخاض، فهو والله أعلم بالمخاض مني، ويلكم ما أعمى قلوبكم، وأضعف يقينكم، ويلكم امضوا إليه واتبعوه فأين خاض خوضوا معه؛ فإنه أشرف الخلق على الله بعد رسول الله ﷺ)^(١).

قال الشيخ المفيد رحمته الله: (واعتقاد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأنه كان الخليفة لرسول الله ﷺ في مقامه، والإمام المقدم على الكافة بعد وفاته، وأنه أفضل الخلق من بعده، وأن الموالات له موالات لرسول الله، والمعادة له معادة لرسول الله ﷺ، وأنه كان القائم بالقسط في دين الله بمودته، والبراءة من أعدائه الدائنين بمخالفته. واعتقاد إمامة الحسن والحسين عليهما السلام من بعده، وأن الأئمة بعد الحسين عليه السلام من ولده بالنص عليهم، والتوقيف على إمامتهم، والدعوة إلى اعتقاد فرض طاعتهم، والقربة إلى الله بولايتهم، والبراءة إليه ممن انطوى على داوتهم، وانتظار دولة الحق في عاقبتهم، والقطع على أنهم

(١) الفضائل: ص ١٤٠ وفي ذكر اللوح المحفوظ الذي نزل به جبرئيل على النبي ﷺ.

أفضل من سائر رعيّتهم. واعتقاد وجوب ولاية أمير المؤمنين، وعداوة الكافرين، والمودة لأهل الطاعة في الدين، والنصيحة لأهل التوحيد والمعرفة واليقين^(١).

الصادق المصدق

مسألة: يجب الاعتقاد بأن رسول الله ﷺ هو أصدق الخلق، فما أخبر به من وحي وحكم وتاريخ وغيب وغيرها صدق صحيح بلا شك.

وفي الحديث: «الصادق المصدق رسول الله ﷺ»^(٢).

وفي (مكارم الأخلاق): «إن رسولك الصادق المصدق قال: ...»^(٣).

وفي (البحار): عن زاذان، عن ابن عمر، قال: حدثنا النبي ﷺ وهو الصادق المصدق، قال: «إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأولين والآخرين نادى مناد بصوت يسمع به البعيد كما يسمع به القريب: أين علي بن أبي طالب عليه السلام أين علي الرضا عليه السلام؟ فيؤتى بعلي الرضا عليه السلام فيحاسبه حسابا يسيرا، ويكسى حلتان خضراوان، ويعطى عصاه من الشجرة وهي شجرة طوبى، فيقال له: قف على الحوض فاسق من شئت وامنع من شئت»^(٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام عند ما أخبر عن مقتل ولده الحسين عليه السلام بكربلاء: «والذي نفس علي بيده لقد حدثني الصادق المصدق أبو القاسم عليه السلام أنني سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء يدفن فيها

(١) أحكام النساء: ص ١٥-١٦ باب ما يعم كافة المكلفين فرضه ولا يسقط عنهم مع كمال عقولهم.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٢٠٩ ب ٤٩ ح ٢٢٣٥٤.

(٣) مكارم الأخلاق: ص ٢٨٤ ب ١٠ ف ٢ دعاء آخر.

(٤) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٢٥ ب ٢٠ ح ٢٣.

الحسين وسبعة عشر رجلا من ولدي وولد فاطمة، وإنها لفي السماوات معروفة تذكر أرض كرب وبلاء كما تذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس»^(١).

وقال علي عليه السلام وهو ينعى نفسه: «إن الصادق المصدق عهد إلي لينبعثن أشقاها فليقتلك كما انبعث أشقى ثمود»^(٢).

ومن دعائهم عليه السلام: «اللهم صل على محمد وآل محمد، اللهم إن الصادق المصدق محمدا ﷺ قال: إنك قلت: ما ترددت في شيء أنا فاعله كترددني في قبض روح عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته. اللهم صل على محمد وآل محمد، وعجل لوليك الفرج والعافية والنصر، ولا تسؤني في نفسي ولا في أحد من أحبب برحمتك يا أرحم الراحمين.

قالوا عليه السلام: من قال ذلك في دبر كل صلاة فريضة عاش حتى مل الحياة»^(٣).

(١) الأُمالي للصدوق: ص ٥٩٨ المجلس السابع والثمانون ح ٥.

(٢) شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٤٣٤ ومن سورة والشمس ح ١٠٩٧.

(٣) الدعوات: ص ١٣٤ فصل في فنون شتى من حالات العافية والشكر عليها ح ٣٣٢.

فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت لنا العيون بتهمال له سكب

البكاء على الرسول الأعظم ﷺ

مسألة: يستحب البكاء على فقد رسول الله ﷺ ما عاش الإنسان وما بقيت له عين تسكب، كما قالت الصديقة الطاهرة عليها السلام في هذه الخطبة، وكما بكت هي (صلوات الله عليها) كذلك حتى التحقت بأبيها ﷺ فكانت من البكائين.

قال أبو عبد الله عليه السلام:

«البكاءون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين عليه السلام... أما فاطمة فبكت على رسول الله ﷺ حتى تأذى بها أهل المدينة. فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك. فكانت تخرج إلى المقابر، مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف»^(١).

قولها عليها السلام «تهمال»: من الهمل كالترار، هملت عينه أي فاضت. سكب الماء: أي صبه.

الاجتماع للبكاء

مسألة: ربما استفاد من كلامها عليها السلام «نبكيك» بصيغة المخاطب مع الغير، أنه يستحب الاجتماع وعقد مجالس الحزن والبكاء على رسول الله ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام، كما هو المتعارف اليوم بين الشيعة أعزهم الله.

(١) الخصال: ج ١ ص ٢٧٢-٢٧٣ البكاءون خمسة ح ١٥.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال لفضيل: «تجلسون وتحدثون؟».

قال: نعم جعلت فداك.

قال: «إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا رحم الله من أحيأ أمرنا. يا فضيل، من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر»^(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: «اجتمعوا وتذاكروا تحف بكم الملائكة، رحم الله من أحيأ أمرنا»^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «حدثوا عنا ولا حرج، رحم الله من أحيأ أمرنا»^(٣).

(١) قرب الإسناد: ص ١٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٢ ب ١٠ ح ١٥٥٤٠.

(٣) الدعوات: ص ٦٣ ب ١ فصل في ألح الدعاء وأوجزه.

سيعلم المتولي ظلم حامتنا يوم القيامة أنى سوف ينقلب

المتولي للظلم

مسألة: ينبغي تنبيه المتولي للظلم بعاقبة أمره وأنه النار، حيث قالت عليها السلام: «يوم القيامة أنى سوف ينقلب»، أي: في نار جهنم. والمتولي هو المباشر للشيء، وهو إشارة إلى ابن أبي قحافة وابن الخطاب ومن سانداهم من القوم على غضب الخلافة وغضب فذك والظلم على أهل بيت النبوة عليهم السلام. قولها عليها السلام: «حامتنا» حامة الشخص خاصته، والمراد به أهل البيت عليهم السلام وفي الحديث المتواتر المروي عن الفريقين: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جلل على حسن وحسين وعلي وفاطمة عليهم السلام ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي وحامتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»^(١).

المؤسس لظلم أهل البيت عليهم السلام

مسألة: يستفاد من كلامها عليها السلام حيث قالت: «ظلم حامتنا» ولم تقل (ظلمي) بأن ما فعله القوم كان هو الأساس في ظلم ذريتها والأئمة المعصومين عليهم السلام إلى يوم القيامة، وينبغي بيان ذلك للناس. فالأول والثاني هما من أسس الظلم على أهل البيت عليهم السلام، فلولا إحراق بيت فاطمة عليها السلام لما تجرأ القوم على حرق خيام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء بكر بلاء^(٢)، ولما تجرأ المنصور على حرق دار الإمام الصادق عليه السلام^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٢٢٦ ب ٥.

(٢) لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ص ١٥٥.

(٣) راجع الكافي: ج ١ ص ٤٧٣ باب مولد أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام ح ٢.

ولولا ضرب الثاني الصديقة الطاهرة عليها السلام بكعب السيف^(١) ولطم الوجه^(٢) وغير ذلك، لما تجرؤوا على ضرب زينب (سلام الله عليها)^(٣) ولولا غضبهم الخلافة من علي عليه السلام لما تجرأ بنو أمية وبنو العباس على غضب الخلافة من الأئمة الطاهرين (سلام الله عليهم أجمعين).

وقد ورد في الزيارات: «ولعن الله أمة أسست أساس الظلم لكم، ومهدت الجور عليكم، وطرقت إلى أذيتكم وتحيفكم، وجارت ذلك في دياركم وأشياعكم، برئت إلى الله عزوجل وإليكم يا ساداتي وموالي وأئمتي منهم ومن أشياعهم وأتباعهم»^(٤).

وفي زيارة عاشوراء المقدسة: «فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم، وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها»^(٥).

وفي الزيارة أيضا: «أشهد أنك حجة الله في أرضه، وأشهد أن الذين خالفوك وأن الذين قتلوك والذين خذلوك وأن الذين جحدوا حقك ومنعوك إرثك ملعونون على لسان النبي الأمي وقد خاب من افترى، لعن الله الظالمين لكم من الأولين والآخرين وضاعف لهم العذاب الأليم، عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين... السلام عليك يا أول مظلوم انتهك دمه، وضيعت فيه حرمة

(١) راجع كتاب سليم بن قيس الهلالي: ص ٨٦٤ الحديث الثامن والأربعون.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ١٩٢ ب ١١.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١١٦ ب ٣٩.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٤١٣ ب ٨٦ ح ١٢٢٧٣.

(٥) كامل الزيارات: ص ١٧٦ ب ٧١.

الإسلام، فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت»^(١).
 وأيضا: «لعن الله أمة قتلتك، لعن الله أمة ظلمتك، لعن الله أمة أسست
 أساس الظلم والجور والبدعة عليكم أهل البيت»^(٢).

وعن سعيد بن المسيب: أنه لما ورد نعي الحسين عليه السلام المدينة وقتل ثمانية
 عشر من أهل بيته وثلاث وخمسين رجلا من شيعته وقتل علي ابنه بين يديه
 بنشابة وسبي ذراريه، خرج عبد الله بن عمر إلى الشام منكرًا لفعل يزيد ومستنفرا
 للناس عليه حتى أتى يزيد وأغلظ له القول، فخلا به يزيد وأخرج إليه طومارا
 طويلا كتبه عمر إلى معاوية وأظهر فيه أنه على دين آبائه من عبادة الأوثان وأن
 محمدا كان ساحرا غلب على الناس بسحره وأوصاه بأن يكرم أهل بيته ظاهرا
 ويسعى في أن يجتثهم عن جديد الأرض ولا يدع أحدا منهم عليها... فلما قرأه
 ابن عمر رضي بذلك ورجع وأظهر للناس أنه محق فيما أتى به ومعدور فيما
 فعله، ولنعم ما قيل:

ما قتل الحسين عليه السلام إلا في يوم السقيفة، فلعنة الله على من أسس أساس
 الظلم والجور على أهل بيت النبي صلوات الله عليهم أجمعين»^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٢٣٧ ب ١٨ ص ٣٨.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢٦٩-٢٧٠ ب ٦٨ ح ١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٣٢٨ ب ٤٧.

ثم انكفأت ﷺ

رجوع الزهراء ﷺ إلى المنزل

مسألة: الانكفاء قد يدل على الرجوع بدون الوصول إلى المقصد الذي خرج الإنسان لأجله^(١)، لذا تقدم منها (عليها الصلاة والسلام): «فلا ينكفي حتى يطأ صماخها بأخمصه»، أي: لا يرجع خائبا بل يرجع ظافرا. ولعل هذه الجملة تدل على استحباب الرجوع إذا لم يجد الإنسان ما أرادته وكان بقاؤه من أسباب الوهن والضعف.

قولها ﷺ: «ثم انكفأت» أي رجعت إلى الدار، والظاهر أن رجوعها كان من طريق الشارع لا من الباب المشرع إلى المسجد. وانكفاً: أي رجع، من قولهم: كفأت القوم إذا أرادوا وجها فصرفتهم عنه إلى غيره، فانكفئوا أي رجعوا.

وربما يدل (ثم) على أن الصديقة ﷺ لم تخرج من المسجد فور انتهاء خطبتها، بل إنها تريت قليلا ثم خرجت، ولعل السبب في ذلك حالتها الصحية أثر ما جرى عليها من الظلم والضرب وكسر الضلع وإسقاط الجنين، فكانت حالتها مؤلمة جدا، وقد أنهكتها الخطبة أيضا، فكانت بحاجة إلى نوع تريت ثم الخروج، فصلوات الله وسلامه عليها، ولعنة الله على من ظلمها وجحد حقها وحق بعلمها وبنيتها ﷺ.

(١) وفي اللغة: انكفأت بهم السفينة انقلبت. وانكفاً: مال ورجع. أنكفاً القوم: انهزموا ولم يصلوا إلى ما أرادوا.

سبل مواجهة الطاغوت

مسألة: المواجهة مع الطاغوت قد تتخذ شكل الكر والفر، وربما لزم الانسحاب المؤقت، كما لو كان استمرار الهجوم ناقضا للغرض، سواء في جبهات القتال، أو في الحرب الإعلامية، أو الحرب السياسية والدبلوماسية، أو غيرها.

وهذا ما يستفاد من مواقف الصديقة الكبرى عليها السلام ومنها هذا الموقف، حيث (انكفأت)، إذ لم يكن في البقاء بعدها في المسجد فائدة، وكان لابد من مواصلة الهجوم على الباطل والدفاع عن الحق بعد العودة للمنزل وبطريقة أخرى.

وأمر المؤمنين ﷺ

اللقب المناسب

مسألة: ما ذكرناه سابقاً من استحباب ذكر لقب (أمير المؤمنين) عند التحدث عن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ. كما عبرت في المقام السيدة زينب عمة النبي ﷺ راوية هذه الخطبة الشريفة. لا ينفي استحباب وصفه ﷺ والإشارة إليه بسائر ألقابه أو كناه، فيكون الأمر عندئذ من قبيل تزاحم المستحبات، أو من قبيل الاستحباب التخييري، أو ما أشبه.. والبلاغة تقتضي انتخاب الأنسب بالمقام. ولا تخفى الدقة والبلاغة في انتخاب السيدة زينب عمة النبي ﷺ لقب (أمير المؤمنين) هاهنا، حيث الكلام عن الخلافة وغصبها ومن هو الأحق بها، فإن هذا اللقب بالإضافة إلى التصريح به في الروايات، منحه رسول الله ﷺ لعلي ﷺ حين قال في غدير خم: «سلموا عليه بإمرة المؤمنين»^(١).

ثم إن إطلاق هذا اللقب على الإمام ﷺ قد يكون واجباً كما يقال في مورد الرواية وما يشاركه في الملاك، فتأمل. نعم الاعتقاد بأنه أمير المؤمنين واجب كما لا يخفى. ومن المعلوم أن المراد بالمؤمنين: الأعم من المؤمنين بألستهم أو بقلوبهم، فإن للمؤمن ثلاثة اطلاقات:

١: إطلاق بالمعنى الخاص^(٢).

٢: وإطلاق بالمعنى الأخص^(٣).

(١) الأمالي للصدوق: ص ٣٥٥ المجلس ٥٦ ح ١٠.

(٢) وهو كل مؤمن بالله والرسول والولاية.

(٣) وهو المؤمن بالمعنى السابق زائداً الالتزام بتعاليم الشريعة والولاية.

٣: وإطلاق بالمعنى الأعم^(١).

كما لا يخفى على من راجع الآيات والروايات.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: ما الإسلام؟ فقال: «دين الله اسمه الإسلام، وهو دين الله قبل أن تكونوا حيث كنتم وبعد أن تكونوا، فمن أقر بدين الله فهو مسلم، ومن عمل بما أمر الله عز وجل به فهو مؤمن»^(٢).

وعن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن الإيمان؟ فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله، وما استقر في القلوب من التصديق بذلك». قال: قلت: الشهادة أليست عملاً؟ قال: «بلى». قلت: العمل من الإيمان؟ قال: «نعم، الإيمان لا يكون إلا بعمل والعمل منه، ولا يثبت الإيمان إلا بعمل»^(٣).

وعن الوشاء، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: سمعته يقول: «الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، وما قسم في الناس شيء أقل من اليقين»^(٤).

وعن سفيان بن السمط، قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما، فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه، ثم التفت في الطريق وقد أزف من الرجل الرحيل. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «كأنه قد أزف منك رحيل؟» فقال: نعم. فقال عليه السلام: «فالقني في البيت». فلقيه فسأله عن الإسلام والإيمان ما

(١) وهو كل مسلم، وأمير المؤمنين في بعض معانيه يراد به هذا المعنى، إذ هو عليه السلام أمير لكل مسلم.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٨ باب في أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها ح ٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٦ ص ٢٢ ب ٣٠ ح ٤.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ١٣٦ ب ٥٢ ح ٢.

الفرق بينهما؟. فقال عليه السلام: «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس، شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان فهذا الإسلام». وقال: - الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا فإن أقربها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلما وكان ضالا»^(١).

وعن سماعة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الإسلام والإيمان أهما مختلفان؟. فقال: «إن الإيمان يشارك الإسلام والإسلام لا يشارك الإيمان». فقلت: فصفهما لي؟. فقال: «الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، به حققت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس. والإيمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام، وما ظهر من العمل به، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة، إن الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر، والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن، وإن اجتمعا في القول والصفة»^(٢).

وعن خضر بن عمرو، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «المؤمن مؤمنان: مؤمن وفى لله بشروطه التي شرطها عليه، فذلك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وذلك من يشفع ولا يشفع له، وذلك ممن لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة. ومؤمن زلت به قدم فذلك كخامة الزرع كيفما كفأته الريح انكفأ، وذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا والآخرة، ويشفع له وهو على خير»^(٣).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٤-٢٥ باب أن الإسلام يحقن به الدم وتؤدي به الأمانة وأن الثواب على الإيمان ح ٤.

(٢) بحار الأنوار: ح ٦٥ ص ٢٤٨ ب ٢٤ الأخبار ح ٨.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٤٨ باب في أن المؤمن صنفان ح ٢.

وعن الكناني، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيهما أفضل الإيمان أم الإسلام، فإن من قبلنا يقولون: إن الإسلام أفضل من الإيمان؟. فقال: «الإيمان أرفع من الإسلام». قلت: فأوجدني ذلك؟. قال: «ما تقول فيمن أحدث في المسجد الحرام متعمدا؟». قال: قلت: يضرب ضربا شديدا. قال: «أصبت، فما تقول فيمن أحدث في الكعبة متعمدا؟». قلت: يقتل. قال: «أصبت، ألا ترى أن الكعبة أفضل من المسجد وأن الكعبة تشرك المسجد والمسجد لا يشرك الكعبة، وكذلك الإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان»^(١).

وعن عبد العزيز القراطيسي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فذكرت له شيئا من أمر الشيعة ومن أقاويلهم. فقال: «يا عبد العزيز، الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم له عشر مراقي، وترتقي منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولن صاحب الواحدة لصاحب الثانية لست على شيء، ولا يقولن صاحب الثانية لصاحب الثالثة لست على شيء، حتى انتهى إلى العاشرة. قال: وكان سلمان في العاشرة، وأبوذر في التاسعة، والمقداد في الثامنة. يا عبد العزيز، لا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، إذا رأيت الذي هو دونك فقدرت أن ترفعه إلى درجتك رفعا رفيقا فافعل، ولا تحملن عليه ما لا يطيقه فتكسره؛ فإنه من كسر مؤمنا فعليه جبره، لأنك إذا ذهبت تحمل الفصيل حمل البازل فسخته»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٦٥ ص ٢٥٠ ب ٢٤ الأخبار ح ١١.

(٢) الخصال: ج ٢ ص ٤٤٨ الإيمان عشر درجات ح ٤٩.

يتوقع رجوعها ويتطلع طلوعها عليه

علم بمواقف الزهراء عليها السلام

مسألة: من الواضح أن ذهاب الصديقة الطاهرة (صلوات الله عليها) إلى المسجد وإلقاءها الخطبة كان بعلم من أمير المؤمنين عليه السلام وبتنسيق معه، وقولها: «وأمير المؤمنين يتوقع رجوعها إليه» و«يتطلع طلوعها عليه» مما يلمح إلى ذلك. بل كان موقفها عليها السلام بأمر من رسول الله ﷺ وبحكم من السماء، مضافا إلى كونها عليها السلام وكونهم عليهم السلام أوعية مشيئة الله عز وجل ولهم الولاية التشريعية على ما هو مذكور في محله.

والفرق بين (يتطلع) و(يتوقع): أن التوقع يحصل ولو بكون الإنسان في داخل الدار، أما التطلع فالمنصرف منه تكرار الخروج والنظر إلى الطريق بانتظار عودة الغائب، كأنه يلحظه ساعة بعد ساعة، وكأنه يخرج مرة ويدخل أخرى وهكذا كالذي ينتظر إنسانا آتيا.

من مصاديق الانتظار

مسائل: هل يستفاد من فعله عليه السلام (توقعه رجوعها) و(تطلعه طلوعها) استحباب انتظار الزوج رجوع زوجته؟. واستحباب انتظار رجوع المظلوم عن ظلامته؟. وكذلك استحباب انتظار عودة المعصوم عليه السلام؟. وما شابهها^(١). لا يبعد ذلك^(٢).

(١) كان انتظار الزوجة لرجوع زوجها.

(٢) وذلك بتنقيح المناط أو إلغاء الخصوصية ولأدلة الأسوة.

قال أبو عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بَأْنُ مِنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(١). قال: «أولئك كانوا قوما بين عيسى ومحمد ينتظرون مجيء محمد عليه السلام»^(٢).

وعن أبي الجارود، قال: خرج أبو جعفر عليه السلام على أصحابه يوما وهم ينتظرون خروجه. فقال لهم: «تنجزوا البشرى من الله، ما أحد يتنجز البشرى من الله غيركم»^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «كأنني أنظر إلى القائم عليه السلام على ظهر النجف، فإذا استوى على ظهر النجف ركب فرسا أدهم أبلق بين عينيه شمراخ، ثم ينتفض به فرسه فلا يبقى أهل بلدة إلا وهم يظنون أنه معهم في بلادهم، فإذا نشر راية رسول الله ﷺ انخط إليه ثلاثة عشر ألف ملك وثلاثة عشر ملكا كلهم ينتظر القائم عليه السلام، وهم الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة، والذين كانوا مع إبراهيم الخليل عليه السلام حيث ألقى في النار، وكانوا مع عيسى عليه السلام حيث رفع، وأربعة آلاف مسومين ومردفين، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكا يوم بدر، وأربعة آلاف ملك الذين هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن علي عليه السلام فلم يؤذن لهم، فصعدوا في الاستئذان وهبطوا وقد قتل الحسين عليه السلام، فهم شعث غبر يبيكون عند قبر الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة، وما بين قبر الحسين عليه السلام إلى السماء مختلف الملائكة»^(٤).

(١) سورة المائدة: ٨٢.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٣٥-٣٣٦ من سورة المائدة ح ١٦٢.

(٣) المحاسن: ج ١ ص ١٦٠ ب ٢٨ ح ١٠٢.

(٤) كمال الدين: ج ٢ ص ٦٧١-٦٧٢ ب ٥٨ ح ٢٢.

وقال عليه السلام: «الختم على طين قبر الحسين عليه السلام أن يقرأ عليه ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(١)». وروي: «إذا أخذته فقل: بسم الله اللهم بحق هذه التربة الطاهرة، وبحق البقعة الطيبة، وبحق الوصي الذي تواريه، وبحق جده وأبيه، وأمه وأخيه، والملائكة الذين يحفون به، والملائكة العكوف على قبر وليك ينتظرون نصره (صلى الله عليهم أجمعين)، اجعل لي فيه شفاء من كل داء، وأمانا من كل خوف، وغنى من كل فقر، وعزا من كل ذل، وأوسع به علي في رزقي وأصح به جسمي»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كان المؤمن يحاسب تنتظره أزواجه على عتبات الأبواب كما ينتظرن أزواجهن في الدنيا من الغيبة. قال: فيجيء الرسول فيشرهن، فيقول: قد والله انقلب فلان من الحساب. قال: فيقلن: بالله!». فيقول: قد والله لقد رأيته انقلب من الحساب. قال: فإذا جاءهن قلن: مرحبا وأهلا، ما أهلك الذين كنت عندهم في الدنيا بأحق بك منا»^(٣).

انتظار المعصوم عليه السلام

مسألة: انتظار (المعصوم عليه السلام) عبادة سواء كان انتظارا لظهوره، أم للطفه، وسواء كان في زمن الغيبة أم غيرها.

وفي رواية هجرة النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة: «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قباء فنزل بهم ينتظر قدوم علي عليه السلام. فقال له أبو بكر: انهض بنا إلى المدينة؛ فإن

(١) سورة القدر.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٣٤١ ب ٥٦ ح ١٢١٣٨.

(٣) الزهد: ص ٩١ ب ١٧ ح ٢٤٤.

القوم قد فرحوا بقدومك و هم يستريثون إقبالك إليهم ، فانطلق بنا ولا تقم هاهنا تنتظر عليا فما أظنه يقدم إليك إلى شهر!.

فقال له رسول الله ﷺ : كلا ما أسرع ، ولست أريم حتى يقدم ابن عمي وأخي في الله عز وجل وأحب أهل بيتي إلي ، فقد وقاني بنفسه من المشركين. قال : فغضب عند ذلك أبو بكر واشمأز وداخله من ذلك حسد لعلي عليه السلام ، وكان ذلك أول عداوة بدت منه لرسول الله ﷺ في علي عليه السلام ، وأول خلاف على رسول الله ﷺ ، فانطلق حتى دخل المدينة وتحلف رسول الله ﷺ بقاء حتى ينتظر عليا عليه السلام»^(١).

تهيئة المقدمات

مسألة: تهيئة المقدمات - وهي من مقومات الانتظار - عبادة أخرى.
وأما في المقام (انتظار قدوم الصديقة عليها السلام من المسجد) ، فإن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن مأمورا في هذه الفترة بأكثر من ذلك فاكتفى بالانتظار والتطلع ، وربما كان يأتي ببعض المقومات لا نعلمها.

قال رسول الله ﷺ : «أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله تعالى»^(٢).
وفي خبر الشيخ الشامي الذي قدم على أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : فأى الأعمال أحب إلى الله عز وجل ؟
قال عليه السلام : «انتظار الفرج»^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ب ١١٦ ح ٧ ج ٢.

(٢) صحيفة الرضا عليه السلام: ص ٥٤ متن الصحيفة ح ٦٢.

(٣) معاني الأخبار: ص ١٩٩ باب معنى الغايات ح ٤.

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج، أما سمعت قول العبد الصالح: ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾^(١) و ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظَرِينَ﴾^(٢)، فعليكم بالصبر؛ فإنه إنما يجيء الفرج على اليأس، وقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم»^(٣).

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي، قال: دخلت على سيدي علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام. فقلت له: يا ابن رسول الله، أخبرني بالذين فرض الله طاعتهم ومودتهم وأوجب على خلقه الاقتداء بهم بعد رسول الله ﷺ - إلى أن قال - فقلت: يا ابن رسول الله، ثم يكون ماذا؟ قال عليه السلام: «ثم تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله والأئمة بعده يا أبا خالد، إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل أهل كل زمان؛ لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله ﷺ بالسيف، أولئك المخلصون حقا وشيعتنا صدقا، والدعاة إلى دين الله سرا وجهرا - وقال عليه السلام - انتظار الفرج من أعظم الفرج»^(٤).

وعن عمرو بن شمر، عن جابر، قال: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام ونحن جماعة بعد ما قضينا نسكنا فودعنا، وقلنا له: أوصنا يا ابن رسول الله. فقال: «ليعن قويكم ضعيفكم، وليعطف غنيكم على فقيركم،

(١) سورة هود: ٩٣.

(٢) سورة الأعراف: ٧١، سورة يونس: ٢٠ و١٠٢.

(٣) قرب الإسناد: ص ١٦٨.

(٤) الاحتجاج: ج ٢ ص ٣١٨ احتجاجه عليه السلام في أشياء شتى من علوم الدين وذكر طرف من مواعظه البليغة.

ولينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه، واكتموا أسرارنا، ولا تحملوا الناس على أعناقنا، وانظروا أمرنا، وما جاءكم عنا فإن وجدتموه في القرآن موافقا فخذوا به، وإن لم تجدوا موافقا فردوه، وإن اشتبه الأمر عليكم فقفوا عنده وردوه إلينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا، فإذا كنتم كما أوصيناكم ولم تعدوا إلى غيره فمات منكم ميت قبل أن يخرج قائمنا كان شهيدا، ومن أدرك قائمنا فقتل معه كان له أجر شهيدين، ومن قتل بين يديه عدوا لنا كان له أجر عشرين شهيدا»^(١).

مطلق الانتظار

مسألة: انتظار الخير عبادة في الجملة، وهو بين واجب ومستحب.

نعم، مطلق الانتظار على أقسام، فمنه - مضافا إلى ما سبق من الوجوب والاستحباب - ما هو محرم ومكروه ومباح بحسب اختلاف الموارد، على ما ورد في الفقه. قال تعالى: ﴿وَأِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ انتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾^(٥).

(١) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ١٢٢-١٢٣ ب ٢٢ ح ٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٠.

(٣) سورة الأنعام: ١٥٨.

(٤) سورة يونس: ١٠٢.

(٥) سورة الأحزاب: ٢٣.

وعن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر، عن محمد بن عبد الله، قال: قلت للرضا عليه السلام: إن أبي حدثني، عن آبائك عليهم السلام، أنه قيل لبعضهم: إن في بلادنا موضع رباط يقال له: قزوين، وعدوا يقال له: الديلم، فهل من جهاد أو هل من رباط؟ فقال: عليكم بهذا البيت فحجوه، ثم قال فأعاد عليه الحديث ثلاث مرات كل ذلك يقول: عليكم بهذا البيت فحجوه - إلى أن قال - فقال أبو الحسن عليه السلام: «صدق هو على ما ذكر»^(١).

وعن منصور بن حازم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل مجوسي أو مشرك من غير أهل الكتاب كانت تحته امرأة فأسلم أو أسلمت؟ قال: «ينتظر بذلك انقضاء عدتها، وإن هو أسلم أو أسلمت قبل أن تنقضي عدتها فهما على نكاحهما الأول، وإن هو لم يسلم حتى تنقضي العدة فقد بانت منه»^(٢).

وعن أبي عبد الله أو أبي الحسن عليهما السلام، قال: قلت له: رجل طلق امرأته، فلما مضت ثلاثة أشهر ادعت حبلاً؟ قال: «ينتظر بها تسعة أشهر»^(٣).
وعن يونس، عن الرضا عليه السلام، في السمك الجلال أنه سأله عنه؟ فقال: «ينتظر به يوم وليلة»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «أكرموا الخبز». قيل: يا رسول الله، وما إكرامه؟ قال: «إذا وضع لم ينتظر به غيره»^(٥).

وعن علي بن يقطين، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن رجل أوصى إلى

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ١٢٢-١٢٣ ب ٤٤ ح ١٤٤١١.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٤٣٥-٤٣٦ باب نكاح أهل الذمة والمشركون يسلم بعضهم ولا يسلم بعض ... ح ٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٢ ص ٢٢٤ ب ٢٥ ح ٢٨٤٤٥.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ١٣ ب ١ ح ٤٨.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٢٤ ص ٣٩١ ب ٨٣ ح ٣٠٨٦٠.

امرأة فأشرك في الوصية معها صبيًا؟. فقال: «يجوز ذلك، وتمضي المرأة الوصية ولا ينتظر بلوغ الصبي»^(١).

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما ترى في رجل ضرب امرأة شابة على بطنها فعقر رحمها وأفسد طمثها، وذكرت أنه قد ارتفع طمثها عنها لذلك، وقد كان طمثها مستقيما؟. قال: «ينتظر بها سنة، فإن صلح رحمها وعاد طمثها إلى ما كان وإلا استحلفت، وأغرم ضاربها ثلث ديته لفساد رحمها، وارتفاع طمثها»^(٢).

وكان رسول الله ﷺ يقول: «من حبس نفسه على صلاة فريضة ينتظر وقتها فصلاها في أول وقتها، فأتم ركوعها وسجودها وخشوعها، ثم مجد الله عز وجل وعظمه وحمده، حتى يدخل وقت صلاة أخرى لم يبلغ بينهما، كتب الله له كأجر الحاج المعتمر، س وكان من أهل عليين»^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «خمسة ينتظر بهم إلا أن يتغيروا: الغريق، والمصعوق، والمبطون، والمهدوم، والمدخن»^(٤).

وعن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال: سألته عن الرجل ينام عن الغداة حتى تبرز الشمس، أيصلي حين يستيقظ أو ينتظر حتى تنبسط الشمس؟.

فقال: «يصلي حين يستيقظ». قلت: يوتر أو يصلي ركعتين؟.

(١) الكافي: ج ٧ ص ٤٦ باب من أوصى إلى مدرك وأشرك معه الصغير ح ١.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٥١ باب ما يجب على من ركل امرأة في فرجها فزعمت أنها لا تحيض ح ٥٣٣٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٤ ص ١١٦ ب ٢ ح ٤٦٦٣.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٣٣٧ ب ١٣ ح ١٥٦.

قال: «بل يبدأ بالفريضة»^(١).

وعن حفص بن البختري، قال: «من خرج من مكة أو المدينة أو مسجد الكوفة أو حائر الحسين (صلوات الله عليه) قبل أن ينتظر الجمعة، نادته الملائكة: أين تذهب لا ردك الله»^(٢).

وفي الغيبة للنعماني: (باب ما روي فيما أمر به الشيعة من الصبر والكف والانتظار للفرج وترك الاستعجال بأمر الله وتدييره)^(٣).

وعن عبد الرحمن بن كثير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام يوماً وعنده مهزم الأسدي. فقال: جعلني الله فداك، متى هذا الأمر الذي تنتظرونه فقد طال علينا؟.

فقال عليه السلام: «يا مهزم، كذب المتمنون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلمون، وإلينا يصيرون»^(٤).

هذه بعض مصاديق الانتظار المختلفة في الحكم بين واجب ومستحب ومكروه ومحرم ومباح.

(١) الاستبصار: ج ١ ص ٢٨٦ ب ١٥٦ ح ٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ١٣٢ ب ٣ ح ١٩.

(٣) الغيبة، للنعماني: ص ١٩٤ ب ١١.

(٤) الغيبة، للنعماني: ص ١٩٧-١٩٨ ب ١١ ح ٨.

فلما استقرت بها الدار، قالت لأمر المؤمنين عليهم السلام :

التكلم بعد الاستقرار

مسألة: هل يستفاد من هذا استحباب أن يتكلم الإنسان بعد الاستقرار، لا في حالة الحركة والاضطراب؟
لا يبعد ذلك.

وقد يقال: بالعدم^(١)؛ لأن فعلها عليها السلام أعم من كونه لذلك أو لجهة أخرى^(٢).

وهناك روايات عديدة في آداب الكلام نشير إلى بعضها:

عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «إن لسان ابن آدم يشرف كل يوم على جوارحه كل صباح فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا. ويقولون: الله الله فينا. ويناشدونه ويقولون: إنما نثاب ونعاقب بك»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لا يزال العبد المؤمن يكتب محسنا ما دام ساكتا، فإذا تكلم كتب محسنا أو مسيئا»^(٤).

وعن القاسم بن سليمان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «سمعت أبي يقول: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(٥).

(١) أي: عدم الدلالة لا عدم الاستحباب؛ فإنه مسكوت عنه.

(٢) كالتعب والإرهاق وغير ذلك.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٨٩ ب ١١٩ ح ١٦٠٤٦.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١١٦ باب الصمت وحفظ اللسان ح ٢١.

(٥) الزهد: ص ١٠ باب الصمت إلا بخير وترك الرجل ما لا يعنيه والنميمة ح ١٩.

وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «الكلام ثلاثة: فراح وسالم وشاجب، فأما الراح الذي يذكر الله، وأما السالم فالساكت، وأما الشاجب فالذي يخوض في الباطل»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إياكم وجدال المفتون! فإن كل مفتون ملقى حجته إلى انقضاء مدته، فإذا انقضت مدته أحرقتة فتنته بالنار»^(٢).

وجاء في وصية النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «يا أبا ذر، إن الله عز وجل عند لسان كل قائل، فليتق الله امرؤ وليعلم ما يقول. يا أبا ذر، اترك فضول الكلام وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك. يا أبا ذر، كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما يسمع. يا أبا ذر، ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان»^(٣).

وعن سليمان بن جعفر الجعفري، قال: سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول: حدثني أبي عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام عن سيد الشهداء حسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «مر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام برجل يتكلم بفضول الكلام، فوقف عليه ثم قال: يا هذا، إنك تملي على حافظيك كتابا إلى ربك، فتكلم بما يعينك ودع ما لا يعينك»^(٤).

وسئل علي بن الحسين عليه السلام عن الكلام والسكوت أيهما أفضل؟

فقال عليه السلام: «لكل واحد منهما آفات، فإذا سلما من الآفات فالكلام

(١) مستدرك الوسائل: ج ٥ ص ٢٩٣ ب ٥ ح ٥٨٩٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٩٨-١٩٩ ب ١٢٠ ح ١٦٠٧٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٨٧ ب ٤ ح ٣.

(٤) الأمالي للصدوق: ص ٣٢-٣٣ المجلس التاسع ح ٤.

أفضل من السكوت». قيل: وكيف ذاك يا ابن رسول الله؟ قال: «لأن الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت إنما يبعثهم بالكلام، ولا استحققت الجنة بالسكوت، ولا استوجب ولاية الله بالسكوت، ولا توقيت النار بالسكوت، ولا تجنب سخط الله بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام، وما كنت لأعدل القمر بالشمس، إنك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كان المسيح عليه السلام يقول: لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله؛ فإن الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام - في رسالته إلى أصحابه - قال: «فاتقوا الله وكفوا ألسنتكم إلا من خير - إلى أن قال: - وعليكم بالصمت إلا فيما ينفعكم الله به من أمر آخرتكم ويأجركم عليه، وأكثروا من التهليل والتقديس، والتسبيح والثناء على الله، والتضرع إليه والرغبة فيما عنده من الخير الذي لا يقدر قدره، ولا يبلغ كنهه أحد، فاشغلوا ألسنتكم بذلك عما نهى الله عنه من أقاويل الباطل التي تعقب أهلها خلودا في النار من مات عليها ولم يتب إلى الله ولم ينزع عنها»^(٣).

(١) الاحتجاج: ج ٢ ص ٣١٥ احتجاجه عليه السلام في أشياء شتى من علوم الدين وذكر طرف من مواعظه البليغة.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١١٤ باب الصمت وحفظ اللسان ح ١١.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٩٦-١٩٧ ب ١٢٠ ح ١٦٠٧٣.

استقرار الدار

مسألة: لا يبعد أن يراد بـ (فلما استقرت بها الدار) المعنى الحقيقي^(١)، حيث إن الجمادات - على عكس ما نتصوره - تشعر وتتفاعل، كما صرح القرآن الكريم بذلك والأحاديث الكثيرة:

قال تعالى: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾^(٥).

وما ورد من شهادة أعضاء الإنسان عليه^(٦) وشهادة مصلاه له^(٧) إلى غير ذلك.

وعلى هذا فلا يستغرب من إرادة المعنى الحقيقي، وهو أن الدار قد استقرت برجوع الصديقة عليها السلام إليها حقيقة بعد أن اضطربت لمغادرتها.

(١) في قبال المعنى المجازي، أي: استقرت هي عليها السلام في الدار.

(٢) سورة فصلت: ١١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٤) سورة الإسراء: ٤٤.

(٥) سورة سبأ: ١٠.

(٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة النور: ٢٤.

(٧) راجع من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٩٩ باب الموت في الغربة ح ٢٥١٠.

وأما المعنى المجازي فهو مبني على القلب^(١) أي: سكنت، كأنها عليها السلام اضطربت بخروجها وخطبتها.

فلسفة الحوار

مسألة: ليس هذا الخطاب عتابا بالمعنى الحقيقي، فإن الحوار بين أمير المؤمنين علي عليه السلام والصديقة الزهراء عليها السلام بهذا الأسلوب كان بيانا للواقع وأهميته وشدة الظلامة التي جرت عليها، ولم يكن على وجه العتاب المعهود بلا شك ولا إشكال، فقد يبين الإنسان الواقع بشكل مجرد عادي، وقد يبينه في تمثيل وتشبيه وبلاغة وأدب تصويري وفي شكل حوار، مضافا إلى أنه كان من اللازم أن يعرف الناس سبب صبر الإمام عليه السلام حيث كان ذلك بأمر خاص من الله ورسوله ﷺ حفظا للإسلام والمسلمين في تلك الظروف الحرجة.

ولعل ما ورد من حديث الملائكة مع الله سبحانه وتعالى^(٢) كان من هذا القبيل. وكذلك قصة النبي ﷺ في ليلة المعراج حيث راجع الله تعالى مرارا للتخفيف من الصلوات وركعاتها^(٣).

وإلا فالنبي ﷺ ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٤)،

(١) أي: إنها عليها السلام استقرت في الدار، ولكن اللفظ مقلوب فعبر باستقرار الدار بها.

(٢) ربما يكون إشارة إلى قول الملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة: ٣٠.

(٣) راجع تفسير القمي: ج ٢ ص ١٢ معراج رسول الله ﷺ.

(٤) سورة النجم: ٣-٤.

والملائكة ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾^(١). بل من المحتمل قريبا أن تكون قصة النبي موسى عليه السلام والخضر عليه السلام من هذا القبيل^(٢)..

إذ كيف يمكن حسب المتعارف، أن نبيا من أولي العزم - بعد أن وطن نفسه على التعلم من غيره، وكان ذلك الغير شخصا عينه الله لتعليمه وكان أيضا نبيا من أنبياء الله سبحانه، وبعد أن وعده أن لا يسأله إلا بعد تمام الأمر - يكرر السؤال والاعتراض؟! إذا لم يكن كل ذلك على سبيل التعليم بهذه الصورة الحوارية.

ومن الاستطراد في الاطراد أن نقول: إن بكاء النبي يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام - وهو نبي والنبي أعظم شأنًا وأرفع مكانة وأسمى روحا من كافة البشرية - مدة أربعين سنة، وهو يعلم أن ولده حي، وأن رؤيا يوسف عليه السلام سوف تتحقق بعد تلك المدة.. لا بد أن يكون لهذا البكاء الطويل معنى حكيم غير ظاهره، بما في ذلك أنه قد يقال إن الله سبحانه أراد أن يجعل للعاطفة والحنان (ينبوعا) تستقي منه البشرية على مر التاريخ، وإلا لربما كان لقائل أن يقول: إن مثل ذلك لا يفعله حتى الإنسان العادي فكيف بنبي من أنبياء الله. فإن المعنويات كالماديات لها منابع يستقي منها، فكما أن البحر مستقى الماء، والشمس مصدر الطاقة، والهواء محطة للأمواج ومنبع التنفس للإنسان والحيوان والنبات، كذلك الأمر في المعنويات فالعلم والحلم والشجاعة والسماحة والعاطفة وغيرها من المعنويات يلزم أن يكون لها معادن وينابيع يستقي الناس منها تلك الصفات،

(١) سورة الأنبياء: ٢٦-٢٧.

(٢) راجع سورة الكهف: ٦٥-٨٢.

وينبغي أن يكون لها انموذج وقمم ليتخذها الإنسان أسوة ؛ لأن الإنسان - بطبعه - ينظر إلى من هو فوقه ويستقي منه الفضيلة ، فأراد الله سبحانه أن يكون النبي يعقوب عليه السلام ذلك المستقى العاطفي للناس ، والله سبحانه العال ..

وربما يكون ذلك أيضا من علل تجلي بعض الصفات في إمام وتجلي صفات أخرى في إمام آخر ، والله العالم .

والحاصل : إن هذا الحوار والخطاب الموجه من الصديقة عليها السلام للإمام عليه السلام لم يكن للعتاب المعهود قطعاً ، بل لجهة أو جهات ذكرت إجمالاً وسيأتي نوع من التفصيل والتوضيح بعد قليل إن شاء الله .

لماذا صبر الإمام عليه السلام ؟

مسألة: كان صبر الإمام علي عليه السلام على ما لاقته الصديقة الطاهرة عليها السلام من الظلم ، وصبره على غضب الخلافة .. من أكبر أنواع الجهاد في سبيل الله عزوجل ، حيث إنه أخذ بتطبيق وتنفيذ ما وصاه رسول الله ﷺ في اللحظات الأخيرة من حياته الشريفة بالصبر على كل ذلك ، فقد نزل جبرئيل بأمر الله عزوجل وأخذ العهد على ذلك .

فبالإسناد إلى أبي الحسن عليه السلام ، قلت : ألا تذكر ما في الوصية ؟ . قال : «ذلك سر الله ورسوله» . قلت : أكان فيها خلاف القوم على علي ؟ . قال : نعم حرفاً حرفاً ، والله والله لقد قال رسول الله ﷺ لعلي وفاطمة : فهتما ما شرط ربكما وكتب لكما . قالوا : قبلنا وصبرنا على ما ساءنا»^(١) .

(١) الصراط المستقيم : ج ٢ ص ٩٢ ب ٩ ف ١٧ ح ١١ .

وقال رسول الله ﷺ: «يا علي، ما أنت صانع إذا قام القوم عليك وتقدموك وبعثوا طاغيتهم إليك يدعوك إلى البيعة، ثم لبيت بثوبك تنقاد كما يقاد الشارد من الإبل مخذولا مذموما محزوناً مهموما؟». فقال علي عليه السلام: «أنقاد لهم وأصبر على ما أصابني من غير بيعة لهم»^(١).

وفي موضع آخر قال جبرائيل لمحمد ﷺ: «قل لعلي عليه السلام: إن ربك يأمرك أن تغسل ابن عمك؛ فإنها السنة لا يغسل الأنبياء غير الأوصياء، وهي حجة الله لمحمد على أمته فيما أجمعوا عليه من قطيعة ما أمرهم به». ثم دفع جبرائيل الصحيفة التي كتبها القوم إلى رسول الله ﷺ فدفعها النبي ﷺ إلى علي عليه السلام وقال: «أمسكها فإن فيها الشروط على قطيعتك وذهاب حقك، وما قد أزمعوا عليه من ظلمك تكون عندك توافيني غدا بها وتحاجهم بها»^(٢).

وفي الحديث: لما ثقل النبي ﷺ وخيف عليه الموت دعا بعلي وفاطمة والحسين، وأخرج من في البيت واستدنى علياً عليه السلام وأخذ بيد فاطمة عليها السلام بعد بكاء الجميع ووضعها في يد علي. وقال: «هذه وديعة الله ووديعه رسوله عندك فاحفظني فيها فإنك الفاعل، هذه والله سيدة نساء العالمين، هذه مريم الكبرى، والله ما بلغت نفسي هذا الموضع حتى سألت الله لها ولكم فأعطاني. يا علي، أنفذ ما أمرتك به فاطمة فقد أمرتها بأشياء أمرني بها جبرائيل وهي الصادقة الصدوقة، واعلم أنني راض عمن رضيت عنه ابنتي فاطمة، وكذلك ربي والملائكة، وويل لمن ظلمها وابتزها حقها، اللهم إني منهم بريء». ثم سماهم

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٩٣ ب ١ ح ٣٨.

(٢) الصراط المستقيم: ج ٢ ص ٩٤-٩٥ ب ٩ ف ١٧ ح ١٤.

ثم ضم الأربعة إليه ، وقال : «اللهم إني لهم ولمن شايعهم سلم وزعيم يدخلون الجنة ، وحرب لمن عاداهم ولمن شايعهم زعيم أن يدخلوا النار. يا فاطمة ، لأرضى حتى ترضى ، ثم والله والله لا أرضى حتى ترضى ، ثم والله والله لا أرضى حتى ترضى»^(١). وقال علي عليه السلام : «كنت مسندا للنبي صلى الله عليه وآله إلى صدري. فقال لي : تحول أمامي. فتحولت وأسنده جبرائيل ، فقال لي : ضم كفيك بعضها إلى بعض. ففعلت ، فقال : قد عهدت إليك وأخذت العهد من أمين ربي جبرائيل وميكائيل ، فبحقهما عليك إلا أنفذت وصيتي ، وعليك بالصبر والورع ومنهاجي لا طريق فلان وفلان ، وخذ ما آتاك الله بقوة. وأدخل يديه مضمومتين فيما بين كفي فكأنه أفرغ بينهما شيئا. وقال : قد أفرغت بين يديك الحكمة فلا يعزب عنك من أمري شيء ، فإذا حضرتك الوفاة أوص إلى وصيك من بعدك على ما أوصيتك ، واصنع هكذا لا كتاب ولا صحيفة»^(٢).

وعن كتاب (خصائص الأئمة) للسيد الرضي الموسوي رحمته الله : ثم قال له : «يا أخي ، إن القوم سيشغلهم عني ما يريدون من عرض الدنيا وهم عليه قادرون فلا يشغلك عني ما شغلهم ، فإنما مثلك في الأمة مثل الكعبة نصبها الله علما ، وإنما تؤتى من كل فج عميق وناد سحيق ، وإنما أنت العلم علم الهدى ، ونور الدين وهو نور الله. يا أخي ، والذي بعثني بالحق لقد قدمت إليهم بالوعيد ، ولقد أخبرت رجلا رجلا بما افترض الله عليهم من حقك ، وألزمهم من طاعتك ، فكل أجاب إليك وسلم الأمر إليك ، وإني لأعرف خلاف قولهم ، فإذا قبضت

(١) الصراط المستقيم : ج ٢ ص ٩٢-٩٣ ب ٩ ف ١٧ ح ١٢.

(٢) الصراط المستقيم : ج ٢ ص ٩٢ ب ٩ ف ١٧ ح ١١.

وفرغت من جميع ما وصيتك به وغيتني في قبري ، فالزم بيتك واجمع القرآن على تأليفه^(١) ، والفرائض والأحكام على تنزيله ، ثم امض ذلك على عزائه وعلى ما أمرتك به ، وعليك بالصبر على ما ينزل بك منهم حتى تقدم علي^(٢) .

وقال علي أمير المؤمنين عليه السلام : «دعاني النبي ﷺ عند موته ، وأخرج من في البيت غيري وفيه : جبرائيل والملائكة أسمع الحس ولا أرى شيئا ، فدفع إلي وصية مختومة . وقال لي : أتاني بها جبرائيل الساعة ، ففضها وقرأها . ففعلت فإذا فيها كل ما كان النبي ﷺ يوصيه لا تغادر حرفا ، وكان في أول الوصية : هذا ما عهد محمد بن عبد الله وأوصى به وأسنده إلى وصيه علي بن أبي طالب ، وشهد جبرائيل وميكائيل وإسرافيل على ما أوصى وقبضه وصيه ، وضمانه على ما ضمن يوشع لموسى ووصي عيسى والأوصياء من قبلهم ، على أن محمدا أفضل النبيين ، وعليها أفضل الوصيين ، وقبض على الوصية على ما أوصت الأنبياء وسلمه إليه ، وهذا أمر الله وطاعته على أن لا نبوة لعلي ولا لغيره بعد محمد وكفى بالله شهيدا . ثم كان فيما شرط عليه النبي ﷺ بأمر جبرائيل بأمر الرب الجليل موالاته أولياء الله ورسوله ، والبراءة والعداوة لمن عادى الله ورسوله ، والصبر وكظم الغيظ على انتهاك الحرمة والقتل ، فقبل ذلك . فدعا النبي ﷺ بفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأعلمهم بذلك فقبلوا كذلك ، وختمت الوصية بخواتيم من ذهب لم تمسه النار ودفعت إلى علي عليه السلام »^(٣) .

(١) أي : جمع تفسير القرآن وتأويله وعلومه ، وإلا فإن القرآن جمع بهذا الشكل في حياة رسول الله ﷺ وبأمر مباشر منه .

(٢) خصائص الأئمة عليهم السلام : ص ٧٢ قطعة من الأخبار المروية في إيجاب ولاء أمير المؤمنين عليه السلام .

(٣) الصراط المستقيم : ج ٢ ص ٩١ ب ٩ ف ١٧ ح ٩ .

يا بن أبي طالب

احترام الزوجة

مسألتان: يستفاد استحباب احترام الزوجة لزوجها، ورجحان التكنية له من خطابها عليها السلام لأمر المؤمنين عليهم السلام بـ (يا ابن أبي طالب)، فتأمل^(١).
وكذلك بالنسبة إلى كل إنسان محترم، فإن الكنية فيها من الاحترام ما ليس في الاسم الصريح.

أبو طالب عليه السلام والمواقف المشرفة

لعل عناية الصديقة عليها السلام بانتخاب هذه الكنية (يا ابن أبي طالب) للتلميح بأن أبا طالب عليه السلام هو ذلك الشخص العظيم الشجاع الذي أوقف نفسه للدفاع عن الرسول ﷺ .. فمن الحري بابنه أن يقوم بنفس الدور أيضا في هذا اليوم، فيحامي عن بنت الرسول ﷺ.

قال أبو طالب عليه السلام وهو يخاطب النبي ﷺ :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة	وأبشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي	ولقد دعوت وكنت ثم أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد	من خير أديان البرية دينا

(١) ربما يكون وجهه أن تكنيتها عليها السلام قد يكون لجهة أخرى كالتي سيذكرها المصنف رحمته بعد أسطر، وربما كان لجهات عديدة منها الاحترام وما سيأتي.

وكان رسول الله ﷺ يقول: «لما مات أبو طالب نالت قريش مني من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب»^(١).

وقال النبي ﷺ أيضا: «ما نالت قريش مني شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب»^(٢).

ولما رأى رسول الله ﷺ قريشا تهجموا على أذيته، قال ﷺ: «يا عم، ما أسرع ما وجدت بعدك»^(٣).

إلى غير ذلك مما يدل على قمة إيمان أبي طالب ﷺ وشدة حمايته عن رسول الله ﷺ.. على ما ذكرناه في بعض كتبنا^(٤).

(١) أسنى المطالب في نجاة أبي طالب: ص ٢٠.

(٢) أسنى المطالب في نجاة أبي طالب: ص ٢٠.

(٣) أسنى المطالب في نجاة أبي طالب: ص ٢٠.

(٤) راجع كتاب (من المساجد والمزارات في الحرمين الشريفين) للإمام الشيرازي الراحل رحمه الله.

اشتملت شملة الجنين

خذلان القوم للإمام عليه السلام

مسألة: يستحب بيان أن القوم خذلوا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حتى بلغ من المظلومية أنه اشتمل شملة الجنين، وقعد حجرة الظنين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى، وشربت على الشجا، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمر من طعم العلقم»^(١).

وقال عليه السلام: «اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم؛ فإنهم قد قطعوا رحمي، وأكفئوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به من غيري، وقالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه فاصبر مغموما أو متأسفا، فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا مساعد إلا أهل بيتي فضننت بهم عن المنية، فأغضيت على القذى، وجرعت ريقى على الشجا، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم، وآلم للقلب من وخز الشفار»^(٢).

ولما تظلم عليه السلام قال له الأشعث بن قيس: لم لم تقاتل؟

فأجاب عليه السلام: «بأن لي أسوة بسنة الأنبياء».

وأجاب عليه السلام الأشعث مرة أخرى: «بأنه عهد النبي صلى الله عليه وآله إلي أن لا أجاهد إلا إذا وجدت أعوانا فلو وجدت أعوانا لجاهدت، وقد طفت على المهاجرين

(١) نهج البلاغة، الخطب: ٢٦. ومن خطبة له عليه السلام وفيها يصف العرب قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البيعة له.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ٢١٧. ومن كلام له عليه السلام في التظلم والتشكي من قريش.

والأنصار فلم أجد سوى أربعة، ولو وجدت أربعين يوم بويح لأخي تيم لجاهدتهم»^(١).

ومن كتاب معاوية المشهور إلى علي عليه السلام: (وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلا على حمار ويداك في يدي ابنك الحسن والحسين يوم بويح أبو بكر، فلم تدع أحدا من أهل بدر والسوابق إلا دعوتهم إلى نفسك، ومشيت إليهم بامرأتك، وأدليت إليهم بابنيك، واستنصرتهم على صاحب رسول الله فلم يجبك منهم إلا أربعة أو خمسة ... ومهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لما حركك وهيجك: لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم)^(٢).

ويقول ابن أبي الحديد: (فأما قوله: لم يكن لي معين إلا أهل بيتي فضنت بهم عن الموت، فقول ما زال علي عليه السلام يقوله، ولقد قاله عقيب وفاة رسول الله ﷺ قال: لو وجدت أربعين ذوي عزم)^(٣).

وعن عبد الله بن عبد الرحمن، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام: «أن عليا عليه السلام حمل فاطمة (صلوات الله عليها) على حمار، وسار بها ليلا إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة عليها السلام الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدناه به!. فقال علي عليه السلام: أكنت أترك رسول الله ﷺ ميتا في بيته لأجهزه، وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه.. وقالت فاطمة عليها السلام: ما صنع

(١) الصراط المستقيم: ج ٣ ص ١٢ النوع الثاني في عمر.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٢ ص ٤٧ حديث السقيفة.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج ٢ ص ٢٢ حديث السقيفة.

أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ، وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه»^(١).
وعن سدير ، قال : كنا عند أبي جعفر عليه السلام فذكرنا ما أحدث الناس بعد
نبهم عليه السلام واستذلّاهم أمير المؤمنين عليه السلام. فقال رجل من القوم : أصلحك
الله ، فأين كان عز بني هاشم وما كانوا فيه من العدد؟! فقال أبو جعفر عليه السلام :
«ومن كان بقي من بني هاشم إنما كان جعفر وحمزة فمضيا ، وبقي معه رجلان
ضعيفان ذليلان»^(٢) حديثا عهد بالإسلام عباس وعقيل وكانا من الطلقاء ، أما
والله لو أن حمزة وجعفر كانا بحضرتهما ما وصلا إلى ما وصلا إليه ، ولو كانا
شاهديهما لأتلفا نفسيهما»^(٣).

وعن عمرو بن ثابت ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «إن النبي
عليه السلام لما قبض ارتد الناس على أعقابهم كفارا إلا ثلاثا : سلمان ، والمقداد ،
وأبوذر الغفاري. إنه لما قبض رسول الله عليه السلام جاء أربعون رجلا إلى علي بن أبي
طالب عليه السلام ، فقالوا : لا والله لا نعطي أحدا طاعة بعدك أبدا. قال : ولم؟
قالوا : إنا سمعنا من رسول الله عليه السلام فيك يوم غدیر خم. قال : وتفعلون؟
قالوا : نعم. قال : فأتوني غدا محلقين. قال : فما أتاه إلا هؤلاء الثلاثة. قال :
وجاءه عمار بن ياسر بعد الظهر فضرب يده على صدره ، ثم قال له : ما لك أن
تستيقظ من نومه الغفلة ، ارجعوا فلا حاجة لي فيكم ، أنتم لم تطيعوني في حلق
الرأس فكيف تطيعوني في قتال جبال الحديد ، ارجعوا فلا حاجة لي فيكم»^(٤).

(١) بحار الأنوار : ج ٢٨ ص ٣٥٢ ب ٤ تبين.

(٢) أي استذلّاهما القوم.

(٣) الكافي : ج ٨ ص ١٨٩-١٩٠ حديث قوم صالح عليه السلام ح ٢١٦.

(٤) الاختصاص : ص ٦ المقدمة.

وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله عز وجل: ﴿ظَهَرَ
الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^(١). قال: «ذاك والله حين قالت
الأنصار: منا أمير ومنكم أمير»^(٢).

وعن عبد الرحيم القصير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن الناس
يفزعون إذا قلنا: إن الناس ارتدوا؟ فقال: «يا عبد الرحيم، إن الناس عادوا
بعد ما قبض رسول الله ﷺ أهل جاهلية، إن الأنصار اعتزلت فلم تعتزل بخير
جعلوا يبايعون سعدا وهم يرتجزون ارتجاز الجاهلية:

يا سعد أنت المرجى

وشـعرك المـرجـل

وفحلـك المـرجـم»^(٣)

تأملات في «اشتملت...»

مسألة: صبر الإمام عليه السلام على تلك الظلمات لم يكن عن رغبة منه،
وإليه يلمح قولها عليها السلام: «اشتملت شملة الجنين»، بل كان الصبر لإرادة قاهرة
وأمر جازم، إذ لم يكن له عليه السلام خيار آخر، بل كان ذلك خياره الوحيد؛ فإن
الجنين: لا مناص له من المشيمة ولا خيار آخر له.

والإمام عليه السلام لم يكن راغبا في السكون والقعود إلا أن الأمر الإلهي

(١) سورة الروم: ٤١.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ٥٨ رسالة منه عليه السلام إليه أيضا ح ١٩.

(٣) الكافي: ج ٨ ص ٢٩٦ حديث نوح عليه السلام يوم القيامة ح ٤٥٥.

ووصية الرسول ﷺ وملاحظة المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، هي التي اضطرته لذلك وقيدته وجعلته جليس بيته، وذلك أسمى درجات الإطاعة والانقياد والشجاعة.

قال الشاعر:

قيدته وصية من أخيه رب قيد يقيد الضرغاما

علما بأن ذلك السكون كان هو الذي يحمل في داخله وطياته بذور النمو والتقدم، وحفظ مدرسة الإسلام والقرآن، ونشر تعاليم الرسول ﷺ وأهل البيت عليهم السلام.. وينبئ عن أن المرحلة مرحلة الوقاية وحفظ الذات، ومرحلة البناء لقطف الثمار في المستقبل.. لا الثورة؛ فإن المشيمة للجنين وقاية وحفظ، وهي له أيضا العامل الرئيسي للنمو والرشد، وكلامها عليها السلام هذا يحمل إدانة للقوم بالتلويح الذي هو أقرب للتصريح، وهو من أرقى أنواع البلاغة.

لماذا اشتمال شملة الجنين؟

مسألة: (الثورة) قد تكون واجبة، وقد يكون السكون و(العودة) هو الواجب، وذلك على حسب الشروط والظروف المتعاكسة.. فالثائر ولما تكتمل الشروط عاص، والقاعد وقد اكتملت آثم، ولقد كانت الظروف والشروط بعد استشهاد الرسول ﷺ تفرض (العودة) بل أجلى مصاديقه، ويستفاد ذلك من قولها عليها السلام: (اشتملت...)، فالمراد به تقرير الحالة وإدانة القوم^(١) لا الاعتراض عليه عليه السلام.

(١) بالدلالة الالتزامية.

قولها عليها السلام: «اشتملت...» يقال: اشتمل الثوب إذا أداره على جسده، والشملة: بالكسر هيئة الاشتمال، وبالفتح ما يشتمل به، وفسر بمطلق الكساء وربما بكساء خاص^(١)، والمقصود هنا مشيمة الجنين وهي محل استقرار الجنين في الرحم، وهذا تشبيه لجلوسه (عليه الصلاة والسلام) بالجنين الذي في الرحم حيث إنه محاصر من جميع الجهات، ومحدود لا يتمكن من القبض والبسط والحركة وما أشبه ذلك.

فالجنين مشتمل بغطاء مادي، وهو عليه السلام مشتمل شملة معنوية قيده، كما هو حال الجنين المقيد.

وفي مكارم الأخلاق: «وكان رسول الله ﷺ يلبس الشملة ويأتز بها»^(٢). وقال ابن عباس: (اسمه في التوراة أحمد الضحوك القتال، يركب البعير، ويلبس الشملة، ويجتزي بالكسرة، سيفه على عاتقه، ومن أسمائه ﷺ الماحي)^(٣).

وروي: «أنه لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم»^(٤)، بكى النبي ﷺ بكاء شديدا وبكت صحابته لبكائه، ولم يدروا ما نزل به جبرئيل عليه السلام، ولم يستطع أحد من صحابته أن يكلمه، وكان النبي ﷺ إذا رأى فاطمة عليها السلام فرح

(١) وهي دون القطيفة، وقيل: إنها كساء فيها خطوط سود وبيض، وقيل: بردة من صوف تلبسها الأعراب.

(٢) مكارم الأخلاق: ص ٣٥ ب ١ ف ٥ في لباسه ﷺ.

(٣) كشف الغمة: ج ١ ص ٧ ذكر أسمائه.

(٤) سورة الحجر: ٤٣ - ٤٤.

بها. فانطلق بعض أصحابه إلى باب بيتها، فوجد بين يديها شعيرا وهي تطحن فيه، وتقول: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(١)، فسلم عليها وأخبرها بخبر النبي ﷺ وبكائه. فنهضت والتفت بشملة لها خلقة قد خيطت في اثني عشر مكانا بسعف النخل، فلما خرجت نظر سلمان الفارسي رضي الله عنه إلى الشملة وبكى، وقال: واحزناء، إن بنات قيصر وكسرى لفي السندس والحرير وابنة محمد ﷺ عليها شملة صوف خلقة قد خيطت في اثني عشر مكانا. فلما دخلت فاطمة عليها السلام على النبي ﷺ، قالت: يا رسول الله، إن سلمان تعجب من لباسي، فوالذي بعثك بالحق ما لي ولعلي عليه السلام منذ خمس سنين إلا مسك كبش نعلف عليها بالنهار بعيرنا فإذا كان الليل افترشناه، وإن مرفقتنا لمن آدم حشوها ليف. فقال النبي ﷺ: يا سلمان إن ابنتي لفي الخيل السوابق.

ثم قالت: يا أبت فديتك، ما الذي أبكاك؟!

فذكر ﷺ لها ما نزل به جبرئيل من الآيتين المتقدمتين.

قال: فسقطت فاطمة عليها السلام على وجهها وهي تقول: الويل ثم الويل لمن دخل النار^(٢).

وعن زاذان خادم سلمان، قال: لما جاء أمير المؤمنين عليه السلام ليغسل سلمان وجده قد مات، فرفع الشملة عن وجهه، فتبسم وهم أن يقعد! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «عد إلى موتك»، فعاد^(٣).

(١) سورة القصص: ٦٠، سورة الشورى: ٣٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٨٧-٨٨ ب ٤ ح ٩.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٣٨٤ ب ١١ ح ٢١.

المقاومة السلبية

مسألة: ينبغي للمظلوم - في بعض الأحيان - الاعتكاف في الدار والجلوس في البيت إذا كان ذلك يشكل إدانة للحكومة الجائرة ويعد احتجاجاً واستنكاراً لقراراتها الظالمة، وإذا كان فيه فضحها وتعريتها، أو إذا كان ذلك يسبب الحد من مقدرة الجائر على التحرش والظلم والتحدي.

فإن الجلوس في الدار من أوجه المقاومة السلبية، ومن أشد العوامل الضاغطة على الحكومات، بالإضافة إلى الاعتصامات والمظاهرات السلمية.. وكان جلوس أمير المؤمنين عليه السلام في الدار يرمز إلى ذلك ويكشف عن مدى الجور والظلم الذي لحقه فاضطره - وهو باب مدينة علم الرسول ﷺ وأسد الله وأسد رسوله ﷺ - إلى الاعتزال، كما اعتزل إبراهيم عليه السلام قومه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا اَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾^(١).

طرق مختلفة للحوار

مسألة: إن الكلام - كالعمل والإشارة - له مناح متعددة، وأحكام مختلفة، فقد يقول الإنسان قولاً أو يعمل عملاً بقصد الجد، وقد يكون بقصد التعلم أو التعليم، أو النقد أو الاستيضاح، أو لسان الحال، أو إظهار الانزجار من الغير، وقد يكون لغير ذلك من الدواعي المختلفة في مختلف الموارد.

(١) سورة مريم: ٤٩.

فالتعليم كما في قضية الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام حيث توضنا لتعليم ذلك الشيخ - الجاهل بكيفية وضوء - فقولهما: «أحكم بيننا»، لم يكن بقصد الجد في أن أيهما أحسن وضوء^(١).

والتعلم كما في قضية السيد عبد العظيم الحسيني عليه السلام حيث عرض أصول دينه على الإمام عليه السلام بقصد أن يتأكد من صحة عقيدته^(٢)، وفيه التعليم أيضا.

والاعتراض: كما اعترض الشيطان على الله سبحانه لماذا أمره بالسجود وهو خير من آدم؛ لأنه مخلوق من النار وآدم من التراب، والنار - في نظر الشيطان - أفضل وسبب للأفضلية.

والاستيضاح: مثل سؤال الملائكة من الله سبحانه ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٣).

ولسان الحال: كقول أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«قال الحبيب وكيف لي بجوابكم وأنا رهين جنادل وقراب». وإظهار الانزجار: مثل ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾^(٤)، حيث إن هذين العاملين كانا من موسى عليه السلام لإظهار الانزجار من عبدة العجل، ولم يكن إظهارا للانزجار من الألواح كما هو واضح، أو من أخيه بقصد إهانته كما هو واضح أيضا، وهذا متعارف فإنك إذا أردت الانزجار من مجلس أو كلام

(١) راجع المناقب: ج ٣ ص ٤٠٠ فصل في مكارم أخلاقهما عليهما السلام.

(٢) راجع صفات الشيعة: ص ٤٨-٥٠ ح ٦٨.

(٣) سورة البقرة: ٣٠.

(٤) سورة الأعراف: ١٥٠.

أخذت بيد أو كتف أو حتى برأس^(١) صديقك وجذبتك إليك بانزجار قائلاً له بغضب: تعال لنذهب، مما يوهم الأمر على من يجهل الحال فيتصور أنك غضبت على ذلك الصديق وأنتك منزجر منه، كما في كل مجاز لا يعرف الإنسان الآخر قرينة الحال أو المقال فيزعم أن المراد به الواقع والجد والمعنى الحقيقي^(٢)، كما تصور عمر أن الرسول ﷺ - أراد حقيقة قطع لسان السائل فأدركه أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال إنه ﷺ أراد إعطائه شيئاً من المال.

روي: أن النبي ﷺ لما مدحه شاعر من الشعراء قال لرجل بحضرته: «اقطع لسانه». فذهب ليقطع لسانه بالسكين!، فأدركه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: «المراد أحسن إليه»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «جاء شاعر إلى النبي ﷺ فسأله وأطراه، فقال لبعض أصحابه: قم معه فاقطع لسانه، فخرج ثم رجع، فقال: يا رسول الله أقطع لسانه؟! قال إنما أمرتك أن تقطع لسانه بالعطاء»^(٤).

إذا عرفت هذا فاعلم أن الحوار الذي دار بين الإمام علي عليه السلام والصديقه الزهراء عليها السلام كان بهدف بيان الانزجار من القوم، وتعبيراً عن السخط والغضب عليهم، حيث قيدوا أسد الله وأسد رسوله ﷺ... إضافة لاحتمال إرادتها الاستيضاح من باب تسائل العارف لكي يعرف الآخرون فلسفة سكوت

(١) حسب الأعراف المختلفة.

(٢) كما أن من لا يعرف المعنى الكنائي لـ (كثير الرماد) أو (جبان الكلب) يتصور أن الطرف الآخر حقيقة كثير الرماد أو له كلب وكلبه جبان مع أن المقصود هو الكرم.

(٣) شرح أصول الكافي للمولي محمد صالح المازندراني: ج ١٠ ص ٢٨٠.

(٤) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٢٣ ف ٢ ح ١٢١٩.

الإمام عليه السلام وصبره على ما ارتكبه المخالفون.

أما احتمال الجد أو النقد أو ما أشبهه فغير وارد إطلاقاً، بالإضافة إلى أنه يتنافى مع العصمة ومع إخبار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهما عليهما السلام عن كل تلك القضايا بتفاصيلها وجزئياتها وأخذ الميثاق منهما، ومع علمها عليهما السلام بأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي عليه السلام بالصبر - كما سبق -.

اللجوء إلى الإمام عليه السلام

مسألة: يلزم أن تلجأ الأمة في شكواها ومحنها وآلامها إلى الإمام المعصوم عليه السلام في حال حضوره، وإلى وكلائه حال غيبته عليه السلام؛ فإنهم حجج الله على الخلق، قال عليه السلام: «أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»^(١).

كما يجب على الأمة الاستماع لإرشاداته والالتزام بأوامره، ولو كان ذلك قد تم لسعد الناس وصلاح المجتمع، وهذا مما يستفاد من جملة من الأدلة ومما يلمح إليه شكايتها عليها السلام هنا للإمام عليه السلام.. هذا كله في البلايا العامة، وأما الرزايا الخاصة فربما يستحب أن يشكوها، على ما سبق بعض الكلام في ذلك.

عن عمر بن حنظلة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فيتحاكمان إلى السلطان أو إلى القضاة، أيحل ذلك؟ فقال عليه السلام: «من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً وإن كان حقه ثابتاً؛ لأنه أخذ بحكم الطاغوت وقد أمر الله تعالى أن يكفر به، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٤٠ ب ١١ ح ٣٣٤٢٤.

إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ»^(١).

فقال: كيف يصنعان؟. فقال ﷺ: «ينظران إلى من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا فليرضوا به حكما فإني قد جعلته عليكم حاكما، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما بحكم الله استخف وعلينا رد، والراد علينا كالراد على الله، فهو على حد الشرك بالله»^(٢).

وعن جميل بن دراج، قال: دخلت على أبي عبد الله ﷺ فاستقبلني رجل خارج من عند أبي عبد الله ﷺ من أهل الكوفة من أصحابنا، فلما دخلت على أبي عبد الله ﷺ قال لي: «لقيت الرجل الخارج من عندي». فقلت: بلى، هو رجل من أصحابنا من أهل الكوفة. فقال: لا قدس الله روحه ولا قدس مثله، إنه ذكر أقواما كان أبي ﷺ ائتمنهم على حلال الله وحرامه، وكانوا عيبة علمه، وكذلك اليوم هم عندي، هم مستودع سري أصحاب أبي ﷺ حقا، إذا أراد الله بأهل الأرض سوء صرف بهم عنهم سوء، هم نجوم شيعتي أحياء وأمواتا، يحيون ذكر أبي ﷺ، بهم يكشف الله كل بدعة، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين، وتأول الغالين». ثم بكى.

فقلت: من هم؟. فقال: «من عليهم صلوات الله ورحمته أحياء وأمواتا: بريد العجلي ووزارة وأبوصير ومحمد بن مسلم، أما إنه يا جميل سيبين لك أمر هذا الرجل إلى قريب». قال جميل: فو الله ما كان إلا قليلا حتى رأيت ذلك الرجل ينسب إلى آل أبي الخطاب، قلت: الله يعلم حيث يجعل رسالته، قال

(١) سورة النساء: ٦٠.

(٢) غوالي اللآلي: ج ٤ ص ١٣٣-١٣٤ الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامله ح ٢٣١.

جميل: وكنا نعرف أصحاب أبي الخطاب يبغض هؤلاء رحمة الله عليهم^(١).
وعن أحمد بن إسحاق، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: سألته وقلت: من
أعامل وعمن آخذ وقول من أقبل؟. فقال: «العمرى ثقتي، فما أدى إليك عني
فعني يؤدي، وما قال لك عني فعني يقول، فاسمع له وأطع؛ فإنه الثقة المأمون». قال:
وسألت أبا محمد عليه السلام عن مثل ذلك. فقال: «العمرى وابنه ثقتان، فما أديا
إليك عني فعني يؤديان، وما قال لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما؛
فإنهما الثقتان المأمونان»^(٢).

وعن أبي خديجة، قال: بعثني أبو عبد الله عليه السلام إلى أصحابنا. فقال: «قل
لهم: إياكم إذا وقعت بينكم خصومة، أو تدارى بينكم في شيء من الأخذ
والعطاء، أن تتحاكموا إلى أحد من هؤلاء الفساق، اجعلوا بينكم رجلا ممن قد
عرف حلالنا وحرامنا؛ فإني قد جعلته قاضيا، وإياكم أن يخاصم بعضكم بعضا
إلى السلطان الجائر»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام، قال رسول الله ﷺ: «اللهم ارحم خلفائي.
قيل: يا رسول الله، ومن خلفاؤك؟. قال: الذين يأتون من بعدي يروون حديثي
وسنتي»^(٤).

وعن الهروي، قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام
يقول: «رحم الله عبدا أحيا أمرنا». فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟. قال: «يتعلم

(١) رجال الكشي: ص ١٣٧ - ١٣٨ زرارة بن أعين ح ٢٢٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٣٨ ب ١١ ح ٣٣٤١٩.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٣٠٣ ب ٩٢ ح ٥٣.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤٢٠ ومن ألفاظ رسول الله ﷺ الموجزة التي لم يسبق إليها ح ٥٩١٩.

علومنا ويعلمها الناس ؛ فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا». قال : قلت : يا ابن رسول الله ، فقد روي لنا عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : من تعلم علما ليماري به السفهاء ، أو يباهي به العلماء ، أو يقبل بوجوه الناس إليه فهو في النار. فقال عليه السلام : «صدق جدي عليه السلام ، أفندري من السفهاء؟».

فقلت : لا يا ابن رسول الله. قال : «هم قصاص مخالفينا ، وتندري من العلماء؟». فقلت : لا يا ابن رسول الله. فقال : «هم علماء آل محمد عليه السلام الذين فرض الله طاعتهم وأوجب مودتهم - ثم قال : - وتندري ما معنى قوله : أو يقبل بوجوه الناس إليه؟». قلت : لا. قال : «يعني والله بذلك ادعاء الإمامة بغير حقها ، ومن فعل ذلك فهو في النار»^(١).

وعن حمزة بن حمران ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «من استأكل بعلمه افتقر». فقلت له : جعلت فداك ، إن في شيعتك ومواليك قوما يتحملون علومكم ويثبتونها في شيعتكم ، فلا يعدمون على ذلك منهم البر والصلة والإكرام. فقال عليه السلام : «ليس أولئك بمستأكلين ، إنما المستأكل بعلمه الذي يفتي بغير علم ولا هدى من الله عزوجل ليبطل به الحقوق طمعا في حطام الدنيا»^(٢).

الزوجة وشكواها

مسألة: يستحب للزوجة أن تشكو آلامها إلى زوجها ، كما شكت الصديقة الطاهرة عليها السلام لأmir المؤمنين عليه السلام.

(١) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٣٠ ب ٩ ح ١٣.

(٢) معاني الأخبار: ص ١٨١ باب معنى الاستكمال بالعلم ح ١.

وكذلك بالنسبة إلى كل مشكور إليه (في الجملة) إذا كان مؤمناً، فإن الشكاية إلى المؤمن شكاية إلى الله سبحانه وتعالى كما في الروايات^(١)، فلا خصوصية للزوج والزوجة من الجهة العامة، وإنما الخصوصية لها من جهة إن الرجل قيم عليها، فهو أفضل من تشتكي إليه.

عن يونس بن عمار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أيا مؤمن شكا حاجته وضره إلى كافر أو إلى من يخالفه على دينه فكأنما شكا الله عزوجل إلى عدو من أعداء الله، وأيا رجل مؤمن شكا حاجته وضره إلى مؤمن مثله كانت شكواه إلى الله عزوجل»^(٢). وعن الحسن بن راشد، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا حسن، إذا نزلت بك نازلة فلا تشكها إلى أحد من أهل الخلاف ولكن اذكرها لبعض إخوانك؛ فإنك لن تعدم خصلة من خصال أربع: إما كفاية بمال، وإما معونة بجاه، أو دعوة تستجاب، أو مشورة برأي»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من أبدى إلى الناس ضره فقد فضح نفسه، وخير الغنى ترك السؤال، وشر الفقر لزوم الخضوع»^(٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: في حديث الأربعمائة -: «إذا ضاق المسلم فلا يشكون ربه عزوجل وليشتك إلى ربه الذي بيده مقاليد الأمور وتديرها»^(٥).

(١) راجع وسائل الشيعة: ج ٢ ص ٤١٢ ب ٦ ح ٢٥٠٣.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ١٤٤ حديث محاسبة النفس ح ١١٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢ ص ٤١١-٤١٢ ب ٦ ح ٢٥٠٢.

(٤) كنز الفوائد: ج ٢ ص ١٩٤ فصل في ذكر الغنى والفقر.

(٥) الخصال: ج ٢ ص ٦٢٤ علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربعمائة باب مما يصلح للمسلم

وعن أبي هاشم الجعفري، قال: أصابتنني ضيقة شديدة، فصرت إلى أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام فأذن لي، فلما جلست قال: «يا أبا هاشم، أي نعم الله عزوجل عليك تريد أن تؤدي شكرها؟».

قال أبو هاشم: فوجمت فلم أدر ما أقول له.

فابتدأ عليه السلام فقال: «رزقك الإيمان فحرم به بدنك على النار، ورزقك العافية فأعانتك على الطاعة، ورزقك القنوع فصانك عن التبذل. يا أبا هاشم، إنما ابتدأتك بهذا لأنني ظننت أنك تريد أن تشكو إلى من فعل بك هذا، وقد أمرت لك بمائة دينار فخذها»^(١).

إخبار الزوج

مسألة: يستحب للزوجة أن تخبر زوجها بما وقع عليها وجرى لها، كما أخبرت الصديقة فاطمة عليها السلام بذلك، وربما كان ذلك من صفات الصالحات. وهناك روايات عديدة في مواصفات الزوجة الصالحة، نشير إلى بعضها:

عن إبراهيم الكرخي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إن صاحبتي هلكت وكانت لي موافقة، وقد هممت أن أتزوج. فقال لي: «انظر أين تضع نفسك، ومن تشركه في مالك، وتطلعه على دينك وسرك، فإن كنت لا بد فاعلا فبكرا تنسب إلى الخير وإلى حسن الخلق، واعلم أنهن كما قال:

فمنهن الغنيمه والغرام	ألا إن النساء خلقن شتى
لصاحبه ومنهن الظلام	ومنهن الهلال إذا تجلى
ومن يغبن فليس له انتقام	فمن يظفر بصالحهن يسعد

(١) الأمالي للصدوق: ص ٤١٢-٤١٣ المجلس الرابع والستون ح ١١.

وهن ثلاث: فامرأة ولود ودود تعين زوجها على دهره لدنياه وآخرته ولا تعين الدهر عليه، وامرأة عقيمة لا ذات جمال ولا خلق ولا تعين زوجها على خير، وامرأة سخابة ولاجة هماسة تستقل الكثير ولا تقبل اليسير»^(١).

وعن سليمان الجعفري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «خير نسائكُم الخمس. قيل: وما الخمس؟. قال: الهيئة اللينة المؤاتية التي إذا غضب زوجها لم تكتحل بغمض حتى يرضى، وإذا غاب عنها زوجها حفظته في غيبته، فتلك عامل من عمال الله وعامل الله لا يخيب»^(٢).

وعن عبد الله بن سنان، عن بعض أصحابنا، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنما المرأة قلادة فانظر ما تتقلد، وليس لامرأة خطر لا لصاحتهن ولا لطاحتهن، فأما صاحتهن فليس خطرهما الذهب والفضة هي خير من الذهب والفضة، وأما طاحتهن فليس خطرهما التراب التراب خير منها»^(٣).

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وآله . قال: - فتذاكرنا النساء وفضل بعضهن على بعض. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا أخبركم بخير نسائكم؟». قالوا: بلى يا رسول الله. فأخبرنا، قال صلى الله عليه وآله: «إن من خير نسائكم الولود الودود، الستيرة العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلها، المتبرجة مع زوجها، الحصان مع غيره، التي تسمع قوله وتطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها، ولم تبذل له تبذل الرجل»^(٤).

(١) الكافي: ج ٥ ص ٣٢٣ باب أصناف النساء ح ٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ٢٩ ب ٦ ح ٢٤٩٤٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٠٠ ص ٢٣٣ ب ٣ ح ١٢.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٣٨٩ باب ما يستحب ويحمد من أخلاق النساء ح ٤٣٦٧.

وعن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين، عن أبيها الحسين بن علي عليه السلام، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعطي أربع خصال أعطي خير الدنيا والآخرة وفاز بحظه منهما: ورع يعصمه من محارم الله، وحسن خلق يعيش به في الناس، وحلم يدفع به جهل الجاهل، وزوجة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة»^(١).

وعن حسين بن علوان، عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «حسن البشر نصف العقل، والتقدير نصف المعيشة، والمرأة الصالحة أحد الكاسبين»^(٢).

وعن ربيعة بن كعب، قال سمعت النبي ﷺ يقول: «من أعطي له خمسا لم يكن له عذر في ترك عمل الآخرة: زوجة صالحة تعينه على أمر دنياه وآخرته، وبنون أبرار، ومعيشة في بلده، وحسن خلق يداري به الناس، وحب أهل بيتي»^(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ملعونة ملعونة امرأة تؤذي زوجها وتغمه، وسعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه، وتطيعه في جميع أحواله»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «سألت أم سلمة رسول الله ﷺ عن فضل النساء في خدمة أزواجهن. فقال ﷺ: ما من امرأة رفعت من بيت زوجها شيئا من موضع إلى موضع تريد به صلاحا إلا نظر الله إليها، ومن نظر الله إليه

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ١٧٠-١٧١ ب ٨ ح ١٦٤١٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٠٠ ص ٢٣٨ ب ٣ ح ٣٩.

(٣) الدعوات: ص ٤٠ ب ١ ف ٢ ح ٩٧.

(٤) كنز الفوائد: ج ١ ص ١٥٠ شرح قوله ولعن آخر أمتكم أولها.

لم يعذبه. فقالت أم سلمة (رضوان الله عليها): زدني في النساء المساكين من الثواب بأبي أنت وأمي. فقال ﷺ: يا أم سلمة، إن المرأة إذا حملت كان لها من الأجر كمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله عز وجل، فإذا وضعت قيل لها: قد غفر لك ذنبك فاستأنفي العمل، فإذا أرضعت فلها بكل رضة تحرير رقبة من ولد إسماعيل»^(١).

وعن عمرو بن جميع، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نساءكم الطيبة الريح الطيبة الطعام، التي إذا أنفقت أنفقت بمعروف، وإذا أمسكت أمسكت بمعروف، فتلك من عمال الله وعامل الله لا يخيب»^(٢).

(١) الأماشي للطوسي: ص ٦١٨ المجلس ٢٩ ح ١٢٧٣.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٧ ص ٤٠٢ ب ٣٤ ح ١٤.

وقعدت حجرة^(١) الظنين

القعود عن الحق

مسألة: ربما يجب على الإنسان أن يصبر عن المطالبة بحقه وحق زوجته أو من يتعلق به، وبعبارة أخرى أن يقعد حجرة الظنين المتهم؛ وذلك للمصلحة الأهم وفق موازين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما إذا رأى عدم التأثير واحتمل الضرر الكثير، ولغير ذلك مما هو مذكور في محله.

قولها عليها السلام: «وقعدت حجرة الظنين»، الحجرة: البيت، والظنين: المتهم، فإن الإنسان إذا كان متهما في المجتمع يجلس في بيته ولا يخرج حذرا من أن يشار إليه بالسوء. وهذا كناية عن قعود الإمام عليه السلام عن حقه وحق زوجته وعدم المطالبة بذلك، فكأنه نزل منزلة الخائف المتهم، وقد أشرنا إلى ما دعا بالإمام عليه السلام ليتخذ هذا الموقف الشجاع.

تقبل الشكاية

مسألة: ينبغي أن يتسع صدر الزوج لشكاية الزوجة، وذلك مما يقوي الأواصر بينهما، ويزيد الألفة والمحبة بينهما، ويدفع بالعديد من المشاكل والأمراض..

والمشاهد أن بعض الأزواج لا يفسح المجال لزوجته لكي تبث إليه همومها لكن ذلك غير صحيح، والتأسي بالإمام عليه السلام يقتضي ذلك.

(١) وفي بعض النسخ: (حجرة).

قال رسول الله ﷺ: «ألا خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي»^(١).

وعن مسعدة، قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: «إن عيال الرجل أسراؤه، فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسع على أسرائه؛ فإن لم يفعل أوشك أن تزول عنه تلك النعمة»^(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «رحم الله عبدا أحسن فيما بينه وبين زوجته؛ فإن الله عز وجل قد ملكه ناصيتها وجعله القيم عليها»^(٣).

وعن يونس بن عمار، قال: زوجني أبو عبد الله عليه السلام جارية كانت لإسماعيل ابنه. فقال: «أحسن إليها». فقلت: وما الإحسان إليها؟. فقال: «أشبع بطنها، واكس جثتها، واغفر ذنبها. ثم قال - اذهبي وسطك الله ما له»^(٤).

الشكاية لولي الأمر عليه السلام

مسألة: يستحب شكاية المظلوم حالته إلى ولي أمره، حيث شكت الصديقة عليها السلام لأمر المؤمنين عليه السلام إذ أن رزيتها كان لها كلا الجانبين العام والخاص، وكذلك بالنسبة إلى وكلاء المعصومين عليهم السلام وهم في زمن الغيبة مراجع التقليد، وكذلك من أشبههم ممن جعلهم الله سبحانه وتعالى - بصورة خاصة أو بصورة عامة - مأوى للناس وملجأ لهم؛ فإن الشكاية إليهم نوع رجوع

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ١٧١ ب ٨٨ ح ٢٥٣٤٠.

(٢) الأمالي للصدوق: ج ٤٤٢ المجلس ٦٨ ح ٣.

(٣) مكارم الأخلاق: ص ٢١٧ ب ٨ ف ٥ في حق المرأة على الزوج.

(٤) الكافي: ج ٥ ص ٥١١ باب حق المرأة على الزوج ح ٤.

ونوع اعتراف بالمرجعية الشرعية^(١) فلا بد من عدم العدول لغيرهم مهما أمكن.
ثم إنه ليست الشكوى للإمام المعصوم عليه السلام خاصة بحال حياته، بل تشمل ما بعد وفاته أيضا إذ هم **﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾**^(٢).

العتاب وشبهه

مسألة: يجوز للمظلوم أن يعاتب من يستنصره في الجملة ؛ وذلك لبيان شدة الظلم، وإن كان في توجيه العتاب لهم عليهم السلام يلزم مراعاة الموازين اللازمة.
وقد يكون من هذا الباب ما ظاهره العتاب كأشعار السيد الحلبي رحمته الله^(٣) يخاطب بها الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ؛ فإنها بيان لعظم المصيبة وليس المقصود به العتاب الحقيقي كما لا يخفى.
وهكذا ما ظاهره العتاب من الصديقة عليها السلام في هذه الخطبة، فقد سبق أنه كان بهدف إبداء التنفر والانزجار من جرائم المخالفين فقط ولم يكن إلا عتابا شكليا لا حقيقيا.

(١) ربما يكون المراد بها المعنى اللغوي.

(٢) سورة البقرة: ٥٤.

(٣) ولد شاعر أهل البيت السيد حيدر بن سليمان بن داود بن حيدر بن أحمد بن عمر الحلبي الحسيني المعروف بالسيد حيدر الحلبي في قرية بيرمانه من توابع الحلة في منتصف شهر شعبان عام ١٢٤٦ هـ. مات أبوه وهو طفل فنشأ في حجر عمه مهدي بن داود. تميز بشعره الحسن والذي ترفع به عن المدح والاستجداء، وأشهر شعره حولياته في رثاء الإمام الحسين عليه السلام. كان رحمته الله موصفا بالسخاء. له ديوان سماه (الدر اليتيم)، وكتاب (العقد المفصل في قبيلة المجد المؤئل) جزءان، و(الأشجان في مرثي خير إنسان)، و(دمية القصر في شعراء العصر). توفي رحمته الله في الحلة في شهر ربيع الثاني عام ١٣٠٤ هـ ودفن في النجف الأشرف.

أعلى درجات الصبر

مسألة: يستحب التأكيد على مدى صبر الإمام عليه السلام وشدة مرارته، وقوة إرادته وتحمله عليه السلام حفاظا على الإسلام؛ فإن بيان مثل هذه الأمور له فوائد: منها: التآسي في مواطن الصبر.

ومنها: إن ذكر صفاتهم (عليهم الصلاة والسلام) مما يوجب التفاف الناس حولهم أكثر فأكثر.

ومنها: إيضاح الرؤية وتعميق المعرفة بهم (عليهم الصلاة والسلام)، وأنهم كانوا يعملون بما يؤمرون وما يأمرون، فحيث كانوا يؤمرون بالصبر يصبرون، وكما كانوا يأمرون به كانوا يعملون، وحيث كانوا يأمرون ويؤمرون بالتضحية كانوا يضحون، وهكذا.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة يذكر فيها آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) وبين فضلهم: «هم عيش العلم، وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، وهم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية؛ فإن رواة العلم كثير ورعايته قليل»^(١).

وعن ابن عباس، أنه قال: قال النبي ﷺ: «من سره أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي، فليوال عليا عليه السلام من بعدي،

(١) نهج البلاغة الخطب: ٢٣٩ ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمد ﷺ.

وليوال وليه ، وليقتد بالأئمة من بعدي ؛ فإنهم عترتي ، خلقوا من طينتي ، وزقوا فهما وعلما ، ويل للمكذابين بفضلهم من أمتي ، القاطعين منهم صلتي ، لأنالهم الله شفاعتي»^(١).

وعن يونس بن يعقوب ، قال : أمرني أبو عبد الله عليه السلام أن آتي المفضل وأعزيه بإسماعيل ، وقال : «أقرئ المفضل السلام وقل له : إنا قد أصبنا بإسماعيل فصبرنا فاصبر كما صبرنا ، إنا أردنا أمرا وأراد الله عزوجل أمرا فسلمنا لأمر الله عزوجل»^(٢).

وعن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام - في حديث في الإمامة - قال : «أما لو أن رجلا قام ليله ، وصام نهاره ، وتصدق بجميع ماله ، وحج جميع دهره ، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ، ما كان له على الله حق في ثوابه ، ولا كان من أهل الإيمان»^(٣).

وعن زرارة ، قال : كنت قاعدا عند أبي جعفر عليه السلام . فقال له رجل من أهل الكوفة يسأله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام : سلوني عما شئتم ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به؟.

فقال عليه السلام : «إنه ليس أحد عنده علم إلا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام ، فليذهب الناس حيث شاءوا ، فوالله ليأتيهم الأمر من هاهنا وأشار بيده إلى المدينة»^(٤).

(١) المناقب : ج ١ ص ٢٩٢ فصل فيما روته العامة.

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٩٢ باب الصبر ح ١٦ .

(٣) وسائل الشيعة : ج ٢٧ ص ٦٥ - ٦٦ ب ٧ ح ٣٣٢١٣ .

(٤) مستدرک الوسائل : ج ١٧ ص ٢٧٥ ب ٧ ح ٢١٣٢٧ .

بيان المظلومية

مسألة: يستحب بيان مدى مظلومية أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث صبر على الأذى بالرغم من قدرته الكاملة على تصفية خصومه وأخذ حقه بالقوة. فإن بيان مظلوميته عليه السلام أدعى للالتفاف حوله، إذ أن قلوب الناس مع المظلوم، كما سبق ..

وبيانها أيضا فضح لظالميه وإسقاط لشخصياتهم، وإدانة لمنهجهم، ومحكمة لفكرهم وتراثهم ..

عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الله عز وجل أوحى إلى نبي من أنبيائه في مملكة جبار من الجبارين: أن اتت هذا الجبار فقل له: إنني لم أستعملك على سفك الدماء واتخاذ الأموال، وإنما استعملتك لتكف عني أصوات المظلومين، فإني لم أدع ظلامتهم وإن كانوا كفارا»^(١).

مضافا إلى أن بيان مظلومية علي عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام نوع عبادة في ذاته، حيث ورد أن «نفس المهموم لظلمنا تسبيح وهمه لنا عبادة»^(٢).

قال أمير المؤمنين عليه السلام - في حديث الأربعمائة -: «إن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض فاخترنا واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منا وإلينا»^(٣).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٣ باب الظلم ح ١٤.

(٢) الظاهر أن الاستدلال بـ (الألوية)، فإذا كان نفس المهموم للظلم تسبيحا والهم عبادة في بيان مظلوميته للناس عبادة بشكل أولى.

(٣) الخصال: ج ٢ ص ٦٣٥ علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربعمائة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه ح ١٠.

وفي (كتاب الإخوان) بإسناده، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «تجلسون وتحدثون؟». قلت: نعم. قال: «تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا رحم الله من أحيأ أمرنا. يا فضيل، من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج عن عينيه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر»^(١).

وعن بكر بن محمد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه دمع مثل جناح بعوضة، غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»^(٢).

وعن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، قال: قال الرضا عليه السلام: «من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلسا يحيا فيه أمرنا لم يميت قلبه يوم تموت القلوب»^(٣). وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله بها في الجنة غرفا يسكنها أحقابا، وأيما مؤمن دمعت عيناه دمعا حتى تسيل على خده لأذى مسنا من عدونا في الدنيا بوأه الله مبعأ صدق في الجنة، وأيما مؤمن مسه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل دمعه على خديه من مضاضة ما أؤذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار»^(٤).

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٠ ب ١٠ ح ١٥٥٣٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٧٨ ب ٣٤ ح ٣.

(٣) الأمالي للصدوق: ج ٧٣ المجلس السابع عشر ح ٤.

(٤) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٩١-٢٩٢ ثواب بكاء الحسين عليه السلام.

وعن محمد بن أبي عمارة الكوفي، قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «من دمعت عينه فينا دمعة لدم سفك لنا، أو حق لنا نقصناه، أو عرض انتهك لنا، أو لأحد من شيعتنا، بوأه الله تعالى بها في الجنة حقبا»^(١).

من فلسفة صبر الإمام عليه السلام

مسألة: إنما لم يتعرض الإمام عليه السلام لهم عسكريا، لخوفه من القضاء على الإسلام؛ فإن دولة الإسلام كانت فتية وكان الفرس والروم الإمبراطوريتان القويتان يتربضان بالمسلمين، فإذا وقع بينهم نزاع وتحارب، استغل الفرس أو الروم هذه المحاربة للقضاء على الإسلام، ولعله كان يحى من الوجود، كما أشار إلى ذلك الإمام (عليه الصلاة والسلام) حيث قال لفاطمة الزهراء عليها السلام:

إن أخذت سيفي وحاربتهم لم تسمعي بعدها ذكرا لهذا الاسم - أي: اسم محمد رسول الله ﷺ ..

وقد روي عنه عليه السلام أن فاطمة عليها السلام حرضته يوما على النهوض والثوب فسمع صوت المؤذن: (أشهد أن محمدا رسول الله). فقال لها: «أيسرك زوال هذا النداء من الأرض؟». قالت: «لا». قال: «فإنه ما أقول لك»^(٢).

إضافة إلى أن الإسلام كان جديدا على النفوس ولم يكن متركزا في أكثرها فكانت أية معركة داخلية بذلك المستوى تؤدي ربما إلى انهيار داخلي هائل وفتنة لا تطفأ.

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٧٩ ب ٣٤ ح ٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٦٢٥، وشرح نهج البلاغة: ج ١١ ص ١١٣.

نقضت قادمة الأجل، فخانك ريش الأعزل

صقور الكفر

مسألة: ينبغي القضاء على صقور الكفر، وهو بين واجب ومستحب في موارده المذكورة ووفق الموازين الشرعية، كما قام أمير المؤمنين عليه السلام بذلك في حياة رسول الله ﷺ حيث نقض قادمة الأجل.

قولها عليها السلام : «نقضت...» النقض: ضد الإبرام، و(القادمة): واحدة القوادم، وهي: مقادير ريش الطائر القوية، يقال: إن في كل جناح من أجنحة الصقر عشرة من هذه القوادم. و(الأجل) الصقر، من الجدل بمعنى الاستحكام والقوة وقد سمي الطائر به لقوته.

يعني: إنك تمكنت من صناديد قريش في شتى المواجهات، وفي عشرات الحروب والغزوات فقصصت أجنحة أولئك الطغاة الجبابرة.. فما ذا صار بك؟!.

الخيانة سلاح الضعفاء

مسألة: الخيانة سلاح الضعفاء، وكان القوم قد خانوا الله ورسوله ﷺ في ابنته عليها السلام ووصيه علي عليه السلام وينبغي بيان ذلك.

ثم إنها (صلوات الله عليها) لم تقل: (تركت ريش الأعزل) بل أسندت الفعل في الفقرة الأولى (نقضت قادمة الأجل) إليه عليه السلام وفي الفقرة الثانية إلى القوم، تأكيداً على أنه لم يترك التصدي والدفاع، بل كانت هنالك (خيانة) من القوم، والخيانة هي من شيم الضعفاء الجبناء فهم كالريش للطائر الأعزل إلا أن (خيانتهم) هي التي مكنتهم من السيطرة على مقاليد الأمور.

قولها عليها السلام : «فخانك ريش الأعزل» العزل: الذي لا سلاح له، أو الصقر الذي نقضت قوادمه فلم يبق له إلا الريش الضعيف.

أي: فكيف بك لم تتمكن من أن تنقض ريش الحيوان الأعزل الذي لا قوة لريشه كقوة القوادم؟! مع أنك تمكنت من قص جناح الصقور أي صناديد قريش. وربما أريد بالأعزل: أراذل الناس، فيكون المعنى: إنك نازعت الأبطال فغلبتهم واليوم يغلبك هؤلاء الضعفاء!.

وفي هذا إشارة منها (صلوات الله عليها) إلى خيانة القوم، فإنهم لم يتغلبوا على علي عليه السلام بالقوة والقدرة والمواجهة، وإلا فالإمام عليه السلام كان أقواهم، بل بالمؤامرة والخيانة والحيلة، ولذلك عبرت عنها في (فخانك ريش الأعزل). كما دل كلامها عليها السلام على شدة قوة إبرازها في بدو الأمر حيث (نقضت) وغاية إخفائها في النهاية حيث (خانك ريش...).

يقول الشاعر:

جمعيت في صفاتك الأضداد	فلهذا عزت لك الأنداد
زاهد حاكم، حليم شجاع	ناسك فاتك، فقير جواد
شيم ما جمعن في بشر	قط ولا حاز مثلهن العباد

إنهم كريش أعزل

مسألة: يستحب بيان أن القوم كانوا كريش الأعزل بالنسبة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام، فإن معرفة ما كان عليه الإمام عليه السلام من الشجاعة الفائقة وما كان يعاني منه أعداؤه المخالفون من الضعف الشديد.. هذه المعرفة ترشدنا إلى عظمة الإمام عليه السلام يوم التزم الصبر امتثالا لأمر الله سبحانه. كما أن هذه المعرفة تدفعنا للتأسي به عليه السلام والاهتداء بهديه في الظروف المشابهة، وبذلك يكون الاقتراب إلى الله سبحانه وتعالى أكثر وإطاعة أمره بالنحو الأتم.

هذا ابن أبي قحافة

اسم الخصم

مسألة: ينبغي التصريح باسم الخصم أو كنيته أو لقبه حتى يعرف على مدى التاريخ ويكون أتم للحجة و﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(١).

ولذلك - وربما لغيره أيضا - كان تصريح الصديقة عليها السلام بكنية الغاصب، وإلا فإن أمير المؤمنين عليا عليه السلام كان يعلم بذلك.

ولذلك - وربما لغيره أيضا - كان تصريح القرآن الكريم بأسماء أعداء الله، كفرعون وقابيل وهامان، وكذلك تصريح الرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام بأسماء أعدائهم وأعداء الله..

ومن فوائد ذلك أن توجه اللعنة إليهم على مدى الأيام..

ومن الفوائد أن يعرفوا فيجتنبوا.

وكذلك في كل مورد يكون من هذا القبيل مما يسجل في التاريخ، وتكون فيه فائدة مادية أو معنوية، دينية أو دنيوية.

نعم هناك موارد للتقية ينبغي مراعاتها.

وفي حديث الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام:

(ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة عليها السلام فدقوا الباب،

فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها باكياً: «يا رسول الله، ما ذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة!».

(١) سورة الأنفال: ٤٢.

فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، فكادت قلوبهم تتصدع،
وأكبادهم تتفطر، وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا عليا ومضوا به إلى أبي بكر،
فقالوا: بايع.

فقال: «إن أنا لم أفعل فمه؟».

قالوا: إذا والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك!

قال: «إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله».

فقال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخا رسوله فلا!، وأبو بكر ساكت
لا يتكلم^(١).

وفي الخطبة الشقشقية قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أما والله لقد تقمصها ابن
أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل
ولا يرقى إلي الطير، فسدت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا، وطفقت أرثي
بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يشيب فيها الصغير ويهرم
فيها الكبير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا
أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهبا، حتى إذا
مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى عمر من بعده!، فيا عجباً بينا هو يستقبلها في
حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها» الخطبة^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٣٥٦ ب ٤ تبين.

(٢) الاحتجاج: ج ١ ص ١٩١-١٩٢ احتجاجه عليه السلام في الاعتذار من قعوده عن قتال من تأمر عليه من
الأولين وقيامه إلى قتال من بغى عليه من الناكثين والقاسطين والمارقين.

يبتزني نخلة أبي وبلغة ابني!

الغصب والابتزاز

مسألة: الغصب محرم مطلقا، سواء كان مجردا عن الابتزاز أم لا، وتتأكد حرمة إذا صاحبه ذلك، وكان ما قام به ابن أبي قحافة ابتزازا، لا غصبا فقط، كما صرحت الصديقة عليها السلام بذلك.

والابتزاز: هو الاستلاب وأخذ الشيء بالقهر والغلبة والتهديد.

الغصب الأشد عقوبة

مسألة: إن حرمة الغصب تتأكد أيضا فيما إذا كان متعلقه حقا لغير واحد، وعلى ذلك تكون العقوبة أشد..

ولم تكن جريمة ابن أبي قحافة مقتصرة على غصبه فدكا من الصديقة الزهراء عليها السلام ولم يكن غصبه تعديا على حقها فحسب، بل كان تعديا على رسول الله صلى الله عليه وآله أيضا، وعلى الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وتعديا على القرآن ورسالة السماء، بل على الباري عز وجل.

ولذلك أشارت الصديقة عليها السلام بقولها: «يبتزني نخلة أبي وبلغة ابني...».

ولا يخفى أن الجماعة لم يأخذوا فدكا والعوالي فحسب، وإنما منعوا أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) حتى من الخمس المقرر لهم، ولعل قولها (عليها الصلاة والسلام): (بلغة ابني) إشارة إلى الأمرين.

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا

عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(١).

الغصب الطولي

مسألة: كلما تجدد للغصب مصداق - عرضي أو طولي - تجددت للغاصب حرمة وعقوبة.

فلو غصب^(٢) مالا من زيد، فمات وورثه أبنؤه استحق الغاصب عقوبة أخرى على غصبه مالهم الذي كان ملكا للمورث المغصوب منه. وذلك نظير «من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»^(٣).

ولعل لذلك أشارت الصديقة عليها السلام بقولها: «يبتزني.. بلغة ابني» إذ أن النحلة كانت ملكا لها عليها السلام وبعد شهادتها ورثها الحسنان عليهما السلام وكان المفروض أن يكون بلغة لهما عليهما السلام.

لماذا طالبت عليها السلام بفدك؟

مسألة: من الواضح أن هدف الصديقة الزهراء عليها السلام لم يكن المادة والدنيا، وينبغي بيان ذلك. بل كان من أهدافها:

أ: إحقاق الحق وبيان الواقع، أمانة للناس والتاريخ.

(١) سورة الأنفال: ٤١.

(٢) هذا مثال للغصب الطولي.

(٣) الفصول المختارة: ص ١٣٦ فصل.

ب: من المحبوب عند الله تعالى عمران الدنيا والآخرة معا، قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٢).

فالمطالبة بمتاع الدنيا الحلال لاتخاذها جسرا إلى الآخرة فضيلة مضاعفة، فإن فذك والعوالي كان واردهما كبيرا، إذ كانتا قريتين كبيرتين وفيهما البيوت والأشجار والمزارع وغيرها، حتى ذكر بعض المؤرخين أن واردها كان سبعين ألف دينار ذهبا، فإذا كانت في أيدي الحسن والحسين (عليهما الصلاة والسلام) كانا يقومان بالإتفاق على فقراء المسلمين وحوائجهم، وعلى الدفاع عن المظلومين، وعلى رفع راية الحق والدين المبين، ونشر تعاليمه وأحكامه، بينما إذا أعوزهما المال انتفى الإتفاق بقدره على الفقراء والمحتاجين، ولم يكن للحق ما يدعمه اقتصاديا.

ج: النهي عن المنكر، لأن السكوت عن الغصب سكوت عن المنكر، والنهي عنه واجب ولو في أدنى مراتبه.

د: إن الحق كان حقا لابنيها الحسنين عليهما السلام أيضا، إذ كانت فذك بلغة لهما، ولو جاز سكوت المرء عن حقه لم يجز سكوته عن حق من يتعلق به.

هـ: إن فضح غاصبي فذك هو فضح لسائر أعمالهم وممارساتهم ولغصبهم الخلافة أيضا كما سبق، وهذا هو أهم الأهداف لكي يتبين للأمة الطريق الصحيح

(١) سورة البقرة: ٢٠١-٢٠٢.

(٢) سورة القصص: ٧٧.

لرسالة رسول الله ﷺ دون المزيفين والذين غصبوا الخلافة وحكموا باسم الدين وباسم الرسول الكريم ﷺ.

قولها عليها السلام: «يبتزني نحلة أبي...» (يبتزني): أي يسلبني بالقهر والغلبة ويأخذه مني، و(النحلة): الهبة والعطية، والنحلة تصغيرها، وحيث لم يكن هذا في مقام الاحتجاج صرحت (عليها الصلاة والسلام) بأن فذك نحلة.

و(البلغة): ما يبلغ الإنسان به حاجته من العيش ويكتفي به.

والمراد بـ (ابني): الحسن والحسين (صلوات الله عليهما).

ولا يخفى أن (البلغة) ليست بلغة العيش الشخصي، بل هي بالمعنى الأعم

الشامل لما يبلغ به الإنسان هدفه.

لا يقال: لماذا لم تذكر (عليها الصلاة والسلام) البنين: زينب وأم كلثوم عليهما السلام.

لأنه يقال:

أولاً: لما ذكرناه من أن الهدف من استرجاع فذك هو القيام بقضاء الحوائج

ودعم الخلافة الحققة، وكان القائم بذلك الحسنان (عليهما الصلاة والسلام) بعد أبيهما

أمير المؤمنين عليه السلام.

وثانياً: إن البنت - عادة - تتزوج وتكون في كفالة الزوج ومسئوليته.

عالم الأسباب والمسببات

مسألة: إن الله سبحانه لما جعل في عالم التكوين بعض الأمور سبباً

وبعضها الآخر مسبباً فلا يتحقق المسبب بغير السبب، ولا يؤثر السبب في غير

المسبب، مثلاً النار علة الإحراق فلا غير النار - وما شابهها - يحرق، ولا النار

تفعل غير الإحراق، إلا بمشيئته سبحانه..

كذلك جعل الأمر في عالم التشريع والاعتبار، فلا يتحقق النكاح بوضع الرجل يده على رأس من يريد أن يتزوجها، ولا الطلاق برفع اليد مثلاً، بل لابد من اللفظ الشرعي الذي اعتبره الشارع سبباً له.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنما يحلل الكلام ويحرم الكلام»^(١).

وهذا ما يمكن أن يستفاد من قول الصديقة عليها السلام: «بلغة ابني» فليدقق. فإن فذك كان سبباً للبلغة وما أشبهه. والمطالبة بها مطالبة بالبلغة.

لا يقال: يصح ذلك في اعتبار العقلاء، فإن أي نحو وضعوا الاعتبار يكون كذلك، كما نرى ذلك في النقود حيث تعتبر الدولة الورقة النقدية الخاصة تعادل كذا، والتي لها لون آخر تعادل مبلغاً آخر، ولها قوة شرائية معينة زيادة أو نقصاً أو مساواة وموازية، أي لعملة أخرى.

لأنه يقال: (اعتبار خصوصية) قد يكون لخصوصية لا نعلمها، وقد لا يكون ذلك لاعتبار خصوصية خاصة، إلا أن اعتبار تلك الخصوصية كان من باب أنها فرد ومصدق، وحيث أريد التنسيق وضرب القانون جعل الفرد الخاص و(اعتبر) هو المقياس حتى لا يقع الاضطراب، فإذا كان يكفي في النظافة^(٢) فرضاً ثلاث مرات من الوضوء، فيصح - بما هو هو - أن يجعل في ثلاثة أوقات مهما كانت، لكن إعطاء اختياره بيد الناس يسبب الاضطراب بأن يتوضأ زيد في الساعة الأولى ويستأنف كل ثمان ساعات، وعمرو في الساعة الثانية وهكذا، وعامر في الساعة الثالثة وهكذا مما يخل بالنظم العام والمظهر الجامع - وهذا المثال

(١) الكافي: ج ٥ ص ٢٠١ باب الرجل يبيع ما ليس عنده ح ٦.

(٢) قد يصح ذلك إذا عممنا النظافة للظاهرة والباطنية كما ورد (الوضوء نور).

لتقريب الذهن فقط كما لا يخفى . فالتنسيق منضما إلى التكوين في النظافة سببا هذا الجعل الخاص .

وبهذا تبين أن كون الشمس تنير العالم ، والمطر يروي الأرض ، ليس معناه الإطلاق والعلية التامة ، بل بشرطها وشروطها ، ومنها عدم الموانع ، فإنهما لا يؤثران تلك التأثيرات في داخل الكهوف وأعماق البحار ، ولا الأماكن المسقفة وما إلى ذلك ..

وهكذا يكون حال الدعاء مثل : (اللهم اغن كل فقير) و(أشبع كل جائع)^(١) ففي مائة مليون فقير وجائع مثلا يؤثر هذا الدعاء في الموضع القابل ، فإن قابلية القابل شرط ، وهي أيضا - على تقدير وجودها - على درجات كما قال تعالى : ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾^(٢) فليس الدعاء بلا أثر إطلاقا ، كما وليس مؤثرا بنحو مطلق وعلة تامة ، حاله حال التكوين فليس الدواء الفلاني مؤثرا إطلاقا ولا بدون أثر إطلاقا ، فإن البلاء كالنعمة ينزلان كقطر المطر - كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام بالنسبة إلى البلاء^(٣) - ففي الموضع القابل يؤثر كل واحد منهما^(٤) أثره ، وهذا ما عبر عنه الحكماء والمتكلمون بفاعلية الفاعل وقابلية القابل ..

ومن المعلوم أنه اعتبر - ارتكازا أو ما أشبه - الشرط والمعد والمانع والقاطع

(١) مستدرک الوسائل : ج ٧ ص ٤٤٧ ب ١٤ ح ٨٦٢٣ .

(٢) سورة الرعد : ١٧ .

(٣) راجع نهج البلاغة ، الخطب : ٢٣ ومن خطبة له عليه السلام وتشتمل على تهذيب الفقراء بالزهد وتأديب الأغنياء بالشفقة .

(٤) أي من الدعاء والبلاء .

في الكليتين المذكورتين، فكون فذك بلغة الحسنين عليهما السلام من هذا الباب، فلا يقال إنها عليها السلام كانت زاهدة ومتوكله على الله سبحانه فلماذا نطقت بهذا الكلام وطالبت بذك؟.

بلغة الأبناء

مسألة: يستحب للوالدة - وكذا الوالد - الاهتمام ببلغة الأبناء، أي ما يتبلغ به من العيش ويكتفى به، وهو سبب بلوغ العمر إلى الغاية والأجل إلى النهاية. وهذا من فلسفة توزيع الإرث على الورثة فإنه بلغة لهم.

عن عامر بن سعد، عن أبيه: أنه مرض بمكة مرضة أشفى منها فعاده رسول الله ﷺ. فقال: يا رسول الله، ليس يرثني إلا البنت، أفأوصي بثلاثي مالي؟. فقال: «لا». قال: أفأوصي بنصف مالي؟. وفي رواية: بشرط مالي؟. فقال: «لا». فقال: أفأوصي بثلاث مالي؟. فقال ﷺ: «بالثلاث، والثلاث كثير». وقال - إنك أن تدع أولادك أغنياء خيرا من أن تدعهم عالة يتبلبون الناس^(١).

وروى السكوني عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الوصية بالخمس؛ لأن الله عز وجل رضي لنفسه بالخمس - وقال - الخمس اقتصاد، والربع جهد، والثلاث حيف»^(٢).

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من لم يحسن عند الموت وصيته كان نقصا في مروءته وعقله - قال: - وإن رسول الله ﷺ أوصى إلى علي عليه السلام، وأوصى علي إلى الحسن، وأوصى الحسن إلى الحسين، وأوصى الحسين

(١) غوالي اللآلي: ج ٣ ص ٢٦٨ باب الوصايا ح ٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٨٥ باب مقدار ما يستحب الوصية به ح ٥٤٢١.

إلى علي بن الحسين، وأوصى علي بن الحسين إلى محمد بن علي عليهما السلام»^(١).
وعن علي (صلوات الله عليه) أنه قال: «من أوصى بأكثر من الثلث أو أوصى
بماله كله فإنه لا يجوز، ويرد إلى المعروف غير المنكر، فمن ظلم نفسه في الوصية
وخاف فيها فإنها ترد إلى المعروف، ويترك لأهل الميراث حقهم»^(٢).
وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من أوصى ولم يحف ولم يضاد كان كمن
تصدق به في حياته - وقال: - ما أبالي أضرت بورثتي أو سرقتهم ذلك المال»^(٣).
وعن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل دينار: دينار أنفقه
الرجل على عياله، ودينار أنفقه على دابته في سبيل الله، ودينار أنفقه على
أصحابه في سبيل الله - ثم قال: - وأي رجل أعظم أجرا من رجل سعى على
عياله صغارا يعفهم ويغنيهم الله به»^(٤).
وعن الحسن بن علي الحلal، عن جده، قال: سمعت الحسين بن علي
(صلوات الله عليهما) يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ابدأ بمن تعول: أمك،
وأباك، وأختك، وأخاك، ثم أدناك فأدناك، - وقال: - لا صدقة وذو رحم
محتاج»^(٥).

(١) وسائل الشيعة: ج ١٩ ص ٢٦٥ ب ٦ ح ٢٤٥٥٧.

(٢) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٥٧ كتاب الوصايا ف ٢ ح ١٣٠١.

(٣) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٤٨٢ مجلس في ذكر الوصية.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ٢٤١ ب ٣٩ ح ٨١٤٢، والمستدرک: ج ١٣ ص ٥٥ ب ٢٠ ح ١٤٧٣٠.

(٥) بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ١٤٧ ب ١٥ ح ٢٤.

لقد أجهد^(١) في خصامي

إرهاب الحاكم

مسألة: الإرهاب أحد أهم عوامل تراجع نصرته الناس للمظلوم وهو من أكبر المحرمات، وهذا ما قام به ابن أبي قحافة تماما (لقد أجهد.. وكان الألد)؛ لأن امتناع القوم من نصرته الصديقة ﷺ كان خوفا من الحاكم، حيث رأوه أجهد في خصامها وألد في كلامها.. ولهذا انسحبوا، كما هو عادة الناس غالبا إذا رأوا أن القوة الحاكمة مصرة على موقفها، فإنهم يتحاشون إغضاها والوقوف بوجهها رعاية لمصالحهم الشخصية وما أشبه.

منع نصرته المظلوم

مسألة: يحرم منع الآخرين عن نصرته المظلوم. فإن مصادرة الحق وغصبه حرام، ومنع الذين يتمكنون من إرجاع الحق إلى صاحبه حرام آخر.

ترك النصرة

مسألة: امتناع القوم عن نصرته أهل البيت ﷺ كان حراما، بل هو من أشد المحرمات، والأدلة عليها كثيرة، يكفي منها أن رسول الله ﷺ طلب منهم - بأمر من الله عز وجل - كأجر للرسالة مودة أهل البيت ﷺ والمودة هي إظهار المحبة، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٢) ويا للعجب

(١) وفي بعض النسخ: (أجهر).

(٢) سورة الشورى: ٢٣.

من كيفية عملهم بوصية رسول الله ﷺ ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين.

الأشد عداوة

مسألة: ينبغي بيان أن ابن أبي قحافة كان أشد خصوم فاطمة الزهراء عليها السلام وأجهدهم في خصامها ، وذلك بتصريح الصديقة الصادقة المصدقة عليها السلام.

وكيف يجوز للأشد عداوة لسيدة النساء عليها السلام أن يتصدى لخلافة رسول الله ﷺ ، وقد قال تعالى : ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١) .؟

قال الإمام الصادق عليه السلام في وصف الثاني إنه : «سيئة من سيئات الأول»^(٢) . قولها عليها السلام : «خصامي» الخصام مصدر بمعنى المخاصمة ، ويمكن أن يكون جمع الخصم.

عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال : قلت له : أسألك جعلت فداك عن ثلاث خصال أنفي عني فيه التقية ، قال : فقال : ذلك لك ، قلت : أسألك عن فلان وفلان؟ قال : فعليهما لعنة الله بلعناته كلها ماتا والله وهما كافران مشركان بالله العظيم»^(٣) .

وقال علي بن إبراهيم : فقال الله عز وجل : ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أَوْزَارَ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٤) قال : يحملون آثامهم يعني

(١) سورة البقرة : ١٢٤ .

(٢) قصص الأنبياء للجزائري : ص ٤٢ ب ١ ف ٣ .

(٣) بصائر الدرجات : ص ٢٦٩-٢٧٠ ب ٣ ح ٢ .

(٤) سورة النحل : ٢٥ .

الذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام وآثام كل من اقتدى بهم، وهو قول الصادق عليه السلام: «والله ما أهرقت محجمة من دم، ولا قرع عصا بعصا، ولا غصب فرج حرام، ولا أخذ مال من غير حله، إلا ووزر ذلك في أعناقهما من غير أن ينقص من أوزار العاملين بشيء»^(١).

وقال علي بن إبراهيم: في قوله: ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ فإنها كناية عن الذين غصبوا آل محمد حقهم، ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ يعني في أمير المؤمنين عليه السلام، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ وهما رجلان، والسادة والكبراء هما أول من بدا بظلمهم وغصبهم، وقوله: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ أي: طريق الجنة، والسبيل أمير المؤمنين عليه السلام ثم يقولون ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾^(٢)^(٣).

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّوْنَا مِنْ أَجْنٍ وَالْإِنْسِ﴾، قال العالم عليه السلام: «من الجن، إبليس الذي أشار على قتل رسول الله ﷺ في دار الندوة وأضل الناس بالمعاصي، وجاء بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى فلان فبايعه، ومن الإنس فلان ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾»^(٤)^(٥).

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٨٣ سورة النحل.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٧-٦٨.

(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٩٧ نزول آية الحجاب.

(٤) سورة فصلت: ٢٩.

(٥) بحار الأنوار: ج ٣٠ ص ١٥٥-١٥٦ ب ٢٠ ح ١٣.

وَأَلْفَيْتُهُ أَلَدَ فِي كَلَامِي

دراسة التاريخ

مسألة: دراسة التاريخ أمر واجب في الجملة، للعديد من الأدلة^(١) ومن مصاديقه:

معرفة الشخصيات الفاعلة سلبيًا وإيجابيًا للتأسي بالصالحين منهم وتجنب الضالين، ولذلك ولغيره سلطت الصديقة الزهراء عليها السلام الأضواء على شخصية خصمها فقالت: «لقد أجهد.. وألد...».

ويعرف من كلامها عليها السلام هذا: إن الرأس والعقل المخطط لكل تلك المؤامرات كان هو ابن أبي قحافة، كما يعرف من كلامها عليها السلام أن ما يتصوره البعض من أنه كان لنا مداريا على عكس صاحبه حيث كان خشنا، غير صحيح فإنها عليها السلام تصرح بـ «لقد أجهد في خصامي.. وألفيته الألد في كلامي».

هل كانت البيعة فلتة؟

مسألة: يستفاد من قول الصديقة عليها السلام: (أجهد) أي بذل غاية الجهد في خصام الزهراء عليها السلام، ومنه يعرف أن ما قالوه من كونها (كانت فلتة.. ليس على ظاهره، بل كان أمرا مخططا دبر له بليل وعن سابق عمد وإصرار.. مع الالتزام بكل لوازمه بما فيه بذل غاية الجهد في خصام بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسيدة

(١) من قبيل أسر (سر في ديارهم وانظر إلى آثارهم)، ومن قبيل العلة التي كانت وراء ذكر القرآن الكريم لقصاص الماضين، وللتصريح بأسماء فرعون ونمرود وهامان وغيرهم من الطغاة، ومن قبيل التأسي والتجنب إلى غير ذلك.

نساء العالمين عليهن السلام.

كما يعرف أن الأول شحذ كل طاقاته، وحرك كل خيوطه، وقام بكل ما لا يصح من وراء الكواليس، كما كان هو الواجهة أيضا (أجهد.. ألفيته..)، وإن حاول التستر خلف شخصيات أخرى، وخلف دعوى أن المسلمين هم الذين دفعوه لذلك.

وهذا هو ديدن الحكومات الجائرة، فإنها تحاول القضاء على المصلحين أو تحديدهم بكل الصور وبشتى الأساليب الخفية والظاهرة. وعلى المصلحين أن يعدوا أنفسهم لذلك، ويعرفوا أن طريق الله صعب، وأن أمرهم عليهم السلام مستصعب^(١)، فلا تهولنهم مخاوف الدرب، وليتأسوا بالصديقة الكبرى عليها السلام في مقارعة الظالمين ومجاهرتهم بكلمة الحق.

حقيقة الرجل

مسألة: لو لم يكن لنا من التاريخ ومن الروايات أي خبر وحديث إلا قولها عليها السلام هذا عن ابن أبي قحافة، لكفى في الكشف عن حقيقته، وفي معرفة هويته ومدى حجم جنايته وخصامه لبضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قولها عليها السلام: «وألفيته...» أي وجدته، و(الألد): شديد الخصومة، أي وجدت ابن أبي قحافة شديد الخصومة معي.

(١) راجع مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٢٩٦-٢٩٧ ب ٢٣ ح ١٤١٣١.

حرمة خصامها عليها السلام

مسألة: يحرم خصام الصديقة فاطمة عليها السلام ؛ فإن من خاصمها خاصم رسول الله ﷺ ، ومن خاصمه خاصم الله عز وجل على ما يستفاد من الروايات الشريفة.

عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: سألت رسول الله ﷺ أي النساء أحب إليك؟ قال: «فاطمة». قلت: من الرجال؟ قال: «زوجها»^(١).

وعن السلامي مسندا: أن جميعا التيمي قال: (دخلت مع عمتي على عائشة. فقالت لها عمتي: ما حملك على الخروج على علي؟. فقالت عائشة: دعينا، فوالله ما كان أحد من الرجال أحب إلى رسول الله من علي، ولا من النساء أحب إليه من فاطمة)^(٢).

وقال علي بن إبراهيم القمي: وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾^(٣)، قال: نزلت فيمن غصب أمير المؤمنين عليه السلام حقه وأخذ حق فاطمة عليها السلام وآذاها، وقد قال رسول الله ﷺ: «من آذاها في حياتي كمن آذاها بعد موتي، ومن آذاها بعد موتي كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله»، وهو قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(١) المناقب: ج ٣ ص ٣٣١ فصل في حب النبي إياها.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٣٨ ب ٣.

(٣) سورة الأحزاب: ٥٧.

وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ يعني عليا وفاطمة ﴿بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾^(١) وهي جارية في الناس كلهم^(٢).

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي عليه السلام، عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَغْضَبُ لَغَضَبِ فَاطِمَةَ وَيَرْضَى لِرِضَاهَا»^(٣).

وعن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال عليه السلام: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ عَمَّا لَهَا وَإِذَا فِي عُنُقِهَا قِلَادَةً، فَأَعْرَضَ عَنْهَا فَقَطَعْتُهَا وَرَمْتُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْتَ مِنِّي يَا فَاطِمَةُ. ثُمَّ جَاءَ سَائِلٌ فَنَاولَهُ الْقِلَادَةَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ أَهْرَقَ دَمِي وَأَذَانِي فِي عَتْرَتِي»^(٤).

وعن عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: سمعت سعد بن مالك - يعني: ابن أبي وقاص - يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، مَنْ سَرَّهَا فَقَدْ سَرَّنِي، وَمَنْ سَاءَ مَا فَقَدْ سَاءَ نِي، فَاطِمَةُ أَعَزُّ الْبَرِيَّةِ عَلَيَّ»^(٥).

وعن الزهري، وابن أبي مليكة، والمسور بن مخرمة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا فَاطِمَةُ شَجَنَةٌ مِنِّي، يَقْبِضُنِي مَا يَقْبِضُهَا، وَيَسْطِنِي مَا يَسْطِهَا»^(٦).

(١) سورة الأحزاب: ٥٨.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٩٦ نزول آية التطهير.

(٣) الأمالي للمفيد: ص ٩٤-٩٥ المجلس الحادي عشر ح ٤.

(٤) كشف الغمة: ج ١ ص ٤٧١ فاطمة عَمَّا لَهَا.

(٥) الأمالي للطوسي: ص ٢٤ المجلس الأول ح ٣٠.

(٦) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٣٩ ب ٣.

وعن مجاهد، قال: خرج رسول الله ﷺ وقد أخذ بيد فاطمة عليها السلام، وقال: «من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي الذي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»^(١).

وعن أبي خالد عمرو بن خالد الواسطي، قال: حدثني زيد بن علي عليه السلام وهو أخذ بشعره، قال: سمعت أبي الحسين عليه السلام وهو أخذ بشعره، قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو أخذ بشعره، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو أخذ بشعره، قال: «من آذى شعرة مني فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل، ومن آذى الله عز وجل لعنه ملائ السماوات وملا الأرض، وتلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾»^(٢)^(٣).

(١) كشف الغمة: ج ١ ص ٤٦٧ فاطمة عليها السلام.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٣) الأمالي للطوسي: ج ٤٥١ المجلس السادس عشر ح ١٠٠٦.

حق حبستني قيلة نصرها^(١) والمهاجرة وصلها

حرمة حبس النصره عنها

مسألتان: يحرم حبس النصره عن الصديقة الطاهرة عليها السلام كما يحرم حبس صلتها عليها السلام، وقد ارتكب القوم هاتين المعصيتين الكبيرتين، فحبست الأنصار نصرها وحبست المهاجرة وصلها.

وصلة الصديقة عليها السلام أوجب من صلة الأرحام كما هو واضح، وفي الحديث القدسي أوحى الله إلى موسى عليه السلام في المناجاة: «...واقرن مع ذلك صلة الأرحام؛ فإنني أنا الله الرحمن الرحيم، والرحم أنا خلقتها فضلا من رحمتي ليتعاطف بها العباد، ولها عندي سلطان في معاد الآخرة، وأنا قاطع من قطعها وواصل من وصلها، وكذلك أفعل بمن ضيع أمري...»^(٢).

وعن رسول الله ﷺ عن جبرئيل عن الله تعالى: «أنا الرحمن شققت الرحم من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»^(٣). قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصُلُّونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾^(٤).

وفي (الكافي): عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «إن الرحم معلقة بالعرش تقول: اللهم صل من وصلني، واقطع من قطعني وهي رحم آل محمد، وهو قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَصُلُّونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ

(١) وفي بعض النسخ: (حين منعني الأنصار نصرها).

(٢) الكافي: ج ٨ ص ٤٥ حديث موسى عليه السلام ح ٨.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ٢٣٧-٢٣٨ ب ١١ ح ١٨١١٢.

(٤) سورة الرعد: ٢١.

به أَنْ يُوصَلَ^(١)، ورحم كل ذي رحم^(٢).

وعن عمر بن يزيد، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿الَّذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ^(٣)؟﴾.

قال عليه السلام: «نزلت في رحم آل محمد عليهم السلام»^(٤).

وعن محمد بن الفضيل، قال: سمعت العبد الصالح عليه السلام يقول: ﴿وَالَّذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ^(٥)﴾، قال:

«هي رحم محمد وآل محمد عليهم السلام معلقة بالعرش، تقول: اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني»^(٦).

وعن ابن مريم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ^(٧)؟﴾. قال: «من ذلك صلة الرحم، وغاية تأويلها صلتك إيانا»^(٨).

قولها عليها السلام: «حتى حبستني» (حتى) بمعنى: الغاية، يعني: إن ابن أبي قحافة خاصمني وبلغ في الخصومة درجة حتى أن الصحابة خافوا من نصرتي

(١) سورة الرعد: ٢١.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٥١ باب صلة الرحم ح ٧.

(٣) سورة الرعد: ٢١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٣٠ ب ٣ ح ٩٥.

(٥) سورة الرعد: ٢١.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ٢٣٦ ب ١١ ح ١٨١٠٤.

(٧) سورة الرعد: ٢١.

(٨) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٠٨ من سورة الرعد ح ٣٠.

والوقوف إلى جانبي، رغم معرفتهم بمكانتي من رسول الله ﷺ وبمنزلتي عند رب السماوات والأرض، وقد قال ﷺ: «إن الله يرضى لرضى فاطمة ويغضب لغضبها»^(١).

و«قيلة» أي: بنو قيلة، وهي اسم أم الأوس والخزرج، وقد تقدم أنهما قبيلتان من الأنصار.

قولها ﷺ: «والمهاجرة» أي الطائفة المهاجرة، والمراد بهم: المهاجرون من مكة، أو المهاجرون من مختلف البلاد الذين كانوا قادمين إلى المدينة المنورة في زمان الرسول ﷺ..

و«وصلها»: بمعنى عونها، فإنهم امتنعوا عن معونتها وصلتها.

(١) راجع إرشاد القلوب: ج ٢ ص ٢٣٢ في فضائل ومناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وغزواته ﷺ.

وغيضت الجماعة دوني طرفها

اتخاذ موقف الحياد

مسألة: اتخاذ موقف الحياد أمام ظلم الظالم محرم، وقولها عليها السلام: «وغيضت الجماعة دوني طرفها» كناية عن وقوف القوم موقف الحياد تجاه الصراع الذي دار بين ابن أبي قحافة وبين الصديقة الزهراء (عليها الصلاة والسلام)، ويستفاد منه حرمة (غض الطرف عن نصرة المظلوم)^(١).

وقد يكون في كلامها عليها السلام تلميح إلى ما سيحقيق بالقوم، حيث إن من يغض بصره لا يرى أمامه فلا يتخذ التدبير اللازم في مسيره، فيكون للكلام - بهذا اللحاظ - دلالة تحذيرية مما سيترتب على سكوتهم من الآثار السيئة والمخاطر الدنيوية، إضافة للعواقب الأخروية، وذلك كما في (الضبع) التي تنام على طول اللدم^(٢)؛ فإن من سنن الله تعالى: أن من يسكت على الظلم يلحقه الذل والعار ويلقى العنت في الدنيا قبل الآخرة.

ومن ذلك يعرف أن ما يذهب إليه البعض من التزامهم بالحياد أمام الظالم بتذرع عدم التدخل في السياسة غير صحيح، إذ أنه إضافة إلى حرمة الذاتية، لا يجنبهم المخاطر التي منها فروا، بل الأمر بالعكس تماماً.

(١) المراد حرمة ما كني عنه بـ (غض البصر) وليس المقصود تحريم الغض بنفسه.

(٢) اللدم - بسكون الدال -: ضرب الحجر أو غيره على الأرض ليس بالقوي. ويحكى أن الضبع تستغفل بمثل ذلك لتسكن حتى تصاد. مجمع البحرين: ج ٦ ص ١٦٢ مادة (لدم). ومن كلام لأمر المؤمنين عليهم السلام لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال، وفيه بين عن صفته بأنه عليه السلام لا يخدع، قال: «وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّذَمِّ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا، وَيَخْتَلِهَا رَاصِدُهَا»، نهج البلاغة: الخطبة رقم ٦.

قال مولى الموحدين عليه السلام: «جاهدوا تورثوا أبناءكم عزاً»^(١).
نعم قد تكون هناك ظروف التقية وما أشبهه، فيلزم فيها مراعاة الموازين الشرعية.

روايات حرمة الموقف الحياد

عن عمرو بن قيس المشرقي، قال: دخلت على الحسين عليه السلام أنا وابن عم لي وهو في قصر بني مقاتل. فسلمنا عليه فقال له ابن عمي: يا أبا عبد الله، هذا الذي أرى خضاب أو شعرك؟! فقال: «خضاب والشيب إلينا بني هاشم يعجل». ثم أقبل علينا فقال: «جئتما لنصرتي؟». فقلت: إني رجل كبير السن، كثير الدين، كثير العيال، وفي يدي بضائع للناس ولا أدري ما يكون، وأكره أن أضيع أمانتي. وقال له ابن عمي مثل ذلك. قال عليه السلام لنا: «فانطلقا فلا تسمعا لي واعية، ولا تريأ لي سواداً؛ فإنه من سمع واعيتنا، أو رأى سوادنا فلم يجبنا ولم يعنا، كان حقاً على الله عز وجل أن يكبه على منخره في النار»^(٢).

وروى ابن رباح، قال: لقيت رجلاً أعمى قد حضر قتل الحسين عليه السلام، فسئل عن ذهاب بصره؟ قال: كنت عاشر عشرة غير أنني لم أضرب ولم أرم، فلما رجعت إلى منزلي وصليت فأتاني آتٍ في منامي، فقال: أجب رسول الله ﷺ. فقلت: مالي وله، فأخذني يقودني إليه. فإذا هو جالس في صحراء حاسر عن ذراعيه أخذ بحربة، وملك قائم بين يديه وفي يده سيف من نار فقتل

(١) راجع الكافي: ج ٥ ص ٨ باب فضل الجهاد ح ١٢، وفيه: عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال النبي ﷺ: «اغزوا تورثوا أبناءكم مجداً».

(٢) ثواب الأعمال: ص ٢٥٩ عقاب من سمع واعية أهل البيت عليهم السلام ورأى سوادهم فلم يجبه.

أصحابي، فكلما ضرب ضربة التهبت أنفسهم ناراً. فدنوت وجثوت بين يديه
وقلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يرد عليّ، ومكث طويلاً ثم رفع رأسه
وقال: «يا عبد الله، انتهكت حرمتي وقتلت عترتي ولم ترع حقي»!. فقلت: يا
رسول الله، والله ما ضربت بسيف، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم. قال:
«صدقت ولكنك كثرت السواد، ادن مني». فدنوت فإذا طشت مملوء دماً، فقال:
«هذا دم ولدي الحسين»، فكحلني منه، فانتبهت لا أرى شيئاً^(١).

وقال السدي لرجل: أنت تبيع القطران^(٢)؟! قال: والله ما رأيت
القطران، إلا أنني كنت أبيع المسمار في عسكر عمر بن سعد في كربلاء. فرأيت في
منامي رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام يسقيان الشهداء، فاستسقيت
علياً عليه السلام فأبى، فأتيت النبي ﷺ فاستسقيت فنظر إليّ وقال: «ألست ممن
أعان علينا». فقلت: يا رسول الله، إنني محترق ووالله ما حاربتهم. فقال: «اسقه
قطراناً». فسقاني شربة قطران، فلما انتبهت كنت أبول ثلاثة أيام القطران، ثم
انقطع وبقيت رائحته^(٣).

وقال الشعبي: رأيت رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم اغفر

(١) مثير الأحران: ص ٨٠ رواية ابن رباح في قتل الحسين عليه السلام وما جرى للأعمى فيه.

(٢) قال تعالى: ﴿سرابيلهم من قطران﴾ [٤٤/٥٠] هو بفتح القاف وكسر الطاء: الذي يطلى به الإبل التي
فيها الجرب، يتخذ من حمل شجر العرعر فيطبخ بها ثم يهنأ به، وسكون الطاء وفتح القاف وكسرهما
لغة، وقد أوعد الله المشركين أن يعذبهم به لعان أربعة: للذعة وحرقة، واشتعال النار فيه، وإسراعها
في المطلي به، وسواد لونه بحيث تشمئز عنه النفوس من نتن رائحته، فتطلى به جلودهم حتى يعود
طلاؤه لهم كالسراويل، لأنهم كانوا يستكبرون عن عبادته فألبسهم بذلك الخزي والهوان. وقطران
بمعنى نحاس قد انتهى حره أيضاً، ويقال الحديد المذاب.

(٣) المناقب: ج ٤ ص ٥٨ فصل في آياته بعد وفاته عليه السلام.

لي ولا أراك تغفر لي. فسألته عن ذنبه؟. فقال: كنت من الوكلاء على رأس الحسين عليه السلام وكان معي خمسون رجلاً، فرأيت غمامة بيضاء من نور وقد نزلت من السماء إلى الخيمة وجمعاً كثيراً أحاطوا بها، فإذا فيهم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، ثم نزلت أخرى وفيها النبي ﷺ وجبرائيل وميكائيل وملك الموت عليه السلام. فبكى النبي ﷺ وبكوا معه جميعاً، فدنا ملك الموت وقبض تسعاً وأربعين فوثب عليّ فوثبت على رجلي، وقلت: يا رسول الله، الأمان الأمان فوالله ما شايعت في قتله ولا رضيت. فقال: «ويحك وأنت تنظر إلى ما يكون». فقلت: نعم. فقال: «يا ملك الموت، خل عن قبض روحه؛ فإنه لا بد أن يموت يوماً». فتركني وخرجت إلى هذا الموضع تائباً على ما كان مني^(١).

عدم نصرة أهل البيت عليهم السلام

مسألة: يحرم غض البصر عن نصرة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، كما يحرم عدم نصرة أهل البيت عليهم السلام.

والمسألة هذه من مصاديق الكلّي المتقدم، والإفراد بالذكر للأهمية وللأكدية ولشدة الحرمة؛ فإن المظلوم إذا كان من أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) فإن غض الطرف عن التهجم عليهم أو التنقيص من قدرهم يكون أكثر حرمة، والنصرة أشد وجوباً، فكيف بالصديقة فاطمة عليها السلام وهي حجة الله على أهل البيت عليهم السلام.

قال الإمام جعفر بن محمد عليه السلام: «احفظوا فينا ما حفظ العبد الصالح في

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٣٠٣ ب ٤٦.

اليتمين - قال : - ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾^(١)»^(٢).

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال : «لما نزلت هذه الآية : ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾»^(٣). قال المسلمون : يا رسول الله ، أأنت إمام الناس كلهم أجمعين؟. قال : فقال رسول الله ﷺ : أنا رسول الله إلى الناس أجمعين ، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس فيُكَذَّبُونَ وَيُظْلَمُهُمْ أئمة الكفر والضلال وأشياعهم ، فمن والاهم واتبعهم وصدقهم فهو مني ومعى وسيلقاني ، ألا ومن ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معى وأنا منه بريء»^(٤).

وعن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام قال : قرأ ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾^(٥)، ثم قال : «حفظهما ربهما لصلاح أبيهما ، فمن أولى بحسن الحفظ منا ، رسول الله ﷺ جدنا ، وابنته سيدة نساء الجنة أمنا ، وأول من آمن بالله ووحدّه وصلى أبونا»^(٦).

وعن الكلبي ولوط بن يحيى الأزدي : أن ابن قيس بن زرارة الشاذي - فخذ من همدان - قدم على علي عليه السلام فأخبره بخروج بسر. فندب علي عليه السلام الناس

(١) سورة الكهف : ٨٢.

(٢) كشف الغمة : ج ٢ ص ١٦٢ وأما مناقبه وصفاته.

(٣) سورة الإسراء : ٧١.

(٤) الكافي : ج ١ ص ٢١٥ باب أن الأئمة في كتاب الله إمامان إمام يدعو إلى الله وإمام يدعو إلى النار ح ١.

(٥) سورة الكهف : ٨٢.

(٦) الأمالي للمفيد : ص ١١٦ المجلس الثالث عشر ح ٩.

فتثاقلوا عنه ، فقال : «أتريدون أن أخرج بنفسي في كتيبة تتبع كتيبة في الفيافي والجبال ، ذهب والله منكم أولو النهى والفضل الذين كانوا يُدعون فيجيئون ، ويُؤمرون فيطيعون ، لقد هممت أن أخرج عنكم فلا أطلب بنصركم ما اختلف الجديدان». فقام جارية بن قدامة فقال : أنا أكفيكمهم يا أمير المؤمنين. فقال : «أنت لعمرى لميمون النقيبة ، حسن النية ، صالح العشيرة». وندب معه ألفين وقال بعضهم ألفا ، وأمره أن يأتي البصرة فيضم إليه مثلهم^(١).

وفي رواية عن أبي الوداك ، قال : قدم زرارة بن قيس فخير علياً عليه السلام بالقدمة التي خرج فيها بسر. فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : «أما بعد ، أيها الناس إن أول فرقتكم وبدء نقصكم ذهاب أولي النهى وأهل الرأي منكم ، الذين كانوا يلقون فيصدقون ، ويقولون فيعدلون ، ويدعون فيجيئون ، وأنا والله قد دعوتكم عوداً وبدءاً ، وسراً وجهاراً ، وفي الليل والنهار ، والغدو والآصال ، فما يزيدكم دعائي إلا فراراً وإدباراً. أما تنفعكم العظة والدعاء إلى الهدى والحكمة ، وإنني لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم ، ولكنني والله لأصلحكم بفساد نفسي ، ولكن أمهلوني قليلاً فكأنكم والله بامرئ قد جاءكم يحرّمكم ويعذبكم ، فيعذبه الله كما يعذبكم. إن من ذلّ المسلمين وهلاك الدين أن ابن أبي سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيجاب ، وأدعوكم وأنتم الأفضلون الأخيار وتدافعون ، ما هذا بفعل المتقين. إن بسر بن أبي أرطاة وجه إلى الحجاز ، وما بسر (لعنه الله) لينتدب إليه منكم عصاة حتى تردوه عن سننه ، فإنما خرج في ستمائة أو يزيدون».

(١) الغارات: ج ٢ ص ٤٢٧ مسير جارية بن قدامة.

قال: فأسكت القوم ملياً لا ينطقون. فقال: «ما لكم مخرسون لا تكلمون»^(١).

وفي (نهج البلاغة) لما تواترت الأخبار على أمير المؤمنين عليه السلام باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما: عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران، قام عليه السلام على المنبر ضجراً بشاغل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي، فقال عليه السلام:

«أُنِيتُ بُسْرًا قَدْ اِطَّلَعَ الْيَمَنُ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأُظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيِّدُ الْوَنِّ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ، وَبِأَدَائِهِمْ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ، وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ، فَلَوْ اِثْمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ. اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِيتُهُمْ وَمَلُونِي، وَسَمِيتُهُمْ وَسَمُونِي، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي. اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبِهِمْ كَمَا يُمِاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بَنِ غَنَمٍ»^(٢).

لماذا نبش التاريخ؟

مسألة: لا فرق فيما ذكر من حرمة اتخاذ موقف الحياد، بين الحاضر والماضي وحتى المستقبل (كأخبار الظهور)، كما إذا كان الهجوم تاريخياً، فلا يصح الفرار من النصر بدعوى أنها قضايا تاريخية أكل الدهر عليها وشرب، إذ:

(١) بحار الأنوار: ج ٣٤ ص ١٤ ب ٣١.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ٢٥ ومن خطبة له عليه السلام وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد.

أولاً: إن من منهج القرآن الكريم هو التطرق إلى التاريخ وذكر الأنبياء والأولياء عليهم السلام الماضين من جهة، وذكر الطغاة والأعداء كذلك وذمهم ولعنهم من جهة أخرى.

ثانياً: لقانون التأسّي وعدمه، فالحديث عن الصالحين ليتخذوا أسوة، والحديث عن الفراعنة ليُجتنبوا.

ثالثاً: إن عدم فضح عدو الله والظالم المتستر بلباس الدين، يجعل سائر أقواله وأفعاله حجة وربما استمرت للأجيال القادمة أو مدى الدهر.

رابعاً: القدح والمدح يقعان في سلسلة الأجر والعقاب اللذين قررهما الله تعالى للصالحين والطالحين في الدنيا قبل الآخرة، ولذلك طلب إبراهيم عليه السلام من الله الذكر الحسن: ﴿وَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾^(٢).

خامساً: المستقبل وليد الماضي بنحو المقتضي^(٣).

إلى غير ذلك مما هو مذكور في دراسة التاريخ وخاصة ما يرتبط بالمعتقدات. في الحديث الشريف: «من ورخ مؤمناً فقد أحياء»^(٤). وفي وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام كما في (نهج البلاغة):

(١) سورة الشعراء: ٨٤.

(٢) سورة المؤمنون: ٤٤.

(٣) المراد أن الماضي السيئ يؤثر في صنع المستقبل السيئ، فكان لابد من دراسته ومعرفته حتى يمكن تجنب مساوئه.

(٤) انظر كتاب مستدرك سفينة البحار: ج ١٠ ص ٢٧٨، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ج ١ ص ٣، وفيه: «من ورخ مؤمناً فكأنما أحياء».

«أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ، وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا؛ فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدْ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحْبَةِ، وَحَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ، فَأَصْلِحْ مَثَوَاكَ وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ»^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام في حديثه للمفضل: «تأمل يا مفضل ما أنعم الله تقدست أسماؤه به على الإنسان من هذا المنطق الذي يعبر به عما في ضميره، وما يخطر بقلبه وينتجه فكره، وبه يفهم عن غيره ما في نفسه. ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة التي لا تخبر عن نفسها بشيء، ولا تفهم عن مخبر شيئاً. وكذلك الكتابة التي بها تقيد أخبار الماضين للباقيين، وأخبار الباقيين للآتين، وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها»^(٢).

هل جماعة المسلمين معصومة؟

مسألة: المراد من (الجماعة) في قولها عليها السلام: «وغضت الجماعة دوني طرفها» الأوس والخزرج والكثير من المهاجرين والأنصار، وليس المراد جميع المسلمين ولا أكثرهم، ولا جميع أهل الحل والعقد ولا أكثرهم، إذ:

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٣١ ومن وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليهما السلام كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين.

(٢) توحيد المفضل: ص ٧٩ اختصاص الإنسان بالمنطق والكتابة.

أولاً: كان أكثر المسلمين خارج المدينة المنورة - وقت الحدث - وكان مجموع أهل المدينة أقلية بالقياس إلى كل المسلمين^(١).

وثانياً: كان أهل البيت عليهم السلام من المعارضين للغاصبين، ومن أشد المناصرين للصديقة الطاهرة عليها السلام.

وثالثاً: كان العديد من كبار الصحابة من المناصرين للصديقة فاطمة عليها السلام كسلمان وعمار وأبي ذر والمقداد وغيرهم (رضوان الله عليهم).

ثم لو فرض أن المراد من (الجماعة) هو عامة المسلمين لكان كلامها عليها السلام دليلاً قاطعاً على بطلان ما ذهب إليه العامة من أن جماعة المسلمين معصومة، اللهم إلا جماعة المسلمين التي تضم في ضمنها أهل البيت عليهم السلام فإنها هي المعنية بقوله عليه السلام: «لا تجتمع أمتي على خطأ»^(٢)، وذلك^(٣) هو وجه حجية الإجماع عندنا، إذ المحور هو دخول المعصوم عليه السلام بينهم حدساً أو تشرفاً أو حساً... الخ، فالإجماع ليس دليلاً مستقلاً بل هو كاشف عن السنة على ما ذكره الأصوليون، وتفصيل الكلام في علم الأصول.

قولها عليها السلام: «وغيضت...» أي كأنهم لم يروني ولم يسمعوا كلامي، وهذه كناية عن عدم الدفاع عنها عليها السلام والوقوف إلى جانبها.

وفي (إرشاد القلوب): روي عن الصادق عليه السلام: «أن أبا بكر لقي أمير المؤمنين عليه السلام في سكة من سكك بني النجار فسلم عليه وصافحه. وقال له:

(١) إذ عدد نفوس أهل المدينة - مسلمين وغير مسلمين - كان حوالي عشرة آلاف على ما ذكره المؤرخون، والمسلمون كانوا أضعاف ذلك فقد اجتمع منهم في غدير خم مائة وثمانون ألف على بعض الروايات.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٨ ص ١٢٣.

(٣) أي دخول المعصوم عليه السلام في ضمن المجمعين.

يا أبا الحسن، أفي نفسك شيء من استخلاف الناس إياي وما كان من يوم السقيفة وكراهيتك للبيعة، والله ما كان ذلك من إرادتي إلا أن المسلمين أجمعوا على أمر لم يكن لي أن أخالفهم فيه؛ لأن النبي ﷺ قال: لا تجتمع أمتي على الضلال!.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر، أمته الذين أطاعوه في عهده من بعده، وأخذوا بهداه، وأوفوا بما عاهدوا الله عليه، ولم يغيروا ولم يبدلوا. قال له أبو بكر: والله يا علي لو شهد عندي الساعة من أثق به أنك أحق بهذا الأمر سلمته إليك، رضي من رضي وسخط من سخط!.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر، هل تعلم أحداً أوثق من رسول الله وقد أخذ بيعتي عليك في أربعة مواطن، وعلى جماعة منكم وفيهم عمر وعثمان: في يوم الدار، وفي بيعة الرضوان تحت الشجرة يوم جلوسه في بيت أم سلمة، وفي يوم الغدير بعد رجوعه من حجة الوداع، فقلتم بأجمعكم: سمعنا وأطعنا الله ورسوله. فقال لكم: الله ورسوله عليكم من الشاهدين. فقلتم بأجمعكم: الله ورسوله علينا من الشاهدين. فقال لكم: فليشهد بعضكم على بعض، وليبلغ شاهدكم غائبكم، ومن سمع منكم فليسمع من لم يسمع. فقلتم: نعم يا رسول الله ﷺ، وقمتم بأجمعكم تهنون رسول الله ﷺ وتهنوني بكرامة الله لنا، فدنا عمر وضرب على كتفي وقال بحضرتكم: بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى المؤمنين؟.

فقال أبو بكر: ذكرتني أمراً يا أبا الحسن لو يكون رسول الله ﷺ شاهداً فأسمعه منه.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ورسوله عليك من الشاهدين، يا أبا بكر إن رأيت رسول الله ﷺ حياً يقول لك: إنك ظالم في أخذ حقي الذي جعله الله ورسوله لي دونك ودون المسلمين أن تسلم هذا الأمر إليّ وتخلع نفسك منه. فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، وهذا يكون! أن أرى رسول الله ﷺ حياً بعد موته فيقول لي ذلك!.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: نعم يا أبا بكر. قال: فأرني إن كان ذلك حقاً.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: والله ورسوله عليك من الشاهدين إنك تفي بما تقول؟. قال أبو بكر: نعم.

فضرب أمير المؤمنين عليه السلام على يده، وقال: تسعى معي نحو مسجد قبا. فلما ورده تقدم أمير المؤمنين عليه السلام فدخل المسجد وأبو بكر من ورائه، فإذا هو برسول الله ﷺ جالس في قبلة المسجد، فلما رآه أبو بكر سقط لوجهه كالمنغشي عليه، فناداه رسول الله ﷺ: ارفع رأسك أيها الضليل المفتون. فرفع أبو بكر رأسه وقال: لبيك يا رسول الله، أحياء بعد الموت يا رسول الله!.

فقال: ويلك يا أبا بكر، ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١). قال: فسكت أبو بكر وشخصت عيناه نحو رسول الله ﷺ. فقال: ويلك يا أبا بكر، أنسيت ما عاهدت الله ورسوله عليه في المواطن الأربع لعلي عليه السلام.

فقال: ما نسيتها يا رسول الله.

فقال: ما بالك اليوم تناشد علياً فيها ويذكرك فتقول نسيت؟.

وقص عليه رسول الله ﷺ ما جرى بينه وبين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى آخر، فما نقص منه كلمة وما زاد فيه كلمة.

فقال أبو بكر: يا رسول الله، فهل من توبة، وهل يعفو الله عني إذا سلمت هذا الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام؟.

قال: نعم يا أبا بكر، وأنا الضامن لك على الله ذلك إن وفيت.

قال: وغاب رسول الله ﷺ عنهما.

فتشبث أبو بكر بعلي عليه السلام وقال: الله، الله في يا علي سر معي إلى منبر رسول الله ﷺ حتى أعلو المنبر وأقص على الناس ما شاهدت ورأيت من أمر رسول الله وما قال لي وما قلت له وأمرني به، وأخلع نفسي من هذا الأمر وأسلمه إليك.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أنا معك إن تركك شيطانك.

فقال أبو بكر: إن لم يتركني تركته وعصيته.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا تطيعه ولا تعصيه، وإنما رأيت ما رأيت لتأكيد الحجة عليك.

وأخذ بيده وخرجا من مسجد قبا يريدان مسجد رسول الله ﷺ وأبو بكر يخفق بعضه بعضاً ويتلون ألواناً، والناس ينظرون إليه ولا يدرون ما الذي كان حتى لقيه عمر بن الخطاب. فقال له: يا خليفة رسول الله ما شأنك، وما الذي دهاك؟، إلى آخر الحديث^(١).

(١) راجع إرشاد القلوب: ج ٢ ص ٢٦٤-٢٦٦، وبحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٣٥ ب ٥.

فلا دافع ولا مانع

خذلان رسول الله ﷺ

مسألة: خذلان القوم لفاطمة الزهراء عليها السلام خذلان لرسول الله ﷺ، فإن قولها عليها السلام: «دوني» بضميمة قوله ﷺ: «فاطمة بضعة مني» يفيد أن الجماعة خذلوا رسول الله ﷺ، ومن الواضح ما يترتب على خذلانه ﷺ من الحرمة والفسق وسوء العذاب.

دافع ومانع

مسألة: يجب أن يكون هناك دافع ومانع على مر الأزمان، وذلك للدفاع عن حق أهل البيت عليهم السلام ومنع الظالمين والغاصبين من مكائدهم. فإن أتباع من ظلم أهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله ﷺ يظلمونهم اليوم ويظلمون شيعتهم ويتآمرون عليهم. في (منية المريد) عن التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: قال محمد بن علي عليه السلام: «إن من تكفل بأيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم، المتحيرين في جهلهم، الأسراء في أيدي شياطينهم وفي أيدي النواصب من أعدائنا، فاستنقذهم منهم وأخرجهم من حيرتهم، وقهر الشياطين برده وسواسهم، وقهر الناصبين بحجج ربهم ودليل أئمتهم، ليفضلوا عند الله على العابد بأفضل المواقع، بأكثر من فضل السماء على الأرض، والعرش على الكرسي، والحجب على السماء، وفضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء»^(١).

(١) منية المريد: ص ١١٨ ف ٤.

وفي (المنية) أيضاً، عن التفسير المنسوب:

وقال علي بن محمد عليه السلام: «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شبك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب الذين يمسون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك السفينة سكانها، لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل»^(١).

قولها عليها السلام: «فلا دافع ولا مانع» أي: لم يكن مانع أمام ابن أبي قحافة يمنع من اغتصاب فذك، ولا دفعه أحد بعد الغصب حتى يرجع الحق إلى أهله^(٢).

(١) منية المريد: ص ١١٨ ف ٤.

(٢) قد يقال: المنع يتضمن معنى سلبياً، والدفع يتضمن معنى إيجابياً، ف (المانع) هو من يقف سداً أمام العدو، و (الدافع) هو من يهاجمه.

خرجتُ كاظمة

كلي الظلامة وجزئها

مسألة: كما يجب - أو يستحب حسب الموارد - ذكر كلي ظلامة آل الرسول ﷺ، يجب أو يستحب ذكر الجزئيات والمفردات، ومن ذلك بيان أن الصديقة فاطمة عليها السلام خرجت كاظمة.

و(الكاظمة): الممتلئة غيظاً.. الصابرة عليه؛ فإن الإنسان الذي يمتلأ غيظاً ولا يظهره يكون كاظماً. و(الكظم): هو تجمع الغيظ مع الصبر، وكظم غيظه كظماً: إذا تجرعه وحبسه وهو قادر على إمضائه، يعني أنها عليها السلام خرجت من الدار وهي ممتلئة غيظاً لكنها كظمت غيظها وكان خروجها محاولة لاسترجاع فذك وإحقاق الحق حسب الموازين الشرعية.

و(الكاظم) لقب مولانا موسى بن جعفر عليه السلام.. وفي (المجمع): سمي بذلك لأنه عليه السلام كان يعلم من يجحد بعده إمامته ويكظم غيظه عليهم، وقد سقي السم في سبع تمرات ومات في حبس سندي بن شاهك من عمال هارون^(١).

وجاء في وصف المؤمن: «كظام بسام»^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ما من عبد كظم غيظاً إلا زاده الله عز وجل عزاً في الدنيا والآخرة، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ

(١) مجمع البحرين: ج ٦ ص ١٥٥ مادة (كظم).

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٢٦ باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح ١.

(٣) سورة آل عمران: ١٣٤.

النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»^(١)، وأثابه الله مكان غيظه ذلك»^(٢).

وروي: أن عبداً لموسى بن جعفر عليه السلام قدم إليه صفحة فيها طعام حار فعجل، فصبها على رأسه ووجهه فغضب. فقال له: ﴿وَالْكََاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾. قال عليه السلام: «قد كظمت». قال: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾. قال عليه السلام: «قد عفوت». قال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣). قال عليه السلام: أنت حرّ لوجه الله وقد نخلتكَ ضيعتي الفلانية»^(٤).

والوجه في كون الصديقة عليها السلام خرجت كاظمة^(٥) إضافة إلى غضبهم الخلافة وغضبهم فذكاً الموجبين لأشد الغيظ: إن الخروج إلى الأعداء والمحاجة معهم مما يشق على النفس أشد المشقة.. فكيف لو كانت التي خرجت هي سيدة نساء العالمين وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وكيف لو كان الخروج إلى من تعلم أنهم سوف لا ينصفونها بل يزيدونها غماً إلى غم وهماً فوق هم؟.

ولعل الوجه في (كاظمة) أنها عليها السلام كان بمقدورها الدعاء عليهم لاستئصال شأفتهم، ولكنها لم تفعل فقد كظمت غيظها من هذه الجهة أيضاً.

(١) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٤٠٩-٤١٠ ب ٩٣ ح ٢٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٤) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ج ١٨ ص ٤٦ نبذ من الأقوال الحكيمة.

(٥) أي الوجه في كون الخروج حالة كظم الغيظ.

وعدتُ راغمة

كيف عادت الزهراء عليها السلام ؟

مسألة: يستحب بيان أن فاطمة الزهراء عليها السلام رجعت بعد محاجة أبي بكر راغمة، وقد يجب بيان ذلك حسب الموارد. و(الراغمة) بمعنى: المرغمة، والراغام هو التراب، وهذا كناية عن الإنسان الذي يهان من قبل خصمه ولم يتحقق هدفه ويرجع صفر اليدين عما خرج من أجله.

قولها عليها السلام: «عدتُ راغمة» يُشكّل إدانة أخرى للقوم، حيث كان الواجب عليهم أن يرضوها حيث إن الله يرضى لرضاها^(١) لكنهم لم يرضوها فحسب، بل لم ينصفوها، بل أسخطوها حتى عادت راغمة.

المظلوم المهان

مسألة: يحرم إرجاع المظلوم راغماً مهاناً ذليلاً.

عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كان أبي يقول: اتقوا الظلم؛ فإن دعوة المظلوم تصعد إلى السماء»^(٢).

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلم؛ فإنه ظلمات يوم القيامة»^(٣).

(١) إرضاء الله على درجات، منها الواجب ومنها المستحب، وكذلك إرضاؤها عليها السلام بين واجب ومستحب - منه تدرج.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ١٢٨-١٢٩ ب ٥٢ ح ٨٩١٧.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٤٦ ب ٧٧ ح ٢٠٩٤١.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم ودعوة المظلوم؛ فإنها ترفع فوق السحاب حتى ينظر الله عز وجل إليها فيقول: ارفعوها حتى أستجيب له. وإياكم ودعوة الوالد؛ فإنها أحد من السيف»^(١).

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الله عز وجل أوحى إلى نبي من الأنبياء في مملكة جبار من الجبابرة: أن اتت هذا الجبار فقل له: إني لم أستعملك على سفك الدماء واتخاذ الأموال، وإنما استعملتك لتكف عني أصوات المظلومين؛ فإني لن أدع ظلامتهم وإن كانوا كفاراً»^(٢).

وعن الوليد بن صبيح، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ما من مظلمة أشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عوناً إلا الله عز وجل»^(٣).

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «ما من أحد يظلم مظلمة إلا أخذ الله بها في نفسه وماله، فأما الظلم الذي بينه وبين الله فإذا تاب غفر له»^(٤).
وعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾^(٥)، قال: «قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة»^(٦).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٥٠٩ باب من تستجاب دعوته ح ٣.

(٢) ثواب الأعمال: ص ٢٧٢ عقاب من ظلم.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٣١ باب الظلم ح ٤.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٤٧ ب ٧٧ ح ٢٠٩٤٢.

(٥) سورة الفجر: ١٤.

(٦) ثواب الأعمال: ص ٢٧٢ عقاب من ظلم.

من سيرة النبي والوصي ﷺ

هذا وقد كان رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ أفضل أسوة للدفاع عن المظلوم والأخذ بحقه ، وما أكثر القصص في هذا الباب :
عن عاصم بن حمزة السلولي ، قال : سمعت غلاماً بالمدينة وهو يقول :
يا أحكم الحاكمين ، احكم بيني وبين أُمِّي !.

فقال له عمر بن الخطاب : يا غلام ، لم تدعو على أُمِّك ؟.
فقال : يا أمير ، إنها حملتني في بطنها تسعة أشهر وأرضعتني حولين ، فلما ترعرعت وعرفت الخير من الشر ، ويميني عن شمالي ، طردتني وانتفت مني ، وزعمت أنها لا تعرفني .

فقال عمر : أين تكون الوالدة ؟.

قال : في سقيفة بني فلان .

فقال عمر : عليَّ بأم الغلام .

قال : فأتوا بها مع أربعة إخوة لها ، وأربعين قسامة يشهدون لها أنها لاتعرف الصبي ، وأن هذا الغلام غلام مدع ظلومٌ غشوم يريد أن يفضحها في عشيرتها ، وأن هذه جارية من قريش لم تتزوج قط ، وأنها بخاتم ربها .

فقال عمر : يا غلام ، ما تقول ؟.

فقال : يا أمير ، هذه والله أُمِّي حملتني في بطنها تسعة أشهر وأرضعتني حولين ، فلما ترعرعت وعرفت الخير من الشر ، ويميني من شمالي ، طردتني وانتفت مني وزعمت أنها لا تعرفني .

فقال عمر: يا هذه، ما يقول الغلام؟.

فقالت: يا أمير، والذي احتجب بالنور فلا عين تراه، وحق محمد وما ولد، ما أعرفه ولا أدري من أي الناس هو، وإنه غلام مدع يريد أن يفضحني في عشيرتي، وإني جارية من قريش لم أتزوج قط، وإني بخاتم ربي.

فقال عمر: ألكِ شهود؟.

فقالت: نعم هؤلاء.

فتقدم الأربعةون القسامة فشهدوا عند عمر أن الغلام مدع يريد أن يفضحها في عشيرتها، وأن هذه جارية من قريش لم تتزوج قط، وأنها بخاتم ربيها.

فقال عمر: خذوا هذا الغلام وانطلقوا به إلى السجن حتى نسأل عن

الشهود، فإن عدلت شهادتهم جلدته حد المفتري.

فأخذوا الغلام ينطلق به إلى السجن، فلتقاهم أمير المؤمنين عليه السلام في بعض

الطريق، فنادى الغلام: يا ابن عم رسول الله ﷺ، إني غلام مظلوم.

وأعاد عليه الكلام الذي كلم به عمر، ثم قال: وهذا عمر قد أمر بي إلى

الحبس!.

فقال علي عليه السلام: «ردوه إلى عمر».

فلما ردوه، قال لهم عمر: أمرت به إلى السجن فرددتموه إليّ.

فقالوا: يا أمير، أمرنا علي بن أبي طالب عليه السلام أن نرده إليك، وسمعناك

وأنت تقول: لا تعصوا لعلي عليه السلام أمراً.

فبينما هم كذلك إذ أقبل علي عليه السلام فقال: «عليّ بأم الغلام».

فأتوا بها، فقال علي عليه السلام: «يا غلام، ما تقول؟».

فأعاد الكلام، فقال علي عليه السلام لعمر: «أ تأذن لي أن أقضي بينهم».

فقال عمر: سبحان الله، وكيف لا وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول:

أعلمكم علي بن أبي طالب.

ثم قال للمرأة: «يا هذه، ألكِ شهود».

قالت: «نعم».

فتقدم الأربعةون قسامة فشهدوا بالشهادة الأولى. فقال علي عليه السلام:

«لأقضي اليوم بقضية بينكما هي مرضاة الرب من فوق عرشه علمنيها حبيبي رسول الله ﷺ - ثم قال لها - ألكِ ولي؟».

قالت: نعم هؤلاء إخوتي.

فقال لإخوتها: «أمري فيكم وفي أختكم جائز؟».

فقالوا: نعم يا ابن عم محمد ﷺ، أمرك فينا وفي أختنا جائز.

فقال علي عليه السلام: «أشهد الله وأشهد من حضر من المسلمين أنني قد زوجت هذا الغلام من هذه الجارية بأربعمائة درهم والنقد من مالي، يا قنبر علي بالدرهم». فأتاه قنبر بها فصبها في يد الغلام، قال: «خذها فصبها في حجر امرأتك، ولا تأتنا إلا وبك أثر العرس»، يعني: الغسل.

فقام الغلام فصب الدرهم في حجر المرأة، ثم تلبى فقال لها: قومي.

فنادت المرأة: النار النار يا ابن عم محمد، تريد أن تزوجني من ولدي هذا، والله ولدي زوجني إخوتي هجيناً فولدت منه هذا الغلام، فلما ترعرع وشب أمروني أن أنتفي منه وأطرده، وهذا والله ولدي وفؤادي يتقلّى أسفاً على ولدي.

قال: ثم أخذت بيد الغلام وانطلقت، ونادى عمر: وا عمراه، لولا علي لهلك عمر»^(١).

ما شأنك يا جارية؟

عن أبان الأحمر، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقد بلى ثوبه، فحمل إليه اثني عشر درهماً. فقال: يا علي، خذ هذه الدراهم فاشتر لي ثوباً ألبسه. قال علي عليه السلام: فجئت إلى السوق فاشتريت له قميصاً باثني عشر درهماً، وجئت به إلى رسول الله ﷺ فنظر إليه.

فقال: يا علي، غير هذا أحب إليّ، أترى صاحبه يقلنا؟.

فقلت: لا أدري. فقال: انظر. فجئت إلى صاحبه فقلت: إن رسول الله ﷺ قد كره هذا، يريد ثوباً دونه فأقلنا فيه. فرد عليّ الدراهم وجئت به إلى رسول الله ﷺ، فمشى معي إلى السوق لبيتاع قميصاً، فنظر إلى جارية قاعدة على الطريق تبكي، فقال لها رسول الله ﷺ: ما شأنك؟.

قالت: يا رسول الله، إن أهل بيتي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة فضاعت فلا أجسر أن أرجع إليهم.

فأعطاها رسول الله ﷺ أربعة دراهم، وقال: ارجعي إلى أهلِكَ.

ومضى رسول الله ﷺ إلى السوق فاشتري قميصاً بأربعة دراهم ولبسه

وحمد الله، وخرج فرأى رجلاً عرباناً يقول: من كساني كساء الله من ثياب

(١) الكافي: ج ٧ ص ٤٢٣ باب النواذر ح ٦.

الجنة. فخلع رسول الله ﷺ قميصه الذي اشتراه وكساه السائل، ثم رجع إلى السوق فاشترى بالأربعة التي بقيت قميصاً آخر فلبسه وحمد الله ورجع إلى منزله، وإذا الجارية قاعدة على الطريق، فقال لها رسول الله ﷺ: ما لك لاتأتين أهلك؟.

قالت: يا رسول الله، إني قد أبطأت عليهم وأخاف أن يضربوني.
فقال رسول الله ﷺ: مري بين يدي ودليني على أهلك.
فجاء رسول الله ﷺ حتى وقف على باب دارهم، ثم قال: السلام عليكم يا أهل الدار. فلم يجيبوه، فأعاد السلام فلم يجيبوه، فأعاد السلام، فقالوا: عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.
فقال لهم: ما لكم تركتم إجابتي في أول السلام والثاني؟.
قالوا: يا رسول الله، سمعنا سلامك فأحببنا أن تستكثر منه.
فقال رسول الله ﷺ: إن هذه الجارية أبطأت عليكم فلا تؤاخذوها.
فقالوا: يا رسول الله، هي حرة لمشاك.
فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله، ما رأيت اثني عشر درهماً أعظم بركة من هذه، كسا الله بها عريانين وأعتق بها نسمة^(١).

ولد لسته أشهر

وروي أنه كان الهيثم في جيش، فلما جاء جاءت امرأته بعد قدومه لسته أشهر بولد، فأنكر ذلك منها وجاء إلى عمر وقص عليه، فأمر برجمها!، فأدركها

(١) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢١٤-٢١٥ ب ٩ ح ١

علي عليه السلام من قبل أن ترجم، ثم قال لعمر: «اربع على نفسك، إنها صدقت إن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(١)، وقال: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾^(٢)، فالحمل والرضاع ثلاثون شهراً».

فقال عمر: لولا علي لهلك عمر، وخلي سبيلها وألحق الولد بالرجل^(٣).

ألم يقتله مرة

وعن الإمام الرضا عليه السلام - في خبر -: «أنه أقر رجل بقتل ابن رجل من الأنصار فدفعه عمر إليه ليقتله به، فضربه ضربتان بالسيف حتى ظن أنه هلك، فحمل إلى منزله وبه رمق فبرأ الجرح بعد ستة أشهر، فلقيه الأب وجره إلى عمر فدفعه إليه عمر، فاستغاث الرجل إلى أمير المؤمنين. فقال لعمر: «ما هذا الذي حكمت به على هذا الرجل!». فقال: النفس بالنفس. قال: «ألم يقتله مرة». قال: قد قتلته ثم عاش. قال: «فيقتل مرتين!». فبهت ثم قال: فاقض ما أنت قاض. فخرج عليه السلام، فقال للأب: «ألم تقتله مرة؟». قال: بلى، فيبطل دم ابني!. قال: «لا ولكن الحكم أن تدفع إليه فيقتص منك مثل ما صنعت به، ثم تقتله بدم ابنك». قال: «هو والله الموت ولا بد منه». قال: «لا بد أن يأخذ بحقه». قال: فإني قد صفحت عن دم ابني ويصفح لي عن القصاص. فكتب بينهما كتاباً بالبراءة، فرفع عمر يده إلى السماء وقال: الحمد لله أنتم أهل بيت الرحمة يا أبا الحسن - ثم قال - لو لا علي لهلك عمر^(٤).

(١) سورة الأحقاف: ١٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٣٣.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١٢٣ ب ١٢ ح ١٧٧٣٠.

(٤) المناقب: ج ٢ ص ٣٦٥-٣٦٦ فصل في ذكر قضاياء عليه السلام في عهد عمر.

أضرعت خدك يوم أضعت خدك

لماذا أضرع الإمام عليّ عليه السلام خده؟

مسألة: ربما يكون الواجب بالعنوان الأولي من أشد المحرمات بالعنوان الثانوي، وكذلك المحرم قد يتحول إلى واجب إذا طرأ العنوان الثانوي عليه، فتعريض النفس للقتل وإلحاقها في التهلكة حرام.. ولكنه من أعظم القربات في ساحة القتال والجهاد المشروع، والتعرض للأسر والذل محرم إلا أنه يكون من أعظم الطاعات عندما يكون السبب في إعلاء راية الإسلام في الأرض، والسبب في فضح الظالم على مدى الدهر، ولذلك عرض سيد الشهداء عليه السلام أهل بيته عليه السلام وهم حُرّم رسول الله ﷺ للأسر باصطحابهم معه إلى كربلاء.

ولذلك السبب كان موقف أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام من ظالميه وغاصبي حقه ومن ظالمي زوجته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وغاصبي حقها، فقد «أضرع خده وأضاع حده» وذلك بأمر صريح ووصية واضحة من رسول الله ﷺ على ما مر، فإن هذا الصبر لهو أكبر الجهاد: أن يصبر المرء على أذى وهو قادر على إزاحته، امتثالاً لأمر الله تعالى.. كما صبر رسول الله ﷺ طوال فترة وجوده في مكة ولم يأذن للمسلمين بالدفاع عن أنفسهم أو عن أي مظلوم منهم، بل كان يمر هو ﷺ عليهم وهم يُعذّبون أشد التعذيب فيأمرهم بالصبر ثم الصبر ثم الصبر..

قال ﷺ: «صبراً يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة»^(١).

وهذا الصبر هو أجلى مصاديق الصبر الواجب ذي الأجر العظيم، وقد قال

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١٣ ص ٢٥٥ القول في إسلام أبي بكر وعلي وخصائص كل منهما.

تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

ومن ذلك يتضح أن خطاب الصديقة الزهراء عليها السلام لبعليها الإمام علي عليه السلام بـ «أضرعت خدك يوم أضعت حدك» ليس نقداً له عليه السلام وعتاباً. كما قد يتصوره سطحيو التفكير. كيف وهي عليها السلام عالمة بوصية رسول الله ﷺ له وأمره إياه بالصبر وعدم التصدي للقوم بالقوة؟.

بل إن هذا الخطاب منها عليها السلام له عليه السلام وهو كالعتاب في ظاهر الأمر، لتوضح عظمة الإمام عليه السلام وعظمة موقفه حيث ضحى بمكانته ومهابته وحده امتثالاً لأمر الله ورسوله ﷺ، ولكيلا تحي كلمة (لا إله إلا الله.. محمد رسول الله) من وجه الأرض.

قولها عليها السلام: «أضرعت» بمعنى: أذلت، ضرع الرجل: خضع وذل. و(الخد) كناية عن الشخصية، بالإضافة إلى أن حالة العز والذل تظهر عادة على ملامح الوجه والخد.

و«أضعت حدك» بمعنى: أهملت قدرك، من الإضاعة والضياع. يعني: إن القوم لم يخافوك ولم يهابوك فلم يردوا عليّ فذك. وقد سبق أن ذلك منه عليه السلام كان من أعظم الجهاد، حيث ضحى بمهابته ومكانته وقدرته على التصدي، التزاماً بأمر رسول الله ﷺ ووصيته. قال النبي ﷺ: «ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى علو العرش»^(٢).

(١) سورة الزمر: ١٠.

(٢) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٢٧-١٢٨ ب ٣٨.

افترست الذئاب وافترشت التراب

وقال علي بن الحسين عليه السلام: «الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله»^(١).
وعن أبي جعفر عليه السلام: «من صبر نال بصبره درجة الصائم القائم، ودرجة الشهيد الذي قد ضرب بسيفه قدام محمد صلى الله عليه وآله»^(٢).
وقال عليه السلام: «من صبر على مصيبة فله من الأجر بوزن جبال الدنيا»^(٣).

افترست الذئاب وافترشت التراب

مقياس الإيمان

مسألة: يلزم على المؤمن أن يتصف بالصفات المتضادة^(٤) في المواقف المتضادة كل بحسبه وامثالاً أمر الله تعالى، فإن المقياس في الإيمان ليس هو نوعية موقف الإنسان حالة الرخاء فقط، ولا موقفه حالة الشدة فحسب، ولا موقفه في السلم دون الحرب أو العكس، أو موقفه محكوماً إذا غاير موقفه حاكماً.
بل المؤمن هو المسلم لأمر الله، المتحري رضوانه، في الشدة والرخاء^(٥)، وفي المنزل وخارجه، وفي السلم والحرب، ومع العدو^(٦) والصديق، وفي القوة

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٠ باب الرضا بالقضاء ح ٣.

(٢) ثواب الأعمال: ص ١٩٨ ثواب الاسترجاع عند المصيبة.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٤٣٠ ب ٦٤ ح ٢٣٧٤.

(٤) المقصود ما يبدو متضاداً وإن كان في واقعه يشكل الصورة المتكاملة، كما في قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ سورة الفتح: ٢٩.

(٥) في الشدة صبور وفي الرخاء شكور.

(٦) مثل الالتزام بقوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا﴾ سورة المائدة: ٨.

والضعف^(١)، ففي موطن الحرب أسد باسل لا يخاف من مواجهة الأعداء.. وفي محراب العبادة عبد ذليل خاضع، وهكذا وهلم جراً.

ولقد تجلت تلك الصفات المتضادة - في بدو النظر - أشد التجلي في الإمام علي عليه السلام فكان كما قال القائل^(٢):

جمعت في صفاتك الأضداد فلهذا عزت لك الأنداد
 زاهد حاكم حلیم شجاع ناسك فاتك فقير جواد
 شيم ما جمعن في بشر قط ولا حاز مثلهن العباد

وقد أشارت الصديقة الكبرى عليها السلام إلى تجلي صفتين من أعظم تلك الصفات - التي قد تبدو متضادة - في مولى الموحدين وأمير المؤمنين عليه السلام حيث قالت: «افترست الذئاب» و«افترشت التراب».

فعندما كانت مسؤوليته عليه السلام الحرب والقتال لم يتوان ولم يضعف، بل (افترس الذئاب).

وعندما كانت مسؤوليته عليه السلام الصبر وكظم الغيظ لم ينفجر ولم يقاتل، بل (افترس التراب).

وما أندر من استطاع أن يجمع كلتا الصفتين؟.

ولا أحد - غير أمير المؤمنين علي عليه السلام - استطاع أن يجمعهما بتلك الدرجة العظيمة.

(١) فعند القوة لا يطفى، وعند الضعف لا يجبن، ولا يتملق للطاغي.

(٢) وهو صفى الدين الحلي عبد العزيز بن السرايا تلميذ المحقق الحلي رحمته الله.

شجاعة الإمام علي عليه السلام

مسألة: يستحب التحدث عن شجاعة الإمام علي عليه السلام كما قالت الصديقة الطاهرة عليها السلام: «افترست الذئب» وقد يجب ذلك، فإن التحدث عن شجاعته (عليه الصلاة والسلام) تعظيم له وتخليد لذكره، بالإضافة إلى أنه يوجب التفاف الناس حوله؛ لأنهم يحبون ذوي الشجاعة كما يحبون أصحاب الفضائل ويلتفون حولهم، وبذلك يكون بيان الشجاعة تحريضاً على الالتفاف، كما أنه يبعث على التأسي، وعلى تجذر صفة الشجاعة في الناس وتوسع دائرتها. وهكذا كان سائر الأئمة عليهم السلام قمة في الشجاعة. عن علي بن جعفر، عن أبي الحسن عليه السلام قال: «نحن في العلم والشجاعة سواء، وفي العطايا على قدر ما نؤمر»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «أعطينا أهل البيت سبعة لم يعطهن أحد كان قبلنا ولا يعطاهن أحد بعدنا: الصباحة، والفصاحة، والسماحة، والشجاعة، والعلم، والحلم، والمحبة للنساء»^(٢).

وقال ﷺ: «إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الشجاعة زين»^(٤).

وقال عليه السلام: «الشجاعة عز حاضر»^(٥).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٣٥٧ ب ١٢ ح ٧.

(٢) النوادر للراوندي: ص ١٥.

(٣) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٢٩٧ ب ٣٩ ح ٩٤٩٠.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٩ ق ٣ ب ٢ ف ٢ الشجاعة والفتوة ح ٥٥٢٤.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٩ ق ٣ ب ٢ ف ٢ الشجاعة والفتوة ح ٥٥٢٥.

وقال عليه السلام: «السخاء والشجاعة غرائز شريفة يضعها الله سبحانه فيمن أحبه وامتحنه»^(١).

وفي يوم الخندق عند ما قال ابن عبد ود في المبارزة:

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجع موقف البطل المناجز
إن السـماحة والشـجاعة في الفتى خير الغرائز
أجابه أمير المؤمنين عليه السلام:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذونية وبصيرة والصدق منجي كل فائز
إنني لأرجو أن أقـيم عليك نائحة الجنائز
من ضريبة نجلاء يـبقى ذكرها عند الهزاهز^(٢)

مظلومية الإمام عليه السلام

مسألة: يستحب التأكيد على مظلومية الإمام علي عليه السلام وعلى عظيم صبره، وقد يجب ذلك لما سبق ذكره، خاصة أن بيان الظلامة يوجب إثارة عواطف الناس وإنشادهم - عاطفياً - له (عليه الصلاة والسلام) إضافة للإنشاد العقلي والفكري والعلمي والعقائدي، فإن الإنشاد العاطفي أقوى في بعض الأحيان، وهو إلى ذلك يعمق ويركز سائر الانتماءات الفكرية والعقائدية.. فإن

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٧٥ ق ٥ ب ٤ ف ١ مدحها وفضيلتها ح ٨٤٤٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢٠٣-٢٠٤ ب ١٧.

الناس عادةً يتعاطفون مع المظلوم ويجمعون حوله ويهتفون باسمه ؛ لأن المظلومية مقرونة بالمحبوبة.

ولذا نرى التفاف الناس حول الإمام الحسين (صلوات الله وسلامه عليه) والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) وهذا يوجب الإقتداء بهم والاستعداد للتضحية بكل غال ونفيس في سبيل الله سبحانه.

بالإضافة إلى أن التحدث عن ظلامة أهل البيت عليهم السلام يوجب تعرية الظالم وفضحه وكشف القناع المزيف عن وجهه الحقيقي كما سبق.

قولها عليها السلام : «افترست الذئاب وافترشت التراب»، يعني أنك في السابق كنت تفترس الذئاب فكانوا يخافونك ويهابونك ويحذرون من بأسك، أما اليوم فقد افترشت التراب وقعدت في البيت حتى تجرؤوا عليك وغصبوا نحلة زوجتك، ولعل في الكلام تلميحاً إلى جبن القوم وهشاشتهم حيث إنهم لم يفعلوا ما فعلوا إلا عندما علموا أن الإمام عليه السلام قد افترش التراب وأنه مأمور بالصبر.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَأَكْفَفُوا إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ فَاصْبِرْ مَغْمُومًا أَوْ مَتْمُتَسِّفًا، فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي فَضَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلَقَمِ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشُّفَارِ»^(١).

(١) نهج البلاغة، الخطب: ٢١٧ ومن كلام له عليه السلام في التظلم والتشكي من قريش.

وعن إسحاق بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر عليه السلام، عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «خطب أمير المؤمنين عليه السلام خطبة بالكوفة، فلما كان في آخر كلامه قال: ألا وإني لأولى الناس بالناس، وما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله ﷺ».

فقام إليه أشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين، لم تخطبنا خطبة منذ قدمت العراق إلا وقلت: والله إني لأولى الناس بالناس، فما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله ولما ولي تيم وعدي، ألا ضربت بسيفك دون ظلامتك؟.

فقال أمير المؤمنين: «يا ابن الخمارة، قد قلت قولاً فاسمع مني، والله ما منعني من ذلك إلا عهد أخي رسول الله ﷺ أخبرني وقال لي: يا أبا الحسن، إن الأمة ستغدر بك وتنقض عهدي، وإنك مني بمنزلة هارون من موسى. فقلت: يا رسول الله فما تعهد إلي إذا كان ذلك كذلك. فقال: إن وجدت أعواناً فبادر إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فكف يدك واحقن دمك حتى تلحق بي مظلوماً، فلما توفي رسول الله ﷺ اشتغلت بدفنه والفراغ من شأنه، ثم آليت يمينا أني لا أرتدي إلا للصلاة حتى أجمع القرآن^(١)، ففعلت ثم أخذته وجئت به فأعرضته عليهم، قالوا: لا حاجة لنا به، ثم أخذت بيد فاطمة وابني الحسن والحسين عليهما السلام ثم درت على أهل بدر وأهل السابقة فأنشدتهم حقي ودعوتهم إلى نصرتي، فما أجابني منهم إلا أربعة رهط: سلمان، وعمار، والمقداد، وأبو ذر، وذهب من كنت أعتضد بهم على دين الله من أهل بيتي، وبقيت بين حفيرين قريبي العهد بجاهلية عقيل والعباس.

(١) أي جمع تفسيره وتأويله وعلومه، أما القرآن فقد جمع في عهد رسول الله ﷺ وبأمر مباشر منه.

فقال له الأشعث: كذلك كان عثمان لما لم يجد أعواناً كف يده حتى قتل.
فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا ابن الخمارة، ليس كما قست إن عثمان جلس في غير مجلسه، وارتدى بغير ردائه، صارع الحق فصرعه الحق، والذي بعث محمداً ﷺ بالحق لو وجدت يوم بويع أخوتيم أربعين رهطاً لجاهدتهم في الله إلى أن أبلي عذري - ثم قال - أيها الناس، إن الأشعث لا يزن عند الله جناح بعوضة، وإنه أقل في دين الله من عفطة عنز»^(١).

ولما دفن أمير المؤمنين عليه السلام الصديقة فاطمة عليها السلام ليلاً وجاءه فلان وفلان فقالا: يا أبا الحسن ما حملك على أن تدفن بنت رسول الله ﷺ ولم نحضرها؟ قال عليه السلام: «ذلك عهدا إلي».

فقال الثاني: هذا والله شيء في جوفك.

فثار إليه أمير المؤمنين عليه السلام فأخذ بتلابيبه ثم جذبه فاسترخى في يده، ثم قال: «والله لولا كتاب سبق وقول من الله، والله لقد فررت يوم خيبر وفي مواطن، ثم لم ينزل الله لك توبة حتى الساعة»^(٢).

وفي الحديث: أن الأول والثاني بعد خطبة الصديقة فاطمة عليها السلام في المسجد تأمرا على قتل أمير المؤمنين عليه السلام وكلفا خالد بن الوليد بهذه المهمة، فلما جلس الأول في التشهد ندم على ما قال وخاف الفتنة، وعرف شدة علي عليه السلام وبأسه، فلم يزل متفكراً لا يجسر أن يسلم حتى ظن الناس أنه قد سها، ثم التفت إلى خالد فقال: يا خالد لا تفعلن ما أمرتك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) راجع الاحتجاج: ج ١ ص ١٩٠-١٩١ احتجاجه عليه السلام في الاعتذار من قعوده عن قتال من تأمر عليه من الأولين، وقيامه إلى قتال من بغى عليه من الناكثين والقاسطين والمارقين.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ١١٢-١١٣ ب ١١.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا خالد، ما الذي أمرك به؟».

فقال: أمرني بضرب عنقك.

قال: «أوكنت فاعلاً؟».

قال: إي والله لولا أنه قال لي: لا تقتله قبل التسليم لقتلتك.

قال: فأخذه علي عليه السلام فجلد به الأرض، فاجتمع الناس عليه وقالوا: يا

أبا الحسن، الله الله بحق صاحب القبر. فخلى عليه السلام عنه ثم التفت إلى الثاني فأخذ

بتلابيبه وقال: «يا ابن صهاك، والله لولا عهد من رسول الله ﷺ وكتاب من الله

سبق لعلمت أننا أضعف ناصراً وأقل عدداً»، ودخل منزله^(١).

في قصة السقيفة وامتناع أمير المؤمنين عليه السلام من البيعة لأبي بكر، فقد أرسل

أبو بكر عدة من الناس ليأتوا بأمير المؤمنين عليه السلام إليه، فاعترضتهم فاطمة الزهراء

عليها السلام فعادوا، فقالوا: إن فاطمة قالت كذا وكذا، فتخرجنا أن ندخل بيتها بغير

إذن. فغضب عمر وقال: ما لنا وللنساء.

ثم أمر أناساً حوله أن يحملوا الحطب فحملوا الحطب وحمل معهم عمر،

فجعلوه حول منزل علي وفاطمة وابنيهما عليهما السلام، ثم نادى الثاني حتى أسمع

علياً وفاطمة عليهما السلام: والله لتخرجن يا علي ولتبايعن خليفة رسول الله وإلا

أضرمت عليك بيتك النار.

فقالت فاطمة عليها السلام: «يا فلان، ما لنا ولك».

فقال: افتحي الباب وإلا أحرقنا عليكم بيتكم.

(١) راجع الاحتجاج: ج ١ ص ٩٤-٩٥ احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر وعمر لما منعوا فاطمة

الزهراء عليها السلام فدك بالكتاب والسنة.

فقالت: «أما تتقي الله، تدخل على بيتي».

فأبى أن ينصرف ودعا بالنار فأضرمها في الباب، ثم دفعه فدخل فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت: «يا أبتاه، يا رسول الله».

فرفع الثاني السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها، فصرخت عليها السلام: «يا أبتاه»، فرفع السوط فضرب به ذراعها فنادت: «يا رسول الله، لبئس ما خلفك فلان وفلان».

فوثب علي عليه السلام فأخذ بتلابيبه ثم نثره فصرعه، ووجأ أنفه ورقبته وهم بقتله، فذكر قول رسول الله ﷺ وما أوصاه به. فقال: «والذي كرم محمداً بالنبوة يا ابن صهاك، لولا كتاب من الله سبق وعهد عهده إلي رسول الله ﷺ لعلمت أنك لا تدخل بيتي» الحديث^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام وقد سمع صارخاً ينادي: أنا مظلوم. فقال عليه السلام: «هلم فلنصرخ معاً فإني ما زلت مظلوماً»^(٢).

وروي: أن أعرابياً أتى أمير المؤمنين عليه السلام وهو في المسجد فقال: مظلوم. قال عليه السلام: «ادن مني». فدنا فقال: يا أمير المؤمنين، مظلوم. قال عليه السلام: «ادن». فدنا حتى وضع يديه على ركبتيه قال: «ما ظلامتك؟». فشكا ظلامته فقال: «يا أعرابي، أنا أعظم ظلاماً منك، ظلمني المدر والوبر، ولم يبق بيت من العرب إلا وقد دخلت مظلمتي عليهم، وما زلت مظلوماً حتى قعدت مقعدي هذا، ثم كتب له بظلامته ورحل»^(٣).

(١) راجع كتاب سليم بن قيس: ص ٥٨٥-٥٨٦ الحديث الرابع.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة: ج ٩ ص ٣٠٧.

(٣) راجع الخرائج والجرائع: ج ١ ص ١٨٠ ب ٢.

وعن عبد الله بن شريك، عن أبيه، قال: صعد علي عليه السلام المنبر يوم الجمعة، فقال: «أنا عبد الله وأخو رسوله، لا يقولها بعدي إلا كذاب، ما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله ﷺ، أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين: طلحة والزبير، والقاسطين: معاوية وأهل الشام، والمارقين: وهم أهل النهروان، ولو أمرني بقتال الرابعة لقاتلتهم»^(١).

وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن عليه السلام: «وايم الله يا بني ما زلت مظلوماً مبغياً عليّ منذ هلك جدك صلى الله عليه وآله»^(٢).

بيان حقيقة القوم

مسألة: يستحب - وقد يجب - بيان حقيقة القوم وما كانوا عليه من السبعية والضراوة والتوحش، وكفى بوصف الصديقة الزهراء عليها السلام لأسلافهم بـ «الذئاب» شاهد صدق على ذلك.

روي أنه أتى رجل إلى عمر فقال: يا أمير، إن فلاناً ظلمني فأعدني عليه. فرفع في السماء درّته وضرب بها رأسه!، وقال: تدعون عمر وهو معرض لكم حتى إذا شغل في أمر المسلمين أتيتموه أعدني أعدني. فانصرف الرجل يتذمر^(٣).

وذكروا أنه غضب عمر على بعض عماله، فكلم امرأة من نساء عمر في أن تسترضيه له، فكلّمته فيه، فغضب وقال: وفيم أنت من هذا يا عدوة الله، إنما

(١) الأُمالي للطوسي: ص ٧٢٦ مجلس ٤٤ ح ١٥٢٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٦٢٨ ب ١٥ بيان.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج ١٢ ص ١٨ نكت من كلام عمر وسيرته وأخلاقه.

أنت لعبة نلعب بكِ وتفركين^(١).

وقال محمد بن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ لما استشار أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ في أمر الأسارى^(٢)، غلظ عمر عليهم غلظة شديدة. فقال: يا رسول الله، أطعني فيما أشير به عليك فإني لا آلوك نصحاً، قدّم عمك العباس فاضرب عنقه بيدك!، وقدّم عقيلاً إلى علي أخيه يضرب عنقه!، وقدّم كل أسير منهم إلى أقرب الناس إليه يقتله!.

قال: فكره رسول الله ﷺ ذلك ولم يعجبه^(٣).

وعن أنس بن مالك، قال: لما ماتت رقية بنت النبي ﷺ فبكت النساء عليها، فجاء عمر يضربهن بسوطه، فأخذ النبي ﷺ بيده وقال: «يا عمر، دعهن يبكين. وقال لهن: - ابكين وإياكن ونعيق الشيطان؛ فإنه مهما يكن من العين والقلب فمن الله ومن الرحمة، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان».

فبكت فاطمة عليها السلام وهي على شفير القبر، فجعل النبي ﷺ يمسح الدمع من عينيها بطرف ثوبه^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١٢ ص ٢٣ نكت من كلام عمر وسيرته وأخلاقه.

(٢) أي أسرى بدر.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج ١٤ ص ١٨٣ القول فيما جرى في الغنime والأسارى.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٤٦٧ ب ٧٤ ح ٢٤٨٢.

ما كفت قائلًا

عدم كف الأذى لأمر أهم

مسألة: كف الأذى عن الغير واجب في الجملة، إلا إذا كان لأمر أهم، فإنه إذا تعارض أهم ومهم يلزم تقديم الأهم عقلاً وشرعاً..

فبينما يجب كف الأذى عن الصديقة فاطمة (عليها الصلاة والسلام) بل عن كل مظلوم، نرى أن أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) - حيث كان موصى من قبل الرسول ﷺ - صبر محتسباً لله سبحانه وتعالى.. حيث كان عدم محاربة القوم لأمر أهم كما سبق الإلماع إليه.

قولها عليها السلام: «ما كفت..» أي: ما منعت القائل الذي يقول الباطل، حتى يقف عند حده ولا يتمادى في بطلانه وغيه.

كتب الإمام الصادق عليه السلام لعبد الله النجاشي - بعدما وصل إليه كتابه يطلب منه نصيحته - فقال: «واعلم أن خلاصك ونجاتك في حقن الدماء وكف الأذى عن أولياء الله والرفق بالرعية»^(١).

(١) كشف الريبة: ص ٨٧ ف ٥ ح ١٠.

ولا أغنيت باطلاً

إبطال الباطل

مسألة: إبطال الباطل واجب في الجملة، وقد يترك لأمر أهم؛ فإن القوم كانوا على باطل في غضبهم للخلافة ولفدك، ولكن أمير المؤمنين عليه السلام صبر لأمر أهم كما سبق.

قولها عليها السلام: «ولا أغنيت...» إغناء الباطل كناية عن إبطاله؛ فإن الإغناء بمعنى الإجزاء والكفاية.

وفي بعض النسخ: «ولا أغنيت طائلاً» كما في رواية السيد رحمته الله، وفي اللغة: (هذا أمر لا طائل فيه) أي لا فائدة ولا مزية.

عن عاصم بن حميد، رفعه قال:

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام. فقال: أخبرني عن السنة والبدعة، وعن الجماعة، وعن الفرقة؟.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «السنة ما سن رسول الله صلوات الله عليه وآله، والبدعة ما أحدث من بعده، والجماعة أهل الحق وإن كانوا قليلاً، والفرقة أهل الباطل وإن كانوا كثيراً»^(١).

(١) معاني الأخبار: ص ١٥٤-١٥٥ باب معنى الجماعة والفرقة والسنة والبدعة ح ٣.

ولا خيار لي

فرض الحصار على المظلوم

مسألة: يحرم فرض (الحصار) على المظلوم بحيث لا يبقى له خيار في استرجاع حقه، وهذه هي سياسة الحكومات الجائرة، فإنهم يضغطون على المظلوم بشتى أنواع الضغط حتى لا يبقى له منفذ يطالب فيه بحقه ويسترجعه..

وقولها عليها السلام: «لا خيار لي» يستكشف منه أن ابن أبي قحافة لم يكتف بمجرد ظلمها، بل أحكم الحصار حولها حتى لم يبق لها أي خيار.. وهذه الجملة تؤكد مظلوميتها عليها السلام وأنها قد بلغت الغاية فيها؛ فإن من لا خيار له وتصب عليه المحن والآلام يكون في غاية الظلامة، إذ ألم (الحصار) والإحساس بالمحاصرة يزيد من ألم الظلم والظلامه.

ثم إن من الواضح أن عدم وجود خيار آخر لها (عليها الصلاة والسلام) إنما هو بالنسبة إلى المعادلات الظاهرية، وإلا فإنهم عليهم السلام يمتلكون القدرة على قلب كل المعادلات، مستمدة من قدرة الله سبحانه وتعالى، كما هو مذكور في باب الولاية التكوينية، لكنهم ليسوا مأمورين باستخدام تلك القدرة إلا في مواضع الإعجاز وما أشبه، كما ثبت ذلك بالنسبة إلى الأنبياء والأئمة (عليهم الصلاة والسلام).

قولها عليها السلام: «ولا خيار..» إما تمهيد لقولها (عليها الصلاة والسلام): «ليتني مت قبل هينتي» أو تعقيب لما سبق، والمعنى: لا خيار لي ولا اختيار حتى أتمكن من استرجاع فدي وأكف الباطل وأغني طائلاً.

الدفاع حتى آخر الخيارات

مسألة: يجب بذل الوسع في الدفاع عن المظلوم وكذلك لإحقاق الحق؛ فإنه يلزم في ذلك القيام بكل ما يمكن، ولا يسقط التكليف إلا بعد انعدام كل الخيارات.. وهذا هو ما حصل للصديقة الطاهرة عليها السلام فإنه مدلول كلامها هذا، حيث بذلت كل ما بوسعها في المطالبة بحقها والدفاع عن بعلمها عليها السلام، وأن ما قامت به كان غاية ما يمكن أن تقوم به، ولا خيار آخر لها على الإطلاق ولا سبيل ولا مجال.

ولعل في قولها عليها السلام: «لا خيار لي» نوع اعتذار منه عليها السلام حيث إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان إمام زمانها عليها السلام فكان الواجب الدفاع عنه، فهي تقول بأنني قد بذلت قصارى جهدي في الدفاع عن حقك وحقى - الذي هو حقه عليها السلام بالمآل - وفي التصدي لـ (الباطل) ولقول (القائل)^(١) ولا قدرة لي على الأكثر ولا خيار.. والله العالم.

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام في رسالته إلى جماعة شيعته وأصحابه: «إياكم أن تعينوا على مسلم مظلوم يدعو الله عليكم ويستجاب له فيكم؛ فإن أبانا رسول الله ﷺ يقول: إن دعوة المسلم المظلوم مستجابة»^(٢).

وعن وهب بن عبد ربه وعبيد الله الطويل، عن شيخ من النخع، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إني لم أزل والياً منذ زمن الحجاج إلى يومي هذا فهل لي

(١) وهو أبو بكر وعمر.

(٢) تحف العقول: ص ٣١٥ رسالته عليه السلام إلى جماعة شيعته وأصحابه.

من توبة؟ قال: فسكت، ثم أعدت عليه. فقال: «لا حتى تؤدي إلى كل ذي حق حقه»^(١).

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من عذر ظالماً بظلمه سلط الله عليه من يظلمه، فإن دعا لم يستجب له ولم يأجره الله على ظلامته»^(٢).

وجاء في صحيفة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام وكلامه في الزهد قوله: «إياكم وصحبة العاصين، ومعونة الظالمين، ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم وتباعدوا من ساحتهم»^(٣).

وروي في حديث: أنه دخل على الصادق عليه السلام رجل، فمت له بالإيمان أنه من أوليائه فولى عنه بوجهه، فدار الرجل إليه وعاود اليمين فولى عنه، فأعاد اليمين الثالثة. فقال له عليه السلام: «يا هذا، من أين معاشك؟». فقال: إني أخدم السلطان وإني والله لك محب. فقال عليه السلام: «روى أبي عن أبيه عن جده عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من السماء من قبل الله عز وجل: أين الظلمة، أين أعوان أعوان الظلمة، أين من برئ لهم قلماً، أين من لاق لهم دواة، أين من جلس معهم ساعة؟. فيؤتى بهم جميعاً فيؤمر بهم أن يضرب عليهم بسور من نار، فهم فيه حتى يفرغ الناس من الحساب ثم يرمى بهم إلى النار»^(٤).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٣١ باب الظلم ح ٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٥٦ ب ٨٠ ح ٢٠٩٦٦.

(٣) الأمالي للمفيد: ص ٢٠٣ المجلس ٢٣ ح ٣٣.

(٤) غوالي اللآلي: ج ٤ ص ٦٩ الجملة الثانية ح ٣١.

ليتني متّ قبل هينتي ودون ذلتي

تمني الموت

مسألة: يجوز تمني الموت عند شدة المصائب أو كثرة المصائب ، وقد يرجح في الجملة ، وإن كان ذلك بما هو مرجوحاً على ما سبق .
وتمني الصديقة عليها السلام للموت هاهنا يدل على فداحة الإهانة التي أهينت بها ، وشدة الإذلال الذي تعرضت له مما يكشف عن عظيم جرم القوم وخطر وزرهم .

وقد سبق أنه لولا وجود جهة مرجحة كما في المقام فإن الأفضل أن يسأل الإنسان من الله سبحانه وتعالى طول العمر كما في الأحاديث والأدعية : «أن تطيل عمري في خير وعافية»^(١) .

ومن مصاديق جواز تمني الموت - بالمعنى الأعم أي بما يشمل الرجحان - عند خوف الوقوع في المعاصي - في الجملة - ، كما ورد في الدعاء المروي عن مولانا زين العابدين (عليه الصلاة والسلام) في الصحيفة السجادية ، قال عليه السلام : «وَعَمَّرْنِي مَا كَانَ عُمْرِي بِذُلَّةٍ فِي طَاعَتِكَ ، فَإِذَا كَانَ عُمْرِي مَرْتَعاً لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتِكَ إِلَيَّ ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ»^(٢) .

وكان أبو ذر الغفاري رضي الله عنه يقول : «اللهم إن كان ما عندك خيراً لي فاقبضني إليك غير مبدل ولا مغير»^(٣) .

(١) إقبال الأعمال : ص ٦١ دعاء آخر في كل ليلة منه .

(٢) الصحيفة السجادية : الدعاء رقم ٢٠ وكان من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضى الأفعال .

(٣) بحار الأنوار : ج ٢٢ ص ٣٩٥ ب ١٢ ح ٢ .

وفي الدعاء: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت في الناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون برحمتك يا رحمان يا رحيم، يا عزيز يا عليم»^(١).

وأيضاً: «اللهم ومُدّ لي في العمر ما دامت الحياة موصولة بطاعتك، مشغولة بعبادتك، فإذا صارت الحياة مرتعة للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبق إليّ مقتك، ويستحكم عليّ سخطك»^(٢).

سلب الشرعية

مسألة: يلزم سلب الشرعية عن الطغاة والظلمة والغاصبين، ولا يخفى الأثر العظيم الذي خلفه كلام الصديقة عليها السلام حيث إنها بأقوالها هذه سلبت الشرعية من ابن أبي قحافة وجردته من القناع الذي كان يتظاهر به بالصلاح، وبيّنت لجميع الناس إلى يوم القيامة مظلوميتها ومظلومية بعلمها أمير المؤمنين عليه السلام : ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المعروفة بالشقشقية:

«أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فَلَانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا، وَطَفِقْتُ أُرَتِّي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَاءً أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءٍ، يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ،

(١) العدد القوية: ص ٢٣ اليوم الخامس عشر.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٢٤٨ ب ١٨ ح ٣٨.

(٣) سورة الأنفال: ٤٢.

فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى ، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى ، وَفِي الْحَلْقِ شَجَاً ،
أَرَى تُرَائِي نَهْباً ، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فَلَانٍ بَعْدَهُ . ثُمَّ تَمَثَّلَ
بِقَوْلِ الْأَعْشى :-

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانٍ أَخِي جَابِرٍ
فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لآخرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، لَشَدَّ مَا
تَشَطَّرَا ضَرْعِيَّهَا ، فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ ، يَغْلُظُ كُلُّهَا ، وَيَخْشَنُ مَسُّهَا ،
وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا ، وَالْإِعْتِذَارُ مِنْهَا ، فَصَاحِبُهَا كَرَائِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ ،
وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمْ ، فَمَنْ يَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ ، وَتَلَوْنِ
وَاعْتِرَاضٍ ، فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ ، حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ
جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ ، فَيَا لِلَّهِ وَلِلشُّورَى ، مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيبُ فِي
مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقَرَّنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ ، لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُوا ،
وَطَرْتُ إِذْ طَارُوا ، فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ ، وَمَالَ الْآخِرُ لِصِبْهِهِ ، مَعَ هُنِ وَهْنِ ،
إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنِيهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلِفِهِ ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ
يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ ، إِلَى أَنْ انْتَكَثَ عَلَيْهِ قَتْلُهُ ، وَأَجْهَزَ
عَلَيْهِ عَمَلُهُ ، وَكَبَتْ بِهِ بَطْنَتُهُ ، فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبْعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ
عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، حَتَّى لَقَدْ وَطِئَ الْحَسَنَانِ ، وَشَقَّ عِطْفَايَ ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي
كَرَبِيزَةِ الْغَنَمِ ، فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَّتْ طَائِفَةٌ ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى ، وَقَسَطَ
آخَرُونَ ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) ، بَلَى وَاللَّهِ

لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا وَلَكِنَّهُمْ حَلَّتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زَبْرُجُهَا، أَمَا
وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ
النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَنِ الْعُلَمَاءِ إِلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَغَبِ
مَظْلُومٍ، لَا لَقِيتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقِيتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلَا لَفِيتُمْ
دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنَزٍ^(١).

وعن محمد بن عذافر، عن أبيه، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا
عذافر، إنك تعامل أبا أيوب والربيع، فما حالك إذا نودي بك في أعوان الظلمة»
قال: فوجم أبي. فقال له أبو عبد الله عليه السلام لما رأى ما أصابه - أي عذافر -: «إنما
خوفتك بما خوفني الله عز وجل به». قال محمد: فقدم أبي فلم يزل مغموماً
مكروباً حتى مات^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إياكم وأبواب السلطان وحواشيها! فإن أقربكم
من أبواب السلطان وحواشيها أبعدكم من الله تعالى، ومن أثر السلطان على الله
تعالى أذهب الله عنه الورع وجعله حيران»^(٣).

وعن صفوان بن مهران الجمال، قال: دخلت على أبي الحسن الأول
عليه السلام فقال لي: «يا صفوان، كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً».
قلت: جعلت فداك أي شيء؟. قال: «إكراؤك جمالك من هذا الرجل - يعني:
هارون». قلت: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا للصيد ولا للهو، ولكنني أكريته

(١) نهج البلاغة، الخطب: ٣ ومن خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية، وتشتمل على الشكوى من أمر

الخلافة، ثم ترجيح صبره عنها، ثم مبايعة الناس له.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ١٠٥ باب عمل السلطان وجوائزهم ح ١.

(٣) ثواب الأعمال: ص ٢٦٠ عقاب من اقترب من سلطان جائر.

لهذا الطريق - يعني : طريق مكة - ولا أتولاه بنفسي ، ولكني أبعث معه غلماني . فقال لي : «يا صفوان ، أيقع كراؤك عليهم؟» . قلت : نعم جعلت فداك . قال : فقال لي : «أتحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟» . قلت : نعم . قال : «من أحب بقاءهم فهو منهم ، ومن كان منهم كان ورد النار» . قال صفوان : فذهبت فبعت جمالي عن آخرها ، فبلغ ذلك إلى هارون فدعاني . فقال لي : يا صفوان ، بلغني أنك بعت جمالك ! . قلت : نعم . قال : ولم ؟ . قلت : أنا شيخ كبير وإن الغلمان لا يفون بالأعمال . فقال : هيهات هيهات إني لأعلم من أشار عليك بهذا ، أشار عليك بهذا موسى بن جعفر . قلت : ما لي ولموسى بن جعفر ؟ . فقال : دع هذا عنك ، فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك^(١) .

وعن محمد بن مسلم ، قال : كنت قاعداً عند أبي جعفر عليه السلام على باب داره بالمدينة ، فنظر إلى الناس يمرون أفواجاً . فقال لبعض من عنده : «حدث بالمدينة أمر؟» . فقال : جعلت فداك ، ولي المدينة وال فغدا الناس يهنتونه . فقال : «إن الرجل ليغدى عليه بالأمر تهناً به وإنه لباب من أبواب النار»^(٢) .

وعن سليمان الجعفري ، قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : ما تقول في أعمال السلطان ؟ . فقال : «يا سليمان ، الدخول في أعمالهم والعون لهم والسعي في حوائجهم عديل الكفر ، والنظر إليهم على العمد من الكبائر الذي يستحق به النار»^(٣) .

(١) وسائل الشيعة : ج ١٧ ص ١٨٢ - ١٨٣ ب ٤٢ ح ٢٢٣٠٥ .

(٢) الكافي : ج ٥ ص ١٠٧ باب عمل السلطان وجوائزهم ح ٦ .

(٣) مستدرک الوسائل : ج ١١ ص ٣٥٦ ب ٤٦ ح ١٣٢٤٦ .

حرمة إهانة الصديقة عليها السلام

مسألة: من المحرمات إهانة المؤمن وإذلاله ، وكذلك المؤمنة ، بل ربما قيل بحرمة إهانة مطلق الإنسان وإذلاله في الجملة ، ومن أشدها حرمة إهانة أولياء الله والصالحين ، وأشدها حرمة إهانة بضعة الرسول ﷺ وسيدة النساء العالمين ومحور الكائنات أجمعين الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعليها وبنيتها).

وكلامها عليها السلام صريح في أنها أهينت وأذلت ، فالويل لمن أهانها وأذلها. وما سبق من كلامها واضح الدلالة على أن ابن أبي قحافة وابن الخطاب كانا هما اللذان أذلاها وأهانها بالدرجة الأولى ، وسكوت الأصحاب - إلا أمثال سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار - مشاركة منهم لهما في هذه الإهانة بل هو من مصاديق الإهانة^(١).

عن معلى بن خنيس ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : سمعته يقول : « قال الله عز وجل : ليأذن بحرب مني من أذل عبدي المؤمن ، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن »^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « من حقر مؤمناً فقيراً لم يزل الله عز وجل له حاقراً ماقتاً حتى يرجع عن محقرته إياه »^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد أسرى ربي بي

(١) بل أية إهانة أكبر من أن تستنجد بضعة الرسول ﷺ بالقوم فيهملون أمرها ويتكبرون لها؟.

(٢) وسائل الشيعة : ج ١٢ ص ٢٦٩ ب ١٤٧ ح ١٦٢٧٨.

(٣) مستدرک الوسائل : ج ٩ ص ١٠٣ ب ١٢٧ ح ١٠٣٥١.

فأوحى إليّ من وراء الحجاب ما أوحى وشافهني إلى أن قال لي: يا محمد، من أذل لي ولياً فقد أرصدني بالمحاربة، ومن حاربني حاربه. قلت: يا رب، ومن وليك هذا فقد علمت أن من حاربك حاربه. قال لي: ذاك من أخذت ميثاقه لك ولوصيك ولذريتكما بالولاية»^(١).

وعن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «من استذل مؤمناً أو مؤمنة أو حقره لفقره أو قلة ذات يده شهره الله تعالى يوم القيامة ثم يفضحه»^(٢). وعن معلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: قد نابذني من أذل عبيد المؤمنين»^(٣).

وعن إسماعيل بن مخلد السراج، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: خرجت هذه الرسالة من أبي عبد الله عليه السلام إلى أصحابه - إلى أن قال -: «وعليكم بحب المساكين المسلمين؛ فإنه من حقرهم وتكبر عليهم فقد زل عن دين الله، والله له حاقر ماقت، وقد قال أبونا رسول الله ﷺ: أمرني ربي بحب المساكين المسلمين منهم. واعلموا أن من حقر أحداً من المسلمين ألقى الله عليه المقت منه والمحقرة حتى يمقته الناس والله له أشد مقتاً، فاتقوا الله في إخوانكم المسلمين المساكين فإن لهم عليكم حقاً أن تحبهم؛ فإن الله أمر رسوله ﷺ بحبهم فمن لم يحب من أمر الله بحبه فقد عصى الله ورسوله، ومن عصى الله ورسوله ومات على ذلك مات وهو من الغاوين»^(٤).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٥٣ باب من آذى المسلمين واحقرهم ح ١٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٤٤ ب ٩٤ ح ٥٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٧١ ب ١٤٧ ح ١٦٢٨٣.

(٤) الكافي: ج ٨ ص ٧ كتاب الروضة ح ١.

أقسام الإهانة

مسألة: إن الإهانة والإذلال على أقسام، وكثير مما نشاهده في المجتمع، من مصاديقهما ومن أقسامهما: كاستهزاء البعض بالعلماء، أو استخفافه بالصالحين، وكالتعبير عنهم وعن المؤمنين بمثل (الرجعي) و(المتحجر) وما أشبه ذلك؛ فإن كل ذلك من الحرام.

وربما كان من المصاديق: عدم استجابة بعض أصحاب الأموال لمن يراجعونهم في المشاريع الخيرية في الجملة؛ فإنه نوع إهانة وإذلال إلى غير ذلك.

عن إسحاق بن عمار، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا إسحاق، كيف تصنع بزكاة مالك إذا حضرت؟». قال: «يأتوني إلى المنزل فأعطيه». فقال لي: «ما أراك يا إسحاق إلا قد أذلت المؤمنين، فإياك إياك، إن الله تعالى يقول: من أذل لي ولياً فقد أصد لي بالمحاربة»^(١).

وعن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: الرجل من أصحابنا يستحي أن يأخذ من الزكاة فأعطيه من الزكاة ولا أسمى له أنها من الزكاة؟ فقال: «أعطه ولا تسم له، ولا تذلل المؤمن»^(٢).

وعن داود الرقي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل خلق المؤمن من عظمة جلاله وقدرته، فمن طعن عليه أو رد عليه قوله فقد رد على الله»^(٣).

(١) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٣١٥-٣١٦ ب ٥٨ ح ١٢١٠٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٣١٤-٣١٥ ب ٥٨ ح ١٢١٠٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٤٢ ب ٥٦ ح ١.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأربعمائة -: «لا تحقروا ضعفاء إخوانكم ؛ فإنه من احتقر مؤمناً لم يجمع الله عزوجل بينهما في الجنة إلا أن يتوب»^(١).

وقال رسول الله ﷺ : «رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين يدفع بالأبواب لو أقسم على الله تعالى لأبره»^(٢).

التحرز من الذل والمهانة

مسألة: يحرم ترك امثال التكليف الإلهي فراراً مما يسببه للإنسان من المهانة والذلة في الجملة ، كما تراه عند كثير من الناس حيث يتركون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حذراً من إهانة الناس لهم والاستهزاء بهم ، ويتركون كثيراً من الواجبات^(٣) أو يقتحمون عدداً من المحرمات^(٤) خوفاً مما يخيل إليهم من أنه ذل ومهانة.

وغير خفي أن الذل الظاهري والإهانة الدنيوية من شرور هذه الدنيا الدنية التي تصيب المؤمن.. ولكنها لا تسبب له المهانة والذلة الواقعية ، بل إن ذلك يزيد المؤمن عزاً وشرفاً وسؤدداً عند الله تعالى ، بل وعند الناس أيضاً ، وفي محكمة التاريخ كما هو واضح.

وذلك نظير ما جرى للصديقة الكبرى عليها السلام في هذه القضية.. وللإمام

(١) الخصال: ج ٢ ص ٦١٤ علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربعمائة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه ح ١٠.

(٢) الأمالي للطوسي: ص ٤٢٩ المجلس ١٥ ح ٩٥٩.

(٣) كترك الصلاة لخوف الاستهزاء في بعض البلاد غير الإسلامية.

(٤) كمصلحة الأجنبية في البلاد الغربية خوفاً من رمية بالرجعية وما أشبه ، وكاشتراكه في مجالس الغيبة والتهمة خوفاً من السخرية إذا غادر المجلس أو احتج عليهم.

الحسن عليه السلام في صلحه.. وللإمام السجاد عليه السلام وعقيلة بني هاشم عليها السلام في الأسر بعد واقعة كربلاء الدامية.

وقد أقدمت الصديقة الزهراء عليها السلام على الخروج للمسجد ومقارعة القوم ومحاجتهم رغم علمها بالمهانة والذلة الظاهرية اللتين ستمنى بهما لما سبق. واليوم نرى العزة لله ولرسوله ولبضعته الطاهرة عليها السلام والذل والهوان لأعدائها.

سعي القوم لإهانتها

مسألة: يستحب بيان أن القوم عموماً وابن أبي قحانة خصوصاً قد سعى في إهانة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام وإذلالها حتى تحقق له ما أراد - من الناحية الظاهرية - فإنه من الواضح أن غضب حقها وعدم تلبية طلبها، ومن ثم إهانة بعلمها، وتكذيبها في قولها وكلامها، من أكبر الإذلال لها (عليها الصلاة والسلام). وينبغي التنبيه إلى أن القوم كانوا يبيتون لها الإهانة.. ولم يكن كل ما جرى لمجرد الاستحواذ على فذك والخلافة فقط، بل كانت في أنفسهم أشياء من رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، وأحقاد بدرية وخيبرية وحنينية أفرغوها على ابنته وبضعته عليها السلام في أول فرصة سانحة، قال تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(١) ف ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٢) .. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٣) .. ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤).

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٢) سورة البقرة: ١٥٦.

(٣) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٤) سورة الأعراف: ١٢٨، سورة القصص: ٨٣.

ولا يخفى أن ما ذكرناه من الاستحباب في جملة من البنود السابقة وهذا البند أيضاً، إنما هو فيما إذا لم يكن الأمر واجباً لموازينه، وإلا فهو منه^(١)، فكل من الواجب والمستحب - وكذلك الجائز فيما ذكرناه في قولها عليها السلام: «ليتنى مت» - إنما هو بموازينه العامة المذكورة في الفقه.

قولها عليها السلام: «قبل هينتي» أي مهانتي حتى لا أكون فأهان بمثل هذه الإهانة العظيمة.

و(الهن): الذي لا كرامة له. يقال: أهنت فلاناً وتهاننت به واستهنت به^(٢).

قولها عليها السلام: «ودون ذلتي» أي قبل أن أذل بسبب رد ابن أبي قحافة عليّ مقالتي على رؤوس الملأ واغتصابه نخلتي.

(١) أي من الواجب.

(٢) انظر كتاب العين: ج ٤ ص ٩٢ مادة (هون).

عذيري الله منه عادياً ومنك حامياً

الاستنصار بالله

مسألتان: يجب الاعتقاد بأن الله سبحانه هو الناصر - عند توفر النصير وعدمه - فإن الأسباب بيده.
 أزمة الأمور طراً بيده والكل مستمد من مدده
 ويجب الاستنصار بالله تعالى.

والذي يبدو أن معنى قول الصديقة عليها السلام: «عذيري الله منه» وفي بعض النسخ «منك» أي: نصيري منه هو الله، أو عوضاً عنك وبدلاً منك، فإذا لم تكن أنت قادراً على نصرتي - نظراً لوصية رسول الله ﷺ - فإن الله قادر على ذلك. فإن من معاني العذير: النصير. ومن معاني العذر: الغلبة والنجح.
 فإذا كانت النسخة: (عذيري الله منه عادياً ومنك حامياً) كان المعنى أن الله هو نصيري من عدوان ابن أبي قحافة، ونصيري بدلاً عنك وعن حمايتك، فيكون ضمير (منه) راجعاً إلى ابن أبي قحافة، وعادياً من العدوان والاعتداء.
 وإن كانت النسخة: (عذيري الله منك عادياً ومنك حامياً) كان معنى عادياً هو صارفاً، من عدوت فلاناً عن الأمر أي صرفته عنه، فالعادي هو الصارف أي نصيري الله بدلاً عنك حالة كونك عادياً أي صارفاً نصرتك عني، وقد سبق أن صرف النصرة كان لأمر من الله ووصية خاصة من رسول الله ﷺ بالصبر والسكوت، وكانت عليها السلام تعلم بكل ذلك. وتكون (من) هنا للبدل كما ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾^(١).

شبهة وإجابة

ثم إنه لو فرض أن (عادياً) في قولها عليها السلام من العدوان، فإن المراد به تجاوز الحد في المقام وهو (الحد الظاهري) لا (الحد المأمور به)، إذ لم يتجاوز الإمام عليه السلام الحد الذي حده الله له بل التزم به وصبر، فكان تجاوزاً للحد العرفي الذي قد يظن بعض الناس أنه كان عليه أن لا يتجاوزه.

لا يجوز إنكار ظلامتها عليها السلام

مسألة: لا يجوز إنكار ما فعله القوم من الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، وإحراق الدار، وضرب الصديقة الطاهرة عليها السلام وكسر ضلعها .. حتى أسقطت جينها... إلى غيرها من الحقائق التاريخية، لورود النصوص بذلك، ولمتواتر الروايات، ولمختلف القرائن التي تفيد العلم.

ومن ذلك يتضح بطلان ما ربما يقال من استغراب أو إنكار الهجوم على دارها وضربها وإسقاط جينها.. بدعوى أن ذلك لا يعقل مع وجود أمير المؤمنين عليه السلام وهو أسد الله الغالب.. فيكف يصبر عليه السلام على ضربهم زوجته سيدة نساء العالمين عليها السلام؟.

إذ من الثابت أن الإمام عليه السلام كان مأموراً بالصبر، ولولاه لما صبر ولأوقفهم عند حدهم، وذلك نظير صبر رسول الله ﷺ طوال فترة وجوده في مكة وكان يرى أصحابه يُعذبون، بل ويأمر أصحابه بالصبر وعدم القتال.

إضافة إلى أن الأمر لم يكن كما يزعمه هؤلاء من أن علياً عليه السلام كان جالساً ينظر إلى زوجته وهي تُضرب ولا يحرك ساكناً، بل إن فاطمة عليها السلام كانت خلف

الباب تكلم القوم وتحذّرهم من مغبة أعمالهم والباب مغلق - ولذلك لم يكن عليها خمار^(١) - وإذا بابن الخطاب وصحبه رفسوا الباب بعنف وقسوة فجأة، وعصروها عصرة حتى أسقطت جنيها، كما هاجموا فاطمة عليها السلام بالضرب على بطنها ووجهها، ويبدو أنهم أرادوا قتل الزهراء عليها السلام حتى لا يبقى للإمام علي عليه السلام ناصر ولا معين؛ فإن الصديقة عليها السلام كانت أكبر ناصر للإمام عليه السلام وهي التي استطاعت أن تسلب شرعيتهم وتبين للعالم إلى يوم القيامة غضبهم للخلافة.

وعند هجوم القوم وثب الإمام عليه السلام ومسك بتلابيب الرجل وصرعه، ثم قال: «والذي كرم محمداً بالنبوة يا ابن صهاك لولا كتاب من الله سبق وعهد عهده إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعلمت أنك لا تدخل بيتي»^(٢) ولولا تلك الوصية لقتله، ونظراً لرد فعل الإمام عليه السلام السريع والقوي تراجع القوم عن قتل فاطمة وابنيها والإمام (صلوات الله عليهم أجمعين) فإنهم أرادوا ذلك^(٣).

(١) قال الفاضل العلامة السيد محمد بن السيد مهدي القزويني الحلبي النجفي (ت ١٣٣٥ هـ) في أبيات له:

قال سليم قلت يا سلمان	هل دخلوا ولم يك استئذان
فقال إي وعزة الجبار	ليس على الزهراء من خمار
لكنها لا ذت وراء الباب	رعاية للسستر والحجاب
فمذ راوها عصروها عصرة	كادت بروحي أن تموت حسرة
تصيح يا فضة اسنديني	فقد وريي قتلوا جنييني
فأسقطت بنت الهدى واحزنا	جنيئها ذاك المسمى محسنا

(٢) كتاب سليم بن قيس: ص ٥٨٦ ح ٤.

(٣) للتفصيل انظر كتاب سليم بن قيس: ص ٥٨٤-٥٩٢ ح ٤، وبحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٢٦٤-٢٨٢.

معاني أخرى لكلامها ﷺ

هذا وربما يمكن أن يقال في معنى كلام الصديقة ﷺ: «عذيري الله...»
أو قد قيل في ذلك وجوه آخر تقتصر على ثلاثة منها:

الوجه الأول:

إن قولها ﷺ: «عذيري الله منك عادياً ومنك حامياً» يعني أن الله سبحانه وتعالى ليعدرنى منك في كلتا حالتى سكوتك عن المطالبة بحقي وحمايتك لي للأخذ بظلامتي، والمعنى: أنها تطلب من الله سبحانه وتعالى أن يعذره ﷺ في كلتا الحالتين - كما هو كذلك، إذ أنه ﷺ كان مأموراً بالصبر - والاعتذار عن القصور حسن.

والعذير: العاذر وهو الذي يرفع اللوم والذنب، أي إن الذي يرفع لومي وعتبي عليك هو الله، والمراد به المآل، أي مآل العتب واللوم وليس نفسه، إذ لا عتب ولوم حقيقي منها له ﷺ، بل هو كناية عن شدة ما جرى عليها كما لا يخفى، والمآل هو استرجاع الحق إذ هذا هو ما يقصد من اللوم في نهاية الأمر.
وبعبارة أخرى: كأن الله يعذرها من جهته، فكأنها تطلب من الله إعادها من جهة موقف بعلمها، فتأمل.

الوجه الثاني:

إن عذيرك من فلان، يعني هات من يعذرك فيه، فيكون (عذيري) منصوباً (والله) مجروراً بالقسم^(١).

(١) ربما يكون مقصود المصنف من هذا أن معنى (عذيري الله منك) أنها تقول: والله سآتي بمن يعذرني ◀

وقيل: منه قول أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) حين نظر إلى ابن ملجم (لعنه الله) وقال:

أريد حباه ويريد قتلي عذيرك^(١) من خليلك من مراد^(٢)

ومنه قوله عليه السلام حينما خرج طلحة والزبير لقتاله: «عذيري من طلحة والزبير بايعاني طائعين غير مكرهين ثم نكثا بيعتي من غير حدث، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾^(٣)»^(٤).

الوجه الثالث:

الطلب من الله أن يعذرها عليها السلام فيما قالت وفعلت. بالنسبة إليه عليه السلام. فكانها عليها السلام تعتذر منه عليه السلام لما بدر منها مما ظاهره العتاب.. وهو وإن لم يكن عتاباً واقعاً بل كان لكشف حقائق القوم ومدى ظلمهم، وقد صيغ في شكل عتاب له كناية إلا أن ذلك أيضاً استدعى اعتذارها منه ومن الله، إذ هي مضطرة لعدم الرعاية الظاهرية مما يتصوره البعض عتاباً، ومثل هذا الكلام مستحب؛ فإنه يستحب للإنسان أن يطلب من الله أن يعذره في كل قول أو فعل صدر منه.

► منك (من جهتك) أي بمن يطلب لي العذر من جهتك، أي يبرأ ساحتك، وهو الرسول ﷺ باعتباره أمراً علياً عليه السلام بالصبر.

(١) قد يكون المعنى: هات من يعذرك من أي واحد من أخلائك من قبيلة (مراد)، أي لا يوجد من يعذرك في قتلي حتى من أصدقائك في قبيلتك.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٩ ص ١١٨ ومن كلام له عليه السلام قبل موته.

(٣) سورة التوبة: ١٢.

(٤) الأمالي للمفيد: ص ٧٢-٧٣ المجلس الثامن ح ٧.

لا يقال: إن ما قالت وفعلت كان بين واجب ومستحب وجائز - بل الجائز منه مستحب كما ذكرناه في موطن آخر - وكل ذلك لا يحتاج إلى طلب العذر من الله سبحانه وتعالى؟.

لأنه يقال: كلامها عليها السلام ذلك ينبع من عظيم معرفتها بالله وشديد خضوعها له سبحانه وتعالى، وهذا الاعتراف وطلب العذر هو مقتضى العبودية لله عز وجل كما فصل في محله، فكل ما يفعله الإنسان - حتى الواجب - بحاجة إلى الاعتذار من الله سبحانه وتعالى.

قال رسول الله ﷺ: «إني استغفر الله كل يوم سبعين مرة من غير ذنب»^(١)، وذلك لأن مقام الله عظيم جداً وفوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى، ومن هنا فإن الأعمال التي يقدمها العبد مهما كانت فإنها لا تناسب شأنه سبحانه وتعالى، فعلى العبد أن يستغفر الله دائماً وأبداً، كما ذكره بعض العلماء في مسألة أدعيتهم التي يعترفون فيها بالذنوب، مثل قول الإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام) في (دعاء أبي حمزة): «أنا الذي.. أنا الذي.. الخ»^(٢)، وكذلك أدعية رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام^(٣) وسائر الأئمة الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، فإن تلك التعابير هي مقتضى العبودية ورعاية لحق الربوبية، لا أنه - والعياذ بالله - صدر من المعصوم ذنب، كما هو واضح.

ولهذه الأدعية وجه آخر ذكر في محله، والله العالم بحقائق الأمور.

(١) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٨٥ ب ٩٢ ح ٢١٠٥٠، وفيه: عن ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام. في

حديث - قال: «إن رسول الله ﷺ كان يتوب إلى الله كل يوم سبعين مرة من غير ذنب».

(٢) المصباح للكفعمي: ص ٥٩٤ دعاء السحر لعلي بن الحسين عليه السلام رواه حمزة الثمالي.

(٣) كما في دعاء كميل عليه السلام.

عذير المعصوم عليه السلام هو الله

مسألة: عذير المعصوم عليه السلام هو الله تعالى فيما يفعله أو يتخذه من موقف، فإن المعصوم عليه السلام لا يفعل إلا ما أَرَادَهُ اللهُ عزوجل؛ لأنهم عليهم السلام أوعية مشيئة الله عزوجل، وقد أمر الباري بطاعتهم عليهم السلام.

ومن هنا قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(١). وعن أبي محمد العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الباقر عليه السلام، قال: «أوصى النبي ﷺ إلى علي والحسن والحسين عليهم السلام - ثم قال - في قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢)، قال: الأئمة من ولد علي وفاطمة عليهما السلام إلى أن تقوم الساعة»^(٣).

وعن داود بن فرقد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام - وعنده إسماعيل ابنه عليه السلام - يقول: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٤) الآية، قال: فقال: «الملك العظيم افتراض الطاعة»^(٥).

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأنبياء ورضى الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته - ثم قال - إن الله يقول: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ إلى ﴿حَفِظَ﴾^(٦) أما لو أن رجلاً قام ليله

(١) المناقب: ج ٣ ص ٣٩٤ فصل في معالي أمورهما عليهما السلام.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٢٨٦ ب ١٧ ح ٣.

(٤) سورة النساء: ٥٤.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٨ من سورة النساء ح ١٦٢.

(٦) سورة النساء: ٨٠.

وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالة منه إليه، ما كان له على الله حق في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان. ثم قال - أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضلهم ورحمته»^(١).

وعن أبي إسحاق النحوي، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن الله أدب نبيه على محبته فقال: ﴿وَأَنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾»^(٢). إلى أن قال - وإن رسول الله ﷺ فوض إلى علي عليه السلام فائتمنه فسلمتم وجحد الناس، فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا، وتصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله، ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا»^(٣).

عن جعفر بن محمد الفزاري معنعناً، عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية من قول الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾»^(٤). قال: «الفتنة الكفار». قال: يا أبا جعفر، حدثني فيمن نزلت؟ قال: «نزلت في رسول الله ﷺ وجرى مثلها من النبي ﷺ في الأوصياء في طاعتهم»^(٥).

وعن بريد العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾. قال: «جعل

(١) بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٢٩٤ ب ١٧ ح ٣٣.

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٧٣ ب ٧ ح ٣٣٢٣٤.

(٤) سورة النور: ٦٣.

(٥) تفسير فرات الكوفي: ص ٢٨٩ ومن سورة النور ح ٣٩٢.

ويلاي في كل شارق.. ويلاي في كل غارب..

منهم الرسل والأنبياء والأئمة، فكيف يقرون في آل إبراهيم عليه السلام وينكرونه في آل محمد عليه السلام». قال: قلت: ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ مُلْكًا عَظِيمًا﴾؟. قال: «الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله فهو الملك العظيم»^(١).

ويلاي في كل شارق.. ويلاي في كل غارب..

طلب الويل والإخبار عنه

مسألة: يجوز الإخبار عن الويل الذي تعرض له الإنسان، كما يجوز طلبه (بالمعنى الذي سيأتي)؛ فإنه يجوز للمظلوم والمصاب بمال أو عزيز أو نفس أو ما أشبه أن يقول هذه الكلمة، دلالة على عظيم ما أصابه من المصاب في نفسه، أو ذوي قرابته، أو أحبته وأصحابه، أو ما أشبه ذلك.

وهذا لا يعني الجزع، وإن كان الجزع في مصاب أهل البيت عليهم السلام جائزاً بل راجحاً.

عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «ما من عبد يصاب بمصيبة فيسترجع عند ذكر المصيبة ويصبر حين تفجأه إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، وكلما ذكر مصيبة فاسترجع عند ذكره المصيبة غفر له كل ذنب اكتسبه فيما بينهما»^(٢).

وعن داود بن رزين، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من ذكر مصيبته ولو

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٠٦ باب أن الأئمة عليهم السلام ولادة الأمر وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عز وجل ح ٥.

(٢) مشكاة الأنوار: ص ٢٧٨-٢٧٩ ف ١.

بعد حين فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين، اللهم أجرني على مصيبي وأخلف عليّ أفضل منها، كان له من الأجر مثل ما كان عند أول صدمة»^(١).

معنى (ويلاي)

مسألة: من المستحب بيان ما جرى على الصديقة الطاهرة عليها السلام من المصائب حتى قالت: «ويلاي في كل شارق.. ويلاي في كل غارب».. وقد يجب ذلك.

والذي يظهر أن معنى قولها عليها السلام: «ويلاي» هو أن البؤس والشدة (وهما معنى الويل) أصبحا ملازمين لي، وذلك نتيجة غضبهم حقي وحق بعلي عليه السلام وإهانتي وإيذائي.. وقد كنتُ عن الملازمة بـ (كل شارق وغارب) أي كل صباح ومساء..

ومن الواضح أن كلامها هذا إخبار وليس إنشاءً ودعاءً.

ومن معاني الويل: حلول الشر.. ومن معانيه: الهلاك.. فكانها عليها السلام تقول: إن الشر (والمراد به المرض والعنت والهوان بسبب ما لحقها من مواقف وتصرفات القوم وغاصبي الخلافة) يحل بي كل صباح ومساء، وذلك إما كناية عن الدوام كما سبق.. أو إشارة لتجدد آلامها وأحزانها كل صباح ومساء. وكذلك الهلاك.. فكانهما قتلاها في كل صباح ومساء، إذ أن الذل والهوان المستمرين قد يكونان أسوأ وأشد وأقسى وأمرّ من أن يقتل المرء مئات المرات.. وكفاهما ذلك إثماً وجراً.

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٢٤ باب الصبر والجزع والاسترجاع ح ٦.

مات العَمَد، ووهن العضد

ومن المحتمل أن تكون (ويلاي) دعاءً فيكون المعنى: إنها تتمنى الموت كل صباح ومساءً، إذ إنه أهون وأخف من المهانة الاجتماعية التي ألحقها بها. وفي اللغة: الويل: الحزن والهلاك، وكل من وقع في الهلكة دعا بالويل، وفي الندبة يقال: ويلاه.

مات العَمَد، ووهن العضد

بين حياته عليه السلام وموته

مسألة: لا ينبغي الريب في أن رسول الله عليه السلام والصديقة الكبرى عليها السلام والأئمة عليهم السلام والشهداء أحياء بعد موتهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١)، و(الموت) بالنسبة إليهم ليس بالمعنى الذي يفهمه الناس منه من عدم القدرة على التصرف في شؤون هذه الدنيا.

إلا أن الفرق بين حياة النبي عليه السلام وموته هو:

أولاً: عدم تصرفه عليه السلام عبر جسده المادي عادةً، إلا فيما خرج بالدليل. وثانياً: ترتب بعض الآثار على حياته المباركة فحسب، وليس كلها، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٢) حيث إن حياته المادية كانت إحدى سببي رفع العذاب، فتأمل.

(١) سورة آل عمران: ١٦٩.

(٢) سورة الأنفال: ٣٣.

فقولها عليها السلام: «مات العمَد...»، إشارة إلى فقدانها عليها السلام بموته عليه السلام جانباً^(١) من حمايته وتصرفاته التي انقطعت بموته عليه السلام.
و(العمَد): هو ما يُعتمد عليه في الأمور.
و(العَضْد) للإنسان بمنزلة يده حيث يقبض ويبسط ويدفع ويجذب بسبب اليد.. والعضد هي محور القدرة في كل ذلك.
ومن الواضح أن الرسول عليه السلام - بالنسبة إلى المسلمين عامة والصديقة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) خاصة - كان عمداً وعضداً.
هذا ويحتمل أن يكون المراد من (العمد): الرسول عليه السلام، ومن (العضد): الإمام علي عليه السلام.. ووهنه عليه السلام أولاً لفقده أول مدافع عنه وهو الرسول عليه السلام وثانياً لتقييده بوصيته عليه السلام.. مضافاً إلى تكالب الأعداء عليه وظلمهم له.
قولها عليها السلام: (مات.. ووهن) تشير به إلى أن ذلك كان هو السبب في عدم استرجاع الحق في فذك والخلافة.

الاعتماد على الرسول عليه السلام

مسألة: يستحب أن يتخذ الرسول عليه السلام عمداً وأمير المؤمنين عليه السلام عضداً، وهذا لا يعني الشرك كما هو واضح، بل ابتغاء الوسيلة إلى الله عز وجل حيث قال تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(٢) على ما هو مذكور في العقائد.
وفي الحديث: «إن الشيطان إذا سمع منادياً ينادي: يا محمد، يا علي، ذاب

(١) أي: ليس كل تصرفاته وحمايته قد انقطع، ولذلك كانت الشكوى (أي بلحاظ ما بقي).

(٢) سورة المائدة: ٣٥.

كما يذوب الرصاص»^(١).

وفي الدعاء: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ أَمَرْتَنَا بِطَاعَتِهِمْ، وَعَجَّلِ اللَّهُمَّ فَرَجَهُمْ بِقَائِمِهِمْ، وَأَظْهِرْ إِعْزَازَهُ، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ أَكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَانِي، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ أَنْصُرَانِي فَإِنَّكُمَا نَاصِرَانِي، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ احْفَظَانِي فَإِنَّكُمَا حَافِظَانِي، يَا مَوْلَايَ يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - الْغَوْثَ، الْغَوْثَ، أَدْرِكْنِي، أَدْرِكْنِي، الْأَمَانَ، الْأَمَانَ»^(٢).

وفي بعض الصلوات المستحبة^(٣): «ثم تضع خدك الأيمن على الأرض وتقول مائة مرة في سجودك: يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ، أَكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَايَ، وَأَنْصُرَانِي فَإِنَّكُمَا نَاصِرَايَ»^(٤).

وفي بعضها^(٥): «ثم يقلب خده الأيسر على الأرض ويقول: يَا مُحَمَّدُ، يَا عَلِيُّ، يَا جِبْرِئِيلُ، بِكُمْ أَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ، ثم يسجد ويكرر هذا القول ويسأل حاجته»^(٦).

وفي صلاة الغياث: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كانت لأحدكم استغاثة إلى الله تعالى فليصل ركعتين، ثم يسجد ويقول: يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ

(١) الكافي: ج ٦ ص ٢٠ باب الأسماء والكنى ح ١٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ١٨٦ ب ٥٣ ح ١٠٣٧٤.

(٣) وهي صلاة لدفع شر السلطان.

(٤) راجع مستدرک الوسائل: ج ٦ ص ٣٠٨-٣١٠ ب ١٩ ح ٦٨٨٥.

(٥) وهي صلاة يوم الاثنين.

(٦) راجع جمال الأسبوع: ص ٧١-٧٢ صلاة أخرى ليوم الاثنين.

يَا عَلِيُّ يَا سَيِّدَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، بِكُمَا أَسْتَغِيثُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ أَسْتَغِيثُ بِكُمَا يَا غَوْثَاهُ بِاللَّهِ وَبِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ - وَتَعُدُّ الْأَئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - بِكُمْ أَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّكَ تُغَاثُ مِنْ سَاعَتِكَ إِذْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى»^(١).

وفي حرب أحد: كان النبي ﷺ يقول: «يا علي رد هذه الكتيبة عني»، «يا علي اكفني هذه الكتيبة»^(٢)، فكانت تقارب خمسين فارسا وعلي عليه السلام راجل فما زال يضربها بالسيف حتى تفرق عن رسول الله ﷺ، ثم تجتمع عليه هكذا مرارا... حتى قال جبرئيل عليه السلام لرسول الله ﷺ: يا محمد إن هذه المواساة!، لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى، فقال رسول الله ﷺ: وما يمنعه مني وهو مني وأنا منه، وقال جبرائيل: وأنا منكما، وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء لا يرى الشخص الصارخ به، ينادي مرارا:

لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار^(٣)

فإنه لما عصى المسلمون أمر رسول الله ﷺ وتركوا الشجرة التي وكلهم بها، ولم يبق فيها سوى نفر قليل، حمل عليهم خالد بن الوليد فقتلهم، بعد أن تراموا بالنبال، وتطاعنوا بالرماح، وتقاتلوا بالسيوف، ثم جاء من ظهر رسول الله ﷺ يريد، فنظر إلى النبي ﷺ وهو في قلعة من أصحابه فقال لمن معه: دونكم هذا الذي تطلبون فشأنكم به.

(١) مكارم الأخلاق: ص ٣٣٠-٣٣١ ف ٤ صلاة الغياث.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٢٧ ب ١٢.

(٣) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ٢٥٠-٢٥١ قصة غزوة أحد.

وبصرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رفعت فلاذوا بها، فحملوا على رسول الله ﷺ حملة رجل واحد ضرباً بالسيوف، وطعنأ بالرماح، ورمياً بالنبل، ورضخاً بالحجارة.

وجعل أصحاب رسول الله ﷺ يقاتلون عنه حتى قتل منهم سبعون رجلاً، أربعة من المهاجرين: حمزة، ومصعب بن عمير، وعثمان بن شماس، وعبدالله بن جحش، وسائرهم من الأنصار، فانهزم على أثره الباقيون، ولم يثبت للقوم إلاّ علي عليه السلام، وأبو دجانة، وسهل بن حنيف، يدفعون عن النبي ﷺ وقد كثر عليهم المشركون.

فالتفت النبي ﷺ إلى علي عليه السلام، وقال: «ما صنع الناس يا علي؟». قال عليه السلام: «كفروا يا رسول الله وولّوا الدبر من العدو وأسلموك». قال: «ما لك لا تذهب مع القوم؟».

فقال: «أذهب وأدعك يا رسول الله؟ أكفر بعد إيمان؟! إن لي بك أسوة والله لا برحت حتى أقتل، أو ينجز الله لك ما وعدك من النصر»، فثبت معه يدفع عنه الكتاب.

فنظر رسول الله ﷺ إلى كتيبة قد أقبلت إليه، فقال لعلي عليه السلام: «ردّ عني يا علي هذه الكتيبة»، فحمل عليها وفرّقها، وكلّما حملت طائفة على رسول الله ﷺ استقبلهم علي عليه السلام فيدفعهم عنه، ويقتلهم حتى تقطع سيفه ثلاث قطع^(١).

(١) راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم) للإمام الشيرازي رحمته الله: ج ١ ص ١٤٧ غزوة أحد المسلمون لما عصوا الرسول ﷺ.

شكواي إلى أبي

لمن الشكوى

مسألة: يستحب بث الشكوى إلى رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام والصالحين في الجملة، أحياء وأمواتاً، وهذا مما يدل على تأثير وجوده ﷺ حتى بعد موته، فإنه لو كانت الشكوى له بعد موته لغوا لما شكت إليه الصديقة الزهراء عليها السلام ظلامتها بعد موته ﷺ.

واستفادة الاستحباب لأدلة الأسوة وحجية قولها عليها السلام وفعلها وتقريرها وما أشبه.

ومنه يعلم أن ما جرت عليه سيرة المؤمنين من اللجوء إلى أضرحة المعصومين والأولياء والصالحين عليهم السلام وبث الشكوى لهم هو نوع تضرع إلى الله فإنهم عليهم السلام الطريق إليه عزوجل والدليل عليه، قال عزوجل: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(١).

مضافاً إلى ما تقدم من كونه تأسيساً بالصديقة الكبرى عليها السلام^(٢) والأئمة الأطهار عليهم السلام.. فإن الشكوى إلى الرسول والأئمة الطاهرين والزهراء (صلوات الله عليهم أجمعين) سبيل إلى الشكوى إلى الله سبحانه، لأنهم شفعاء إلى الله، وهم الوسيلة إليه لقضاء الحوائج وكشف النوائب، بل إن الشكوى إلى هؤلاء بنفسه أيضاً مستحب، لأنهم محل مشيئة الله وأوعية علمه كما ورد في الروايات. وهناك روايات وقصص كثيرة في الشكوى إلى المعصوم عليهم السلام منها:

(١) سورة المائدة: ٣٥.

(٢) في قولها هذا وفي لجوئها إلى قبره ﷺ وقبر عمه حمزة عليه السلام.

روى أبو علي بن راشد، عن أبي هاشم الجعفري، قال: شكوت إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام الحاجة، فحك بسوطه الأرض فأخرج منها سبيكة فيها نحو الخمسمائة دينار، فقال: «خذها يا أبا هاشم وأعذرنا»^(١).

ودخل أبو عمرو عثمان بن سعيد، وأحمد بن إسحاق الأشعري، وعلي بن جعفر الهمداني على أبي الحسن العسكري عليه السلام، فشكا إليه أحمد بن إسحاق ديناً عليه. فقال: «يا أبا عمرو - وكان وكيله - ادفع إليه ثلاثين ألف دينار، وإلى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار، وخذ أنت ثلاثين ألف دينار»، فهذه معجزة لا يقدر عليها إلا الملوك، وما سمعنا بمثل هذا العطاء^(٢).

وقال محمد بن عبد الله البكري: قدمت المدينة أطلب بها ديناً فأعياني. فقلت: لو ذهبت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام وشكوت إليه، فأتيته بنعمي في ضيعته، فخرج إليّ ومعه غلام معه منسف فيه قديد مجزع ليس معه غيره، فأكل وأكلت معه، ثم سألني عن حاجتي، فذكرت له قصتي، فدخل فلم يقم إلا يسيراً حتى خرج إليّ فقال لغلامه: «اذهب فمد يده إليّ»، فدفع صرة فيها ثلاثمائة دينار ثم قام فولى، فقمت فركبت دابتي وانصرفت^(٣).

وعن إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده المعلّى بن خنيس إذ دخل عليه رجل من أهل خراسان. فقال: يا ابن رسول الله، أنا من مواليكم أهل البيت تعرف موالاتي إياكم، وبينني وبينكم شقة بعيدة، وقد قلّ ذات يدي ولا أقدر أن أتوجه إلى أهلي إلا أن تعينني. قال: فنظر

(١) الإرشاد: ج ٢ ص ٣٢٨-٣٢٩ باب ذكر طرف من أخبار أبي محمد عليه السلام ومناقبه وآياته ومعجزاته.

(٢) المناقب: ج ٤ ص ٤٠٩ فصل في معجزاته عليه السلام.

(٣) دلائل الإمامة: ص ١٥٠ ذكر ولده عليه السلام.

أبو عبد الله عليه السلام يمينا وشمالاً وقال: «ألا تسمعون ما يقول أخوكم، إنما المعروف ابتداءً، فأما ما أعطيت بعد ما سأل فإنما هو مكافأة لما بذل لك من وجهه - ثم قال - فبييت ليلة متأرقاً متملماً بين اليأس والرجاء لا يدري أين يتوجه بحاجته، فيعزم على القصد إليك فأتاك وقلبه يجب وفرائضه ترتعد، وقد نزل دمه في وجهه وبعد هذا فلا يدري أينصرف من عندك بكآبة الرد أم بسرور النجح، فإن أعطيته رأيت أنك قد وصلته، وقد قال رسول الله ﷺ: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لما يتجشم من مسألته إياك أعظم مما ناله من معروفك». قال: فجمعوا للخراساني خمسة آلاف درهم^(١).

وعن اليسع بن حمزة، قال: كنت في مجلس أبي الحسن الرضا عليه السلام أحدثه وقد اجتمع إليه خلق كثير يسألونه عن الحلال والحرام، إذ دخل عليه رجل طوال آدم. فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله، رجل من محبيك ومحبي آبائك وأجدادك، مصدري من الحج وقد افتقدت نفقتي وما معي ما أبلغ به مرحلة، فإن رأيت أن تنهضني إلى بلدي، والله عليّ نعمة فإذا بلغت بلدي تصدقت بالذي توليني عنك فلست بموضع صدقة. فقال له: «اجلس رحمك الله»، وأقبل على الناس يحدثهم حتى تفرقوا وبقي هو وسليمان الجعفري وخيثمة وأنا. فقال: «أتأذنون لي في الدخول». فقال له سليمان: قدم الله أمرك. فقام ودخل الحجرة وبقي ساعة ثم خرج ورد الباب وأخرج يده من أعلى الباب، وقال: «أين الخراساني؟». فقال: ها أنا ذا. فقال: «خذ هذه المائتي دينار فاستعن بها في مئوتك ونفقتك وتبرك بها، ولا تصدق بها عني وأخرج فلا أراك ولا تراني».

(١) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص: ٢٣٦ ب ٣٦ ح ٨١٢٦.

ثم خرج عليه السلام فقال سليمان: جعلت فداك، لقد أجزلت ورحمت فلماذا سترت وجهك عنه؟. فقال: «مخافة أن أرى ذل السؤال في وجهه لقضائي حاجته، أما سمعت حديث رسول الله ﷺ: المستتر بالحسنة تعدل سبعين حجة، والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له.

أما سمعت قول الأول:

متى آتاه يوماً أطالب حاجة رجعت إلى أهلي ووجهي بمائه^(١)

وعن الحارث الهمداني، قال: سامرت أمير المؤمنين عليه السلام. فقلت: يا أمير المؤمنين، عرضت لي حاجة. قال: «فرأيتني لها أهلاً؟».

قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: «جزاك الله عني خيراً».

ثم قام إلى السراج فأغشاها وجلس ثم قال: «إنما أغشيت السراج لثلاث أرى ذل حاجتك في وجهك فتكلم؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحوائج أمانة من الله في صدور العباد فمن كتمها كتب له عبادة، ومن أفشاها كان حقاً على من سمعها أن يعينه»^(٢).

(١) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٤٥٦-٤٥٧ ب ٣٩ ح ١٢٤٨٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٣٦ ب ١٠٢ ح ١٣.

وعدواي إلى ربي

تهديد الظالم

مسألتان: ينبغي تهديد الظالم برفع أمره إلى الله عز وجل ، كما ينبغي - في مرحلة الثبوت - إيكال الأمر إليه تعالى وإحالة الانتقام من العدو عليه .
قولها ﷺ: «عدواي إلى ربي»، أي: أسأل الله أن يقاضي عدوي وأن يجزيه بالعدوان عدواناً.

ويسمى جزاء التعدي بالتعدي للمشاكلة ، كما قال سبحانه: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(١) ، وهو من أبواب البلاغة ، وفي القرآن الحكيم أيضاً عن لسان عيسى (عليه الصلاة والسلام): ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾^(٣) إلى غير ذلك من أمثلة المشاكلة.

وفي اللغة (العدوى): طلبك إلى والٍ ليعديك على من ظلمك أي ينتقم منه^(٤).

فالمشتكى إليه هو رسول الله ﷺ والذي يطلب منه الفصل أخيراً وعقوبة المعتدي هو الله سبحانه وتعالى. فهي (صلوات الله عليها) تقول: إني أذهب بشكواي إلى أبي ﷺ وأطلب من الله سبحانه وتعالى أن يرد تعديهم عليّ.

(١) سورة البقرة: ١٩٤.

(٢) سورة المائدة: ١١٦.

(٣) سورة الشورى: ٤٠.

(٤) لسان العرب: ج ١٥ ص ٣٩ مادة (عدو).

شكوى الأنبياء

مسألة: ينبغي بيان أن الصديقة الطاهرة عليها السلام قد اشتكت من القوم إلى رسول الله ﷺ وطلبت من الله عز وجل أن ينتقم منهم من تلك المظلمة التي ظلموها بها. وهذه هي سيرة الأولياء والأنبياء عليهم السلام ، وهناك آيات عديدة وروايات كثيرة في شكوى الأنبياء عليهم السلام إلى الله من قومهم وطلب نزول العذاب عليهم: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٢﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٣﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٤﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٥﴾﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٣﴾﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿١﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢﴾ رَبُّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٣﴾﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٤﴾﴾^(٤).

(١) سورة نوح: ٥-٩.

(٢) سورة نوح: ٢١-٢٢.

(٣) سورة نوح: ٢٦-٢٨.

(٤) سورة الفرقان: ٣٠.

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٣).

وفي البحار: قال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة عليها السلام: «يا بنية أنت المظلومة بعدي، وأنت المستضعفة بعدي، فمن آذاك فقد آذاني، ومن غاظك فقد غاظني، ومن سرك فقد سرنني، ومن برك فقد برني، ومن جفاك فقد جفاني، ومن وصلك فقد وصلني، ومن قطعك فقد قطعني، ومن أنصفك فقد أنصفني، ومن ظلمك فقد ظلمني، لأنك مني وأنا منك، وأنت بضعة مني وروحي التي بين جنبي، ثم قال ﷺ: إلى الله أشكو ظالميك من أمتي»^(٤).

(١) سورة الأنبياء: ٨٣-٨٤.

(٢) سورة الأنبياء: ٨٧-٩٠.

(٣) سورة البقرة: ٢١٤.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٧٦ ب ٢ ح ٣٤.

اللهم إنك أشد منهم قوة وحولاً، وأشد بأساً وتنكيلاً

وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل جنة عدن منزلي، قصباً غرسه ربي عزوجل ثم قال له: كن فكان، فليتول علي بن أبي طالب ولياً، ثم بالأوصياء من ولده؛ فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، إلى الله أشكو أعداءهم من أمتي، المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتي، وايم الله ليقتلن بعدي ابني الحسين لا أنالهم الله شفاعتي»^(١).

اللهم إنك أشد منهم قوة وحولاً، وأشد بأساً وتنكيلاً

الاستنجاد بالله

مسائل: يجب الاستنجاد بالله عزوجل كما استنجدت الصديقة عليها السلام، ويجب إيكال الأمر إليه كما فعلت عليها السلام، وينبغي الإعلان عن ذلك والجهربه كما صنعت عليها السلام.

والقوة: عبارة عن القدرة التي يفعل الله سبحانه وتعالى بها ما يشاء.

والحول: عبارة عن تحويله الحال إلى حال آخر، من حسن إلى أحسن، ومن حسن إلى حسن آخر^(٢)، ومن حسن إلى سيئ، ومن الأحسن إلى الحسن أو السيئ، وكذلك من جانب السوء.

(١) روضة الواعظين: ج ١ ص ١٠١ مجلس في ذكر الإمامة وإمامة علي ابن أبي طالب وأولاده (صلوات الله عليهم أجمعين).

(٢) كفردى كلي حسن متساويين في الحسن مختلفين في المصدق.

والبأس: العذاب ونحو العذاب كالخوف الشديد، وربما كان بمعنى العذاب الشديد أيضاً^(١). قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾^(٢). أي شدة عذابنا. وقال عز وجل: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾^(٤). وقال سبحانه: ﴿أَوْ أَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾^(٥). وقال عز وجل: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٦). وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾^(٧). وقال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾^(٨).
والتنكيل: العقوبة بما يظهر أثره، فإنه يسمى قطع الأنف والأذن وما أشبه بالتنكيل. وفي اللغة: تنكيل المولى بعبده بأن يجده أنفه أو يقطع أذنه ونحو ذلك^(٩).

(١) انظر لسان العرب: ج ٦ ص ٢٠ مادة (بأس).

(٢) سورة غافر: ٨٤.

(٣) سورة الأعراف: ٤.

(٤) سورة الأعراف: ٩٧.

(٥) سورة الأعراف: ٩٨.

(٦) سورة يوسف: ١١٠.

(٧) سورة الأنبياء: ١٢.

(٨) سورة غافر: ٨٥.

(٩) مجمع البحرين: ج ٥ ص ٤٨٦ مادة (نكل).

وهذا ^(١) من باب ضيق اللفظ ، وإلا فلا تقاس نسبة حول الله وقوته وبأسه وتنكيله بالإنسان إلا قياساً يعدّ أبعد من البعيد حتى أضحي كالمجاز مثل قوله : ﴿هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ^(٢) وهو ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ^(٣) أو ما أشبه ذلك.

وكانها (صلوات الله عليها) توجهت في قولها هذا إلى الله سبحانه وتعالى قائلة - في خضوع ودعاء وتضرع - أنت القوي في أخذ حقي ولا قوة أقوى من قوتك ، وأنت القادر على تحويل الحال من هذا الحال السيئ إلى الحسن ، فكلامها تضرع لله واستنجد به ودعاء على القوم. وفي بعض النسخ : «وأحدّ بأساً وتنكيلاً» أي : إن بأسك حاد ونافذ كالسكين الحاد الذي ينفذ في اللحم.

لماذا لم يحوّل الله الحال ؟

لا يقال : لماذا لم يحوّل سبحانه وتعالى الحال ولم ينتقم من القوم ، رغم أنه جل وعلا أشد منهم حولاً وقوة وأحد بأساً وتنكيلاً؟.

إذ يقال : أولاً : الدنيا دار ابتلاء وامتحان ، ولذلك جرى على الأنبياء والأوصياء والصالحين عليهم السلام ما جرى من الظلم والتعدي حتى وصل الأمر في كثير منهم إلى التعذيب والتنكيل والقتل ، والتغيير الإعجازي خلاف فلسفة الامتحان والإمهال ^(٤) والإمداد ^(٥) ، إلا فيما خرج بالدليل.

(١) أي قولها عليها السلام : «اللهم إنك أشد منهم قوة وحولاً ، وأشد بأساً وتنكيلاً».

(٢) سورة المؤمنون : ٧٢ ، سورة سبأ : ٣٩ .

(٣) سورة المؤمنون : ١٤ ، سورة الصافات : ١٢٥ .

(٤) إشارة إلى (إن الله يمهّل ولا يهمل) كما ورد.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿كَلَّا نُمَدِّدُ﴾ سورة الإسراء : ٢٠ .

وثانياً: إن استجابة الله لدعائها ﷺ هي كما في قوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(١)، وقد فسر ذلك في بعض الأحاديث بزمان ظهور خاتم الأوصياء الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)^(٢).

وثالثاً: ما ذكرناه في مواضع من (الفقه) من أن عقوبة الله - في الدنيا قبل الآخرة وقبل الظهور - تتجلى في العديد من المحاكم منها: محكمة البدن، ومحكمة النفس، ومحكمة الاجتماع، ومحكمة التاريخ، ومحكمة الطبيعة^(٣)، وما أشبه، وقد حصلت هذه العقوبات وستحصل في مراتب أشد وأكثر.

وفي مستدرك الوسائل: عن الشيخ الكفعمي في (مصباحه)، عن النعماني في كتاب (دفع الهموم والأحزان)، عن علي عليه السلام:

«أنه من ظلم ولم يرجع ظالمه عنه فليفضّ الماء على نفسه، ويسبغ الوضوء ويصلي ركعتين، ويقول:

اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَاناً بَنَ فُلَانٍ ظَلَمَنِي وَاعْتَدَى عَلَيَّ، وَنَصَبَ لِي وَأَمْضَنِي وَأَرْمَضَنِي، وَأَذَلَّنِي وَأَخْلَقَنِي، اللَّهُمَّ فَكِلْهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَهَدِّ رُكْنَهُ، وَعَجِّلْ جَائِحَتَهُ، وَاسْلُبْهُ نِعْمَتَكَ عِنْدَهُ، واقطع رِزْقَهُ، وابتر عمره، وامح أثره، وسلط عليه عدوه، وخذه في مأمِنِهِ كَمَا ظَلَمَنِي وَاعْتَدَى عَلَيَّ، وَنَصَبَ لِي وَأَمْضَ وَأَرْمَضَ، وَأَذَلَ وَأَخْلَقَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيدُكَ عَلَى فُلَانٍ بَنَ فُلَانٍ فَأَعِدْنِي، فَإِنَّكَ

(١) سورة غافر: ٥١.

(٢) راجع العمدة: ص ٤٢٨-٤٢٩ فصل في ذكر ما جاء في المهدي عليه السلام من متون الصحاح الستة ح ٨٩٧.

(٣) كما في لعن كثير من الموجودات (من الجمادات والحيوانات والملائكة) لهم، وغير ذلك مما نعلمه وما لا نعلمه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل لك، بل الويل لشانك

أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً؛ فإنه لا يُمهّل إن شاء الله تعالى، يفعل ذلك ثلاثاً^(١).
وقال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يمهّل الظالم حتى يقول: أهملني،
ثم إذا أخذه أخذه أخذه رابية»^(٢).

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل لك، بل الويل لشانك

تسليّة المظلوم

مسألة: يستحب تسليّة^(٣) المظلوم والتخفيف عن آلامه والتفريج عنه،
فإنها من مصاديقه، وتفريج كربة المكروب من أفضل القربات.
قال رسول الله ﷺ: «من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها وفرج عنه
كربته لم يزل في ظل الله الممدود عليه الرحمة ما كان في ذلك»^(٤).
وفي الحديث: «من عزي مصاباً فله مثل أجره، ومن عزي ثكلى كُسي برداً
في الجنة»^(٥).

(١) مستدرک الوسائل: ج ٦ ص ٢٩٨ ب ١١ ح ٦٨٦٨.

(٢) كنز الفوائد: ج ١ ص ١٣٥ فصل مما ورد في ذكر الظلم.

(٣) سلاه عن همّه: أي أزال همه وغمه، وسلى يسلي تسلياً فلاناً عن كذا: أي أنساه ذلك المصاب أو الهم
وصرف فكره عنه أو طيب نفسه.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٠٦ باب في إطفاء المؤمن وإكرامه ح ٥.

(٥) راجع مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٣٤٨ ب ٤٠ ح ٢١٦١ وفيه: وسئل النبي ﷺ عن التصافح في
التعزية؟ فقال: «هو سكن للمؤمن، ومن عزي مصاباً فله مثل أجره». وفي ح ٢١٦٣ قال رسول الله
ﷺ: «من عزي ثكلى كُسي برداً في الجنة».

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «من عزى أخاه المؤمن كسي في الموقف حلة»^(١).
وقال رسول الله ﷺ: «من عزى مصاباً كان له مثل أجره من غير أن ينقصه الله من أجره شيئاً»^(٢).

وقال النبي ﷺ: «من عزى أخاه المؤمن من مصيبة كساه الله عز وجل حلة خضراء يجبر بها يوم القيامة». قيل: يا رسول الله، ما يجبر بها؟ قال: «يغبط بها»^(٣).

وروي: «أن إبراهيم عليه السلام سأل ربه قال: يا رب، فما جزاء من يصبر الحزين ابتغاء وجهك؟. قال: أكسوه ثوباً من الإيمان يتبوا بها في الجنة، ويتقى بها من النار»^(٤).

وروي: «أن داود عليه السلام قال: إلهي ما جزاء من يعزي الحزين على المصاب ابتغاء مرضاتك؟. قال: جزاؤه أن أكسوه رداءً من أردية الإيمان أستره به من النار»^(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «التعزية تورث الجنة»^(٦).

وروي أنه: «من عزى حزيناً كسي في الموقف حلة يجبر بها»^(٧).

(١) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٣٤٨ ب ٤٠ ح ٢١٥٨.

(٢) مسکن الفؤاد: ص ١١٥ وأما الخاتمة.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٩ ص ٩٤ ب ١٦ ضمن ح ٤٦.

(٤) مسکن الفؤاد: ص ١١٧ وأما الخاتمة.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٣٤٩ ب ٤٠ ح ٢١٦٥.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ١٧٤ باب التعزية والجزع عند المصيبة ح ٥٠٧.

(٧) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٣٥٠ ب ٤٠ ح ٢١٦٩.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عزى الثكلى أظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله»^(١).

إلى غير ذلك من الروايات الواردة في باب التسلية والتعزية.

وفي الحديث القدسي قال الله عز وجل: «إني تطولت على عبادي بثلاث: ألقيت عليهم الريح بعد الروح ولولا ذلك ما دفن حميم حميماً، وألقيت عليهم السلوة بعد المصيبة ولولا ذلك لم يتهن أحد منهم بعيشه، وخلقت هذه الدابة وسلطتها على الحنطة والشعير ولولا ذلك لكنزهما ملوكهم كما يكتزون الذهب والفضة»^(٢).

تسلية المريض والمهموم

مسألة: تسلية المتألم نفسياً، والمتألم جسدياً - كتسلية المظلوم - مستحبة، ومن مصاديقها عيادته والدعاء له؛ فإن إطلاق قوله عليه السلام: «من سلى (عزى) مصاباً له مثل أجره»^(٣) السابق الذكر كما يشمل المظلوم يشمل غيره، ويعم كل (مصاب) بـ (ظلم) أو (مرض) أو (فقر) أو (فقد عزيز) أو ما أشبه ذلك. والصديقة الزهراء عليها السلام كانت مظلومة ومضطهدة ومتألمة نفسياً وجسدياً لشدة ما جرى عليها من المصائب فـ «ما زالت بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله معصبة الرأس، ناحلة الجسم، يُغشى عليها ساعة بعد ساعة»^(٤).

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٢٧ باب ثواب التعزية ح ٣.

(٢) الخصال: ج ١ ص ١١٢ تطول الله عز وجل على عباده بثلاث ح ٨٧.

(٣) الكافي: ج ٣ ص ٢٠٥ باب ثواب من عزى حزناً ح ٢.

(٤) المناقب: ج ٣ ص ٣٦٢ فصل في وفاتها وزيارتها عليها السلام.

عن جعفر بن يحيى الخزازي، عن أبيه، قال: دخلت مع أبي عبد الله عليه السلام على بعض مواليه يعود، فرأيت الرجل يكثر من قول: آه. فقلت له: يا أخي، اذكر ربك واستغث به. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «آه اسم من أسماء الله، فمن قال: آه، استغاث بالله عز وجل»^(١).

وعن محمد بن المنكدر، قال: مرض عون بن عبد الله بن مسعود فأتته أعوده. فقال: أفلا أحدثك بحديث عن عبد الله بن مسعود؟ قال: بلى. قال: قال عبد الله: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ تبسم. فقلت: ما لك يا رسول الله تبسمت؟ قال: «عجبت من المؤمن وجزعه من السقم، ولو يعلم ما له في السقم من الثواب لأحب أن لا يزال سقيماً حتى يلقي ربه عز وجل»^(٢).

وعن الأرقط - وهو ابن أخت أبي عبد الله الصادق عليه السلام - قال: مرضت مرضاً شديداً وأرسلت أُمِّي إلى خالي، فجاء وأُمِّي خارجة في باب البيت - وهي أم سلمة بنت محمد بن علي - وهي تقول: وا شباباه. فرآها خالي فقال: «ضمي عليك ثيابك ثم ارقني فوق البيت، ثم اكشفي قناعك حتى تبرزي شعرك إلى السماء ثم قل: رب أنت أعطيتني وأنت وهبته لي، اللهم فاجعل هبتك اليوم جديدة إنك قادر مقتدر، ثم اسجدي فإنك لا ترفعين رأسك حتى يبرأ ابنك». فسمعت ذلك وفعلته، قال: فقممت من ساعتني فخرجت مع خالي إلى المسجد»^(٣).

وروي: أن صفوان بن يحيى قال: قال لي العبدي: قالت أهلي: قد طال

(١) بحار الأنوار: ج ٧٨ ص ٢٠٢ ب ٢ ح ٣.

(٢) الأمالي للصدوق: ص ٥٠١ المجلس الخامس والسبعون ح ١٤.

(٣) طب الأئمة عليهم السلام: ص ١٢٢ دعاء الوالدة للولد من فوق البيت.

عهدنا بالصادق عليه السلام، فلو حججنا وجددنا به العهد. فقلت لها: والله ما عندي شيء أحج به. فقالت: عندنا كسو وحلي فبع ذلك وتجهز به. ففعلت فلما صرنا قرب المدينة مرضت مرضاً شديداً وأشرفت على الموت، فلما دخلنا المدينة خرجت من عندها وأنا آيس منها، فأتيت الصادق عليه السلام وعليه ثوبان ممصران، فسلمت عليه فأجابني وسألني عنها، فعرفته خبرها وقلت: إني خرجت وقد آيست منها، فأطرق ملياً ثم قال: «يا عبدي، أنت حزين بسببها؟». قلت: نعم. قال: «لا بأس عليها، فقد دعوت الله لها بالعافية، فارجع إليها فإنك تجدها قاعدة والخادمة تلقمها الطبرزد». قال: فرجعت إليها مبادراً فوجدتها قد أفافت وهي قاعدة والخادمة تلقمها الطبرزد. فقلت: ما حالكِ؟ قالت: قد صب الله عليّ العافية صباً وقد اشتهيت هذا السكر. فقلت: خرجت من عندك آيساً، فسألني الصادق عنكِ فأخبرته بحالكِ، فقال: لا بأس عليها ارجع إليها فهي تأكل السكر. قالت: خرجت من عندي وأنا أجود بنفسي، فدخل عليّ رجل عليه ثوبان ممصران، قال: ما لكِ؟ قلت: أنا ميتة وهذا ملك الموت قد جاء يقبض روحي. فقال: يا ملك الموت. قال: لبيك أيها الإمام. قال: أأستأمرت بالسمع والطاعة لنا؟ قال: بلى. قال: فإني أمرك أن تؤخر أمرها عشرين سنة. قال: السمع والطاعة. قالت: فخرج هو وملك الموت فأفقت من ساعتِي»^(١).

وعن أبي يحيى، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «تمام العيادة أن تضع يدك على المريض إذا دخلت عليه»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٤٧ ص ١١٥-١١٦ ب ٥ ح ١٥٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢ ص ٤٢٦ ب ١٦ ح ٢٥٤٦.

وعن موسى بن القاسم، قال: حدثني أبو زيد، قال: أخبرني مولى لجعفر بن محمد عليه السلام، قال: مرض بعض مواليه فخرجنا إليه نعوذه ونحن عدة من موالي جعفر، فاستقبلنا جعفر عليه السلام في بعض الطريق، فقال لنا: «أين تريدون؟» فقلنا: نريد فلاناً نعوذه. فقال لنا: «قفوا». فوقفنا، فقال: «مع أحدكم تفاحة، أو سفرجلة، أو أترجة، أو لعقة من طيب، أو قطعة من عود بخور؟». فقلنا: ما معنا شيء من هذا. فقال: «أما تعلمون أن المريض يستريح إلى كل ما أدخل به عليه»^(١).

وعن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن من أعظم العواد أجراً عند الله لمن إذا عاد أخاه خفف الجلوس إلا أن يكون المريض يحب ذلك ويريده ويسأله ذلك - وقال - من تمام العيادة أن يضع العائد إحدى يديه على الأخرى أو على جبهته»^(٢).

تسليّة الزوج زوجته

مسألة: يستحب أن يُسلّي الزوج زوجته عند المصاب، وذلك من مصاديق المعاشرة بالمعروف المأمور به في الكتاب الكريم^(٣)، وهي بين واجب ومستحب كما ذكرناه في (الفقه)^(٤).

ولا يخفى أن اجتماع عنوانين مرجحين بل العناوين المرجحة سبب لأكدية

(١) الكافي: ج ٣ ص ١١٨ باب في كم يعاد المريض وقد ما يجلس ح ٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢ ص ٤٢٥-٤٢٦ ب ١٥ ح ٢٥٤٤.

(٣) قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، سورة النساء: ١٩.

(٤) راجع (الفقه: النكاح) و(الفقه: الواجبات والمحرمات).

الطلب ولزيادة الثواب، كعكسه أيضاً^(١)، فكونه مصاباً سبب لاستحباب تسليته، فإذا كان المصاب رحماً أو زوجةً تأكد الاستحباب وزاد الثواب لقوله عز وجل: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^(٢)، وقوله سبحانه: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾^(٣)، إلى غير ذلك مما يدل على هذه الأولوية في جميع الأبواب.

والصديقة فاطمة عليها السلام قد جمعت إلى كل ما سبق كونها بضعة الرسول صلوات الله عليه وآله، وأم الأئمة النجباء عليهم السلام، وسيدة نساء العالمين، والحجة على أهل العالمين بما فيهم أبناءها الهداة حتى الإمام القائم (عجل الله فرجه الشريف)، كما ورد في الحديث عن العسكري عليه السلام^(٤).

قوله عليه السلام: «لا ويل لك» فإنه لا منافاة بين قول الزهراء عليها السلام وقول الإمام علي عليه السلام إذ قولها على سبيل المجاز والظاهر، وقوله على سبيل الواقع والحقيقة.

الدعاء على أعداء آل البيت عليهم السلام

مسألتان: الدعاء على العدو والظالم جائز، بما^(٥) يجوز، أما الدعاء بغيره فمرجوح أو محرم^(٦).

(١) أي إن اجتماع عنوانين أو عناوين مرجوحة سبب لأكدية النهي وأشدية العقاب.

(٢) سورة الأنفال: ٧٥، سورة الأحزاب: ٦.

(٣) سورة البقرة: ١٨٧.

(٤) قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «وأما فاطمة حجة علينا». يذكر النص؟؟؟

(٥) متعلق بالدعاء.

(٦) كأن يدعو عليه بإيقاع أهله في الحرام، أو إيقاعه هو في الحرام كالزنا، أو ما أشبه.

أما الدعاء على أعداء أهل البيت عليهم السلام بالويل والثبور واللعن وشبه ذلك فهو من أعظم القربات إلى الله تعالى وهو بين مستحب وواجب، ويدل عليه الآيات والروايات المتواترة الآمرة باللعن أو الناطقة به، ومنها دعاء أمير المؤمنين عليه السلام عليهم هنا حيث قال: «بل الويل لسانك»، والظاهر أنه إنشاء..
ويمحتمل كونه إخباراً بأن البؤس والهلاك الحقيقي والشقاء على أعدائها (صلوات الله عليها).

ثم إن إثبات كون الويل للشانئ لا ينفي كونه أيضاً لغير المحب وغير الموالي العارف بهم أو المقصر في معرفتهم، فإن البؤس والشقاء لمن لم يعرف الحق وأهله وإن لم يبغضهم وقد فصلنا الحديث عن ذلك في موضع آخر.
قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾^(١) وإيذاء أهل البيت إيذاء له عليه السلام.
وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٢).
وقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٤).
وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾^(٥).

(١) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٢) سورة آل عمران: ٦١.

(٣) سورة آل عمران: ٨٧.

(٤) سورة هود: ١٨.

(٥) سورة البقرة: ١٥٩.

إلى غيرها مما نزل في أعداء أهل البيت عليهم السلام أو كانوا من أبرز مصاديقها، أي كان اللعن على من ظلمهم أو كذبهم أو آذاهم من أبرز المصاديق.

عن النبي صلى الله عليه وآله: «تصلي ليلة عاشوراء أربع ركعات في كل ركعة الحمد مرة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(١) خمسين مرة، فإذا سلمت من الرابعة فأكثر ذكر الله تعالى، والصلاة على رسوله، واللعن لأعدائهم ما استطعت»^(٢).

وعن ذريح المحاربي، قال: قال له الحارث بن المغيرة النصري - أي لأبي عبد الله عليه السلام -: إن أبا معقل المزني حدثني عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه صلى بالناس المغرب فقت في الركعة الثانية، فلعن معاوية وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري وأبا الأعور السلمي؟ قال الشيخ عليه السلام: «صدق فالعنهم»^(٣).
وعن عبد الله بن معقل عن علي عليه السلام: أنه قنت في الصبح فلعن معاوية، وعمرو بن العاص، وأبا موسى، وأبا الأعور، وأصحابهم»^(٤).

وروي: أن النبي صلى الله عليه وآله قنت في الصبح ودعا على جماعة وسماهم»^(٥).
وقال الصادق عليه السلام: «طوبى للذين هم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. فقال له رجل: يا ابن رسول الله، إني عاجز ببدني عن نصرتكم، ولست أملك إلا البراءة من أعدائكم واللعن عليهم، فكيف حالي؟

(١) سورة الإخلاص.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ١٨٢ ب ٥٠ ح ١٠٣٧٠.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٤ ص ٤١٠ ب ١٠ ح ٥٠٣٥.

(٤) الأمالي للطوسي: ص ٧٢٥ مجلس ٤٣ ح ١٥٢٥.

(٥) عوالي اللآلي: ج ٢ ص ٤٣ ب ١ المسلك الرابع ح ١٠٧.

فقال له الصادق عليه السلام: «حدثني أبي عن أبيه عن جده عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال: من ضعف عن نصرتنا أهل البيت فلعن في خلواته أعداءنا، بلغ الله صوته جميع الأملاك من الثرى إلى العرش، فكلما لعن هذا الرجل أعداءنا لعناً ساعدوه فلعنوا من يلعنه ثم ثنوا فقالوا: اللهم صل على عبدك هذا الذي قد بذل ما في وسعه، ولو قدر على أكثر منه لفعل، فإذا النداء من قبل الله تعالى: قد أجبت دعاءكم، وسمعت نداءكم، وصليت على روحه في الأرواح، وجعلته عندي من المصطفين الأخيار»^(١).

وقال الشهيد في (الذكرى): يجوز الدعاء فيه للمؤمنين بأسمائهم والدعاء على الكفرة والمنافقين؛ لأن النبي ﷺ دعا في قنوته لقوم بأعيانهم وعلى آخرين بأعيانهم، كما روي أنه عليه السلام قال: «اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، واشدد وطأتك على مضر ورعل وذكوان»^(٢).

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام: «إن أشرف أعمالهم - أي المؤمنين - في مراتبهم التي قد رتبوا فيها من الثرى إلى العرش: الصلاة على محمد وآله الطيبين، واستدعاء رحمة الله ورضوانه لشيعتهم المتقين، واللعن للمتابعين لأعدائهم المجاهرين والمنافقين»^(٣).

وروي عنهم عليه السلام، قال: «إذا أتيت قبر علي بن موسى عليه السلام بطوس فاغتسل... والبس أطهر ثيابك وامش حافياً وعليك السكينة والوقار بالتكبير

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٧ ص ٢١ أعظم الطاعات.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ٤ ص ٤١ ب ١٠ ح ٥٠٣٨.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٩١ في عقاب من كتم شيئاً من فضائلهم عليه السلام ح ٣٥٣.

والتهليل والتسبيح والتمجيد وقصر خطاك - إلى أن قال : - ابتهل في اللعن على قاتل أمير المؤمنين عليه السلام وعلى قتلة الحسن والحسين عليهما السلام وعلى جميع قتلة أهل بيت رسول الله ﷺ» ^(١).

الويل لأعداء فاطمة عليها السلام

مسألة: يجب الاعتقاد بأن الويل لأعداء الصديقة الطاهرة عليها السلام ومبغضيها، كما يلزم بيان ذلك للناس، وهو فرع من فروع الإيمان بالله ورسوله ^(٢)، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ ^(٣) فإن محادثها عليها السلام محادة لله ورسوله ﷺ للحديث النبوي المجمع عليه بين الشيعة والسنة: «إن الله يرضى لرضى فاطمة ويغضب لغضبها» ^(٤)، و«من أذاها فقد أذاني ومن أذاني فقد أذى الله» ^(٥)، وكما قال أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام): «الويل لشانئك» أي لمبغضك؛ فإن الويل الحقيقي هو ويل الدنيا والآخرة حيث العقاب فيهما للإنسان الذي يبغض أهل البيت عليهم السلام ويتعدى على حقهم عليهم السلام.

عن سديف المكي، قال: حدثني محمد بن علي الباقر عليه السلام. وما رأيت محمدياً قط يعدله - قال: حدثنا جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خطبنا رسول الله

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٣٦١ ب ٦٨ ح ١٢١٨٥.

(٢) فإن الإيمان يتقوم بالتولي لأولياء الله والتبري من أعداء الله.

(٣) سورة التوبة: ٦٣.

(٤) راجع الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٥٤ احتجاج أبي عبد الله الصادق عليه السلام في أنواع شتى من العلوم الدينية

على أصناف كثيرة من أهل الملل والديانات.

(٥) شرح نهج البلاغة: ج ١٦ ص ٢٧٣ ف ٣.

ﷺ فقال: «أيها الناس، من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهودياً». قال: قلت: يا رسول الله، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم؟ فقال: «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»^(١).

وعن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أبغضنا أهل البيت بعثه الله عزوجل يهودياً. قيل: يا رسول الله ﷺ وإن شهد الشهادتين؟ قال: قال: نعم، إنما احتجب بهاتين الكلمتين عند سفك دمه، أو يؤدي إليّ الجزية وهو صاغر. ثم قال: - من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يهودياً. قيل: وكيف يا رسول الله؟ قال: إن أدرك الدجال آمن به»^(٢).

عن ابن عباس، قال: قلت للنبي ﷺ: أوصني. قال: «عليك بمودة علي بن أبي طالب ﷺ، والذي بعثني بالحق نبياً لا يقبل الله من عبد حسنة حتى يسأله عن حبه. علي بن أبي طالب ﷺ وهو موافق إلى أعلم، فإن جاءه بولايته قبل عمله على ما كان منه، وإن لم يأت بولايته لم يسأله عن شيء ثم أمر به إلى النار. يا ابن عباس، والذي بعثني بالحق نبياً إن النار لأشدّ غضباً على مبغض علي ﷺ منها على من زعم أن الله ولداً. يا ابن عباس، لو أن الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين اجتمعوا على بغضه ولن يفعلوا لعذبهم الله بالنار». قلت: يا رسول الله، وهل يبغضه أحد؟ قال: «يا ابن عباس، نعم يبغضه قوم يذكرون أنهم من أمتي لم يجعل الله لهم في الإسلام نصيباً. يا ابن عباس، إن من علامة بغضهم له تفضيلهم من هو دونه عليه، والذي بعثني بالحق ما بعث الله نبياً أكرم عليه مني ولا أوصياء أكرم عليه من وصيي علي». قال ابن عباس: فلم

(١) ثواب الأعمال: ص ٢٠٤ عقاب من أبغض أهل البيت ﷺ.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٢١٨ ب ١٠ ح ١.

أزل له كما أمرني رسول الله ﷺ وأوصاني بمودته وإنه لأكبر عملي عندي^(١).
وقال رسول الله ﷺ في حديث: «يا علي ادن مني»، فدنا منه فقال: «إن
السعيد حق السعيد من أحبك وأطاعك، وإن الشقي كل الشقي من عاداك
ونصب لك وأبغضك. يا علي، كذب من زعم أنه يحبني ويبغضك. يا علي، من
حاربك فقد حاربنى، ومن حاربنى فقد حارب الله عز وجل. يا علي، من
أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، وأتعتس الله جده وأدخله
نار جهنم»^(٢). وعن الربيع بن المنذر، عن أبيه، قال: سمعت محمد بن الحنفية
يحدث عن أبيه قال: «ما خلق الله عز وجل شيئاً أشر من الكلب والناصب أشر
منه»^(٣). وعن خالد بن يزيد القسري، قال: حدثني أمي الصيرفي، قال: سمعت
أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول: «برئ الله ممن تبرأ منا، لعن الله من
لعننا، أهلك الله من عادانا، اللهم إنك تعلم أنا سبب الهدى لهم وإنما يعادونا
لك فكن أنت المنفرد بعذابهم»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي، وعلى من
قاتلهم، وعلى المعين عليهم، وعلى من سبهم، أولئك لا خلاق لهم في
الآخرة، ولا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم
عذاب أليم»^(٥).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٢١٩-٢٢٠ ب ١٠ ح ٤.

(٢) الأمالي للصدوق: ص ٣٨٢-٣٨٣ المجلس ٦٠ ح ١١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٢٢١ ب ١٠ ح ٧.

(٤) الأمالي للمفيد: ص ٣١١-٣١٢ المجلس ٣٧ ح ٤.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٣٤ ب ٣١ ح ٦٥.

فنهى عن جدك

الأمر بالصبر

مسألة: يستحب الأمر بالصبر مطلقاً، من العالي للداني، وعكسه، وللمائل، وللأعلى، أو الأدنى^(١)، وأمره ﷺ لها ﷺ بالصبر المستفاد من قوله «نهى» من قبيل الثالث^(٢).

وقد يجب - على حسب اختلاف حال المتعلق - قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(٣)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤)، ومن الواضح أن كل الأربع صبر إما بلفظه وإما بغيره.

فإن (صابروا) بمعنى المصابرة، أي: صبر بعضهم بعضاً. و(رابطوا) يتقوم بالصبر أيضاً، فإن الرباط يحتاج إلى الصبر في الليل والنهار، وعلى الحر والبرد، والضيق والخوف والغربة وما أشبه ذلك. و(اتقوا) عبارة عن الصبر مدى الحياة في شتى الجهات، فصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر في المصيبة حتى لا يجزع، إلى غير ذلك، وقد جاءت مادة الصبر في القرآن الحكيم في أكثر من خمسين موضعاً. لا يقال: هل يحتاج مثلها ﷺ إلى الوصية بالصبر؟.

(١) فهذه ست صور: العالي للداني، عكسه أي الداني للعالي، وللداني، وللماثل، أي من العالي للعالي ومن الداني للداني، وكذا من العالي للأعلى، ومن الداني للأدنى.

(٢) أي المائل للمماثل.

(٣) سورة العصر: ٣.

(٤) سورة آل عمران: ٢٠٠.

إذ يقال:

أولاً: إن ذلك كأمره سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بالصبر **﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾**^(١).

ثانياً: الصبر حقيقة تشكيكية ذا مراتب، وعلى حسب عظمة المصيبة تكون درجة الصبر، وعلى حسب مقام الشخص يكون مستوى درجة المأمور به^(٢) فليدقق.

قوله عليه السلام: «نهني» بمعنى: كفي، من نهنت الرجل عن الشيء فتنهه أي كفته وزجرته فكف.

و(الوجد) يأتي بمعنى الغضب، وبمعنى الحزن وهو الأنسب للمقام، خاصة بلحاظ التفريع اللاحق، إضافة إلى أن الأول^(٣) يتعدى بـ (على).

والمعنى: كفي عن بث آلامك المقرحة للقلب. ويمكن تفسيره بأن مقصوده عليه السلام مرحلة الثبوت، أي كفي وامتنعي عن حزنك المتزايد فإنه اختياري في الجملة.

هذا وفي كتبهم: (ماتت فاطمة وهي واجدة على أبي بكر)^(٤)، أي غاضبة.

(١) سورة الأحقاف: ٣٥.

(٢) المأمور به هو الصبر في المقام، فذو المقام الداني يوصى بدرجة الصبر التي من شأنه تحملها، وذو المقام العالي لا يوصى بمثل ذلك لأنه قد تجاوز تلك المرحلة بكثير بل يوصى بالمراتب الأعلى من الصبر.

(٣) أي الوجد بمعنى الغضب.

(٤) شرح نهج البلاغة: ج ٦ ص ٥٠ ذكر أمر فاطمة مع أبي بكر.

يا ابنة الصفوة وبقية النبوة

إكرام الزوجة

مسألة: يستحب أن يكرم الزوج زوجته وأن يبين فضائلها.

فإن تكريم الزوج لزوجته والعكس، وكذلك بيان كل واحد منهما فضائل الآخر من آداب حسن المعاشرة، قال سبحانه: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٢)، وقال عز وجل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٣).

وهناك روايات عديدة في الآداب الزوجية والمعاشرة بالمعروف، منها: عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن قوماً أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنا رأينا أناساً يسجد بعضهم لبعض. فقال رسول الله ﷺ: لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»^(٤). وعن الأصبغ بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كتب الله الجهاد على الرجال والنساء، فجهاد الرجل أن يبذل ماله ونفسه حتى يُقتل في سبيل الله، وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته»^(٥). وفي حديث آخر: «جهاد المرأة حسن التبعل»^(٦).

(١) سورة البقرة: ١٨٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٣) سورة النساء: ١٩.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ١٦٢-١٦٣ ب ٨١ ح ٢٥٣١٣.

(٥) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٢٦ ب ٥٧ ح ١.

(٦) الكافي: ج ٥ ص ٩ باب جهاد الرجل والمرأة ح ١.

وعن النبي ﷺ قال: «من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنةً من عملها حتى تعينه وترضيه، وإن صامت الدهر وقامت، وأعتقت الرقاب، وأنفقت الأموال في سبيل الله، وكانت أول من ترد النار» ثم قال رسول الله ﷺ: «وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذياً ظالماً، ومن صبر على سوء خلق امرأته واحتسبه أعطاه الله بكل مرة يصبر عليها من الثواب مثل ما أعطى أيوب على بلائه، وكان عليها من الوزر في كل يوم وليلة مثل رمل عالج، فإن ماتت قبل أن تعتبه وقبل أن يرضى عنها حشرت يوم القيامة منكوسةً مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار، ومن كانت له امرأة ولم توافقه ولم تصبر على ما رزقه الله وشقت عليه وحملته ما لم يقدر عليه، لم يقبل الله لها حسنةً تنقي بها النار وغضب الله عليها ما دامت كذلك»^(١).

وعن يونس بن يعقوب، قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: ملعونة ملعونة امرأة تؤذي زوجها وتغمه، وسعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه وتطيعه في جميع أحواله»^(٢).

ابنة الصفوة

مسألة: يستحب بيان أن الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام هي ابنة الصفوة. عن جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه عليهما السلام عن جده عليهما السلام عن علي بن أبي طالب عليهما السلام عن النبي ﷺ أنه قال له: «يا علي، أوصيك بوصية فاحفظها، فلا تزال بخير ما حفظت وصيتي... يا علي، إن الله عز وجل أشرف على أهل الدنيا

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ١٦٣-١٦٤ ب ٨٢ ح ٢٥٣١٥.

(٢) كنز الفوائد: ج ١ ص ١٥٠ شرح قوله: ولعن آخر أمتكم أولها.

فاختارني منها على رجال العالمين، ثم اطلع الثانية فاخترت على رجال العالمين، ثم اطلع الثالثة فاخترت الأئمة من ولدك على رجال العالمين، ثم اطلع الرابعة فاخترت فاطمة على نساء العالمين»^(١).

وعن مسروق، قالت عائشة: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ. فقال رسول الله: «مرحباً بابنتي»، فأجلسها عن يمينه وأسر إليها... ثم قال: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين المؤمنين»^(٢).

والقاضي أبو محمد الكرخي في كتابه، عن الصادق عليه السلام: «قالت فاطمة عليها السلام: لما نزلت ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾^(٣)، هبت رسول الله ﷺ أن أقول له: يا أبة، فكنت أقول: يا رسول الله. فأعرض عني مرة واثنين أو ثلاثاً، ثم أقبل عليّ فقال: يا فاطمة، إنها لم تنزل فيك، ولا في أهلك، ولا في نسلك، أنت مني وأنا منك، إنما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش أصحاب البذخ والكبر، قلبي: يا أبة؛ فإنها أحيا للقلب، وأرضى للرب»^(٤).

وعن ابن عباس، قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وهو آخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو يقول: «يا معشر الأنصار، يا معشر بني هاشم، يا معشر بني عبد المطلب، أنا محمد رسول الله.. ألا إني خلقت من طينة مرحومة في أربعة من أهل بيتي: أنا وعلي وحمزة وجعفر».

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٧٤ باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب ح ٥٧٦٢.

(٢) روضة المناقب: ج ٣ ص ٣٦٢ فصل في وفاتها وزيارتها عليها السلام.

(٣) سورة النور: ٦٣.

(٤) المناقب: ج ٣ ص ٣٢٠ فصل في تفضيلها على النساء.

فقال قائل: يا رسول الله، هؤلاء معك ركبان يوم القيامة؟
 فقال: «ثكلتك أمك إنه لن يركب يومئذ إلا أربعة: أنا وعلي وفاطمة وصالح نبي الله، فأما أنا فعلى البراق، وأما فاطمة ابنتي فعلى ناقتي العضباء، وأما صالح فعلى ناقة الله التي عقرت، وأما علي فعلى ناقة من نوق الجنة»^(١).
 وعن الثمالي عن الباقر عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها»^(٢).
 وقال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى اختار من كل شيء أربعة... واختار من النساء أربعة: مريم، وآسية، وخديجة، وفاطمة»^(٣).
 وقال النبي ﷺ: «الحسن والحسين خير أهل الأرض بعدي وبعد أبيهما، وأمهما أفضل نساء أهل الأرض»^(٤).
 وعن الحسن بن زياد العطار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول رسول الله: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»، أسيدة نساء عالمها؟
 قال: «ذاك مريم، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة من الأولين والآخرين».
 فقلت: فقول رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة؟»
 الجنة؟».

قال: «هما والله سيدا شباب أهل الجنة من الأولين والآخرين»^(٥).

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٧ ص ٢٣٢ ب ٨ ح ٢ عن الخصال والأمالى للصدوق.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٩ ب ٣ ح ٢.

(٣) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٤٠٥ مجلس في ذكر فضائل مكة حماها الله تعالى.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٦٢ ب ٣١ ح ٢٥٢.

(٥) الأمالى للصدوق: ص ١٢٥ المجلس ٢٦ ح ٧.

بقية النبوة

مسألة: يستحب بيان أن الصديقة الزهراء عليها السلام هي بقية النبوة.

قوله عليه السلام: «بقية النبوة» يدل على أنها عليها السلام البقية الباقية من رسول الله ﷺ بصفته نبياً، وهذا كمال المدح.

وينبغي أن يلاحظ أنه عليه السلام لم يعرب (بقية النبي) بل عرب (بقية النبوة) وهذا أدل على المقصود، وإن كان التعبير (بقية النبي) بما هو نبي أي بصفته نبياً يفيد نفس المعنى إلا أن ذاك أوضح وأقوى دلالة، فهي عليها السلام ذلك الامتداد الحقيقي للنبوة، وهي خلاصة سائر الأنبياء عليهم السلام.. وقد يكون إشارة إلى (والسر المستودع فيها). ويحتمل إرادة أنها (صلوات الله عليها) هي الباقية من النبي ﷺ في الطبقة الأولى من الوراثة.

عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام: «أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ دخل عليها علي عليه السلام وبه كآبة شديدة. فقالت: ما هذه الكآبة؟. فقال: سألت رسول الله ﷺ عن مسألة ولم يكن عندنا جواب لها. فقالت: وما المسألة؟ قال: سألت عن المرأة ما هي؟. قلنا: عورة. قال: فمتى تكون أدنى من ربها فلم ندر؟. قالت: ارجع إليه فأعلمه أن أدنى ما تكون من ربها أن تلزم قعر بيتها. فانطلق فأخبر النبي ﷺ فقال: ماذا من تلقاء نفسك يا علي؟. فأخبره أن فاطمة عليها السلام أخبرته. فقال: صدقت إن فاطمة بضعة مني»^(١).

وعن جعفر بن محمد عليه السلام، أنه قال: «استأذن أعمى على فاطمة عليها السلام

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ١٨٢ ب ٢١ ح ١٦٤٥٠.

فحجبتة. فقال لها النبي ﷺ: لم تحجبيه وهو لا يراك؟.

قالت: يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأني أراه، وهو يشم الريح.

فقال رسول الله ﷺ: أشهد أنك بضعة مني»^(١).

وعن جعفر بن محمد عليه السلام، وعن جابر الأنصاري: أنه رأى النبي ﷺ فاطمة عليها السلام وعليها كساء من أجلة الإبل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله ﷺ. فقال: «يا بنتاه، تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة». فقالت: يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(٢)»^(٣).

فضائل الحسب والنسب

مسألة: يستحب - عند ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام - بيان الفضائل التي تتعلق بالحسب والتي تتعلق بالنسب معاً.

ومن المصاديق استحباب بيان أنها (صلوات الله عليها) ابنة الصفوة وبقية النبوة، فإن كونها (عليها الصلاة والسلام) ابنة الصفوة وبقية النبوة يدل على النسب الأرفع والحسب الأشرف، ورفعها بنفسها، إذ الولد سرّ أبيه فكيف بها عليها السلام وهي بضعة منه ﷺ وروحه التي بين جنبيه، فهاتان الجملتان مدح لها ولأبيها (صلوات الله عليهما).

(١) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٢١٤ ف ٤ ح ٧٩٢.

(٢) سورة الضحى: ٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٨٥-٨٦ ب ٤ ضمن ح ٨.

قال رسول الله ﷺ: «إن فاطمة بضعة مني وهي نور عيني وثمره فؤادي يسوؤني ما ساءها ويسرني ما سرها»^(١).

وقال ﷺ: «وأما ابنتي فاطمة، فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روعي التي بين جنبي، وهي الحوراء الأنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء، كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عز وجل لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمامي، قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أنني قد آمنت شيعتها من النار»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٢٤ ب ٣ ح ٢٠.

(٢) راجع بشارة المصطفى لشيعه المرتضى: ص ١٩٧.

فما ونيت عن ديني، ولا أخطأت مقدوري

الاعتقاد بالعصمة ودرجاتها

مسألة: يجب الاعتقاد بعصمة الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام، كما يجب الاعتقاد بأن رسول الله صلى الله عليه وآله والصديقة فاطمة عليها السلام والأئمة من ذريتها عليهم السلام كانوا في أعلى درجات العصمة الشمولية، فهم معصومون عن المعصية والسهو والخطأ وحتى عن المكروه وحتى عن ترك الأولى.. ومن مصاديق ذلك: الاعتقاد بأن أمير المؤمنين علياً عليه السلام ما ونى عن دينه ولا أخطأ مقدوره بالنسبة إلى ما جرى على الصديقة الطاهرة عليها السلام؛ فإن ما عمله عليه السلام من السكوت كان عين الدين لما قد وصاه النبي صلى الله عليه وآله بذلك، وذلك مثل صلح الحديبية حيث كان عين الدين، وكذا قعود الإمام الحسن عليه السلام ^(١) إذ إن الله سبحانه وتعالى كان قد أمره على لسان نبيه صلى الله عليه وآله بذلك، وكان ذلك مقدوره الشرعي أيضاً ^(٢) وإن كان مقدوره العقلي والبدني فوق ذلك، كما قال الشاعر:

قيده وصية من أخيه ربّ حلم يقيد الضرغاما

بيان العصمة

مسألة: يجب بيان عصمتهم عليهم السلام للناس، فإنه من أكبر عوامل الهداية والإرشاد، إذ أن النموذج كلما كان أسمى وأرفع في نظر الناس كان اهتداؤهم

(١) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا». روضة الواعظين: ج ١ ص ١٥٦ مجلس في

ذكر إمامة السبطين ومناقبهما عليهما السلام.

(٢) إذا كان ذلك هو الذي قدره الله له في عالم التشريع.

بهدية وخضوعهم له أكبر.

كما يلزم على المسلم - رجل دين كان أم تاجراً أم طالباً في المدرسة أم غير ذلك - أن يذكر فضائلهم عليهم السلام وأنهم كيف كانوا يأترون بأوامر الله سبحانه وتعالى في الشدة والرخاء والراحة والبلاء، وأن صبره (عليه الصلاة والسلام) ليس أقل من شجاعته عليه السلام في ميادين الحرب إن لم يكن أكثر؛ لأنه من أكبر درجات السيطرة على النفس، ومن المعلوم أن السيطرة على النفس هو الجهاد الأكبر في مقابل الحرب الذي هو الجهاد الأصغر حسب تعبير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

فعن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام: «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث بسرية فلما رجعوا، قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر. قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس»^(١).

وفي الخبر: «رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو مجاهدة النفس»^(٢).

وفي الفرر: «ردع النفس عن الهوى الجهاد الأكبر»^(٣).

التقصير في الدين

مسألة: يحرم التقصير في الدين؛ فإنه من أشد المحرمات، بل اللازم أن يسير الإنسان وفق التعاليم الدينية بلا زيادة ولا نقص. وعليه أن يتبع حماة الدين وهم أهل البيت عليهم السلام لا يتقدم عليهم ولا يتأخر، قال عليه السلام: «المتقدم

(١) الكافي: ج ٥ ص ١٢ باب وجوه الجهاد ح ٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٤ ص ٣٦٠ ب ١٤ ضمن ح ٦٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤١ ق ٣ ب ٢ ف ١ مخالفة الهوى ح ٤٨٧٦.

لهم مارق، والمتأخر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق»^(١).

وعن سعد بن طريف، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يحيا حياة تشبه حياة الأنبياء، ويموت ميتة تشبه ميتة الشهداء، ويسكن الجنان التي غرسها الرحمن، فليتول علياً عليه السلام وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعده؛ فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، اللهم ارزقهم فهمي وعلمي، وويل للمخالفين لهم من أمتي، اللهم لا تنلهم شفاعتي»^(٢).

وعن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يقول: إن من استكمال حجتي على الأشقياء من أمتك من ترك ولاية علي واختار ولاية من والى أعداءه، وأنكر فضله وفضل الأوصياء من بعده؛ فإن فضلك فضلهم، وحقك حقهم، وطاعتك طاعتهم، ومعصيتك معصيتهم، وهم الأئمة الهداة من بعدك، جرى فيهم روحك، وروحك ما جرى فيك من ربك، وهم عترتك من طينتك ولحمك ودمك، قد أجرى الله فيهم سنتك وسنة الأنبياء قبلك، وهم خزاني على علمي من بعدك، حقاً عليّ لقد اصطفتيهم وانتجبتهم، وأخلصتهم وارتضيتهم، ونجا من أحبهم ووالاهم وسلم بفضلهم. ثم قال رسول الله ﷺ: ولقد أتاني جبرئيل بأسمائهم، وأسماء آبائهم، وأحبائهم، والمسلمين لفضلهم»^(٣).

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «الروح والراحة، والفلج والفلاح، والنجاح والبركة، والعفو والعافية والمعافة، والبشرى

(١) البلد الأمين: ص ١٨٦ شهر شعبان.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٢٠٨ باب ما فرض الله عز وجل ورسوله ﷺ من الكون مع الأئمة عليهم السلام ح ٣.

(٣) بصائر الدرجات: ص ٥٤ ب ٢٣ ح ٣.

والنصرة، والرضا والقرب والقراية، والنصر والظفر والتمكين، والسرور والمحبة من الله تبارك وتعالى على من أحب علي بن أبي طالب، وحق علي أن أدخلهم في شفاعتي، وحق على ربي أن يستجيب لي فيهم، وهم أتباعي ومن تبعني فإنه مني، جرى في مثل إبراهيم عليه السلام وفي الأوصياء من بعدي؛ لأنني من إبراهيم وإبراهيم مني، دينه ديني، وسنته سنتي، وأنا أفضل منه، وفضلي من فضله، وفضله من فضلي، وتصديق قولي قول ربي: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١)»^(٢).

وعن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام - في حديث الاستطاعة - قال: «الناس كلهم مختلفون في إصابة القول وكلهم هالك». قال: قلت: إلا من رحم ربك؟ قال: «هم شيعتنا ولرحمته خلقهم، وهو قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾»^(٣)، يقول: طاعة الإمام الرحمة التي يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾»^(٤)، يقول: علم الإمام ووسع علمه الذي هو من علمه كل شيء، هم شيعتنا - إلى أن قال: - ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾»^(٥) أخذ العلم من أهله ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾»^(٦) والخبائث قول من خالف»^(٧).

(١) سورة آل عمران: ٣٤.

(٢) المحاسن: ج ١ ص ١٥٢ ب ٢٠ ح ٧٤.

(٣) سورة هود: ١١٨-١١٩.

(٤) سورة الأعراف: ١٥٦.

(٥) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٦) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٧) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٦٧-٦٨ ب ٧ ح ٣٣٢١٨.

وعن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «يغدو الناس على ثلاثة أصناف: عالم ومتعلم وغثاء، فنحن العلماء، وشيعتنا المتعلمون، وسائر الناس غثاء»^(١).

وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، قال: «أما إنه ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب إلا شيء أخذوه منا أهل البيت، ولا أحد من الناس يقضي بحق ولا عدل إلا ومفتاح ذلك القضاء وبابه وأوله وسننه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فإذا اشتبهت عليهم الأمور كان الخطأ من قبلهم إذا أخطئوا، والصواب من قبل علي بن أبي طالب عليه السلام إذا أصابوا»^(٢).

دفع الشبهة والدفاع عن النفس

مسألتان: يجوز - بالمعنى الأعم - أن يدفع الإنسان الشبهة ويدافع عن نفسه، فرمما قد يتصور البعض أن الإمام عليه السلام ونى عن دينه - والعياذ بالله - أو أخطأ مقدوره، وذلك في قضية الدفاع عن الصديقة الطاهرة عليها السلام، فأراد الإمام عليه السلام أن يبين صحة موقفه حيث كان مطابقاً للدين كل المطابقة، فهو عليه السلام وإن كان يخاطب الزهراء عليها السلام ولكنه أراد إفهام الغير، وإلا فإنها عليها السلام كانت تعلم بصحة موقفه عليه السلام قطعاً.

عن أبي مريم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل دون مظلّمته فهو شهيد - ثم قال - يا أبا مريم، هل تدري ما دون مظلّمته؟».

(١) الكافي: ج ١ ص ٣٤ باب أصناف الناس ح ٤.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٢٨٣ ب ٧ ح ٢١٣٥٤.

قلت: جعلت فداك الرجل يقتل دون أهله، ودون ماله، وأشباه ذلك. فقال: «يا أبا مريم، إن من الفقه عرفان الحق»^(١).

إضاءات

يمكن استفادة عدة نقاط من هاتين الجملتين:

منها: إن قوله عليه السلام: «فما ونيت عن ديني» سد لباب توهم من قد يتوهم - على مر التاريخ - بأنه عليه السلام قد ضعف واستكان في الدفاع عن الصديقة عليها السلام أو عن حقه في الخلافة، فهو عليه السلام يؤكد أن موقفه لم يكن عن ضعف في الدين دون ريب - وهو الصادق المصدق الذي قال عنه الرسول ﷺ: «علي مع الحق»^(٢) أي في قوله وفعله وتقريره ومواقفه^(٣) وحالاته .. «والحق مع علي» كذلك في كل حالاته ومواقفه وأقواله وأفعاله وتقريره.

ومنها: إن فاء التفرع تدل على أن حزن الصديقة فاطمة عليها السلام لم يكن على فداك لما هي هي، بل على غضب الخلافة، فكانها عليها السلام سألت عن عدم تصديه عليه السلام لهم وإرجاع الأمر إلى نصابه، فأجاب بـ «فما ونيت عن ديني» فرمما يكون هذا هو الأنسب بذاك.

ومنها: إن الأمام عليه السلام يشير إلى حقيقتين تكمل إحداهما الأخرى:

الأولى: تتعلق به عليه السلام وبفلسفة طريقة تعامله مع الأحداث التي جرت

بعد رسول الله ﷺ.

(١) الكافي: ج ٥ ص ٥٢ باب من قتل دون مظلته ح ٢.

(٢) إعلام الوري: ص ١٥٩ ب ٢.

(٣) الموقف: من مصاديق الفعل كما لا يخفى.

والثانية: تتعلق بالتقدير الإلهي العام وتكشف عن معرفته عليه السلام والتزامه به^(١).

وقد أشار عليه السلام إلى الحقيقة الأولى بقوله: «فما ونيت عن ديني»، وإلى الثانية بقوله: «ولا أخطأت مقدوري».

ومنها: إن قوله عليه السلام «ما ونيت عن ديني» ليس إخباراً لها عليها السلام بما لا تعلمه، إذ الأمر بديهي بالنسبة لها وهي عالمة بسمو منزلته عليه السلام وعالمة بوصية رسول الله ﷺ له بالصبر، بل من باب (إياك أعني واسمعي يا جاره)^(٢).

قوله عليه السلام: «فما ونيت» بمعنى ما ضعفت، من (ونى ينى ونياً) بمعنى العجز والضعف. وفي اللغة: (ونيت في الأمر: ضعفت وفترت)^(٣).

لماذا لم يقم عليه السلام بالأمر؟

مسألة: يشير الإمام عليه السلام بقوله: «ولا أخطأت مقدوري» إلى أنه لم يكن في مقدوره الشرعي أكثر من الذي عمله، أي أنه عليه السلام قد عرف ما قدره الله له والتزم به ولم يتجاوزه لا قصوراً ولا تقصيراً.

فإن القدرة قد يراد بها القدرة العقلية، وقد يراد بها القدرة الشرعية، وأمير المؤمنين علي عليه السلام وإن كانت له القدرة العقلية لكن الشرع أمره فائتم بالصبر حتى لا تحدث الفتنة التي كان يترصها الأعداء من الفرس والروم وغيرهم للقضاء على الإسلام والمسلمين إذ قد سبق أن بينا أن قيامه عليه السلام بالأمر وإشهاره

(١) غير خفي أن الحقيقة الأولى من مصاديق الحقيقة الثانية.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٣٠-٦٣١ باب النوادر ح ١٤.

(٣) انظر لسان العرب مادة (ونى) ومجمع البحرين: مادة (ونى).

السلاح كان يوجب وقوع حرب داخلية شعواء لا يمكن السيطرة على نتائجها، فينتهز الفرس والروم الفرصة للانقضاض على الإسلام واقتلاعه من الجذور، إضافة إلى أنه لو تحارب المسلمون في المدينة، ارتدت الجزيرة العربية عن الإسلام لأنه كان جديداً عليهم ولم يتجذر في نفوسهم، ولذا قال ﷺ حينما أرادوا نبش قبر الصديقة الزهراء (صلوات الله عليها) ومنعهم عن ذلك: «أما حقي فقد تركته مخافة أن يرتد الناس»^(١).

لا يقال: كيف ذاك^(٢) وهو ﷺ كان يقول إذا وجدت أربعين شخصاً فسأقوم بالأمر^(٣) وما أشبه؟.

إذ يقال: لعله ﷺ كان بالأربعين شخصاً يسيطر على الوضع فلا تحدث فتنة ولا هرج ومرج ولا حرب.

هذا ولعله كان جواباً على حسب عقلية السائلين أو من سيصل الجواب إليهم^(٤)، كما قال النبي ﷺ: «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»^(٥).

(١) انظر بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٧١ ب ٧.

(٢) أي لو كانت ثورته سبباً لانقضاض الروم والفرس وسبباً لارتداد الناس فكيف كان يقول إنه كان سيقوم بالأمر ويشور لو توفّر له الأربعون، ألم يكن الأمر حينئذٍ أيضاً كذلك (أي ألم تكن ثورته وله الأربعون أيضاً سبباً لانقضاض الروم ولارتداد الناس)؟.

(٣) راجع شرح نهج البلاغة: ج ٢ ص ٢٢ حديث السقيفة.

(٤) إذ لعل السائل يعرف، لكن الإجابة لكي تصل لغيره.

(٥) الكافي: ج ١ ص ٢٣ كتاب العقل والجهل ح ١٥، والكافي: ج ٨ ص ٢٦٨ حديث نوح ﷺ يوم القيامة

هذا كله بعد استشهاد الرسول ﷺ إلى حين، لكن لما قوى الإسلام ولم يكن خوف الارتداد، ولا انقضاض ما بقي من الفرس والروم ككل، قام عليه السلام بالأمر واستعد لأن يحارب - دفاعاً - في الجمل والنهروان وصفين.

نقل عاصمة الخلافة

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام إنما نقل الخلافة إلى الكوفة، ولم يرجعها إلى المدينة المنورة؛ لأن المدينة لم تكن حاضرة ذا سوابق تاريخية بحيث يمكن أن تكون مركز ثقل الإسلام بعد توسعه شرقاً وغرباً، نعم هي كانت أفضل مكان لعاصمة الإسلام في عهد رسول الله ﷺ.

أما الكوفة فقد كانت قريبة من عاصمة الفرس بغداد التي تمرست في الحكم، ولذا نقل الإمام عليه السلام عاصمة دولة الإسلام إليها، فإن الحكم وإن أمكن ابتدأؤه في مكان غير متمرس إلا أنه لا يمكن دوامه كذلك، ولذا نشاهد أن مركز الحكم انتقل أيضاً من الكوفة - بعد قرن تقريباً - إلى بغداد العاصمة المتمرسية ذات البنى المؤسساتية، كما أن حكم بني أمية في الشام كان وضعاً للشيء في غير موضعه، وفي المقابل كان من أسباب تمكن العثمانيين في القسطنطينية والاستمرار لعدة قرون أن القسطنطينية كانت عاصمة الروم المتمرسية في الحكم، ولنفس السبب لم تتمكن سامراء من أن تحتوي الحكومة العباسية وتبقى عاصمة ولذا عادت بعد لأي^(١) إلى بغداد. وتفصيل البحث في الكتب السياسية وما يرتبط بنظام الحكم وقوام استقرار الدول.

(١) أي فترة ومكث.

فإن كنت تريد البلغة فرزقك مضمون

طمأنة المظلوم

مسألة: يستحب مواساة المظلوم وطمأنته ، تأسيًا بالإمام عليه السلام في كلامه هذا ولسائر الأدلة ، ومن مصاديق ذلك أن يبين له بأن رزقه مضمون ، هذا بالنسبة إلى المظلوم في رزقه ، وأما المظلوم من جهة تعرضه لاعتداء يمس جسده كالضرب ، أو روحه كتلوّث سمعته أو ما أشبهه ، فينبغي أن يبين له أن الله سبحانه وتعالى يعوّضه أجراً وثواباً - كما سيأتي - وأنه عزوجل سينتقم من ظالمه ، إلى غير ذلك ؛ فإنه كله مصداق لقوله تعالى : ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(١).

المراد بـ (البلغة) و (الرزق)؟

قوله عليه السلام : «فإن كنت تريد البلغة» يحتمل فيه إرادة الأعم من البلغة الشخصية والبلغة النوعية وإن احتمل الانصراف للأول ، فإن (البلغة) ما يبلغ به الإنسان مراده ، وما يراد بلوغه قد يكون مراداً شخصياً - كضمان وضعه الخاص - وقد يكون نوعياً كخدمة الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم والذب عن حياض الشريعة.

و(الرزق) أيضاً يطلق على كلا النوعين ، إذ لا شك أن ما يحصل عليه المرء من مال لبيذه في سبيل الله رزق للإنسان ، فقوله عليه السلام : «فإن كنت تريد البلغة فرزقك مضمون» لا يبعد أن يراد به الأعم الشامل للجانبين الشخصي والنوعي وهذا هو الأنسب بمقام الصديقة الطاهرة عليها السلام.

ولو فرض أن المراد هو الجانب الشخصي فقط فنقول:

أولاً: إن هذا كمال وليس نقصاً، إذ طلب الرزق من الله ابتغاء من فضله قال تعالى: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(١) وهو مطلوب، والمطالبة بالحق الشخصي مجبذة شرعاً حتى ورد عن رسول الله ﷺ:

«من قتل دون ماله فهو شهيد»^(٢).

وفي رواية أخرى: «فهو بمنزلة الشهيد»^(٣).

وفي الرضوي عليه السلام: «والجهاد واجب مع الإمام العدل، ومن قُتل دون ماله فهو شهيد»^(٤).

وفي رواية أخرى: «فقتل دون ماله ورحله ونفسه فهو شهيد»^(٥).

ثانياً: يمكن أن يكون الحوار كله بلحاظ من يبلغهم الخطاب فهو على قدر فهم السامعين^(٦) إذ أن إثارة الجانب الشخصي قد تكون أشد إثارة للعواطف وأقوى في مقام محاجة القوم، خاصة مع لحاظ أن القوم عزموا على حرمانهم من حقهم في الخلافة، وهو عليه السلام قد جمع في حديثه بين الجانب النوعي (فما ونيت عن ديني...) والشخصي، على فرضه كما سبق.

ثالثاً: القضية الشرطية - كما هو ثابت في المنطق - تصدق حتى مع عدم

(١) سورة الجمعة: ١٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٩٥ باب تحريم الدماء والأموال بغير حقها ح ٥١٦١.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٥٢ باب من قتل دون مظلّمته ح ٣.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ١٢٤ ب ٣٥ ح ١.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٤٩ ب ١٢ ح ١٩٩٦٣.

(٦) وقد يكون بقصد أن يصل للخصم أن كل ما يقوم به لا يؤدي لغرضه وأن ما خطط له لا يصل إليه.

وقوع المقدم بل حتى مع استحالته - كما في ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١) - وعلى هذا فلا دلالة في «وإن كنت تريد البلغة» على إرادتها للبلغة^(٢) فعلاً، فليتأمل جيداً.

قوله عليه السلام: «فإن كنت تريد البلغة فرزقك مضمون»، البلغة: الكفاية لها ولأولادها، فإنها ما يتبلغ به من العيش وهو قدر الكفاف والعفاف في المعيشة، وما دام الرزق مضموناً فلا فرق فيه بين رزق الوالدة وأولادها ولذلك لم يذكر (عليه الصلاة والسلام) بلغة الأولاد لأنه يفهم من قوله عليه السلام (مضمون).

(١) سورة الأنبياء: ٢٢.

(٢) إذا فسرت بالمعنى الشخصي.

وكفيلك مأمون

روح التوكل على الله

مسألة: ينبغي إشاعة وبث وتقوية روح التوكل على الله في الناس عامة، وفي المظلومين خاصة، ومن مصاديقه أن يبين للمظلوم أن ما أعد الله له أفضل مما قطعوا عنه، كما صنع عليه السلام في كلامه لها عليها السلام؛ فإن من الواضح أن ما أعد الله سبحانه وتعالى في الآخرة للمتقين والصابرين والمظلومين خير من الدنيا وما فيها، فكيف بذلك الجزء البسيط الذي قطع عن الإنسان في هذه الدنيا الزائلة؟! ذلك أن الإنسان سيري في الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما ورد بذلك النص^(١).

وقد فصل في محله أن حالة (التوكل على الله) لا تعني (التواكل) بل هي تضاده وتعاكسه، فلا يقال: إن في ذلك تشييطاً لهم المظلومين. عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الغنى والعز يجولان فإذا ظفرا بموضع التوكل أوطناه»^(٢).

وعن علي بن سويد، عن أبي الحسن الأول عليه السلام، قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٣). فقال: «التوكل على الله درجات منها: أن تتوكل على الله في أمورك كلها، فما فعل بك كنت عنه راضياً تعلم أنه لا يألوك خيراً وفضلاً، وتعلم أن الحكم في ذلك له فتوكل على الله

(١) راجع من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٢٩٥ باب الأذان والإقامة وثواب المؤذنين ح ٩٠٥.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢١٦ ب ١١ ح ١٢٧٨٢.

(٣) سورة الطلاق: ٣.

بتفويض ذلك إليه وثق به فيها وفي غيرها»^(١).

وعن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من أُعطي ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً: من أُعطي الدعاء أُعطي الإجابة، ومن أُعطي الشكر أُعطي الزيادة، ومن أُعطي التوكل أُعطي الكفاية». ثم قال: «أتلوت كتاب الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٢) وقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٣) وقال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٤)»^(٥).

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ليس شيء إلا وله حد». قال: قلت: جعلت فداك، فما حد التوكل؟ قال: «اليقين». قلت: فما حد اليقين؟ قال: «أن لا تخاف مع الله شيئاً»^(٦).

وعن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي، عن أبيه، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا ذر، إن سرك أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله، وإن سرك أن تكون أكرم الناس فاتق الله عز وجل، وإن سرك أن تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله عز وجل أوثق منك بما في يديك. يا أبا ذر، لو أن الناس كلهم أخذوا بهذه الآية لكفتهم ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾^(٧) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٣ باب التفويض إلى الله والتوكل عليه ح ٥.

(٢) سورة الطلاق: ٣.

(٣) سورة إبراهيم: ٧.

(٤) سورة غافر: ٦٠.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ١٢٩ ب ٦٣ ح ٦.

(٦) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٨٤.

أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا^(١)»^(٢).

قوله عليه السلام: «وكفيلك مأمون» المراد بالكفيل: هو الله سبحانه وتعالى، ويحتمل أن يكون المراد به هو الإمام عليه السلام إذ هو المتكفل بشؤونها عليها السلام وهو الكفيل لها.

و(المأمون) من لا يحتمل فيه أن يخلف وعده أو يكذب.

أما بالنسبة إلى كلي تكفل الله سبحانه بالأرزاق، فإن المراد به طبيعة الأمر، فلا يقال: فكيف يموت كثير من الناس جوعاً؟.

وذلك كما ورد: أن الدعاء يستجاب كما قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٣) أي طبيعة الدعاء، أو ما يقال: من أن الدواء الفلاني شفاء للمرض الكذائي ونحو ذلك؛ فإنه على نحو المقتضي، ولا بد فيه من توفر الشروط وانتفاء الموانع أيضاً وليس على نحو العلية التامة والقضية الخارجية في كل مورد مورد، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

(١) سورة الطلاق: ٢-٣.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢١٦ ب ١١ ح ١٢٧٨١.

(٣) سورة غافر: ٦٠.

وما أعدّ لك أفضل مما قطع عنك

ثواب الله أعظم

مسألة: يلزم الاعتقاد بأن ما أعدّه الله للصديقة فاطمة عليها السلام من الأجر والثواب والمقام ^(١) وما شابه أفضل مما غُصِبَ منها، ويستحب بيان ذلك للناس. وهذه صغرى من صغريات ما تقدم.

ثم إن فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) لها من الأجر والثواب والفضيلة والكرامة في الآخرة ما لأمر المؤمنين علي عليه السلام، وهما في المرتبة الثانية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في الفضائل والمقامات الأخروية حسب بعض الروايات التي ذكرها السيد البحراني ^(٢) مُنْتَرَشٌ في (معالم الزلفى)، وغيره في غيره.

(١) كمقام الشفاعة الكبرى.

(٢) السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد بن علي بن سليمان بن السيد ناصر الحسيني البحراني التوبلي الكتكاني، كان (رضوان الله عليه) من أولاد السيد المرتضى علم الهدى (رضوان الله عليه). ولد رحمته الله في كتكان في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري القمري. رحل إلى النجف الأشرف وأقام فيها مدة من الزمن طلباً للعلم. انتهت إلى السيد رحمته الله رئاسة البلد بعد الشيخ محمد بن ماجد بن مسعود البحراني الماحوزي، فقام بالقضاء في البلاد وتولي الأمور الحسبية وقام بذلك أحسن قيام، وقمع أيدي الظلمة والحكام، ونشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالغ في ذلك وأكثر، ولم تأخذه لومة لائم في الدين، وكان من الأتقياء المتورعين، شديداً على الملوك والسلطين. صنف رحمته الله كتباً عديدة تشهد بعمق تتبعه وسعة اطلاعه تبلغ خمسة وسبعين مؤلفاً بين صغير ووسيط وكبير، منها: ١: إثبات الوصية، ٢: احتجاج المخالفين على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، ٣: الإنصاف في النص على الأئمة الأشراف من آل عبد مناف، ٤: إيضاح المسترشدين في بيان تراجم الراجعين إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وقد يعبر عنه بـ (هداية المستبصرين)، ٥: البرهان في تفسير القرآن، ٦: البهجة المرضية في إثبات الخلافة والوصية، ٧: بهجة النظر في إثبات الوصاية والإمامة للأئمة الاثني عشر، ◀

مقام فاطمة عليها السلام في القيامة

قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: يا معشر الخلائق، غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد ﷺ»^(١).

وفي رواية أخرى: «إذا كان يوم القيامة قيل: يا أهل الجمع، غضوا أبصاركم تمر فاطمة بنت رسول الله ﷺ. فتمر وعليها ريطتان حمراوان»^(٢).

وعن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «تحشر ابنتي فاطمة عليها السلام عليها حلة الكرامة قد عجنت بماء الحيوان، تنظر إليها الخلائق فيتعجبون منها، ثم تُكسى حلة من حلل الجنة، وهي ألف حلة مكتوب على كل حلة بخط أخضر: (أدخلوا ابنة محمد الجنة على أحسن صورة وأحسن كرامة وأحسن منظر) فتزف إلى الجنة كما تزف العروس، ويوكل بها سبعون ألف جارية»^(٣).

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة تقبل ابنتي فاطمة عليها السلام على ناقة من نوق الجنة، مدبجة الجنين،

► ٨: تبصرة الولي فيمن رأي المهدي عليه السلام في زمان أبيه عليه السلام وفي أيام الغيبة الصغرى والكبرى، ٩:

التحفة البهية في إثبات الوصية لعلي عليه السلام، ١٠: ترتيب التهذيب، وغيرها. توفي رحمه الله سنة (١١٠٧) أو (١١٠٩) من الهجرة في قرية نعيم، ونقل جثمانه الشريف إلى قرية توبلي، ودفن في مقبرة ماتيني من مساجد القرية المشهورة، وقبره مزار معروف.

(١) تفسير فرات الكوفي: ص ٤٤٣ ومن سورة الطور ح ٥٨٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٢٢٠-٢٢١ ب ٨ ح ٥.

(٣) دلائل الإمامة: ص ٥٨ أخبار في مناقبها عليها السلام.

خطمها من لؤلؤ رطب، قوائمها من الزمرد الأخضر، ذنبها من المسك الأذفر، عيناها ياقوتتان حمراوان، عليها قبة من نور، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، داخلها عفو الله، وخارجها رحمة الله، على رأسها تاج من نور، للتاج سبعون ركناً، كل ركن مرصع بالدر والياقوت، يضيء كما يضيء الكوكب الدري في أفق السماء، وعن يمينها سبعون ألف ملك، وعن شمالها سبعون ألف ملك، وجبرئيل أخذ بخطام الناقة ينادي بأعلى صوته: غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد ﷺ. فلا يبقى يومئذ نبي ولا رسول، ولا صديق ولا شهيد إلا غضوا أبصارهم حتى تجوز فاطمة عليها السلام.

فتسير حتى تحاذي عرش ربها جل جلاله فتزج بنفسها عن ناقتها وتقول: إلهي وسيدي، احكم بيني وبين من ظلمني. اللهم احكم بيني وبين من قتل ولدي.

فإذا النداء من قبل الله جل جلاله: يا حبيبتي وابنة حبيبي، سليني تعطى (أعطك)، واشفعني تشفعني، فو عزتي وجلالي لا جازني ظلم ظالم. فتقول: إلهي وسيدي، ذريتي وشيعتي، وشيعة ذريتي، ومحبي، ومحبي ذريتي.

فإذا النداء من قبل الله جل جلاله: أين ذرية فاطمة وشيعتها، ومحبوها، ومحبو ذريتها؟ فيقبلون وقد أحاط بهم ملائكة الرحمة، فتقدمهم فاطمة عليها السلام حتى تدخلهم الجنة^(١).

(١) الأمالي، للصدوق: ص ١٧-١٨ المجلس الخامس ح ٤.

وعن النبي ﷺ ، قال : «إذا كان يوم القيامة ووقف الخلائق بين يدي الله تعالى ، نادى مناد من وراء الحجاب : أيها الناس ، غضوا أبصاركم ونكسوا من رؤوسكم ؛ فإن فاطمة بنت محمد ﷺ تجوز على الصراط»^(١).

وفي حديث أبي أيوب : «فتمر معها سبعون جارية من الحور العين كالبرق اللامع»^(٢).

وعن ابن عباس ، عن النبي ﷺ : «إذا كان يوم القيامة نادى مناد : يا معشر الخلائق ، غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد ﷺ . فتكون أول من تكسى ، ويستقبلها من الفردوس اثنا عشر ألف حوراء لم يستقبلن أحداً قبلها ولا أحداً بعدها على نجائب من ياقوت أجنحتها وأزمتها اللؤلؤ ، عليها رحائل من درّ ، على كل رحالة منها غمقة من سندس ، وركابها زبرجد . فيجزن بها الصراط حتى ينتهين بها إلى الفردوس ، فيتباشر بها أهل الجنان . وفي بطنان الفردوس قصور بيض ، وقصور صفر من اللؤلؤ من غرز واحد ، وإن في القصور البيض لسبعين ألف دار ، منازل محمد وآله ﷺ ، وإن في القصور الصفر لسبعين ألف دار ، مساكن إبراهيم وآله عليه السلام ، فتجلس على كرسي من نور ، ويجلسن حولها ويبعث إليها ملك لم يبعث إلى أحد قبلها ولا يبعث إلى أحد بعدها ، فيقول : إن ربك يقرؤك السلام ويقول : سليني أعطك . فتقول : قد أتم علي نعمته ، وهنائي كرامته ، وأباحني جنته ، أسأله ولدي وذريتي ومن ودّهم بعدي ، وحفظهم من بعدي . فيوحي الله إلى الملك من غير أن يزول من مكانه : أن سرها وبشرها أني

(١) المناقب : ج ٣ ص ٣٢٦ فصل في منزلتها عند الله تعالى .

(٢) بحار الأنوار : ج ٤٣ ص ٢٢٣ ب ٨ ح ١٠ .

قد شفّعتها في ولدها ومن ودّهم بعدها وحفظهم فيها. فتقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾^(١) «(٢)».

وقال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة جاءت فاطمة عليها السلام في لمة من نسائها، فيقال لها: ادخلي الجنة. فتقول: لا أدخل حتى أعلم ما صنع بولدي من بعدي. فيقال لها: انظري في قلب القيامة. فتنظر إلى الحسين عليه السلام قائماً وليس عليه رأس، فتصرخ صرخة وأصرخ لصراخها، وتصرخ الملائكة لصراخها. فيغضب الله عز وجل عند ذلك فيأمر ناراً يقال لها: هب، قد أوقد عليها ألف عام حتى اسودت، لا يدخلها روح أبداً ولا يخرج منها غم أبداً. فيقال: التقطي قتلة الحسين، فتلتقطهم. فإذا صاروا في حوصلتها صهلت وصهلوا بها، وشهقت وشهقوا بها، وزفرت وزفروا بها، فينطقون بألسنة ذلقة طلقة: يا ربنا، فيما أوجبت لنا النار قبل عبدة الأوثان؟. فيأتيهم الجواب عن الله تعالى: أن من علم ليس كمن لا يعلم»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نصب لفاطمة عليها السلام قبة من نور، ويقبل الحسين عليه السلام ورأسه في يده، فإذا رآته شهقت شهقة لا يبقى في الجمع ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا بكى لها، فيمثله الله عز وجل لها في أحسن صورة وهو يخاصم قتلته بلا رأس، فيجمع الله عز وجل لها قتلته والمجهزين عليه ومن شركهم في قتله، فأقتلهم حتى آتي على آخرهم، ثم ينشرون فيقتلهم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، ثم ينشرون فيقتلهم الحسن عليه السلام، ثم ينشرون فيقتلهم

(١) سورة فاطر: ٣٤.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص ٤٤٣ ومن سورة الطور ح ٥٨٥.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج ٧ ص ١٢٧ ب ٦ ح ٦، ومثير الأحران: ص ٨١.

الحسين عليه السلام، ثم ينشرون فلا يبقى أحد من ذريتنا إلا قتلهم قتلة، فعند ذلك يكشف الغيظ وينسى الحزن». ثم قال الصادق عليه السلام: «رحم الله شيعتنا، شيعتنا هم والله المؤمنون، فقد والله شركونا في المصيبة بطول الحزن والحسرة»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «يمثل لفاطمة عليها السلام رأس الحسين عليه السلام متشحطاً بدمه. فتصيح: وا ولداه، وا ثمة فؤاده. فتصعق الملائكة لصيحة فاطمة عليها السلام، وينادي أهل القيامة: قتل الله قاتل ولدك يا فاطمة. قال - فيقول الله عز وجل: ذلك أفعل به وبشيعته وأحبائه وأتباعه. وإن فاطمة عليها السلام في ذلك اليوم على ناقه من نوق الجنة، مديجة الجنين، واضحة الخدين، شهلاء العينين، رأسها من الذهب المصفى، وأعناقها من المسك والعنبر، خطامها من الزبرجد الأخضر، رحائلها در مفضض بالجواهر، على الناقة هودج غشاؤها من نور الله، وحشوها من رحمة الله، خطامها فرسخ من فراسخ الدنيا، يحف بهودجها سبعون ألف ملك بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والثناء على رب العالمين، ثم ينادي مناد من بطنان العرش: يا أهل القيامة، غضوا أبصاركم فهذه فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ تمر على الصراط. فتمر فاطمة عليها السلام وشيعتها على الصراط كالبرق الخاطف. قال النبي ﷺ: ويلقى أعداؤها وأعداء ذريتها في جهنم»^(٢).

وعن ابن عباس، قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «دخل رسول الله ﷺ ذات يوم على فاطمة عليها السلام وهي حزينة. فقال لها: ما حزنك يا بنية؟ قالت: يا أبة، ذكرت المحشر ووقوف الناس عراة يوم

(١) اللهوف: ص ١٣٧-١٣٩ المسلك الثاني في وصف حال القتال وما يقرب من تلك الحال.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٢٢٢-٢٢٣ ب ٨ ح ٩. عن ثواب الأعمال.

القيامة. قال: يا بنية، إنه ليوم عظيم، ولكن قد أخبرني جبرئيل عليه السلام عن الله عز وجل أنه قال: أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة أنا، ثم أبي إبراهيم، ثم بعلك علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم يبعث الله إليك جبرئيل في سبعين ألف ملك، فيضرب على قبرك سبع قباب من نور، ثم يأتيك إسرافيل بثلاث حلل من نور، فيقف عند رأسك فيناديك: يا فاطمة ابنة محمد، قومي إلى محشرِك. فتقومين آمنة روعتك، مستورة عورتك، فيناولك إسرافيل الحلل فتلبسينها، ويأتيك روفائيل بنجيبة من نور، زمامها من لؤلؤ رطب، عليها محفة من ذهب، فتركيها ويقود روفائيل بزمامها، وبين يديك سبعون ألف ملك، بأيديهم ألوية التسبيح، وإذا جد بك السير استقبلتك سبعون ألف حوراء يستبشرون بالنظر إليك، بيد كل واحدة منهن مجمرة من نور يسطع منها ريح العود من غير نار، وعليهن أكاليل الجواهر مرصع بالزبرجد الأخضر فيسرن عن يمينك، فإذا مثل الذي سرت من قبرك إلى أن لقينك استقبلتك مريم بنت عمران عليها السلام في مثل من معك من الحور، فتسلم عليك وتسير هي ومن معها عن يسارك، ثم استقبلتك أمك خديجة بنت خويلد عليها السلام أول المؤمنات بالله ورسوله ومعها سبعون ألف ملك بأيديهم ألوية التكبير، فإذا قربت من الجمع استقبلتك حواء عليها السلام في سبعين ألف حوراء ومعها آسية بنت مزاحم عليها السلام فتسير هي ومن معها معك، فإذا توسطت الجمع وذلك أن الله يجمع الخلائق في صعيد واحد فيستوي بهم الأقدام، ثم ينادي مناد من تحت العرش يسمع الخلائق: غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة الصديقة ابنة محمد صلى الله عليه وآله ومن معها. فلا ينظر إليك يومئذ إلا إبراهيم خليل الرحمن (صلوات الله وسلامه عليه) وعلي بن أبي طالب عليه السلام، ويطلب آدم حواء

فيراها مع أمك خديجة أمامك، ثم ينصب لك منبر من نور فيه سبع مراق، بين المرقاة إلى المرقاة صفوف الملائكة بأيديهم ألوية النور، وتصطف الحور العين عن يمين المنبر وعن يساره، وأقرب النساء منك عن يسارك حواء وآسية بنت مزاحم، فإذا صرت في أعلى المنبر أتاك جبرئيل عليه السلام، فيقول لك: يا فاطمة، سلي حاجتك. فتقولين: يا رب، أرني الحسن والحسين عليهما السلام. فيأتيانك وأوداج الحسين تشخب دماً وهو يقول: يا رب، خذ لي اليوم حقي ممن ظلمني. فيغضب عند ذلك الجليل وتغضب لغضبه جهنم والملائكة أجمعون.

فتزفر جهنم عند ذلك زفرة، ثم يخرج فوج من النار فيلتقط قتلة الحسين وأبناءهم وأبناء أبنائهم. ويقولون: يا رب، إنا لم نحضر الحسين عليه السلام. فيقول الله لزبانية جهنم: خذوهم بسيماهم بزرقة الأعين وسواد الوجوه، خذوا بنواصيهم فألقوهم في الدرك الأسفل من النار، فإنهم كانوا أشد على أولياء الحسين من آبائهم الذين حاربوا الحسين فقتلوه. فيسمع شهيقهم في جهنم»^(١).

وفي الحديث: «ثم يقول جبرئيل عليه السلام: يا فاطمة، سلي حاجتك.

فتقولين: يا رب شيعتي. فيقول الله: قد غفرت لهم.

فتقولين: يا رب، شيعة ولدي. فيقول الله: قد غفرت لهم.

فتقولين: يا رب، شيعة شيعتي.

فيقول الله: انطلقني فمن اعتصم بك فهو معك في الجنة.

فعند ذلك يود الخلائق أنهم كانوا فاطميين!، فتسيرين ومعك شيعتك

وشيعة ولدك وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام آمنة روعاتهم، مستورة عوراتهم، قد

(١) تفسير فرات الكوفي: ص ٤٤٤-٤٤٦ ومن سورة الطور ح ٥٨٧.

ذهبت عنهم الشدائد، وسهلت لهم الموارد، يخاف الناس وهم لا يخافون، ويظماً الناس وهم لا يظمئون، فإذا بلغت باب الجنة تلقى ثلثاً عشر ألف حوراء لم يتلقين أحداً كان قبلك ولا يتلقين أحداً كان بعدك، بأيديهم حراب من نور، على نجائب من نور، رحائلها من الذهب الأصفر والياقوت، أزمتها من لؤلؤ رطب، على كل نجيبة نمرقة من سندس منضود، فإذا دخلت الجنة تباشر بك أهلها، ووضع لشيعة موائد من جوهر على أعمدة من نور، فيأكلون منها والناس في الحساب، ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾^(١).

فإذا استقر أولياء الله في الجنة زارك آدم عليه السلام ومن دونه من النبيين عليه السلام، وإن في بطنان الفردوس للؤلؤتان من عرق واحد، لؤلؤة بيضاء ولؤلؤة صفراء فيها قصور ودور، في كل واحدة سبعون ألف دار، البيضاء منازل لنا ولشيعةنا، والصفراء منازل لإبراهيم وآل إبراهيم عليه السلام.

قالت: يا أبة، فما كنت أحب أن أرى يومك وأبقى بعدك.

قال: يا بنية، لقد أخبرني جبرئيل عليه السلام عن الله أنك أول من يلحقني من أهل بيتي، فالويل كله لمن ظلمك، والفوز العظيم لمن نصرك.

قال عطاء: وكان ابن عباس إذا ذكر هذا الحديث تلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^(٢)،^(٣).

وفي (البحار): عن أبي ذر (رحمة الله عليه) قال: رأيت سلمان وبلالاً يقبلان

(١) سورة الأنبياء: ١٠٢.

(٢) سورة الطور: ٢١.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ص ٤٤٦-٤٤٧ ومن سورة الطور ح ٥٨٧.

إلى النبي ﷺ إذا انكب سلمان على قدم رسول الله ﷺ يقبلها، فزجره النبي ﷺ عن ذلك ثم قال له: «يا سلمان، لا تصنع بي ما تصنع الأعاجم بملوكها، أنا عبد من عبيد الله آكل مما يأكل العبد وأقعد كما يقعد العبد».

فقال سلمان: يا مولاي، سألتك بالله إلا أخبرتني بفضل فاطمة عليها السلام يوم القيامة؟.

قال: فأقبل النبي ﷺ ضاحكاً مستبشراً ثم قال: «والذي نفسي بيده، إنها الجارية التي تجوز في عرصة القيامة على ناقة رأسها من خشية الله، وعيناها من نور الله، وحطامها من جلال الله، وعنقها من بهاء الله، وسنامها من رضوان الله، وذنبها من قدس الله، وقوائمها من مجد الله، إن مشيت سبحت، وإن رغت قدّست، عليها هودج من نور، فيه جارية إنسية، حورية عزيزة، جمعت فخلقت، وصنعت ومثلت من ثلاثة أصناف، فأولها من مسك أذفر، وأوسطها من العنبر الأشهب، وآخرها من الزعفران الأحمر، عجنت بماء الحيوان، لو تفلت تفلة في سبعة أبحر مألحة لعذبت، ولو أخرجت ظفر خنصرها إلى دار الدنيا يغشى الشمس والقمر، جبرئيل عن يمينها، وميكائيل عن شمالها، وعلي عليه السلام أمامها، والحسن والحسين عليهما السلام وراءها، والله يكلؤها ويحفظها، فيجوزون في عرصة القيامة، فإذا النداء من قبل الله جل جلاله: معاشر الخلائق، غضوا أبصاركم ونكسوا رؤوسكم هذه فاطمة بنت محمد نبيكم، زوجة علي إمامكم، أم الحسن والحسين، فتجوز الصراط وعليها ريطتان بيضاوان، فإذا دخلت الجنة ونظرت إلى ما أعد الله لها من الكرامة قرأت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ

الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا تُغُوبٌ»^(١). قال: فيوحي الله عز وجل إليها: يا فاطمة، سليني أعطك وتمني علي أرضك. فتقول: إلهي أنت المني وفوق المني، أسألك أن لا تُعَذِّبَ محبي ومحبي عترتي بالنار. فيوحي الله إليها: يا فاطمة، وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لقد آليت على نفسي من قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفي عام أن لا أعذب محبي ومحبي عترتك بالنار»^(٢).

تعويض المظلوم

مسألة: ينبغي أن يبين للمظلوم ما سيعوضه الله تعالى ويعدّه له من الثواب والأجر، وهذا مما يحافظ على نفسية المظلوم ويجعله صابراً مثابراً، وهو سبب أيضاً لعدم إصابته بالإحباط والكآبة وما أشبه من الأمراض النفسية.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيضربونه، فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر. فيقال لهم: على ما صبرتم؟ فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله، ونصبر عن معاصي الله. فيقول الله عز وجل: صدقوا أدخلوهم الجنة، وهو قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾»^(٣) «^(٤).

وعن أبي الحسن الثالث عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الصادق (صلوات الله عليهم)

(١) سورة فاطر: ٣٤-٣٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ١٣٩-١٤١ ب ٤ ح ١٤٤.

(٣) سورة الزمر: ١٠.

(٤) مشكاة الأنوار: ص ١١٢ ب ٣ ف ٢.

قال: «ثلاث دعوات لا يحجب عن الله تعالى: دعاء الوالد لولده إذا برّه ودعوته عليه إذا عقه، ودعاء المظلوم على ظالمه ودعاؤه لمن انتصر له منه، ورجل مؤمن دعا لأخ له مؤمن واساه فينا ودعاؤه عليه إذا لم يواسه مع القدرة عليه واضطرار أخيه إليه»^(١).

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «دعوة المظلوم مستجابة»^(٢).

وعن الحارث، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يقول الله عز وجل: اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصرًا غيري»^(٣).

وعن سعد بن طريف، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «الظلم ثلاثة: ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله. فأما الظلم الذي لا يغفره فالشرك، وأما الظلم الذي يغفره فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله، وأما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد»^(٤).

وعن حسين بن عثمان ومحمد بن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الله يفيض الغني الظلوم»^(٥).

(١) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣١٠ ب ٧٩ ح ١٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ١٣٠ ب ٥٢ ح ٨٩٢٢.

(٣) الأمالي، للطوسي: ص ٤٠٥ المجلس ١٤ ح ٩٠٨-٥٦.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٠ باب الظلم ح ١.

(٥) ثواب الأعمال: ص ٢٧٤ عقاب من ظلم.

فاحتسبي الله

احتساب المصائب عند الله

مسألتان: يستحب احتساب المصائب عند الله تعالى ، كما يستحب الأمر باحتسابها كذلك. ولا ينبغي أن يتوهم أن قوله لها عَلَيْهَا السَّلَامُ : «احتسبي» طلب لغير الحاصل ، إذ هو كقولهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في صلواتهم: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١) وقد سبق بيان عدة أجوبة عن ذلك^(٢).

ثم إن الخطاب وإن كان لها عَلَيْهَا السَّلَامُ إلا أنه يعم ويشمل الجميع ، كخطابات الكتاب العزيز الموجهة أولاً للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والشاملة لغيره ، إلا ما علم اختصاصه به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما هو مذكور في بحث الخطابات القرآنية.

وإنما قلنا بالاستحباب ، لأن الأمر باحتساب المصائب عند الله سبحانه وتعالى من الأمر بالمعروف المستحب ؛ فإن الاحتساب من أفضل درجات الصابرين المسلمين أمرهم الله عز وجل وهو مشمول لقوله سبحانه : ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ * أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ^(٣).

قوله عَلَيْهَا السَّلَامُ : «فاحتسبي الله» أي : اجعلي ما ورد عليك من الظلم والعدوان على حساب الله سبحانه وتعالى ؛ لأنه بعين الله ، والله هو المتكفل بالأمر ، وهو الذي سيعوضك بأفضل الجزاء ويعطيك أسنى العطاء.

(١) سورة الفاتحة : ٦ .

(٢) منها إرادة المستقبل باعتبار تجدد العزم أنا فأنأ ، ومنها إرادة المرتبة الأسمى ، إلى غير ذلك ، فليراجع .

(٣) سورة البقرة : ١٥٦-١٥٧ .

وماذا عن اسم الله الأعظم؟

لا يقال: لماذا لم يستفد الإمام عليه السلام من قدراته الخاصة كعلمه بالاسم الأعظم ودعائه المستجاب وقدرته على الإعجاز وما أشبه ؛ وذلك لكشف هذه الغمة وإرجاع الحق إلى نصابه واجتثاث جذور الظلمة فوراً، ولماذا لم يأمرها باستخدام تلك القدرات، بل أمرها عليها السلام بالصبر والاحتساب عند الله، كما صبر بنفسه عليه السلام ^(١) مع أنهما عليهما السلام مستجابا الدعوة قطعاً؟.

إذ يقال:

أولاً: الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وقد خلقها الله على ذلك وأرادها كذلك، ومن هنا نرى قتل الكثير من الأنبياء عليهم السلام وأنهم عذبوا بأشد التعذيب، وكذلك أوصيائهم عليهم السلام على مر الدهور، مع أنه كان بمقدورهم الدعاء المستجاب والطلب من الله لرفع ذلك البلاء والإعجاز لقلب الأمر، ولكنهم لم يستفيدوا من هذه القدرات الإعجازية إلا في أقصى الضرورات وذلك ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ ^(٢)، وقد قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ^(٣)، إلى غيرها ^(٤).

(١) بل أمر سلمان أن يطلب منها عليها السلام عدم كشف رأسها للدعاء.

(٢) سورة الأنفال: ٣٧.

(٣) سورة العنكبوت: ٢-٣.

(٤) فالدعاء الحتمي الإجابة إذا كان يغير المعادلات الكونية دائماً ويوجب التدخل الغيبي المستمر، فإنه يناقض الهدف من الخلقة والامتحان كما لا يخفى.

عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: ذكر عند أبي عبد الله عليه السلام البلاء وما يخص الله عز وجل به المؤمن. فقال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وآله: من أشد الناس بلاءً في الدنيا؟ فقال: النبيون ثم الأمثل فالأمثل، ويبتلى المؤمن بعدُ على قدر إيمانه وحسن أعماله، فمن صح إيمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه، ومن سخط إيمانه وضعف عمله قل بلاؤه»^(١).

وعن معاوية بن عمار، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله لم يؤمن المؤمن من بلايا الدنيا ولكن آمنه من العمى في الآخرة، ومن الشقاء يعني عمى البصر»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الله عز وجل يبتلي المؤمن بكل بلية ويميته بكل ميتة ولا يبتليه بذهاب عقله، أما ترى أيوب عليه السلام كيف سلط إبليس على ماله وعلى ولده وعلى أهله وعلى كل شيء منه ولم يسلط على عقله ترك له ليوحده الله به»^(٣).

وعن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن عظيم الأجر لعظيم البلاء، وما أحب الله قوماً إلا ابتلاهم»^(٤).

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الله عبادة في الأرض من خالص عباده، ليس ينزل من السماء تحفة للدنيا إلا صرفها عنهم إلى غيرهم، ولا ينزل من السماء بلاء للآخرة إلا صرفه إليهم، وهم شيعة علي عليه السلام

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٥٢ باب شدة ابتلاء المؤمن ح ٢.

(٢) صفات الشيعة: ص ٣٣ ح ٥٠.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ١٤٥ ب ٣٩ ح ١٦٥٦.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٦٣ ب ٧٧ ح ٣٥٩٣.

وأهل بيته»^(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً غته بالبلاء غتاً، وثجه بالبلاء ثجاً، فإذا دعاه قال: لبيك عبدي، لئن عجلت لك ما سألت إني على ذلك لقادر، ولئن ادخرت لك فما ادخرت لك خير لك»^(٢).

وعن زيد أبي أسامة الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء، وإذا أحب الله عبداً ابتلاه بعظيم البلاء، فمن رضي فله الرضا عند الله عز وجل، ومن سخط البلاء فله السخط»^(٣).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «وعك أبو ذر، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أبا ذر قد وعك. فقال: امض بنا إليه نعوذه. فمضينا إليه جميعاً، فلما جلسنا قال له رسول الله ﷺ: كيف أصبحت يا أبا ذر؟ قال: أصبحت وعكاً يا رسول الله. فقال: أصبحت في روضة من رياض الجنة، قد انغمست في ماء الحيوان، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك فأبشر يا أبا ذر»^(٤).

وعن الباقر عليه السلام، قال: «إنما يتلى المؤمن في الدنيا على قدر دينه - أو قال - على حسب دينه»^(٥).

وروي: «أن نبياً من الأنبياء مر برجل قد جهده البلاء. فقال: يا رب، أما

(١) التمهيد: ص ٣٥ ب ١ ح ٢٦.

(٢) مشكاة الأنوار: ص ٢٩٧ ب ٧ ف ٧.

(٣) الخصال: ج ١ ص ١٨ إذا أحب الله عز وجل عبداً ابتلاه بعظيم البلاء ح ٦٤.

(٤) الدعوات: ص ١٦٧-١٦٨ ب ٣ فصل في صلاة المريض وصلاحه وأدبه ودعائه عند المرض ح ٤٦٧.

(٥) مشكاة الأنوار: ص ٢٩٨ ب ٧ ف ٧.

ترحم هذا مما به؟. فأوحى الله إليه: كيف أرحمه مما به أرحمه»^(١).

ثانياً: كما أنه في عالم التكوينيات والماديات مُعدّ ومقتضٍ وشروط وموانع، كذلك في عالم المعنويات والماورائيات وعالم التأثيرات الغيبية على الظواهر الطبيعية، فمثلاً في عالم الأمور التكوينية يُعدّ إطلاق الرصاص مؤثراً في قتل الإنسان، إلا أنه ليس بعلّة تامة، إذ اللازم - بعد أن تتوفر في الآلة القاتلة (كالمسدس مثلاً) كافة الشرائط في حد ذاتها - أن يكون المطلق ذا شأنية ومقدرة على الإطلاق أولاً، وعلى التوجيه نحو الهدف ثانياً، كما يلزم عدم وجود حائل أو مانع مبطل لأثر الطلقة بعد إطلاقها وهي في الطريق والفضاء، كما تبطل الصواريخ في الهواء بسبب صاروخ مضاد - ثالثاً.

كذلك الأمر في عالم التأثيرات الغيبية على الظواهر الطبيعية، مثل تأثير اسم الله الأعظم الذي «إذا دعي به على مغالق أبواب السماء للفتح بالرحمة انفتحت...»^(٢)، إلى آخر (دعاء السمات) في هذا الباب وغيره.

ولمزيد التوضيح نقول: إن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ من اسم الله الأعظم، كما يستفاد من بعض الروايات^(٣)، فهو - ولا مناقشة في الأمثال -: كالرصاص المطلق، لكن الكلام في من يتفوه بالبسملة وينطق بها^(٤)، وهل هو

(١) كنز الفوائد: ج ١ ص ٣٧٩ فصل من ذكر المرضى والعيادة.

(٢) البلد الأمين: ص ٩٠ دعاء مروي عن النبي ﷺ في الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة

(٣) راجع تهذيب الأحكام: ج ٢ ص ٢٨٩ ب ١٥ ح ١٥ وفيه: عن عبد الله بن يحيى الكاهلي عن أبي عبد الله عليه السلام

عن أبيه عليه السلام قال: «بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها».

(٤) فهل هو طاهر من المعاصي، وهل نطق بها عن يقين بتأثيرها، أم عن احتمال ووهم، أو شك أو ظن، وهل قالها بتجربة أم عن إيمان تام؟.

عارف بإصابة الهدف وشرائطها، وهل هنالك حائل بين الأمرين؟، إلى غيرها مما مر ذكرها.

فالنبي الأعظم ﷺ، والإمام عليّ عليه السلام، والصديقة الزهراء عليها السلام، وسائر الأنبياء والأولياء عليهم السلام، المستجابو الدعاء مثلهم - على اختلاف في الدرجات - مثل المطلق المستجمع للشرائط، العارف بالتهديف، الخبير بالموانع، حيث إنهم عليهم السلام - يعرفون الهدف وشرائط الإصابة وموانعها، مضافاً إلى مقامهم عند الله عز وجل، ولذا إذا دعوا به استجيب لهم، وفي القرآن الحكيم: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ...﴾^(١). ومن هنا نجدهم في بعض الموارد لا يدعون^(٢)؛ لأنهم أعرف بالمصالح والخصوصيات والشرائط والموانع وبياب التزاحم، حالهم - ولا مناقشة في الأمثال - حال الطبيب الذي يعرف أن هذا المريض لا يبرأ فإنه لا يعطيه الدواء^(٣) لما يعرف من عدم توفر الشرائط.

وإذا عرفنا ذلك ارتفع ما يتوهم من الإشكال عن عدم التأثير أحياناً في مثل ما ورد من «استجابة الدعاء تحت قبته عليه السلام، والشفاء في تربته عليه السلام»^(٤)، وهو ما يجاب به عن التساؤلات حول ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٥) إلى غير ذلك. وبذلك يجاب أيضاً عن أن علياً أمير المؤمنين عليه السلام كان قادراً - بالقدرة

(١) سورة النمل: ٤٠.

(٢) كما في بعض الروايات من عدم دعاء الإمام عليه السلام لمريض خاص؟؟؟ أذكر بعض الروايات. ع ٣٤

(٣) وإذا أعطاه فإنه يعطيه تسلياً له لا غير وإن كان عالماً بأنه غير نافع له، وكذلك إذا دعا الإمام عليه السلام له وهو يعلم بعدم التأثير.

(٤) راجع وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٥٣٧ ب ٧٦ ح ١٩٧٧٣.

(٥) سورة غافر: ٦٠.

فقلت: «حسبي الله» وأمسكت.

الظاهرة أو القدرة الغيبية الخارقة - على اجتثاث جذور الفتن، وقطع دابر الأعداء، وحل المشاكل التي أثّرت في أيام حكومته ﷺ؛ فإن لم يكن قادراً فكيف وهم ﷺ أوعية قدرة الله ومشيتته؟ وإن كان قادراً فلماذا لم يفعل؟. هذا بالإضافة إلى النقص بقدرة الله سبحانه، وقدرة الرسول ﷺ، وكل الأنبياء والأولياء ﷺ، في كل أمثال ذلك^(١) ولم يفعلوا، فليدقق.

فقلت: «حسبي الله» وأمسكت.

حسبي الله

مسألة: يستحب - عند ورود المصائب - قول: (حسبي الله) تأسيّاً بالصديقة الطاهرة ﷺ.. ولسائر الأدلة، ويستحب تكرار ذلك في كل المصائب سواء كانت مصائب جسدية كالمرض وما أشبه، أم مالية، أم روحية، أم نفسية^(٢)، أو في سائر الشؤون المتعلقة بالإنسان، وسواء كانت مما يتعلق بنفسه أم أسرته أم عشيرته أم مجتمعه أم أمته..

ولا فرق بين أن يقول: (حسبي الله) أو (حسبنا الله) أو (الله حسبنا) أو ما أفاد معنى ذلك، باللغة العربية أو بسائر اللغات؛ لأن المقصود هو حسبان المشكلة على الله سبحانه وتعالى، والالتجاء إليه، وإبراز ذلك، وإن كان النطق بـ (حسبنا الله) وما أشبهه مما ورد في القرآن الكريم أو السنة المطهرة بلحاظ وروده أفضل.

(١) من اجتثاث جذور الفتن، وقطع دابر الأعداء، وحل المشاكل التي أثّرت في أيامهم...

(٢) ومن ذلك ما يرتبط بالسمعة والعرض - بالمعنى العام..

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾^(٢).

وقال عز وجل: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٦). وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾^(٧).

(١) سورة آل عمران: ١٧٣.

(٢) سورة التوبة: ٥٩.

(٣) سورة الأنفال: ٦٢.

(٤) سورة الأنفال: ٦٤.

(٥) سورة الطلاق: ٣.

(٦) سورة الأنفال: ١٢٩.

(٧) سورة الزمر: ٣٨.

وقال تعالى: ﴿فَاشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾^(٣).

وفي (الكافي)، عن أبي حمزة، قال: استأذنت على أبي جعفر عليه السلام، فخرج إليّ وشفته تتحركان، فقلت له. فقال: «أفطنت لذلك يا ثمالي؟». قلت: نعم جعلت فداك. قال: «إني والله تكلمت بكلام ما تكلم به أحد قط إلا كفاه الله ما أهمه من أمر دنياه وآخرته». قال: قلت له: أخبرني به. قال: «نعم من قال حين يخرج من منزله: بِسْمِ اللَّهِ، حَسْبِيَ اللَّهُ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ أُمُورِي كُلِّهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، كفاه الله ما أهمه من أمر دنياه وآخرته»^(٤).

وعن محمد بن الفرج، أنه قال: كتب إليّ أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام بهذا الدعاء وعلمنيه وقال: من دعا به في دبر صلاة الفجر، لم يلبس حاجة إلا يسرت له، وكفاه الله ما أهمه (بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ، فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجِّنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ، حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ

(١) سورة النساء: ٦.

(٢) سورة النساء: ٨٦.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٩.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٥٤١ باب الدعاء إذا خرج الإنسان من منزله ح ٣.

اللَّهُ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ، مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا مَا شَاءَ النَّاسُ، مَا شَاءَ اللَّهُ وَإِنْ كَرِهَ النَّاسُ، حَسْبِيَ الرَّبُّ مِنَ الْمَرْبُوبِينَ، حَسْبِيَ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، حَسْبِيَ الرَّازِقُ مِنَ الْمَرْزُوقِينَ، حَسْبِيَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ حَسْبِي، حَسْبِي مَنْ كَانَ مِنْذُ كُنْتُ حَسْبِي لَمْ يَزَلْ حَسْبِي، حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»^(١).

وفي أحاديث نقوش خواتم الأئمة عليهم السلام أن «في خاتم الحسن والحسين عليهما السلام: حَسْبِيَ اللَّهُ»^(٢).

وعن يونس بن عبد الرحمن، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن نقش خاتمه وخاتم أبيه عليه السلام قال: «نقش خاتمي: (مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)، ونقش خاتم أبي: (حَسْبِيَ اللَّهُ)، وهو الذي كنت أختم به»^(٣).

الاعتقاد بكفاية الله عبده

مسألة: أصل الاعتقاد بأن الله هو كافٍ عبده وهو حسبه واجب، والمستحب هو المراتب اللاحقة؛ لأنه مما يرتبط بأصول الدين الذي منه واجب ومنه مستحب، فالمستحب مثل: الاعتقاد ببعض خصوصيات الجنة والنار والقبر، وبعض خصوصيات الأئمة الطاهرين (عليهم الصلاة والسلام) مثل معرفة أمهاتهم وأحوالهن وما أشبه، فليس المراد بأصول الدين المستحبة - إذ أطلق

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٣٢٦-٣٢٧ باب التعقيب ح ٩٥٩.

(٢) الكافي: ج ٦ ص ٤٧٣ باب نقش الخواتم ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٥ ص ١٠٠ ب ٦٢ ح ٦٠٣٥.

ذلك^(١) - الأصول الخمسة بالمعنى المنصرف إليه ، وإلا فهي من أوجب الواجبات العقلية والشرعية.

عن المفضل ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : «أوحى الله عز وجل إلى داود : ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم تكيده السماوات و الأرض ومن فيهن إلا جعلت له المخرج من بينهن ، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماوات من يديه وأسخت الأرض من تحته ولم أبال بأي واد هلك»^(٢).

وعن عبد الله بن القاسم ، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام عن علي عليه السلام ، قال : «كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو ؛ فإن موسى بن عمران عليه السلام خرج يقتبس لأهله ناراً فكلمه الله عز وجل فرجع نبياً ، وخرجت ملكة سبأ فأسلمت مع سليمان ، وخرج سحرة فرعون يطلبون العزة لفرعون فرجعوا مؤمنين»^(٣).

تأكد الوجوب

مسألة: قد يتأكد الوجوب والاستحباب في بعض المصاديق ، فبالنسبة للمظلوم والمصاب والمفجوع يتأكد لزوم ترسيخ الاعتقاد بكفاية الله عبده ، ويتأكد تلفظه ونطقه بما يدل عليه ، وهذا مصداق من مصاديق ما تقدم ، فإن احتساب

(١) أي إذا أطلق (أصول الدين المستحبة) في قبال (أصول الدين الواجبة) - إذ هو محذوف المضاف أي (خصوصيات أصول الدين) و(المستحبة) أي المستحب معرفتها والاعتقاد بها.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ١٢٥-١٢٦ ب ٦٣ ح ٢.

(٣) الأمالي للصدوق: ص ١٧٨ المجلس ٣٣ ح ٧.

الأمر لله سبحانه وتعالى والاعتماد عليه وتفويض الأمور إليه وما أشبه ذلك عام بالنسبة إلى المظلوم وغير المظلوم، والمصاب وغير المصاب، لكنه في المظلوم والمصاب أكد، إذ هو مأمور به في الشريعة بصورة خاصة، بالإضافة إلى أنه يسبب التخفيف النفسي والترفيه الروحي على ما تقدم. إضافة إلى أن المصاب والمفجوع قد يكون في معرض تزلزل اعتقاده أكثر من غيره، فكان لابد من مزيد العناية والرعاية بلحاظ المقدمة إضافة إلى النفسية^(١).

إطاعة الإمام عليه السلام

مسألة: يجب إطاعة الإمام عليه السلام وقد يجب إظهار ذلك، كما صنعه الصديقة عليها السلام حيث امتثلت كلامه عليه السلام، فقالت: «حسبي الله». والوجوب بالنسبة إلى طاعة الإمام (عليه الصلاة والسلام) في ما صدر عنه عليه السلام مولوياً على نحو الإلزام، أو في الواجب إرشاداً^(٢)، كما يستحب أحياناً^(٣). وهل الأمر هنا من قبيل الواجب أو المستحب حيث امتثلت الصديقة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) كلامه (صلوات الله عليه) وقالت: «حسبي الله»؟. احتمالان، ومن المعلوم أن امتثال أمر الإمام عليه السلام حتى في الأمور المستحبة مندوب إليه شرعاً.

(١) المقصود الوجوب أو الاستحباب النفسي، أي: ما هو بمجد ذاته واجب أو مستحب وليس لمقدمته.
(٢) فإذا أمر الإمام عليه السلام بالواجب عقلاً، كما في ما يلزم من المولوية فيه الدور، أو المستقلات العقلية، فإنه إرشاد بل ربما يقال حتى في مثل (صل) على بعض الوجوه. فتأمل - وقد يقال بعدم وجوب زائد على أصل الوجوب فلا يستحق عقوبتين بالترك، وقد يتأمل في بعض الموارد على حسب الاستفادة من الأدلة أو التركيز في أذهان المشرعة ولو بالأشدية (للعقوبة) والآكدية (لطلب) - منه تتضمن.
(٣) أي فيما عدا ذلك.

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه ولباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعة للإمام بعد معرفته. ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾^(١)»^(٢).

وعن أبي الصباح الكناني، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا أبا الصباح، نحن قوم فرض الله طاعتنا، لنا الأنفال ولنا صفو المال، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون الذين قال الله في كتابه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٣)»^(٤).

وعن أبي الصباح، قال: أشهد أنني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أشهد أن علياً إمام فرض الله طاعته، وأن الحسن إمام فرض الله طاعته، وأن الحسين إمام فرض الله طاعته، وأن علي بن الحسين إمام فرض الله طاعته، وأن محمد بن علي إمام فرض الله طاعته»^(٥).

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن الأئمة عليهم السلام هل يجرون في الأمر والطاعة مجرى واحد؟ قال: «نعم»^(٦).

وعن الفضيل، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: أي شيء أفضل ما يتقرب

(١) سورة النساء: ٨٠.

(٢) الكافي: ج ١ ص ١٨٥-١٨٦ باب فرض طاعة الأئمة عليهم السلام ح ١.

(٣) سورة النساء: ٥٤.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٧ من سورة النساء ح ١٥٥.

(٥) الكافي: ج ١ ص ١٨٦ باب فرض طاعة الأئمة عليهم السلام ح ٢.

(٦) الكافي: ج ١ ص ١٨٧ باب فرض طاعة الأئمة عليهم السلام ح ٩.

به العباد إلى الله فيما افترض عليهم؟. فقال: «أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله طاعة الله وطاعة رسوله، وحب الله وحب رسوله عليه السلام وأولي الأمر»، وكان أبو جعفر عليه السلام يقول: «حبنا إيمان وبغضنا كفر»^(١).

وعن أبي سلمة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «نحن الذين فرض الله طاعتنا، لا يسع الناس إلا معرفتنا، ولا يعذر الناس بجهالتنا، من عرفنا كان مؤمناً، ومن أنكرنا كان كافراً، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالاً حتى يرجع إلى الهدى الذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة؛ فإن يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء»^(٢).

امتنال الزوج

مسألة: يستحب للزوجة امتثال أمر زوجها في شؤون الحياة.

فإن على الزوجة آداباً بالنسبة إلى الزوج واجبة، وآداباً مستحبة، كما ذكره الفقهاء في كتاب النكاح.

عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «جاءت امرأة إلى النبي عليه السلام. فقالت: يا رسول الله، ما حق الزوج على المرأة؟. فقال لها: أن تطيعه ولا تعصيه، ولا تصدق من بيته إلا بإذنه، ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها. فقالت: يا رسول الله، من أعظم الناس حقاً على

(١) المحاسن: ج ١ ص ١٥٠ ب ٢٠ ح ٦٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٢٥ ب ٨ ح ٣٠٢.

الرجل؟ قال: والده. فقالت: يا رسول الله، من أعظم الناس حقاً على المرأة؟ قال: زوجها»^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «أيا امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حق، لم يتقبل منها صلاة حتى يرضى عنها، وأيا امرأة تطيبت لغير زوجها لم تقبل منها صلاة حتى تغتسل من طيبها كغسلها من جنابتها»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «الحج جهاد كل ضعيف، وجهاد المرأة حسن التبعل»^(٣).

وعن عمرو بن جبير العزمي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ. فقالت: يا رسول الله، ما حق الزوج على المرأة؟ قال: أكثر من ذلك. قالت: فخبرني عن شيء منه؟ قال: ليس لها أن تصوم إلا بإذنه - يعني: تطوعاً - ولا تخرج من بيتها بغير إذنه، وعليها أن تطيب بأطيب طيبها، وتلبس أحسن ثيابها، وتزين بأحسن زينتها، وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية، وأكثر من ذلك حقوقه عليها»^(٤).

وعن الحسين بن زيد عن جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام - في حديث المناهي - قال: «نهى رسول الله ﷺ أن تخرج المرأة من بيتها بغير إذن زوجها؛ فإن خرجت لعنها كل ملك في السماء، وكل شيء تمر عليه من الجن والإنس حتى ترجع إلى بيتها. ونهى أن تتزين لغير زوجها؛ فإن فعلت كان حقاً على الله

(١) الكافي: ج ٥ ص ٥٠٦-٥٠٧ باب حق الزوج على المرأة ح ١.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٣٣٩ ب ٣٠ ح ٣٨١٢، والوسائل: ج ٢ ص ١٦٠ ب ٨٠ ح ٢٥٣٠٥.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٨ ب ١ ح ٨٩١٩.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٢ ص ١٥٨ ب ٧٩ ح ٢٥٣٠١.

أن يحرقها بالنار»^(١).

وفي مسائل علي بن جعفر، قال: سألته عليه السلام عن المرأة المغاضبة زوجها هل لها صلاة أو ما حالها؟ قال عليه السلام: «لا تزال عاصية حتى يرضى عنها»^(٢).

تطابق القول والفعل

مسألة: قد يكون من الواجب - فيما كان فعله واجباً - إبراز ذلك بالقول أو غيره، وإظهار الالتزام، بحيث يكون (القول) كاشفاً عن الفعل والالتزام^(٣)، وقد يكون ذلك^(٤) مستحباً، وقد لا يكون أيّاً منهما، وذلك حسب العناوين التي تعرض. وقد يكون من المستحب - فيما كان فعله مستحباً - التجلي على الجوارح، وقد لا يكون كذلك^(٥).

ويمكن استفادة مطلق رجحان الإبراز والإظهار من قولها عليها السلام: «حسبي الله» وإمساكها عملياً، ويمكن القول بأن من الأفضل في الأمور المستحبة أن يظهر أثر ذلك الشيء على مجموع القلب واللسان والجوارح.

كما أن في الأمور الواجبة قد يتعلق الوجوب بالكل الواجب، وقد ينفرد بعضها بمتعلّقيه الواجب، فيكون عقد القلب فقط مثلاً هو الواجب، أو يكون

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ١٦١-١٦٢ ب ٨٠ ح ٢٥٣١٠.

(٢) مسائل علي بن جعفر عليه السلام: ص ١٨٥.

(٣) قد تكون من الأمثلة: البيعة في بعض الموارد والعقود لو حدث أن كان أصلها واجباً (كما فيمن وجب عليه الزواج خوف الوقوع في الحرام) فتأمل.

(٤) أي الإبراز والإظهار.

(٥) أي على حسب العناوين الطارئة.

الواجب متعلقاً بأحد الجوارح فقط حسب ما ذكره في الكتب الفقهية والأصولية والكلامية.

قوله عليه السلام: «وأمسكت» أي لم تتكلم عليه السلام بعد ذلك في هذا الشأن مع أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) وهذا من كمال التسليم وتمام الطاعة. فصلوات الله وسلامه عليها وعلى بعليها وبنيتها عدد ما أحاط به علمه، واللعنة على أعدائها أعداء الله، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي ١٤١٤هـ

إلى هنا تم بحمد الله تعالى
المجلد الخامس من كتاب (من فقه الزهراء عليها السلام)
وذلك بتمام الخطبة الشريفة
التي ألقتها الصديقة الطاهرة عليها السلام في المسجد
وسيأتي بعده المجلد السادس ويبدأ بـ (خطبة الدار)
التي ألقتها عليها السلام على نساء المهاجرين والأنصار
في البيت عند عيادتهن لها

الفهرس

٥	المقدمة
٧	بداية سقوط الأمم
٧	من جهد الرسول ﷺ والعتره الطاهرة ﷺ
١٠	الجد والنشاط
١٥	سر رزايا المسلمين
١٨	إقصاء الكفءاءات ظلم محرم
٢٠	إبعاد الإمام عن الخلافة من أكبر الكبائر
٢٣	السعة الشيطانية
٢٦	من عوامل الانحطاط
٢٧	الإيمان مستقر ومستودع
٣٠	من يخسر المستقبل؟
٣١	الوعي المتجذر والسطحي
٣٣	الانقلاب الشمولي على الأعقاب
٣٤	الكفر العقائدي والعملي
٤١	خذلان أهل البيت ﷺ
٤٥	المحطة الأولى للغدر
٤٧	المؤرخ والتقييم العادل
٥٠	التنفيس عن النفس
٥٦	إتمام الحجة وبيان الحق
٦٣	الخلافة المغصوبة / نتائج غضب الخلافة
٦٥	إبقاء عار أفعالهم عليهم
٦٩	كيف يعقب غضب الله غضبها ﷺ
٧٦	حرمة ما يوجب النار الموقدة
٨٠	ذكر أوصاف النار
٨٥	علم الله بالجزئيات
٨٨	للقوم أشد العذاب
٩٠	القوم قد ظلموها
٩١	تهديد الظالم
٩٣	المحاكم التسعة
٩٥	الإنذار عام / بين العمل والانتظار

- ٩٧..... الجهات الذاتية والعرضية / الاستمرارية
- ٩٨..... إنهم غير مؤمنين
- ١٠٤..... اسم الخصم وخصوصياته
- ١٠٦..... اعترافات من الخصم
- ١٠٨..... مكانة العترة الطاهرة عليهم السلام عند المسلمين / العلم والمعرفة
- ١١١..... من أنواع المغالطة
- ١١٣..... من أنواع المكر
- ١١٤..... السر وراء إقرار أهل الباطل
- ١٢١..... استماع الباطل
- ١٢٣..... عدم قطع الكلام
- ١٢٤..... إشكالات على الاستدلال بقوله: إنا معاشر الأنبياء
- ١٢٩..... مناقشة الإجماع المزعوم
- ١٣٠..... حكمه على نفسه
- ١٣٣..... التصدي لأكاذيب الظالم
- ١٣٤..... دفع التهمة
- ١٣٦..... الدفاع عن المؤمن
- ١٣٧..... أنواع الكذب
- ١٣٩..... أقسام التهمة
- ١٤٠..... حرمة الإعراض عن الكتاب
- ١٤٢..... من صفات القيادة
- ١٤٤..... شمولية إتباع الكتاب
- ١٤٦..... ديدن الرسول ﷺ
- ١٤٩..... حرمة الغدر
- ١٥١..... الاجتماع المحرم
- ١٥٢..... التستر على الغدر بالزور
- ١٥٣..... سياسة الطغاة
- ١٥٥..... هل أصحاب النبي ﷺ كلهم كالنجوم؟
- ١٦٦..... ما لقي الرسول ﷺ من الغوائل
- ١٦٩..... حرمة إثارة المشاكل
- ١٧٢..... القرآن هو الحكم
- ١٧٨..... الظواهر حجة بدون الضميمة
- ١٨١..... التأكيد على حكمية القرآن
- ١٨٣..... هل متشابه القرآن فصل؟
- ١٨٩..... سبب تركيزها عليها السلام على فذلك

١٩٠	لا ضريبة على الإرث
١٩٢	إزاحة علة المبطلين
١٩٣	هل إزالة التظني تكوينية؟
١٩٤	إثارة الشبهات محرمة
١٩٦	دوافع الظلم والغدر
٢٠٣	الاستعانة بالله
٢٠٦	استنباطات
٢٠٨	مكانة الصديقة عليها السلام في نفوس المسلمين
٢٠٨	إقرار ابن أبي قحافة
٢١١	خدعة الغاصبين
٢١٧	حرمة الإسراع إلى الباطل
٢١٨	هل كانت (معاشر المسلمين) أقلية؟
٢١٩	الإشاعات المغرضة
٢٢٠	السكوت على القبائح
٢٢٣	ترك التدبر محرم
٢٢٩	شهادتان من الزهراء عليها السلام
٢٣٨	التأويل والمكيدة الشيطانية
٢٤٠	الإشارة بالباطل
٢٤٥	الاستشارة المحرمة
٢٤٩	غضب فذك بداية المسيرة
٢٥١	تحذير الطغاة
٢٥٤	إذا كشف الغطاء / وحدة العالمين
٢٥٦	محطة الخسارة الكبرى / بين الوحدة والسكوت عن الحق
٢٥٨	محورية قبر الرسول ﷺ
٢٥٩	زيارتها عليها السلام لقبر رسول الله ﷺ وقبر حمزة وقبور الشهداء
٢٦٠	السلام على النبي ﷺ والمعصومين عليهم السلام بعد مماتهم
٢٦٢	زيارة القبور
٢٦٣	العطف على قبور الأولياء عليهم السلام
٢٦٧	التجاء المظلومين للرسول ﷺ
٢٦٨	قبر الوالدين
٢٧٣	خطاب المعصومين عليهم السلام
٢٧٧	رثاء البنت
٢٧٨	دراسة التاريخ
٢٧٩	ما حدث بعد الرسول ﷺ

- ٢٩٢..... الآثار التكوينية للرسول ﷺ
- ٢٩٣..... نماذج من الولاية التكوينية للمعصومين عليهم السلام
- ٣٠٨..... الشكوى للرسول ﷺ بعد الوفاة
- ٣١٣..... انحراف القوم
- ٣١٦..... المؤامرة على أهل البيت عليهم السلام
- ٣١٧..... الحقوق الامتدادية
- ٣٢٢..... نفاق القوم وعصيانهم
- ٣٢٧..... تجهم بعض الصحابة / رثاء الفقيه
- ٣٢٩..... الكفاءات الإلهية / أهكذا يمثل أمر الرسول ﷺ
- ٣٣١..... هل النور علة للهداية؟
- ٣٣٣..... الاستضاءة بالرسول ﷺ
- ٣٣٥..... السر في التزول التدريجي للقرآن
- ٣٣٧..... العلاقة بين العترة والسماء
- ٣٣٨..... إيناس الغير / حجب كل الخير
- ٣٣٩..... ضاقت البلاد عليها / مكانة السبطين
- ٣٤٤..... تمني الموت في رثاء الفقيه / المظلوم وتمني الموت
- ٣٤٥..... كراهة تمني الموت
- ٣٤٦..... تمني الموت في فقد المعصوم عليه السلام
- ٣٥٨..... البكاء على الرسول الأعظم ﷺ / الاجتماع للبكاء
- ٣٦٠..... المؤسس لظلم أهل البيت عليهم السلام
- ٣٦٣..... رجوع الزهراء عليها السلام إلى المنزل
- ٣٦٤..... سبل مواجهة الطاغوت
- ٣٦٥..... اللقب المناسب
- ٣٦٩..... علم بمواقف الزهراء عليها السلام / من مصاديق الانتظار
- ٣٧١..... انتظار المعصوم عليه السلام
- ٣٧٨..... التكلم بعد الاستقرار
- ٣٨٤..... لماذا صبر الإمام عليه السلام؟
- ٣٨٨..... احترام الزوجة / أبو طالب عليه السلام والمواقف المشرفة
- ٣٩٠..... خذلان القوم للإمام عليه السلام
- ٣٩٣..... تأملات في «اشتملت...»
- ٣٩٤..... لماذا اشتمال شملة الجنين؟
- ٣٩٧..... المقاومة السلبية / طرق مختلفة للحوار
- ٤٠٠..... اللجوء إلى الإمام عليه السلام
- ٤٠٣..... الزوجة وشكواها

- ٤٠٥..... إخبار الزوج
- ٤٠٩..... القعود عن الحق / تقبل الشكاية
- ٤١٠..... الشكاية لولي الأمر عليه السلام
- ٤١١..... العتاب وشبهه
- ٤١٢..... أعلى درجات الصبر
- ٤١٤..... بيان المظلومية
- ٤١٦..... من فلسفة صبر الإمام عليه السلام
- ٤١٧..... صقور الكفر / الخيانة سلاح الضعفاء
- ٤١٩..... اسم الخصم
- ٤٢١..... الغضب والابتزاز
- ٤٢١..... الغضب الأشد عقوبة
- ٤٢٢..... الغضب الطولي / لماذا طالبت عليها السلام بفدك؟
- ٤٢٧..... بلغة الأبناء
- ٤٢٩..... إرهاب الحاكم / منع نصره المظلوم / ترك النصره
- ٤٣٠..... الأشد عداوة
- ٤٣٢..... هل كانت البيعة فلتة؟
- ٤٣٤..... حرمة خصامها عليها السلام
- ٤٣٧..... حرمة حبس النصره عنها
- ٤٤٠..... اتخاذ موقف الحياد
- ٤٤٣..... عدم نصره أهل البيت عليهم السلام
- ٤٤٦..... لماذا نبش التاريخ؟
- ٤٤٨..... هل جماعة المسلمين معصومة؟
- ٤٥٥..... كلي الظلامة وجزئها
- ٤٥٧..... كيف عادت الزهراء عليها السلام؟ / المظلوم المهان
- ٤٦٧..... مقياس الإيمان
- ٤٦٩..... شجاعة الإمام عليه السلام
- ٤٧٠..... مظلومية الإمام عليه السلام
- ٤٧٩..... إبطال الباطل
- ٤٨٤..... سلب الشرعية
- ٤٨٨..... حرمة إهانة الصديقة عليها السلام
- ٤٩١..... التحرز من الذل والمهانة
- ٤٩٢..... سعي القوم لإهانتها عليها السلام
- ٤٩٤..... الاستنصار بالله
- ٤٩٥..... شبهة وإجابة / لا يجوز إنكار ظلامتها عليها السلام

- ٥٠٢..... طلب الويل والإخبار عنه
- ٥٠٣..... معنى (ويلاي)
- ٥٠٤..... بين حياته عليه السلام وموته
- ٥٠٥..... الاعتماد على الرسول عليه السلام
- ٥١٣..... تهديد الظالم
- ٥١٤..... شكوى الأنبياء عليهم السلام
- ٥١٦..... الاستنجاد بالله
- ٥١٨..... لماذا لم يحول الله الحال؟
- ٥٢٠..... تسليّة المظلوم
- ٥٢٢..... تسليّة المريض والمهموم
- ٥٢٥..... تسليّة الزوج وزوجته
- ٥٢٦..... الدعاء على أعداء آل البيت عليهم السلام
- ٥٣٠..... الويل لأعداء فاطمة عليها السلام
- ٥٣٣..... الأمر بالصبر
- ٥٣٥..... إكرام الزوجة
- ٥٣٦..... ابنة الصفوة
- ٥٤٠..... فضائل الحسب والنسب
- ٥٤٢..... الاعتقاد بالعصمة ودرجاتها / بيان العصمة
- ٥٤٣..... التقصير في الدين
- ٥٤٦..... دفع الشبهة والدفاع عن النفس
- ٥٤٨..... لماذا لم يقم عليه السلام بالأمر؟
- ٥٥٠..... نقل عاصمة الخلافة
- ٥٥١..... طمأنة المظلوم / المراد بـ (البلغة) و (الرزق)؟
- ٥٥٤..... روح التوكل على الله
- ٥٥٨..... مقام فاطمة عليها السلام في القيامة
- ٥٦٧..... تعويض المظلوم
- ٥٦٩..... احتساب المصائب عند الله
- ٥٧٨..... الاعتقاد بكفاية الله عبده
- ٥٨٠..... إطاعة الإمام عليه السلام
- ٥٨٢..... امتثال الزوج
- ٥٨٤..... تطابق القول والفعل

